جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله–

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

العلاقات التاريخية الحضارية بين مصر و الدول المجاورة في عهد الملوك الليبيين

(من القرن العاشر إلى القرن الثامن قبل الميلاد)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبة: **إشراف الدكتورة:**

مريم عبد السلامين **بنت النبي مقدم**

لجنة المناقشة:

أ.د/ محمد الهادي حارش ..... جامعة الجزائر2.....رئيسا

د. بنت النبي مقدم.....جامعة الجزائر2.....مقررا

د. ليلى بومريش.....جامعة الجزائر2.....عضوا

د. بومدين بن موفق..... جامعة الجزائر2.....عضوا

د. جميلة خالفي.....جامعة خميس مليانة.....عضوا

د. حورية عبد الله.....المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.....عضوا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد والشكر لله عز و جل الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بأسمى معاني الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة "بنت النبي مقدم"، التي أعانتني في إنجازي لهذا العمل، وأرشدتني خلال مختلف مراحل البحث، و قدمت لي التوجيهات المنهجية الرشيدة، والتي لم تتأخر عنّي بالرأي والنصيحة حتى استوى هذا العمل المتواضع على ما هو عليه.

كما أسدي جزيل شكري إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم المضنية في تقدير وتقييم هذا البحث، فلكم مني أساتذتي الكرام تحية الإكبار والتقدير.

كما أقدم شكري الخالص للأسرة العلمية بقسم التاريخ ، الأساتذة الأفاضل الذين درسونا وشجعونا بالكلمة الطيبة التي كنا بحاجة إليها.

ولا يفوتني أن أوجه خالص شكري وامتناني، إلى من ساندني طوال حياتي والذي لم يرفض لي طلبا يوما من الأيام، وكان دوماً يشجعني ويبث فيّ روح الإصرار والعزيمة ويحثني على المضي قُدُما، والذي كان يتمنى وصول هذا اليوم وينتظر تلك الساعة واللحظة التي يراني فيها وأنا أناقش رسالتي .ولكن قضاء الله و قدره شاء ولم يمهله الأجل لكي يكون معي في هذا اليوم والدي رحمه الله، فمالنا إلاّ الدعاء له بأن يكون في أعالي درجات الجنان وأن يجعل كل حرف تعلمته في ميزان حسناته يا رب العالمين. وأشكر أمي الغالية حفظها الله وأطال الله في عمرها، بتضحياتها وتشجيعاتها لي إذ ما فتئت تحثني على الصبر والمثابرة والإصرار وتوفير الجو الملائم في سبيل تفرغي لإنجاز هذا العمل، فقد كانت نعم السند المعنوي والمادي.

والشكر الموصول إلى أخواتي وأخي، وإلى صديقاتي، وزميلاتي وزملائي وكل الذين رافقوني طيلة إنجاز هذا العمل فلهم مني تحية إخلاص ووفاء.

وإلى كل من قدم لي يد المساعدة علمية أو معنوية من قريب أو بعيد، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

قائمة المختصرات:

ANET : Ancient Near Eastern Texts.

ASAE : Annale de Service des Antiquités de l'Egypte.

BIFAO : Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale.

CAH : The Cambridge Ancient History.

JARCE : Journal of the American Research Center in Egypt.

JEA : Journal of Egyptian Archaeology.

LAAA : Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology .

SNR : Sudan Notes and Records.

مقدمة

مقدمة

عوّدنا المؤرخون الغربيون في دراسة تاريخنا القديم، على إعطائنا دور المتلقن للمظاهر الحضارية للشعوب الوافدة والمحتلة لأرضنا، فنجدهم في كتاباتهم يبرزون ذلك التأثير مع محاولة إلغاء دور حضارة المغرب القديم، بينما إذا بحثنا في تطور الشعوب الليبية القديمة منذ ما قبل التاريخ ، وحركيتها لوجدنا تسلسلاً مستمراً للأحداث، وتفاعل الإنسان الليبي القديم مع مختلف الأوضاع، التي تعرض لها عبر المراحل التاريخية؛ فإذا كانت الدراسات والكتابات المتعلقة بالحضارات القديمة، أسقطت النشاط الحضاري لمنطقة ليبيا القديمة، فكيف تعترف بالتأثيرات التي تركها الليبيين في مصر.

والحقيقة أن هذه المنطقة عرفت تطورات كبيرة في مختلف ميادين الحياة طوال فتراتها السابقة، ذلك ما تصوره لنا الرسومات والنقوش الصخرية في ليبيا وفي مصر، إذ أن ذلك التشابه الكبير في الرسومات والنقوش في كلا المنطقتين، يعد مصدرا أساسيا للبحث وكتابة تاريخ الليبيين القدامى، وبفضل الأبحاث الميدانية والتنقيبات الأثرية استطاعت أن تزيل بعض الغموض عن تاريخنا القديم، حيث عرفنا بعض الأخبار عن الأقوام، التي سكنت ليبيا، والتي كانت معاصرة للتاريخ الفرعوني.

ويلاحظ أن بعض الآثار المصرية قد حدثتنا عن الليبيين، جيران مصر الغربيين، حيث تعددت علاقات مصر القديمة، مع المراكز الحضارية المجاورة لها منذ فجر عصورها التاريخية، وعكست مصادرها النصية والأثرية نماذج عدة لمثل تلك العلاقات وأنماطها المتعددة بجوانبها السلمية والحربية، واختلاف الأهداف المرجوة منها، وأخذت تؤثر في جيرانها وتتأثر بهم، وارتبطت معهم بعلاقات تاريخية وحضارية في معظم عصورها، فجاء تاريخها، بل وتاريخ سائر الدول المجاورة مرآة للعلاقات التي سادت بين وحداته المختلفة.

ويعرف أنه من بين فترات تاريخ مصر القديمة، فترة الحكم الليبي الذي عرفت خلاله مصر روابط تاريخية مع الدول المجاورة لها. وبناءاً عليه آثرت اختيار موضوع بحثي حول "**العلاقات التاريخية الحضارية بين مصر والدول المجاورة في عهد الملوك الليبيين**" ، ضمن إطار زماني يمتد من القرن العاشر إلى القرن الثامن ق.م ، وفي إطار مكاني يشمل كل من ليبيا القديمة ومصر ودول الجوار المتمثلة في دول الشرق الأدنى القديم(فينيقيا، فلسطين، العراق) والجهة الجنوبية "بلاد كوش" .

مقدمة

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يصب في سلسلة الدراسات التي تحاول اثبات الدور التاريخي والحضاري لليبيين، خارج بلاد المغرب القديم، ومدى تأثرهم بالغير بعد خروجهم من أرضهم ومحافظتهم على قيمهم وتقاليدهم وأعرافهم، التي ألفوها بين قبائلهم وشعوبهم الأصلية قبل النزوح نحو مصر؛ وكذا إبراز دورهم خلال فترة تواجدهم بمصر، ووصولهم إلى الحكم ومدى تأثيرهم على هذه الحضارة العريقة وتأثرهم بها، وتمكنهم من إعادة الاعتبار لمصر بين دول الجوار، وإبراز نوع العلاقات الخارجية التي سادت خلال فترة حكمهم لمصر.

كان اختيار موضوع البحث من الأمور المهمة والصعبة لنا في هذه المرحلة، وكان لموضوع مذكرتي في الماستر، والذي تناول "الحكم الليبي في مصر القديمة الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين"، أثراً كبيراً في أن أفكر بمواصلة البحث وإكماله في نفس الموضوع، ويعتبر السبب الرئيسي في اختياري لموضوع بحثي هذا، وبعد اطلاعي على الدراسات السابقة حول ليبيا القديمة والليبيين القدماء، وجدت أن معظم الدراسات ركزت على القبائل الليبية الواقعة غرب مصر، من فترة ما قبل التاريخ والعلاقات السائدة بينها وبين مصر، من تلك الفترة إلى وصولهم للحكم، غير أنه لا يوجد دراسة حاولت تسليط الضوء على العلاقات بين الملوك الليبيين أثناء فترة حكمهم لمصر والدول المجاورة لها، وهو ما شكل لنا حافزاً ومنطلقاً أساسياً لخوض غمار البحث بقدر ما ستتيحه لنا المصادر التاريخية، والدراسات السابقة التي أشارت للموضوع ولو إشارات طفيفة.

وبناءاً عليه فإن الإشكالية المطروحة للبحث تتمثل فيما يلي: كيف كانت طبيعة العلاقات بين مصر والدول المجاورة في عهد الملوك الليبيين؟ وهي بدورها تتفرع لمجموعة من التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها في هذا الموضوع:

- ما هي طبيعة العلاقات الخارجية المصرية قبل وصول الليبيين إلى الحكم؟
- كيف كانت بداية الاتصال والتفاعل الحضاري بين مصر وليبيا؟
- كيف وصل الليبيون إلى الحكم في دولة تميزت خلال عصور طويلة بحضارة عريقة؟ وكيف استطاعت هذه القبائل الغير متحضرة، حسب المصادر المصرية وحتى الغربية بعد ذلك، من تأسيس أسر ليبية حكمت مصر الفرعونية؟

- هل يمكننا اعتبار حكم الليبيين في مصر رمزاً لقيام دولة وحضارة ليبية أثرت في مصر، أم أن مصر حافظت على شخصيتها ومقوماتها الحضارية؟
- هل اندمج الحكام الليبيين في الحضارة المصرية وتأثروا بها، أم أنهم حافظوا على تقاليدهم واستمروا في ممارستها؟
- هل يعتبر وصول الملوك الليبيين للحكم دليلاً على تمصيرهم أو هو ضرورة حتمية، فرضها عليهم مركزهم السلطوي الذي يقتضي اتباع نمط حياتي وتقاليد رسمية متعارف عليها؟
- وكيف نفسر إقامتهم لعلاقات بحضارات مجاورة لها؟ وما هي نوع هذه العلاقات التي ربطت الليبيين بهذه الدول المجاورة؟ و هل بقيت طبيعة العلاقات في عهد الملوك الليبيين بين مصر ودول الجوار مثلما كانت عليه من قبل، خاصة في فترة الامبراطورية المصرية عهد الدولة الحديثة التي عرفت بالقوة والتوسع والازدهار؟

ولإنجاز هذه الدراسة اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي، لمعالجة سير الأحداث التي وقعت، من خلال عرض الحقائق وتقديم الأدلة والبراهين العلمية، والبقايا الأثرية واللوحات ومحاولة استقرائها، لأن كل واقعة أو ظاهرة من الظواهر السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو العسكرية التي لها صلة بالموضوع، لابد من الإشارة إليها وضرورة التأكد منها ؛ كما اعتمدت أيضاً على المنهج التحليلي من أجل معالجة الحقائق والآراء وتفسيرها ونقدها بهدف الوصول إلى إجابة للإشكالية، والدراسة التحليلية هي المناسبة لأسباب ونتائج بعض الأحداث التاريخية مثل الثورات والحروب بين هاته الدول ونوع العلاقات وتغيرها حسب الأوضاع؛ بالإضافة للمنهج المقارن والاستنباطي الأنسب لمقارنة المادة التاريخية، لأن القراءات حولها قد تختلف مما يضطرنا لعدم الاكتفاء بوصف المادة التاريخية ومحاولة تحليلها بل من الأحسن المقارنة بينها، ومن ثمة القيام بعملية الاستقراء واستنباط النتائج.

ولدراسة هذا الموضوع قسمت البحث إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة؛ حيث أنني سأتناول في المدخل طبيعة العلاقات الخارجية المصرية قبل وصول الليبيين للحكم، في الجهة الشرقية والجنوبية والغربية، وفي الفصل الأول سأركز على التفاعل الحضاري بين ليبيا ومصر من خلال المصادر المصرية القديمة، سأتعرض فيه للقبائل الليبية القديمة المحاذية لمصر، والعلاقات المصرية بالقبائل الليبية

من خلال المصادر المصرية القديمة، بعدها المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي من خلال الآثار المصرية القديمة.

أما الفصل الثاني فسيكون الحديث فيه عن الحكم الليبي لمصر، سأتعرض فيه إلى الأوضاع في مصر قبيل قيام الحكم الليبي، وإلى فترة حكم فراعنة بأصول ليبية الأسرات الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، بعدها المظاهر الحضارية للحكم الليبي لمصر.

وسأتطرق في الفصل الثالث إلى علاقات ملوك الأسر الليبية بالشرق الأدنى القديم، سأعالج فيه مراكز القوى في الشرق الأدنى القديم للفترة من الألف الثانية إلى الألف الأولى ق.م، بعدها علاقات ملوك الأسر الليبية بالساحل الفينيقي، وبفلسطين ، وبالآشوريين.

أما الفصل الرابع والأخير فسأخصصه للحديث عن علاقات ملوك الأسر الليبية ببلاد كوش وليبيا الوطن الأم، سأتعرض فيه إلى علاقات الملوك الليبيين ببلاد كوش حتى تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين في مصر، بعدها علاقات الملوك الليبيين بملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية، بالإضافة إلى علاقات الملوك الليبيين بليبيا الوطن الأم وقرطاجة .

ولإنجاز موضوعي، والبحث فيه، سيتوجب علي تتبع الأحداث التاريخية، والمعلومات المتعلقة به، والتي تمكنني من الاجابة عن تساؤلاتي، بين طيات المصادر والمراجع المتخصصة وأهمها:

المصادر المصرية القديمة من نقوش وشواهد أثرية، التي تشير إلى علاقات الليبيين بالمصريين وفترة الحكم الليبي لمصر، من خلال أعمال بعض الباحثين المتخصصين أمثال: عالم المصريات "جيمس هنري برستد" J.H. Breasted" "في كتابه "سجلات تاريخية من مصر القديمة" " Ancient Records of Egypt"، الذي قام بتسجيل كل النصوص الخاصة بالفراعنة في كتابه الذي يقع في 5 أجزاء، واستخدمت خاصة الجزء الرابع الذي يجمع فيه النصوص التي تخص فترة حكم الليبيين لمصر ، فأخذت منه الكثير من المعلومات حول نظم الحكم والإدارة والسياسة والعلاقات الخارجية والأحلاف والمعاهدات والحروب والصراعات وغير ذلك ، بالإضافة إلى حفريات "ج. دارسي G.Daressy " و "ج.ريزنر G.A.Reisnerو "ب.مونتي"Pierre Montet " و"اركل." A.J.Arkell" استفدت منها من خلال تقارير التنقيبات في معرفة أصل الأسر الليبية والنوبية والمحتويات والاثار التي خلفها الليبيون، ومن أهمهم أيضا

"أوريك بيتس" الذي زودنا من خلال كتابه "الليبيون الشرقيون" The eastern libyans " بأخبار القبائل الليبية وتحركاتها، كذلك "آلن جاردنر" من خلال كتابه "مصر الفراعنة"، بالإضافة إلى دراسة "جون يويوت"J.Yoyotte والتي تكمن أهميتها في كونها سلطت الضوء على فترة الحكم الليبي في مصر في مرحلة الفوضى وانقسام الحكم إلى أقاليم خاصة بمنطقة الدلتا، من خلال دراسته حول "أقاليم الدلتا في زمن الفوضى الليبية " Les principautés du Delta au temps de l'anarchie Libyenne"

كما اعتمدت على مصدر ديني تمثل في الكتاب المقدس خاصة أثناء تطرقي للعلاقات بين الملوك الليبيين والاشوريين، وخاصة علاقاتهم مع فلسطين، حيث زودني بمعلومات مهمة كان أهمها حملة شيشنق الأول على "أورشليم".

هذا بالإضافة إلى المراجع العربية والأجنبية والمترجمة في صيغتها الورقية أو في صيغتها الرقمية، منها كتاب "نيقولا جريمال" "تاريخ مصر القديمة"، كتاب Taklit Mebarek Slaouti "الأمازيغ في مصر"les Amazighs en Egypte ، كتاب جونتر قيتمان "مصر والأجانب في الألفية الأولى قبل الميلاد"، وكتاب أم الخير العقون،" دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية"، و فرانسوا شامو "في تاريخ ليبيا القديم" أفادتني هذه الدراسات في معرفة الأحوال الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية لليبيين القدماء ،وكيفية وصولهم الى الحكم وتأسيسهم الدولة الليبية في مصر؛ كما يسر مهمتي في بحث هذه الفترة ما ترجمه "سليم حسن" في موسوعته "مصر القديمة" لتلك النصوص والوثائق المصرية إلى اللغة العربية وبشكل خاص الجزء التاسع ، الذي يتضمن نهاية الأسرة الحادية والعشرين وحكم دولة الليبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين . فضلا عن مراجع أخرى أساسية وثانوية أفادتني في موضوع بحثي.

أما عن المراجع التي تناولت صلب الموضوع أي علاقات ملوك الأسر الليبية بدول الجوار، فإنها تتمثل سوى في بعض البحوث الأكاديمية والمقالات العلمية المنشورة في المجلات التاريخية والاثرية المتخصصة، ما مكننا من استخلاص النتائج حول طبيعة علاقاتهم وتطورها، منها: مقال: دعاء محسن علي الصكر" العلاقات بين بلاد النهرين ومصر القديمة خلال مدة العصر الآشوري الحديث(911-612 ق.م)"، محمد السيد عبد الحميد "الفينيقيون في مصر خلال الفترة من 948-715 ق.م"، علي أحمد قسم السيد "آراء حول أصل الأسرة الخامسة والعشرين من حكام مصر القديمة؛ نعمات عمر عبد الجبار"

مظاهر التمصير عند ملوك الأسرة الخامسة والعشرين" ؛بالإضافة إلى أطروحة دكتوراه عارف أحمد اسماعيل غالب" العلاقات التاريخية بين مصر القديمة وسورية في عهد الأسرات من 22-31 ".

من بين الصعوبات التي واجهتني أثناء التحرير، نقص المادة التاريخية والوثائق المكتوبة والآثار المادية والأثرية الخاصة بفترة حكم الملوك اللّيبيين بمصر، وكون الموضوع يعتمد بالدرجة الأولى على الدلائل المادية والأثرية وهذه الأخيرة ليس بمقدورنا الحصول عليها أو ترجمتها، فتطرقت إليها من خلال دراسات وترجمات علماء المصريات والأثريين، كما أنه يلاحظ أن البحث في تاريخ هذه الفترة ينتابه الكثير من الغموض أمام نقص المادة التاريخية المعتمدة في أبحاثها على المصادر المصرية، التي لا تخلو من المبالغة والتحيّز، رغم أن هذا لا يلغي قيمتها التاريخية خاصة مع غياب المصادر الليبية، ولكنه يصعب مهمة الباحث، لأنه سيكتفي برأي طرف واحد دون الآخر؛ ورغم ذلك أتمنى أن أكون قد توصلت على الأقل، إلى الالتزام بالمعايير المنهجية والجديّة العلمية والإحاطة بجوانبه الأساسية، وأملي أن أكون قد قدّمت مساهمة علمية أكاديمية متواضعة، في تاريخ ليبيا القديمة والملوك الليبيين الذين حكموا مصر، وتمكنت من كشف الستار عن بعض الحقائق، التي حاولت الكتابات الغير موضوعية تغييبها، في موضوع الحكم الليبي بمصر وعلاقاته الخارجية.

في الأخير لا يسعني إلا أن أقدّم جزيل الشكر إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة "مقدم بنت النبي"، التي كان لها فضل التوجيه والرعاية والصبر ليظهر هذا العمل على الصورة التي هو عليها، كما أوجه شكري إلى لجنة المناقشة على صبرها في قراءة الموضوع، لإفادتي بملاحظاتها القيمة وتصويباتها التي ستزيد البحث اثراءاً.

و الله ولي التوفيق.

المدخل

طبيعة العلاقات الخارجية المصرية قبل وصول الليبيين للحكم

أولاً- الجهة الشرقية

1- في عهد الدولة الحديثة.

2- الفترة الانتقالية الثالثة (الاسرة الحادية والعشرين)

ثانياً- الجهة الجنوبية

1- في عهد الدولة الحديثة.

2- في الفترة الانتقالية الثالثة.

ثالثاً- الجهة الغربية

1- في عهد الدولة الحديثة .

أولا – الجهة الشرقية :

1– في عهد الدولة الحديثة(1580 إلى 1090 ق.م) :

1-1- الأسرة الثامنة عشرة حوالي (1580 – 1350 ق.م) :

بدأت مصر في نهج سياسة خارجية مختلفة عن سياسات عصورها القديمة ، ويمكن القول أن احتلال الهكسوس لبلادهم دفعهم للانفتاح سياسيا ، حيث أصبحت أولوياتهم في السياسة الخارجية حماية حدودهم الشمالية الشرقية والتي سبق أن دخل الهكسوس منها مصر، ولم يتوقف المصريون عند هذا الحد، إنما بدأت محاولتهم في الاندفاع نحو آسيا في عمق أراضي سوريا القديمة من أجل حماية بلادهم مستقبلا وتأمين طرق التجارة وتثبيت مصالحهم مع سوريا وفلسطين[1].

بسقوط "أواريس" فقد الهكسوس معقلهم القوي في مصر واضطروا للانسحاب إلى سوريا[2]،فترأس "أحمس الأول" جيوشه بنفسه وخرج بها عن حدود بلده، فحاصر مركز تجمعهم في "شاروحين"(تل القارعة) بجنوب فلسطين، حتى أجلاهم عنها وشتتهم[3]، وواصل طردهم وتتبعهم حتى "زاهي*"، وبعدها قام " أحمس" بحملة على فينيقيا، وتم استخراج الأحجار اللازمة لبناء معبدي آمون وبتاح[4].

أما الملك "أمنحوتب الأول" فقد واصل على سياسة والده، حيث خرج على رأس جيشه إلى ما تجاوز الحدود المصرية شمالاً، شرقاً، جنوباً وغرباً، ونعرف ذلك من تاريخ حياة القائدين "أحمس بن إبانا" و"أحمس بن نخبت" الذين صاحبا الملك في بعض حملاته[5]، ناهيك عن إشارتين لجهوده في آسيا، أولاهما

---

[1]- شعلان كامل اسماعيل ، مصر و الأطماع الدولية في آسيا بين القرنين الخامس عشر و الثالث عشر قبل الميلاد ، مجلة التربية و العلم ، جامعة الموصل ، المجلد 18 ، العدد 2 ، سنة 2011 ، ص 5 ؛ Katheleen Kutper , ancient Egypt from prehistory to the islamic conquest , Britannica educational publishing , 2011 , p 59 .

[2]- ج.شتيندروف.ك.سيل، عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1990 ، ص 49؛ Kathleen kutper , op-cit , p 60 ؛ جان فيركوتير، مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، 1993 ، ص 71 .

[3]- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر و العراق، ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2012، ص 303؛ جيمس هنري برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط 2 ، 1997 ، ص 147؛ Kathleen Kutper , op-cit , 60

*- زاهي: مصطلح جغرافي استعمل في الدولة الحديثة للإشارة إلى السهل الفينيقي و فلسطين أو إلى سوريا بمعناها الواسع أنظر: محمد بيومي مهران، مصر والشرق الادنى القديم بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص 126؛ أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر العراق إيران، دار النهضة العربية، بيروت، 1998، ص 144 .

[4]- جيمس هنري برستد، المرجع السابق، ص 147 – 148؛ زكية يوسف طبوزادة، تاريخ مصر القديم من أفول الدولة الوسطى إلى نهاية الأسرات، القاهرة،2008، ص 43 .

[5]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 304 ؛ أحمد فخري ، مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد ، ط 2 ، مكتبة الأسرة، 2012، ص 208 .

عن بلاد قدمى في مقبرة "أمنمحات"، والثانية عن ميتاني[1] في نفس نقوش المقبرة السابقة [2].

كانت أمور مصر الداخلية مستقرة، حين تولى الملك " تحوتمس الأول" عرشها، وشمل نفوذها السياسي المباشر، الجزء الجنوبي من فلسطين وبعض بلاد الساحل الفينيقي[3]؛ أما ما بقى بعد ذلك من دويلات في شمالي فلسطين أو في سوريا فكان بين صديق لمصر وبين مستقل عن أي نفوذ أجنبي، أو تربط حكامه رابطة من الصداقة أو الولاء بدولة من الدول التي كانت تعيش وقتذاك في بلاد العراق القديم، أو دولة خيتا[4] في آسيا الصغرى، التي أخذت تظهر في دنيا السياسة في ذلك العهد.

اخترقت حملة "تحوتمس الأول" منطقة الفرات[5] حيث يحكم ملك الميتان في شمال شرق الشام وقرب نهر الخابور والفرات[6]، ويحتمل أن الجيش المصري قد خرج من شرق الدلتا وعبر الصحراء ووصل إلى جنوب فلسطين ثم اتجه شمالا بامتداد الشاطئ حتى حلب، ووصل إلى نهر الفرات بالقرب من "قرقميش" (الحدود التي تفصل سوريا عن كردستان) حيث هزم ملك الميتانيين[7]، وتمكنت القوات المصرية الوصول إلى النهرين بلا نزاع ولا مقاومة كبرى[8]، ثم أقام "تحوتمس الأول" لوحة تذكارية على ضفة الفرات عند قرقميش[9].

---

[1]- تشكلت الدولة الميتانية في منتصف الألف الثاني ق.م، بعد نهاية العصر البابلي القديم حوالي (1884- 1595 ق.م)، وانتشار الأقوام الهندوأوربية وخاصة الأقوام الآرية التي اختلطت بالحوريين وتمكنت من حكمهم وتأسيس الدولة الميتانية التي امتدت من شمال سوريا إلى شمال العراق القديم وأيضا أجزاء من بلاد الأناضول، حكم دولة ميتاني عدة ملوك، ومن بين الحكام الميتانيين الذين كانت لهم علاقات ودية مع ملوك مصر، الملك توشراتا.عن: غسان عبد صالح، الرسائل المتبادلة بين الملك الميتاني تواشراتا (1365-1335 ق.م) وملوك مصر، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل، العدد 13، 2013، ص 111-112 .

[2]- رمضان السيد ، تاريخ مصر القديمة منذ بداية الأسرة الخامسة عشرة حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر عام 332 ق.م، ج 2 ، هيئة الآثار المصرية ، 1993 ، ص 54 .

[3]- أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص 210 .

[4]- الحيثيين هم من القبائل الهندوأوربية (الآرية) استقرت في هضبة الأناضول في حوض نهر هاليس (قزيل يرمق) في القرن 18 ق.م، سيطرت على السكان المحليين الذين كانوا يعرفون بالحاتيين وعرفت بلادهم باسمهم، وقد تمكنت تلك القبائل والتي عرف المنتسبون اليها بالحيثيين من تأسيس المملكة الحثية في حدود القرن السابع عشر ق.م سيطرت على أجزاء واسعة من آسيا الصغرى، فضلا عن ما يزيد على نصف أراضي بلاد الشام، وما أن حل القرن الثالث ق.م حتى أصبحت المملكة الحثية واحدة من أبرز القوى السياسية في الشرق القديم بشكل عام و منطقة غرب آسيا بشكل خاص . عن: محمود فارس عثمان الوردي ، الهجرات الهندوأوربية (الآرية) إلى منطقة غرب آسيا وأثرها على بلاد الرافدين حتى سنة 637 م ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد 22 ، العدد 1 ، 2015 ، ص ص 18 – 20 .

[5]- نهر الفرات سماه المصريون القدماء " بالمياه المقلوبة " ، حيث استلفت الفرات الذي يجري باتجاه معاكس لمجرى النيل أنظار المصريين كأمر غريب، ولم يتوقف المحاربون المصريون بعد أن رجعوا إلى بلادهم عن الحديث عن هذا النهر المقلوب الذي تجري مياهه إلى الجنوب وهي في الحقيقة تجري إلى الشمال . أنظر : فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد و عبد الكريم رافق، ج 1، دار الثقافة، بيروت، ص 139؛ ج.شتيندروف.ك.سيل ، المرجع السابق ، ص 57 ؛ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 306 – 307 .

[6]- محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 127 ؛ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 306 .

[7]- رمضان السيد،المرجع السابق،ص 60؛ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 146؛ ت.ج.ه. جيمز، كنوز الفراعنة، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999 ،ص 71.

[8]- جيمس هنري برستد ، المرجع السابق ، ص 173 ؛ فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص 139 .

[9]- Kathleen Kutper , op-cit , p 61 .

سارت العلاقات الخارجية في عهد "تحوتمس الثاني" سيرا عاديا، وعملت جيوشه على ضمان الأمن في الأملاك الشمالية الشرقية، حيث قامت ثورة في شرق مصر فأدبتها جيوش " تحوتمس الثاني"[1]، ويتبين ذلك من خلال تاريخ حياة القائد "أحمس بن نخبت" الذي أمر بنقشه على جدران مقبرته بمنطقة الكاب، الذي ذكر أن الملك تحوتمس الثاني توجه بشخصه لإخضاع قبائل "الشاسو" وهم البدو سكان شمال شرق وجنوب فلسطين (بدو شبه جزيرة سيناء أو الصحراء السورية)، وأسر العديد منهم[2]، واستمر في زحفه حتى وصل مدينة "فى يا"[3] في بلاد نهارين (قلعة المودك حاليا).

اتجهت سياسة مصر في عهد "حتشبسوت" وجهة افريقية أكثر منها آسيوية، والظاهر أنّ عهد هذه الملكة كان مصحوبا بالأمن والسكينة والسلم في آسيا، واقتصر الامتداد المصري في الشام خلال عهدها على النشاط التفتيشي[4]، وقد اعتمدت في حكمها على كهنة الاله آمون في طيبة الذين كانوا على خلاف مع الأمراء العسكريين، وفضلوا السياسة السلمية لأن الحروب الخارجية السابقة امتصت موارد البلاد ، فبدلا من الحملات الحربية اهتمت "حتشبسوت" بالأمور التجارية والأعمال العمرانية؛ ولكن عدم اهتمام "حتشبسوت" بالشؤون الحربية أدى إلى تدهور الوضع العسكري في سوريا، واستغل الأمراء السوريون هذا الوضع فأعلنوا تمردهم ضد السيطرة المصرية[5]، وكان أمير قادش على رأس الثائرين وقد جاء إلى "مجدو" حوالي 1470 ق.م، وجمع حوله ثلاثمائة وثلاثين أميرا ، ولا يستبعد أنه كان للميتانيين الدور البارز في إثارة الدويلات والممالك المحلية وجعلها احدى الوسائل لضرب المصريين[6]؛ لأن الدولة الميتانية بدأت تلم شملها وتسعى إلى توجيه سياسة الشرق الأدنى وتجارته[7]، لاسيما وأن موقعها على الفرات وامتدادها إلى شرقه نحو دجلة سمح لها بمركز تجاري متوسط ، يمكن أن تتحكم به في مداخل التجارة السورية العراقية ويمكن أن تنافس مصر به.

وبمجرد اعتلاء واستعادة "تحوتمس الثالث" العرش اضطر إلى التصدي للثورة، التي اجتاحت الدويلات الآسيوية المتحالفة في أعقاب وفاة "حتشبسوت" [8]، كانت حملة "مجدو" الحملة الأولى من ست عشر حملة التي شنها ضد التحالف الآسيوي، وروى "تحوتمس الثالث" هذه الحملات في حولياته المنقوشة على جدران الممر المحيط بقدس الأقداس في معبد الكرنك، حيث شن حملة عسكرية استطاع من خلالها إعادة

---

[1]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 308 ؛ محمد أبو المحاسن عصفور، علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى الفتح اليوناني، مطبعة المصري، الاسكندرية، 1962، ص 77.

[2]- سمير أديب ، تاريخ و حضارة مصر القديمة ، مكتبة الاسكندرية ، 1997، ص 161 – 162 ؛ ج.شتيندوف.سيل ، المرجع السابق ، ص 60 ؛ زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 54

[3]- نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاتي ، ط 2 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1993، ص 271 .

[4]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 308 - 309 ؛ جيمس هنري برستد ، المرجع السابق ، ص 183 .

[5]- نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي و الثقافي، دار الفكر، 1972، ص 81 ؛ شعلان كامل اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 6 .

[6]- Kathleen kutper , op-cit , p 62، شعلان كامل، المرجع السابق،ص 6؛ أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر والعراق سوريا اليمن ايران مختارات من الوثائق التاريخية ، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980، ص 43 .

[7]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 309 - 310؛ أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 149 .

[8]- نيقولا جريمال ، المرجع السابق ، ص 271 ؛ رمضان السيد ، المرجع السابق ، ص 78.

فتح بلاد "رتنو"[1]، بدأ مسيرته من شرق الدلتا وصعد إلى غزة متجها إلى "يحم"، ثم وصل إلى سهل "مجدو" بعد أن عبر ممرا جبليا، وسقطت مدينة "مجدو" بعد حصار دام سبعة شهور كاملة[2] ؛ وبغزو "مجدو" كسب "تحوتمس الثالث" بضربة واحدة كل شمال فلسطين، فقد أرسل من مقره البعيد على نهر دجلة نصيبه من الضريبة، وتتكون من قطع كبيرة من اللازورد وعدد من الأواني الآشورية[3]؛ ركز بعد ذلك اهتمامه على طرق مواصلاته، وخلال حملته الخامسة استولى على ميناء بفينيقيا "أرواد"، وقد رأى "تحوتمس الثالث" ضرورة إعداد بعض الموانئ السورية لتكون قواعد للأسطول المصري[4]، ليتجنب الطريق البري الصحراوي الطويل.

وفي حملته السادسة خرج "تحوتمس الثالث" للقضاء على الثورة التي قامت في "فينيقيا"، وكان زعيمها أمير قادش عدوه القديم، وكانت الحملة عن طريق البحر، حيث اتجه نحو قادش على نهر العاصي وهي المركز الرئيسي لأعدائه، واستولى عليها كما استولى على مدينة تونيب[5]؛ وفي حملته الثامنة خرج "تحوتمس الثالث" بجيشه إلى سوريا واعتزم أن يهاجم دولة الميتان في عقر دارها، حيث قام بتنظيم الموانئ الشامية وتزويدها بما كان يعوزها من المحاصيل الغذائية[6]، وأمر ببناء سفن من أخشاب الأرز في جبال بيبلوس ونقلها على العربات التي تجرها الثيران على طول الطريق إلى الفرات من أجل أن تعبر قواته النهر الكبير، وتنقل برا إلى "قرقميش"[7]، أين التقى "تحوتمس" وجيوشه بالميتانيين وانتصر برجاله عليهم، وبعد هذا، انسحب "تحوتمس من مناطق شرق الفرات، بعد أن وضع لوحة على الجانب الشرقي من النهر، مقابلة للوحة "تحوتمس الأول"[8] تخلد انتصاره هذا .

أصبحت مصر منذ هذه الحملة صاحبة النفوذ في جميع ثغور فلسطين وسوريا وفينيقيا وجزر البحر المتوسط، داخلة تحت نفوذ مصر بفضل أسطولها القوي[9]. وكان لهذا الانتصار رد فعل كبير ليس على الميتانيين فحسب، بل على جيرانهم أيضا الذين لم يدخلوا الحرب بعد ضد مصر مثل الآشوريين والبابليين والحيثيين[10]، فقد بدأت مملكة "ميتاني" تحس بحاجتها إلى صداقة مصر فقدمت ولاءها وهداياها، كما قدمت مملكة "خيتا" (المملكة الحيثية) هدايا ثمينة مع رسول خاص لطلب صداقة مصر[11]،

---

[1]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 63 ؛ نيقولا جريمال ، المرجع السابق ، ص 273 .

[2]- Kathleen Kutper , op-cit , p 63؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 273؛ جيمز، المرجع السابق، ص 73.

[3]- شتيندورف . سيل ، المرجع السابق ، ص 78 ؛ برستد ، تاريخ مصر ، ص 195 ؛ Kathleen Kutper , op-cit , p 63

[4]- رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الاسكندر الأكبر الأناضول بلاد الشام، ج 2، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2002 ،ص 153؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية،ص 220؛ فيليب حتى، المرجع السابق،ص 140 – 141.

[5]-جان فيركوتير،المرجع السابق،ص113؛أحمد فخري،المرجع السابق،ص 220؛رمضان السيد،المرجع السابق،ص 81.

[6]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 314 .

[7]- Kathleen Kutper ,op-cit , p 63 ؛ Alan Buttery , Armies and enemies of ancient Egypt and Assyria , 1974,p6

[8]- - فراس السواح ، الحدث التوراتي و الشرق الأدنى القديم ، ط 4 ، دمشق ، 2000 ،ص 49 .

[9]- أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص 221.

[10]- رمضان السيد ، المرجع السابق ، ص 82 ؛ غاستون ماسبيرو ، تاريخ المشرق ، ترجمة أحمد زكي ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ن 2014 ، ص 39 ؛ آلن شورتر ، المرجع السابق ، ص 18 ؛ جان فيركوتير ، المرجع السابق ، ص 82 .

[11]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 221 ؛ شتيندورف.سيل ، المرجع السابق ، ص 82 .

وكذلك فعلت ممالك آشور وبابل، حيث أهدته بابل كميات من اللازورد الجيد، ومملكة آشور هي الأخرى أهدته كميات من اللازورد الحر[1]؛ استمرت حملات "تحوتمس الثالث" في الشرق، حيث حاصر مدينة "قادش"، وتمكن من إسقاطها وتحطيمها للمرة الثانية[2]، وبذلك قضى على آثار معارضة النفوذ المصري في تلك المنطقة.

رغم النشاط الحربي الكبير الذي اشتهر به "تحوتمس الثالث" فإنه لم يغفل أبدا التبادل التجاري مع الدول المجاورة من خلال تنظيم موانئ الساحل الفينيقي، وتأمين حصول تلك الموانئ على حاجتها من المواد الغذائية، مثل الخبز وزيت الزيتون والنبيذ والعسل والسمك والعطور والبخور، فترددت سفن مصر بشكل مستمر على الساحل الفينيقي، بالإضافة إلى انتشار موظفي الدولة والجنود والمواطنين المصريين في كافة أرجاء الامبراطورية[3]، الأمر الذي أدى إلى دعم وتقوية الصلات التجارية بين المصريين والتجار الأجانب.

اغتنم سكان سوريا وفلسطين فرصة وفاة "تحوتمس الثالث" ليشقوا عصا الطاعة، ولكن "أمنحوتب الثاني " قمع تمردهم، وأحضر سبعة أمراء من المدن السورية إلى طيبة حيث قتل ستة منهم هناك أما السابع فقد أرسله ليشنق في ناباتا مقر الإله آمون في النوبة، وبذلك احتفظ بهيبة مصر[4]، وأخذت جميع المدن ترسل هداياها وتبعث بخيرات بلادها وكان في مقدمة هذه البلاد مملكة "ميتاني"[5] نفسها التي شجعت العصيان ومدينة قادش التي لعبت دورا رئيسا فيه؛ واعتبرت هذه الحملة أولى حملاته على آسيا، وقد أتبعها بحملة أخرى في السنة التاسعة من حكمه على سوريا وفلسطين، ولكنها كانت حملة تفتيشية أكثر منها حملة حربية لأن الثورة التي قبل عنها قامت في فلسطين، لم تكن إلا فتنة صغيرة في إحدى المدن؛ وقد سجلت أخبار هاتين الحملتين في لوحتين إحداهما في الكرنك والثانية في منف[6] .

بعد وفاة "أمنحوتب الثاني" خلفه ابنه "تحوتمس الرابع"، في السنوات الأولى من حكمه قام بإخماد الثورة التي نشبت في بعض المدن السورية، وكانت حملة تفتيشية أكثر منها حملة حربية بالمعنى المفهوم[7]،

---

[1]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 316 ؛ هنري برستد ، المرجع الساق، ص 201 .

[2]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 221 ؛ أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 151 .

[3]- ايمان شمخي جابر، التجارة في مصر القديمة أيام الدولة القديمة والوسطى والحديثة (2850- 1080 ق.م)، مجلة دراسات تاريخية جامعة البصرة ، العدد العشرون، 2016، ص 75؛عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 315 .

[4]- جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 115؛ أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 82 – 83.

[5]- لما ظهر الحيثيون كقوة مناوئة للميتانيين في بلاد الشام ، حيث تمكنوا من السيطرة على بعض الدويلات شمالي سوريا و طرد الميتانيين منها، ولما حققوا هذه الانتصارات بادروا بإرسال الهدايا إلى مصر ورغبتهم في التحالف مع مصر من أجل محاصرة الدولة الميتانية، وفيما يبدو أن الملوك الميتانيين أدركوا حقيقة مخاطر التقارب الحيثي المصري، فقاموا بإرسال بعثة دبلوماسية إلى أمنوفيس الثاني (أمنحوتب الثاني) لتهنئته بالعرش ومفاتحته لإقامة تحالف بين الدولتين ويبدو أنهم نجحوا في ضرب السياسة الحيثية وأبعادهم عن مصر بالطرق الدبلوماسية،حيث ارتآى أمنحوتب الثاني إقامة علاقات الصداقة والتحالف مع الميتانيين وجعلهم حاجزا أمام أطماع الدولة الحثية في بلاد الشام، والتحالف مع الميتانيين سيوقف التمردات والثورات المحلية ضد مصر وتأمين مصالحهم دون استخدام الجيوش. عن : شعلان كامل اسماعيل ، المرجع السابق، ص 7 – 8 . للمزيد أنظر : . Gurney.O.R. the hittites begining , London , 1972 , p 37 – 38 ؛ جان فيركوتير، المرجع السابق ، ص 115 ؛ رمضان عبده علي،تاريخ مصر القديم،ج 1،دار نهضة الشرق، القاهرة،2001،ص 140 .

[6]- أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص 228 ؛ أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 153 .

[7]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 78؛ أحمد سليم ، المرجع السابق، ص 154؛ برستد، المرجع السابق، ص 216.

وعاد منها محملا بالغنائم ومعه بعض الأسرى السوريين بنى لهم حيا خاصا في طيبة؛ ويبدو أن الأحوال السياسية كانت تتطور في غربي آسيا منذ عهد "أمنحوتب الثاني"، حيث اشتد التنافس بين ممالك ميتاني وبابل وآشور وخيتا ، فإن ميتاني وجدت أن خير ما تفعله هو أن تزيد من تقربها لمصر[1]، لأنها خشيت أن تقع بين فكي كماشة مصر من جهة والدولة الحيثية من جهة أخرى؛ فتطورات العصر سمحت لتحوتمس الرابع باتباع سياسة جديدة لضمان السلم في الشرق، لذا شجع تحوتمس الرابع هذا التقارب ودعمه بزواجه من ابنة ملك ميتان[2]. وقد لجأت مملكة ميتاني إلى عقد المعاهدات والمصالحات كأفضل وسيلة للتعامل مع مصر، حيث تم توقيع معاهدة بين تحوتمس الرابع والدولة الميتانية سلمت مصر بموجبها بحقوق ميتاني في شمال سوريا، بينما اعترف الميتانيون بحق مصر في الهيمنة على جزء من ساحل سوريا وكل جنوب سوريا[3].

تطورت علاقات التقارب اللغوي والثقافي والفني بين المصريين وجيرانهم في عهد "تحوتمس الرابع"، وأخذت تلك البساطة التي يتميز بها الطابع الفني تفقد تأثيرها نتيجة للأفكار الأجنبية، التي جاءت من الشرق حيث ظهرت تعبيرات الرقة في المناظر التي تمثل النساء أو الرجال في فن النحت والرسم؛ ومصر كانت مليئة بالأجانب حيث كان يعيش فيها المئات من الأمراء الآسيويين الصغار كرهائن أو كمتلقين للعلم والثقافة، في المدارس المصرية قبل أن يعودوا إلى بلادهم، وقد تأثروا بالحضارة المصرية[4] وأثروا بتفكيرهم وأذواقهم في المجتمع المصري .

دخلت مصر منذ تولي "أمنحوتب الثالث" الحكم في فترة جديدة من حياتها فقد كان حاكمها الجديد غير ميال إلى الحروب بطبيعته، وكانت الأمور قد استتبت في آسيا[5]. انتشرت الحضارة المصرية بين أهل الشام وبلاد الميتان كما اتسع نطاق التبادل التجاري في عهد "أمنحوتب الثالث مع بلاد اليونان بدليل العثور على العديد من الأواني الفخارية المصقولة وجعارين خاصة به وبزوجته الملكة "تي" في "ميكينا"[6] ، و انتفع هؤلاء وهؤلاء بالفن المصري ومزجوا بينه وبين فنونهم الاقليمية وازدادت أعداد المصريين في الشام، كما استضافت مصر بعض معبوداتهم ومعبودات الميتان في معابدها[7] .

فضل "أمنحوتب الثالث" توثيق صلته بحكام الشرق الأدنى عن طريق المصاهرة، فتزوج من ابنة شوترنا" وأخت "توشراتا الثاني" ملك ميتان ثم تزوج من ابنة "توشراتا"؛ ولم تقتصر مصاهرات " أمنحوتب

---

[1]- أبوالمحاسن عصفور، المرجع السابق ، ص 83؛ Kathleen Kutper , op-cit , p 65.

[2]- غسان عبد صالح، المرجع السابق، ص 113؛ أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 83.

[3]- غسان عبد صالح ، المرجع السابق ، ص 113 ؛ Kathleen kutper , op-cit , p 65 – 66 .

[4]- رمضان السيد ، المرجع السابق ، ص ص 94 – 95 ؛ رمضان عبده علي ، تاريخ مصر ، ص 148 .

[5]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 233 ؛ أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 155 .

[6]- و .م فلاندرز بتري ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ترجمة حسن محمد جوهر و عبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975، ص 285 ؛ ؛ ايمان شمخي ، المرجع السابق ، ص 76 .

[7]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 320 . للمزيد أنظر :
Frankfort , the art and architecture of the ancient orient , 1958 , p 148 – 149 .

الثالث" على بنات مصر وميتان بل تزوج من أميرات بابليات وآشوريات وسوريات[1]، حيث أرسل "أمنحوتب الثالث" إلى الملك الكاشي[2] "بورنابورياش الأول" خاطبا ابنته للزواج، كما كتب ملك بابل "كاداشمان أنليل الأول" إلى "أمنحوتب الثالث" يعتذر له بأنه ليس له أخت يرسلها عروسا إليه[3]. كما أرسل إلى الملك الآشوري "آشور نادن أخي" وفدا للتباحث وإقامة علاقات مع هدية عبارة عن كمية من الذهب[4]، وهذا دليل على رغبة "أمنحوتب الثالث" في توسيع شبكة العلاقات الخارجية الودية لمصر.

فيمكن متابعة علاقات التبادل التي قامت بين "أمنحوتب الثالث" وملوك الشرق الأدنى من خلال هذه الرسائل والتي يطلق عليها اصطلاحا "رسائل تل العمارنة" حيث عثر عليها عام 1887 في تل العمارنة بالقرب من القصر الملكي، وهي مجموعة من حوالي 379 لوحة طينية صغيرة دونت عليها نصوص بالمسمارية وهي الكتابة الدبلوماسية لذلك العصر[5]، وتضم المراسلات التي تبادلها كل من "أمنحوتب الثالث" و"أمنحوتب الرابع" مع ملوك الشرق الأدنى ويعرف منها مقدار ما بذله كل ملك من جهود لاستمالة عطف ومحبة عرشها[6] .

اعتمد الملك "أمنحوتب الثالث" على صلاته الشخصية، إلا أن أطماع الطامعين لم تقف عند حد، وبدأ الحيثيون إثارة الشغب ومهاجمة الحدود السورية الميتانية، وبدأوا في استمالة أمراء الدويلات الصغيرة للانضمام إليهم[7]. وعندما خفت قبضة الادارة المصرية في بلاد الشام أغار بعض أمرائها على جيرانهم، وهددت هجرات قبائل "الخابيرو والعابيرو" البدوية الأمن وسبل التجارة، وتوالت الشكاوى على "أمنحوتب الثالث" الذي لم تحرك له هذه الأحداث ساكنا[8].

بعد وفاة "أمنحوتب الثالث" كانت مصر بحاجة لأن يتولى عرشها رجل من طراز "تحوتمس الثالث"، حتى يحافظ على الامبراطورية ويبقي على هيبتها[9]، ولكن لسوء حظ البلاد كان حاكمها الجديد "أمنحوتب

---

[1]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 86 ؛ أحمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق، ص 44 .

[2]- الكاشيين : أول ذكر للكاشيين في عهد الملك البابلي "سمسوايلونا" (1749-1712) ابن الملك حمورابي وخليفته على العرش، إذ كتب في مذكراته الملكية أنه اصطدم بجموع الكاشيين عند ملتقى نهر ديالي بنهر دجلة، عندما بدأوا حركة نزوح من جبال زاكروس على الحدود العراقية الايرانية نحو سهول بلاد الرافدين الفيضية، انتقلت جموع الكاشيين بعد ذلك وتحت تأثير الحملات العسكرية للجيش البابيلي نحو منطقة عانة (خانة أعلى الفرات) وبدأت في تلك المنطقة معالم التكوين السياسي للكاشيين الذين أصبحوا أحد اللاعبين الأساسيين ليمارس الكاشيين حكما مباشرا لبلاد بابل استمر من عام 1595 إلى 1157 ق.م، وأدخلوا مظاهر حضارية جديدة إلى بلاد الرافدين كاستخدامهم للخيول في الحرب والسلم واستخدامهم لأحجار الحدود (الكودورو) في تثبيت حدود الأراضي، وقيامهم بإعادة استنساخ معظم النتاجات الأدبية العراقية. عن : محمود فارس عثمان الوردي ، المرجع السابق ، ص 20 – 21 .

[3]- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 321؛ برستد، المرجع السابق ، ص 220؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ص 99.

[4]- شعلان كامل اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 8 ، للمزيد أنظر: Sayce.A.H, letters to Egypt from Babylania and Assyrians and Syria in the fifteenth century B.C,RP, VOL III , London , 1991 , p p 60 – 62 .

[5]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 252 ؛ جيمس هنري برستيد، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم ، ترجمة أحمد فخري ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2011، ص 140 .

[6]- هنري برستد ،تاريخ مصر، ص 219 – 220 ؛ جيمز،المرجع السابق، ص 74 – 75

[7]- زكية طبوزادة ،المرجع السابق، ص 86-87 ؛ أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق ، ص 44

[8]- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 322؛ زكية طبوزادة، المرجع السابق ، ص 87 .

[9]- أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 89 ؛ هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص 235 .

الرابع" (أخناتون) الذي انشغل عن أمور الدنيا وصرف جل اهتمامه لثورته الدينية[1] الدعوة لعبادة قرص الشمس آتون تاركا الأوضاع في آسيا تسير من سيء إلى أسوأ[2]. فأصبحت السيطرة المصرية على بلاد الشرق الأدنى في خطر شديد، هذا إلى جانب ظهور أعداء أقوياء لمصر[3]؛ فرسائل تل العمارنة نقلت خوف وهلع أمراء غربي آسيا واستغاثتهم بفرعون مصر الذي ظل ساكنا لا يتحرك، فقد كان الوضع حرجا في هذه المناطق، إذ أصبحت مملكة "خيتا"تغير على سوريا وتستولي عليها ولاية بعد أخرى على حساب الدولتين الميتانية والمصرية، وقد نجحوا في ذلك بالتحالف مع أعوانهم من الأموريين، كما أخذت بعض المدن الفينيقية تستقل عن مصر أو تغير إحداها على الأخرى، وانتهزت أيضا قبائل العابيرو الفرصة فأخذت في الإغارة على القوافل ونهب التجارة[4]، أحدثت بذلك اضطرابا كبيرا في المنطقة.

لما جلس "توت عنخ آمون" على العرش كانت الأمور في غرب آسيا مضطربة وتهدد نفوذ سلطان مصر وفرعونها الشاب، مما دعا الملك إلى ارسال حملة عسكرية إلى فلسطين بقيادة "حورموحب" الذي روت أخبارها مناظر مقبرته بسقارة وصور فيها الأسرى الآسيويين الذي أتى بهم من هناك[5].

أما في سوريا وفي شمال الفرات فقد كانت الحالة حرجة إلى أبعد الحدود وكانت خيتا بدأت تدخل في عصرها الذهبي وتوسعت كثيرا على حساب مصر، وقد التحمت الجيوش المصرية بالحيثيين أو على الأقل بالدول المؤازرة لخيتا، وقد ادعت النصوص الحيثية بأن النصر كان لها كما ادعت النصوص المصرية (من خلال مقبرة حورمحب في سقارة ومقبرة حوى في طيبة وصندوق توت عنخ آمون) بأن النصر كان لها أيضا[6]، وربما كان كل من طرفي النزاع قد حقق جزءا مما كان يرمي اليه فادعى النصر الكامل.

بعد وفاة توت عنخ آمون وقع حادث غريب حفظه أرشيف "بوغازكوى[7]، وهو يتعلق بملكة مصرية أرملة "توت عنخ آمون" ، كتبت إلى ملك الحيثيين "شوبيلوليوما" وطلبت منه أن يبعث اليها بأحد الأمراء من أبنائه ليكون زوجا لها لأنها أصبحت أرملة[8]؛ وأرسل إليها ملك الحيثيين أحد أبنائه ولكن لقي الأمير

---

[1]- Dimitri Baramki , Phoenicia and the Phoenicians , published by Khayats , Beirut, 1961 , p 23 -24.

[2]- أبو المحاسن عصفور،المرجع السابق،ص 90؛ فيليب حتى،المرجع السابق، ص 144؛ آلن شورتر ، الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997،ص 18.

[3]- إن الوضع الدولي الجديد بظهور الدولة الحثية و تنامي قوتها و ضعف الدولة الميتانية و مصر و تراجعها في بلاد الشام أعطى الفرصة لقوى سياسية أخرى في الظهور و التنافس مع قوى قديمة بل التغلب عليها من أجل السيطرة على مناطق النفوذ ، حيث ظهرت الدولة الآشورية و منذ عهد الملك الآشوري "آشور أولبط الأول" (1365 – 1330 ق.م) الذي استفاد من الوضع الدولي الجديد و يصبح كواحد من ملوك الدول القوية في المنطقة و بدأ بعلاقاته مع مصر في عهد الملك "أمنحوتب الرابع" (أخناتون). عن : شعلان كامل اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 9 .

[4]- زكية طبوزادة، المرجع السابق، ص 97؛ Kathleen Kutper , op-cit , p 70؛ فراس السواح، المرجع السابق، ص 70.

[5]- هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص 262 ؛ زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 107.

[6]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 255 .

[7]- بوغازكوى هي عاصمة الحيثيين بآسيا الصغرى ، و أرشيفها يحتوي على عدة خطابات طينية منقوشة بالخط المسماري تشير إلى الأحوال السياسية بعد وفاة توت عنخ آمون . عن : هنري برستد ، المرجع السابق ، ص 262 .

[8]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 107 ؛ أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص 262 .

الحيثي حتفه قبل أن يصل إلى مصر ومن المرجح أن أحد أعوان "آي" أو "حورمحب"[1] نفسه قابل الأمير قبل دخوله مصر وقتله؛ ويمكن اعتبار رسالة أرملة "توت عنخ آمون" إلى شوبيلوليوما طالبة الزواج من أحد أبنائه دليلا واضحا على هيمنة الدولة الحثية ونفوذها الواسع في بلاد الشام وعموم المنطقة ومن جانب آخر تعبر الرسالة عن مدى تراجع النفوذ المصري.

تولى عرش مصر "الكاهن "آي"، كانت السياسة الخارجية في عهده تحت إدارة "حورمحب"[2]؛ وبعد وفاة الملك "آي" تطلعت الأنظار نحو "حورمحب"، إذ لم يكن هناك غيره يصلح لإنقاذ البلاد مما تردت فيه. قام حورمحب ببعض النشاط العسكري في الخارج، حيث قاد الجيش المصري من جديد إلى آسيا ونجح في استعادة جزء من الأراضي التي فقدت هناك[3]. أراد "حورمحب" استقرار الأمور في آسيا فعقد معاهدة بينه وبين "مورسيل الثالث" ملك الحيثيين الذي مال إلى السلام، فحدثت بينهما هدنة، تفرغ حورمحب بعدها للإصلاح الداخلي وتأمين اقتصاد بلده، وبالتالي يعتبر "حورمحب" واسطة العقد بين عصرين، عصر العمارنة الذي انتهى بوفاة الملك "آي"، وعصر الرعامسة [4] الذي يبدأ بالملك "رعمسيس الأول" مؤسس الأسرة التاسعة عشرة.

1-2- الأسرة التاسعة عشرة حوالي(1350 ق.م – 1205 ق.م) :

كان "رعمسيس الأول" طاعنا في السن عندما اعتلى العرش، لذا فقد أشرك على الفور ابنه "سيتي الأول" في العرش ليؤكد حق ذريته في السلطة الملكية، والذي لم يكن لديه متسع من الوقت للاهتمام بالشؤون الخارجية[5]؛ واعتلى العرش "سيتي الأول" ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشرة[6]، وسار على نهج سياسة والده وأمر بإتمام ما لم يستطع إتمامه، وقد حدثت ثورة في بداية عهده على حدود مصر الشرقية إلا أنه استطاع أن يخمدها، ودوّن انتصاراته على جدران معبد الكرنك حيث بين انتصاره على بدو سيناء وجنوب فلسطين[7]. وبتشجيع من الحيثيين حاول أهل البلاد أن يتصدوا للمصريين، ولكن "سيتي الأول" استطاع أن يهزم المتحالفين قبل أن يجدوا متسعا من الوقت لالتقاء قواتهم، كما قام بحملة على سوريا ووصل فيها إلى جبيل حيث صور الأمراء وهم يقطعون أشجار الأرز والصنوبر[8].

كما تمكن من استرداد فينيقيا وفلسطين[9] بعد مواجهته للحيثيين وحلفائهم؛ ويمكن القول أن سيتي الأول" نجح في إعادة مصر ثانية، إلى مسرح الأحداث السياسية وفاعليتها في مجرى العلاقات الخارجية

---

[1]- أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق، ص 92 ؛ جان فيركوتير ، المرجع السابق ، ص 120 .

[2]- سمير أديب ، المرجع السابق ، ص 197 ؛ رمضان عبده علي ، حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية ، ج 3 ، مطابع المجلس الأعلى للآثار ، 2005، ص 198 .

[3]- أحمد فخري، مصر الفرعونية ، ص 262 ؛رمضان عبده ، دراسات في تاريخ ، ص 166.

[4]- سمير أديب،المرجع السابق، ص 199؛جيمز، المرجع السابق، ص 77؛ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق، ص 327

[5]- أحمد فخري، المرجع السابق،ص267؛ أحمد سليم،المرجع السابق،ص 161؛زكية طبوزادة، المرجع السابق،ص 116

[6]- Dimitri Baramki , op-cit , p 25 .

[7]- أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق، ص 94 ؛ جان فيركوتير ، المرجع السابق ، ص 123 ؛ Kathleen,op-cit , p 74

[8]- أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 163 ؛ فراس السواح ، المرجع السابق ، ص 65 .

[9]- Dimitri Baramki , op-cit , p 25 .

للمنطقة؛ تولى "رعمسيس الثاني" زمام الامبراطورية المصرية بعد وفاة أبيه "سيتي الأول"[1]، وكان قد شارك أباه في الحكم لفترة[2]، أكسبته خبرة في شؤون الدولة الداخلية والخارجية[3]؛ في بداية حكمه واجهته الصعوبات إذ تعرضت الدلتا لهجوم من "الشردان" فيما يعرف بأول موجة من غزوات شعوب البحر ولكنه انتصر عليهم وضمهم إلى جيشه، وفي السنة الرابعة من حكمه تقدم "رعمسيس الثاني" إلى آسيا[4]، وقام بحملة عسكرية على فلسطين وفينيقيا وصل فيها حتى نهر الكلب (شمال بيروت) ، حيث أقام هناك نصبا تذكاريا إشادة بهذا النصر[5]؛ كان من نتيجة هذه الحملة العسكرية أن انضم أمير مملكة أمورو المدعو "بنتشينا" إلى مصر ولم يخضع لتهديدات ملك الحيثيين "مواتالى"[6] .

تجدد النزاع مع المملكة الحثية وكان الاصطدام المباشر بين "رعمسيس الثاني" والحيثيين في موقعة قادش[7]، وقد تعارضت التقارير المصرية والتقارير الحيثية في تقييم نتائج المعركة[8]، فبينما نقرأ قصة انتصار الفرعون المصري في هذه المعركة في نص ملحمة قادش المنقوش على جدران عدة معابد في الأقصر والرمسيوم والكرنك وأبيدوس، ونرى من ناحية أخرى أن المصادر الحيثية تشير إلى هزيمة المصريين وملاحقة الجيوش الحيثية لهم حتى دمشق، ففي نص عثر عليه في "بوغازكوى"(عاصمة الحيثيين) ويرجع إلى عهد الملك الخيتي "خاتوسيلاس" يصف فيه بعض الأحداث التي وقعت في عهد الملك الحيثي "مواتاللس" أو "مواتالى"[9] الذي هزم ملك مصر وبلاد أمور.

وهكذا نجد أنفسنا أمام قولين مختلفين، إلا أننا نميل إلى تصديق المصادر الحيثية وذلك لأن مملكة أمورو أصبحت بعد تلك المعركة موالية للحيثيين[10]، بالإضافة إلى الثورة التي حدثت في فلسطين بإيعاز من الحيثيين بعد هذه المعركة (قادش)، ولقد دعا ذلك "رعمسيس الثاني" في حملة العام الثامن إلى تأديب "عسقلان" وبعض المدن الأمورية في محاولة لاستعادة ما فقدته مصر من نفوذها وتشير إلى ذلك نقوش

---

[1]- كنت.أ.كتشن، رمسيس الثاني فرعون المجد و الانتصار، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 ، ص ص 67-71

[2]- ت.ج.جيمز ، المرجع السابق ، ص 78 ؛ William.J.Murnane , ancient Egyptian coregencies ,(studies in ancient oriental civilization , N^{O} 40 , oriental institute of the university of chicago , 1977 , p p 57-86 .

[3]- محمد علي سعد الله ، دراسات في تاريخ مصر و الشرق الأدنى القديم في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر-سوريا القديمة ، ج2 ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 2001 ، ص 112 ؛ William Murnane , op-cit , p p 57- 86.

[4]- سعد الله محمد علي ، دراسات في تاريخ مصر و الشرق الأدنى القديم في تاريخ مصر القديمة ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 2001، ص 280 ؛ نيقولا جريمال، ص 325 ؛أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 97 .

[5]- رمضان عبده، تاريخ مصر، ص 227 ؛ Dimitri Baramki , op-cit , p 25؛ كنت.أ.كتشن ، المرجع السابق ، ص 83 .

[6]- Dimitri Baramki , op-cit , p 25

[7]- للمزيد من التفاصيل حول معركة قادش أنظر :

Alan Gardiner , the Kadesh inscriptions of Ramesses II , universsity press , Oxford , p p 7- 57؛ و، سليم حسن، مصر القديمة عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية، ج 6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص ص 244-280 ؛ كنت.أ.كتشن ، المرجع السابق، ص ص 85 - 93؛ عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966، ص ص 503-506

[8]- شعلان كامل اسماعيل، المرجع السابق، ص 11؛ Dimitri Baramki , op-cit , p 25؛جيمز، المرجع السابق، ص 78 .

[9]- نبيلة محمد عبد الحليم، معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية، منشأة المعارف، الاسكندرية ، ص 77 – 78 .

[10]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 127 ؛ أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 278 .

معبد الكرنك[1]؛ بعد ذلك اتجه "رعمسيس " شمالا واحتل مدينة "تونيب"[2]، وبهذه الحملات أعادت مصر سيادتها على سوريا وفينيقيا وفلسطين .

بدأ المصريون والحيثيون[3] يشعرون بالخطر ولجأوا إلى التفاهم معا؛ حيث نصح معاونو "خاتوسيلي" الملك بعقد معاهدة سلام دائم مع ملك مصر، عرض ملك الحيثيين على رعمسيس الصلح وجاء رسولان لعرض مشروع معاهدة [4] تحالف بين مصر وخيتا، وكان المشروع مسجلا بالخط المسماري على لوحة من الفضة باسم "خاتوسيل"، فقبله "رعمسيس" وكتب رجاله نصا آخر مترجما باللغة المصرية على لوح من الفضة أيضا؛ وتعهد الطرفان بموجبه أن يضعا حدا للحروب الدائرة بينهما وأن يساند كل منهما الآخر عند وقوع هجوم من جانب قوة ثالثة [5]. ثم تأكدت الاتفاقية فيما بعد بزواج رعمسيس الثاني من ابنة ملك الحيثيين المعروفة باسمها المصري "ماعت حور نفرو رع" [6].

تولى العرش بعد وفاة "رعمسيس الثاني"، ابنه الثالث عشر "مرنبتاح، الذي ظل يتمتع في آسيا بنتائج المعاهدة التي عقدها "رعمسيس الثاني" في العام الحادي والعشرين من حكمه بين مصر والحيثيين، بل انه أمد الحيثيين بالقمح عندما أصابتهم المجاعة[7]. هذا فضلا عن أن آسيا الصغرى وفينيقيا وشمال سوريا بدأت تتعرض لهجوم طلائع شعوب البحر، وأرسل الفرعون جنودا لمساعدة أوجاريت للدفاع عن نفسها ضد شعوب البحر[8].وفي السنة الثالثة من حكمه قامت ثورة بمستعمرات مصر الآسيوية، واشترك في هذه الثورة قبائل بني اسرائيل وأهالي غربي سوريا وفلسطين، وقد نجح مرنبتاح في إخماد الثورة وسجل انتصاره على لوحة ورد بها اسم اسرائيل لأول مرة [9]، إلا أنه يرى بعض المؤرخين[10] بأن تلك العملية الحربية الثائرين ليست إلا حربا مزعومة لم يقصد "مرنبتاح" من وراء ذكرها إلا المباهاة والفخر.

---

[1]- نبيلة محمد عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 78 ؛ J.Wilson, egyptian historical texts , « the Asiatic campaigning of Ramses II , in A N E T , p 256

[2]- كنت.أ.كتشن ، المرجع السابق ، ص 101 ؛ جان فيركوتير ، المرجع السابق ، ص 125 .

[3]- أحاطت بدولة الحيثيين في هذه الفترة هزات داخلية وخارجية عنيفة، ففي الداخل توفي "مواتلى" (ملك الحيثيين)، وتنازع ولي عهده مع عمه "خاتوسيلى" وفوز الأخير بعرش خاتي،وكان لهذا النزاع أثره في آسيا وبخاصة في بلاد الفرات وشمالي سوريا إذ أن مملكة آشور كانت قد بدأت تدخل فترة من فترات قوتها ومد سلطانها على غيرها، وبدأت تتطلع إلى نصيب من السيادة في عالم الشرق وسياسته،بالإضافة إلى تدفق الهجرات الآرية (شعوب البحر) على حوض البحر المتوسط وشواطئه، فبعد هذه الهزات الخارجية القوية، رأى "خاتوسيلى" أنه من الأفضل بدلا من أن يقسم قواته أن يتفاهم مع أحد خصومه فاختار أكثرهم تفهما و هي مصر. أنظر :عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 340؛ شعلان اسماعيل، المرجع السابق، ص 11 – 12؛رمضان السيد ، المرجع السابق ، ص 149 .

[4]- للمزيد من التفاصيل حول هذه المعاهدة و بنودها أنظر : James.B.Pritchard , relating to the old testament , A N E T, third edition, university press, 1969 ,(Albrecht Goetze ,treaty between hattusilis and Ramses II , p p 201 – 203

[5]- رمضان عبده، مصر القديمة، ص 234؛ Kathleen kutper , op-cit , p p 74-75. جان فيركوتير ، المرجع السابق ، ص 126 .

[6]- Christiane Desroches noble court , Ramsès II la véritable histoire , pygmalion , Paris , 1996 , p 339؛ كتشن ، المرجع السابق ، ص ص 123 – 131 ؛ عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 513 .

[7]- سمير أديب، المرجع السابق، ص 209؛ كتشن، المرجع السابق، ص 287؛ نيقولا جريمال ، المرجع السابق،ص 350.

[8]- محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 134 .

[9]- محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 291 ؛ شتيندورف.سيل ، المرجع السابق ، ص 241 .

[10]- أنظر: أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 102 ؛ أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 282 .

1-3- الأسرة العشرين حوالي (1200 – 1090 ق.م) :

انتهت الأسرة التاسعة عشرة في ظل الفوضى واغتصاب العرش، الأمر الذي سمح" لست نخت" بحمل مشعل الوحدة من جديد وتأسيس الأسرة العشرين، بعدما نجح في خلع السوري "يارسو" (أو أرسو) عن العرش[1]. تولى بعدها "رعمسيس الثالث" الذي كان قد شارك أباه حكم البلاد[2]. وفي السنة الثامنة من عهده كانت الشعوب الهندو أوربية (شعوب البحر) قد تمكنت من اسقاط دولة الحيثيين واجتاحت آسيا الصغرى وشمال سوريا فأصبح خطرهم عظيما على مصر[3]، وكانت هذه الشعوب مؤلفة من "البلست" والثكرات أو "الثكاليين" و"الشكاروشا" أو"الشكالاشيين"، و"الداينونا أو"الدناويين" والوشاش، جاء بعضهم بطريق البر والبعض الآخر جاء بطريق البحر[4]، وجمعوا كلمتهم على الهجوم على مصر.

خاض "رعمسيس الثالث" معركة مع شعوب البحر الذين وصلوا إلى الشام عبر آسيا الصغرى وانتشروا في أرض "أمور"، ونزحوا إلى أرض كنعان عن طريق البر[5]، حيث تقدم "رعمسيس" نحو حدود فلسطين على رأس جيشه والتقى بقوات العدو البرية في معركة كبرى أسفرت عن هزيمة ساحقة للأجانب[6]،كما خاض رعمسيس الثالث معركة مع من اندفعوا بأساطيلهم إلى شواطئ جنوب سوريا وربما وصلوا حتى مصبات النيل الشمالية الشرقية عن طريق البحر، انتهت بنصر مؤزر لقوات رعمسيس[7].

تميزت السنوات الأخيرة من حكم "رعمسيس الثالث" بثورة الدلتا بقيادة وزير الشمال وبمؤامرة "تي"–زوجة رعمسيس الثانية– و ابنها "بنطعور"[8]، أو كما تعرف بمؤامرة الحريم كان الغرض منها اغتيال الملك؛ فهذه الحركات تعتبر دليلا على تزعزع الاستقرار في أواخر عهد الملك "رعمسيس الثالث"[9].

تولى العرش بعد وفاة "رعمسيس الثالث" وحتى نهاية الأسرة العشرين ثمانية ملوك كلهم يحمل اسم "رعمسيس" من "رعمسيس الرابع" إلى "رعمسيس الحادي عشر"[10]، وفي عهدهم فقدت مصر بقايا امبراطوريتها في آسيا، مما أدى إلى تدهور أوضاع مصر الاقتصادية، ومما يدل على ذلك، ففي عهد "رعمسيس التاسع" أعتقل حاكم جبيل رسلا مصريين لمدة سبعة عشرة سنة دون أن يسمح لهم بالرجوع إلى مصر حتى ماتوا[11]؛ هذا وتقدم رحلة "ون آمون" دليلا على اضمحلال النفوذ المصري في فينيقيا، فلقد

---

[1]- فرانسيس فيفر ، الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة ، ترجمة فاطمة البهلول ، دار الحصاد ، دمشق ، ص 214 ؛ شتندورف.سيل ، المرجع السابق ، ص 242 ؛ جان فيركوتير ، المرجع السابق ، ص 132 .

[2]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 144- 145 ؛ فرانسيس فيفر ، المرجع السابق ، ص 216 .

[3]- أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 106 ؛ عمر الاسكندري و أ.ج.سفدج ، صفحات من تاريخ مصر تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1997 ، ص 57 .

[4]- أحمد فخري، مصر الفرعونية ،ص 295؛ Kathleen Kutper , op-cit , p 76- 77.

[5]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 350 ؛ Alan Buttery , op-cit , p 4- 5 .

[6]- شتندورف.سيل ، المرجع السابق،ص 243 ؛ Baramki Dimitri , op-cit , p 25 ؛ Kathleen kutper , op-cit , p 76-77.

[7]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 350 ؛ ماسبيرو ، المرجع السابق ، ص 42 .

[8]- فرانسيس فيفر، المرجع السابق،ص 217؛ محمد سعد الله، في تاريخ الشرق، ص 126-127.

[9]- بكر محمد ابراهيم، تاريخ الفراعنة،ج1، مركز الراية للنشر والاعلام، 2004، ص 50؛ طبوزادة ،ص 154 – 155 .

[10]- آلن شورتر ، المرجع السابق ، ص 20 ؛ جيمز ، المرجع السابق ، ص 81 ؛ كتشن ، المرجع السابق ، ص 303 .

[11]- جيمز ، المرجع السابق، ص 81؛ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 261 – 269..

ذهب "ون آمون" مبعوثا من كهنة آمون ليجري مفاوضات شراء خشب الأرز من "جبيل" في عهد "رعمسيس الحادي عشر"، آخر ملوك الأسرة العشرين، فسرقه ملاح في سفينة فينيقية، كما تعرض لتهديدات "الثيكر" المتكررة ، ولم يتم مهمته إلا بعد مساومات من ملك جبيل[1] .

2- الفترة الانتقالية الثالثة: 1090- 664 ق.م:

2-1- الأسرة الحادية والعشرون حوالي (1090 – 950 ق.م):

تولى الحكم بعد وفاة "رعمسيس الحادي عشر" "سمندس" وأسس الأسرة الحادية والعشرين –حسب ما جاء في تاريخ مانيتون–،حكم من الشمال من مدينة "تانيس" شرقي الدلتا وعلى مصر الوسطى[2]؛ وفي الجنوب تولى "حريحور" السلطة وأعلن نفسه ملكا وحكم في طيبة، وفي سبيل تحقيق الوفاق بين حكام تانيس وطيبة، زوج بعض أولئك الملوك بناتهم لكبار كهنة آمون[3]، لتنتهي الأسرة الحادية والعشرين بحكم الملك "بسوسنس الثاني".

أما بالنسبة للأوضاع الخارجية في فترة حكم هذه الأسرة، ففي غربي آسيا فقدت مصر سيطرتها عليها، فبعد أن كان ملوكها وأمراؤها يسجدون خضوعا لفرعون مصر لم يعد أحد منهم يأبه لها أو لفراعنتها ولا لآلهتها أيضا، وقد شغلت مصر بأمر نفسها وأصبحت أضعف من أن تعيد شيئا من سابق هيبتها في تلك الجهات[4]. غير أن الروابط التجارية والثقافية قد استمرت مع القوى الكبرى على ضفاف النيل والفرات، فهناك ما يشير إلى أن "سمندس" كان يأتي بالأخشاب لمصر من "فينيقيا" عن طريق جبيل، وكانت سوريا وفلسطين وفينيقيا قد انفصلت عن مصر وقتذاك، وسرعان ما انقسمت إلى دويلات صغيرة مثل فينيقيا وبلستيا واسرائيل ومؤاب وأدوم وأرام [5].

ثانيا- الجهة الجنوبية :

1- في عهد الدولة الحديثة :

بدأت في عهد "أحمس الأول" الحروب الجنوبية لاسترجاع النوبة، فقد عثر على تمثال يحمل اسم أحمس وكذلك كتلة حجرية تحمل اسم زوجته "أحمس نفرتاي" في جزيرة "ساي"، كما أقام "أحمس" على "بوهن" حاكما اسمه "ثوري"، وشيّد معبدا في "بوهن"، وجدد القلاع والحصون التي كان قد بناها أسلافه من الدولة الوسطى[6]، وبذلك يكون "أحمس" قد استطاع أن يستعيد النفوذ المصري في النوبة.

---

[1]- محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 136 ، للمزيد من التفاصيل حول قصة "ون آمون" أنظر : عبد الحميد زايد ، المرجع السابق، ص ص 261 – 269. و؛ W.Golénischeff, papyrus hiératique de la collection W.Colénischeff contenant la description du voyage de l'égyptien Ounou-Amon en Phénicie, recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes ,vol 2 ,LRV 3/ 4 ,ed.G.Maspero , Paris , 1899,p p 74-102

[2]- سمير أديب ، المرجع السابق ، ص 225 ؛ أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 305 .

[3]- رمضان عبده، تاريخ مصر، ص 332؛عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 376 .

[4]- أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 138 .

[5]- بيومي مهران ، المرجع السابق، ص 137 .

[6]- نبيلة عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 125- 126 .

بعد اعتلاء "أمنحوتب الأول" العرش بدأت مصر على أيامه تتبنى سياسة جديدة هي سياسة توسيع الحدود، حيث توجه إلى الجنوب بواسطة النيل وعمل على أن يجعل لبلاد النوبة السفلى شخصية واضحة في صلب الأقاليم المصرية، فسلكها في وحدة إدارية واحدة تمتد من الجندل الثاني وتدخل في صلب الحدود المصرية متضمنة إقليم أسوان، وأصبح حاكمها يلقب بلقب حاكم المناطق الجنوبية[1].

قام "تحوتمس الأول" بعد توليه الحكم، بحملة إلى النوبة في السنة الثانية من حكمه وصل فيها إلى اقليم "تاراي" (نباتا) وإن كان بعض المؤرخين رجح أنه تقدم إلى أبعد من ذلك كثيرا ومدّ حدوده إلى "كورجوس"(جنوب أبو حمد) أو إلى "مروى القديمة" جنوب الجندل الخامس، والظاهر أنه كان يهدف إلى إخضاع النوبة تماما للسيادة المصرية ولكي يضمن سهولة الاتصال بها أمر "ثوري"(الحاكم المصري على النوبة في تلك الفترة) بتطهير مجرى النيل عند الجندل الأول كما أن استيلاء "تحوتمس الأول" على منطقة الجندل الثالث يوحي بأنه أراد أن يتصل اتصالا مباشرا بالمناطق الغنية التي كانت ترد منها الحاصلات إلى مصر وتحكم في طرق المواصلات البرية والنهرية على السواء[2] .

بعد وفاة "تحوتمس الأول" قام بدو النوبة العليا بغزو المناطق الخاضعة لحكم مصر، وحرضوا أهلها على الثورة وتمردت ولاية "كوش" وأراد أهلها الانفصال إلا أن "تحوتمس الثاني" تمكن جيشه في العام الأول من القضاء عليها وأعاد للنوبة الهدوء والسكينة، وخلد هذا الحدث بنصب تذكاري نقش على صخور الطريق المؤدي من "أسوان" إلى "فيلة"[3].

حرصت الملكة "حتشبسوت" على استتباب السلام في بلاد الجنوب، فقد تركت وراءها في "واوات" آثار واضحة عن انجازاتها ومنشآتها فهناك عدة آثار خاصة بها في "بوهن" حيث شيدت من أجل "حورس" معبدا، كما أكملت "حتشبسوت" بعد وفاة أبيها بناء وتشييد معابد "سمنة الغربية والشرقية (كمة)، وعند أقصى شمال النوبة في جبل السلسلة أقامت الملكة سلسلة من المقاصير الصخرية[4] وهي بمثابة مقابر تذكارية من أجل معاونيها الأوفياء.

ظلت حركة التبادل التجاري والثقافي نشطة بين مصر وافريقيا عن طريق النوبة، فقد قامت الملكة "حتشبسوت" برحلة بحرية كبرى سيرتها إلى بلاد بونت، وهذه الرحلة مسجلة على جدران معبدها في الدير البحري، حيث تظهر السفن محملة بأخشاب الأبنوس والعاج والبخور والكحل ونبات المر، وبعض الأشجار الافريقية، غير النسانيس والقردة وجلود الحيوانات وريش النعام[5]. وهكذا عرفت خيرات افريقيا

---

[1]- أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 145 .

[2]- أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 74 – 75 .

[3]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 54 .

[4]- كريستيان ديروش نوبلكور ، أسرار معابد النوبة ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، المجلس الأعلى للآثار ، مصر ، 2010، ص 63.

[5]- سيد أحمد علي الناصري ، دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية و افريقيا في عصور ما قبل الاسلام (المصريون و العرب و علاقاتهم بافريقيا في العصور القديمة) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1990 ، ص 7 ؛ إيمان شمخي جابر ، المرجع السابق ، ص 76 ؛ شتندورف.سيل ، المرجع السابق ، ص 122 .

طريقها إلى العالم الخارجي عن طريق مصر، وخلال ذلك تغلغلت الحضارة المصرية إلى أواسط افريقيا وغربها، وكما يلاحظ "فيرمان" فإن الآلات الموسيقية التي تستخدمها قبائل غرب افريقيا تحمل شبها كبيرا لآلات الطرب والموسيقى المصرية، كما تأثرت الحضارة المصرية بالمؤشرات الافريقية خاصة في مجال الشعائر الدينية والطقوس الملكية [1].

وبانتهاء حكم "حتشبسوت" يتولى "تحوتمس الثالث" العرش، وكان أول ما قام به بعد نهاية مشاريعه الحربية في آسيا أنه سار على رأس حملة إلى السودان، حيث تشير لوحة "جبل برقل" أنه أتم قبل العام السابع والأربعين من حكمه احتلال منطقة "كاروى" وأقام هناك مدينة "تبته الدفاعية"، والواقع أن الملوك المصريين لم يصلوا في حملاتهم على النوبة إلى أبعد من هذه المنطقة[2]، حتى حملة "تحوتمس الثالث" في عامه الخمسين لم تتعدى أن تكون حملة استعراضية لقوته العسكرية في الجنوب لإرهاب رجال القبائل في الصحراء المجاورة.

وفي حوليات "تحوتمس الثالث" كانت ضريبة "واوات" و"كوش"[3] كما يلي: كميات من الذهب وأعداد من الماشية وكميات من سن الفيل والأبنوس والعاج وعدد غير معروف من الأسرى، وبلغت كمية الذهب التي تم الاستيلاء عليها أكثر من ثمانمائة واثنين وعشرين ألف[4] .

وكان نشاط "تحوتمس الثالث" في الأعمال الانشائية لا يقتصر على مصر وحدها بل وجدت له آثار في بلاد النوبة[5]، حيث كان ينسب له بناء معبد صولب الذي على مسافة 220 كيلومترا جنوبي "وادي حلفا" وكما شيد معبد آخر في جزيرة صاي وكذلك في "بوهن" و"دكا " و"أرجو" و"كوبان"[6] .

دفع استقرار النفوذ المصري في الجنوب إلى أن يقوم "أمنحوتب الثاني" بشنق أمير آسيوي على جدار سور نبتة اظهارا لقوة انتصاره، كما تشير إلى ذلك نقوش لوحة في معبد عمدا وأخرى في معبد الفنتين[7]. كانت حروب "أمنحوتب الثاني" موجهة إلى جنوبي الجندل الرابع، وقد انتهت هذه الحروب بضم الجزء المعروف باسم "كاروى" إلى المملكة المصرية وهكذا أصبح ذلك الاقليم آخر مكان جنوبي تمتد إليه سلطة

---

[1]- سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 7 . للمزيد أنظر :
W.H.Fairman , ancient Egypt and Africa African affairs , congress of african studies , royal society of aafrican studies , 1965 , p p 1-15 .

[2]- سليم حسن ، تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخى ، ج 10 ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2012، ص 261 ؛ نبيلة عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 129 .

[3]- "واوات": في الجزء الشمالي يمتد من "حلفا" ويعرف باسم واوات (يمثل اقليم النوبة السفلى)، والجزء الجنوبي من وادي النيل يصل إلى السودان وأطلقوا عليه اسم "كوش" (يمثل اقليم النوبة العليا). أنظر: شتندورف.سيل ، المرجع السابق، ص 117 .

[4]- رمضان عبده علي ، حضارة مصر القديمة ، ص 326 .

[5]- أبوالمحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 82 .

[6]- بن موفق بومدين ، التأثير الحضاري المصري على بلاد النوبة خلال الأسرة الثامنة عشرة (1550 ق.م-1295 ق.م) ، مجلة تاريخ المغرب العربي ، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ جامعة الجزائر 2 – أبوالقاسم سعد الله، العدد الأول ، الجزائر ، 2015 ، ص 17 .

[7]- نبيلة عبدالحليم ، المرجع السابق ، ص 129 – 130 .

المندوب السامي بكوش وحاكم الممالك الجنوبية، وقد ترك "أمنحوتب الثاني" آثارا تدل على اظهار حدود مملكته لما كان له أعمال معمارية[1]، حيث أتم بناء المعابد التي بدأها والده "تحوتمس الثالث".

أما عن سياسة "أمنحوتب الثالث" في النوبة، ففي العام الخامس من حكمه قاد "أمنحوتب الثالث" وعلى أثر ثورة "النحسيو" أول حملة وبرفقته أمير منف "حبي" إلى النوبة، أما الحملة الثانية فكانت بقيادة "امنحوتب بن حبي" أمير منف وحاكمها الذي اشترك مع نائب الملك في كوش "مري مس" في الأعوام الأخيرة من حكم "أمنحوتب الثالث" في اخماد ثورة محدودة قام بها بعض قبائل النوبة العليا[2].

وقد استمرت بلاد النوبة في ولائها لمصر في فترة حكم أواخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، واكتفى أمنحوتب الرابع و "سمنخ كارع" و حورمحب" بالمنشآت المعمارية وخاصة في بناء المعابد[3].

وفي بداية الأسرة التاسعة عشرة لم تسجل أية حروب في النوبة أثناء الحكم القصير للملك "رعمسيس الأول"، اللهم ما عثر عليه من نقوش من السنة الثانية من عهده، وكذلك في صورة منه يرجع تاريخها إلى السنة الأولى من عهد "سيتي الأول"، تبين أن الملك "رعمسيس الأول" قد أقام معبدا في "بوهين" وجهزه بكهنة وملأ بيت أعماله بالعبيد والإماء الذين أحضرهم غنيمة[4] .

أما عهد "سيتي الأول"، فقد نالت النوبة من اهتمامه الكثير سواء بالاستغلال الاقتصادي البناء والتشييد، وأيضا بقمع التمردات والثورات، فقد قام "سيتي الأول" في العام الثامن من حكمه بحملة عسكرية على "ايرم"، ثم توجه إلى إقليم "دنقلة"، وقد رافقه في حملته نائب الملك في النوبة "آمون إم ابت"[5]. كما اهتم "سيتي الأول" بإنشاء القلاع واصلاح الطرق إلى مناجم الذهب في شرق النوبة، وأقام معبدا للإله "آمون رع" و"أوريس" و"حورس"[6]، وترجع إلى عهده أقدم وثيقة رسمت عليها خريطة جغرافية، وهي تحدد موقع منجم الذهب القريب من معبد "الراديسية" مع بيان الطرق المختلفة المؤدية إليه، كما قام بحفر بعض الآبار في الطرق الصحراوية المؤدية إلى مناطق التعدين[7].

وفي عهد "رعمسيس الثاني" نجد نقوش ورسوم لمناظر حربية في معابده "بأبي سنبل" و"بيت الوالي" و"الدر"، ورغم ذلك لا نجد في هذه المناظر الدالة على حروب نوبية ما يمكن أن نستخلص منه تاريخا معينا أو مكانا معروفا وقعت فيه حروب بوجه عام، ويرى "سليم حسن"[8] أن تأليف هذه المناظر قد أخذ عن مناظر مواقع قديمة وحتى تفاصيله كانت قد صورت في مصادر قديمة.

---

[1]- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص 215 .

[2]- Zakeya topozada, les deux campagnes d'Amenhotep III en Nubie , BIFAO 88 , 1988 , p p 153- 164 .

[3]- بن موفق بومدين ، المرجع السابق ، ص 18 .

[4]- رمضان عبده علي ، حضارة مصر القديمة ، ص 328 ؛ سليم حسن ، تاريخ السودان ، ص 273 .

[5]- كريستيان ديروس ، المرجع السابق ، ص 85؛ زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 120 .

[6]- بلقاسم رحماني و حرفوش مدني ، الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية و الشرق الافريقي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1997، ص 37 .

[7]- أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 96 ؛ زكية طبوزادة ، المرجع السابق ، ص 120 – 121 .

[8]- سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 274 – 275 .

شيد "رعمسيس الثاني" بالنوبة ستة معابد لمعبودات مصر العظمى وهي آمون و رع و بتاح ، وكان يعبد "رعمسيس الثاني" في كل منها كإله عظيم، ويعتبر معبد "أبي سنبل" أهم وأجمل آثار "رعمسيس الثاني" بالنوبة. وانصبغت النوبة في عهده بالصبغة المصرية تماما، بالأخص اقليمها الذي هو بين الجندل الأول والثاني، فقد انتزع منه الحكام النوبيين واستبدل بهم مصريين، كما شكلت هناك أيضا محكمة مصرية للنظر في الدعاوى والشكايات تحت إشراف المندوب السامي المصري بالنوبة[1].

بقيت "واوات" و"كوش" تحت السيطرة المصرية واستمرت الإدارة في النوبة تسير بنفس الطريقة التي كانت متبعة في العصور السابقة[2]. فقد كانت النوبة قد تمصرت تماما في هذه الفترة من الأسرة العشرين ولم تصبح بعد موضع قلق بالنسبة للفراعنة؛ حيث تقدم لنا مناظر معبد مدينة "هابو" شيئا عن حملة اضطر الفرعون "رعمسيس الثالث " إلى القيام بها ضد النوبة غير أنه لا يمكن الجزم بذلك[3]، إذ يرى سليم حسن[4] أن رعمسيس الثالث لم يقم في مدة حكمه بأي أعمال حربية في الجنوب باستناده على ورقة هاريس الكبرى التاريخية، إذ لا يوجد في الفصل المخصص للأحداث التاريخية – وهو الذي ذكرت كل أعمال الملك فيه – أية إشارة إلى قيام "رعمسيس الثالث" بحملة حربية على بلاد النوبة.

بعد تدهور القوة المصرية ، اعتبر النوبيون أنفسهم الورثة الشرعيين لتراث هذه الحضارة خاصة التراث الديني، لأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي سادت في مصر منذ الأسرة العشرين، دفعت عددا كبيرا من المصريين إلى الهجرة إلى الجنوب، وأصبحت نباتا مقرا بديلا لطيبة المصرية كمركز لعبادة آمون لحين عودة الوئام والسلام إلى الشمال[5] .

2– في الفترة الانتقالية الثالثة: (عهد الأسرة الواحدة والعشرين)

قبل العام الثاني عشر من حكم "رعمسيس الحادي عشر" قامت ثورة أهلية، استنجد ملك مصر على اثرها بنائبه في "كوش" حيث طلب من "بانحسي" أن يحضر بجيشه ويقضي على الفوضى، فلبى النداء واستطاع القضاء عليها، أما في طيبة كان "حريحور" وهو من أتباع "بانحسي" الكاهن الأول لآمون ليصل بعدها إلى رئاسة كهنة آمون وتولي منصب الوزارة، ضم إليه منصب نائب الملك في "كوش" بعد وفاة "بانحسي"، وأخيرا بعد وفاة آخر ملوك الرعامسة في طيبة، أسس "حريحور" أسرة حاكمة عرفت في تاريخ مصر باسم الأسرة الحادية والعشرين، على عكس سلفه "بانحسي" الذي تصرف بأمانة ولم يحاول استغلال نفوذه كنائب للملك في كوش وكقائد لأكبر قوة آنذاك[6] .

---

[1]- جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ص 300 .
[2]- نبيلة عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 132 – 133 .
[3]- أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 174 .
[4]- سليم حسن ، تاريخ السودان ، ص 278 .
[5]- سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 7 .
[6]- محمد ابراهيم بكر ، المدخل إلى تاريخ السودان ، مكتبة الاسكندرية، ص 58 – 59 .

هكذا تمكن حكام طيبة من بسط سيطرتهم على النوبة في حين ظهرت مملكة في ناباتا، وأول ما عرفناه من الأسماء في هذه الأسرة "آلارا" الذي حكم معظم أراضي النوبة العليا، و"بعنخى" الذي استطاع تحقيق الحلم وتمكن من دخول مصر منتصرا حينما نجح في انزال الهزيمة بأعوان "تف نخت" في الأشمونين "[1] ، وتمكن من الوصول إلى عرش مصر وتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين.

ثالثا – الجهة الغربية :

اكتسبت الصلات المصرية الليبية أهمية خاصة في السياسة الخارجية المصرية منذ أقدم العصور، وقد اعتمدت تلك العلاقات على مقومات جغرافية وطبيعية وبشرية، هيأت لمنطقة غربي الدلتا بحكم موقعها على الحدود الفاصلة بين مصر وليبيا بأن تصبح مكانا لاستقبال المؤثرات الحضارية القادمة من شمال غربي افريقيا منذ العصر الحجري القديم، وخاصة وأن انسان ذلك العصر قد تمتع بحرية على التحرك، فقد كانت الصحراء خضراء غنية بالنبات وفيرة بالماء غاصة بالحيوانات، وكانت حلقة وصل ولم تكن منطقة فصل.

وهكذا استقبلت هذه المنطقة حضارات من شمال افريقيا وفي مقدمتها الحضارة القفصية والعاترية[2]، فلم تكن حدود مصر إلى الغرب منها مع تلك المجموعات البشرية الليبية أيا كانت المسميات القديمة المعطاة لها في النصوص المصرية تمثل لها هاجسا أمنيا، ولم تشكل مركز تهديد حقيقي في المراحل المبكرة من تاريخ مصر القديمة[3]، ولكن الصحراء فقدت هذه الميزة بعد تقلص العصر المطير خلال أيام العصر الحجري الحديث، مما جعل سكانها يهجرونها إلى أطراف الدلتا الغربية في حين حاول سكان الدلتا صد هجراتهم وهجماتهم طوال العصور التاريخية[4].حيث أصبحت المجموعات الليبية تشكل خطر وعامل ضغط على حدود مصر الغربية خاصة بعد تحالفها مع شعوب البحر للتوغل والاستقرار في مصر[5]، مما استدعى جهودا عسكرية مكثفة خاصة في عهد "رعمسيس الثاني" و"مرنبتاح" و"رعمسيس الثالث" لدرء أخطارها .

1– في عهد الدولة الحديثة:

ففي عهد الدولة الحديثة كانت علاقة الليبيين بالمصريين علاقة تتسم بالحروب بين الطرفين، حيث خاض الليبيون معارك عدة مع ملوك هذه الأسرة، ففي عهد الملكة "حتشبسوت"، والملك " تحوتمس الثالث" من الأسرة الثامنة عشرة قدم الليبيون الضرائب لهم، أما في عهد الأسرة التاسعة عشر ازدادت المناوشات وتغلغل الليبيون في الدلتا، حيث قام الملك المصري "سيتي الأول" بحملتين قادهما بنفسه ضد الليبيين ،

---

[1]- نبيلة عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 134 ؛ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 7 – 8 .

[2]- للمزيد بخصوص التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر و ليبيا في هذه الفترة و وصول الصناعة العاترية لمصر ، أنظر: Caton Thompson et W.Gardiner , Kharga oasis in prehistory , the athlone press , London , 1952 , p 31 .

[3]- علاء الدين عبد المحسن شاهين، العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت،الحولية 23، الرسالة 195، الكويت،2003،ص 13.

[4]- نبيلة عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 88 .

[5]- علاء الدين عبد المحسن شاهين ، المرجع السابق ، ص ص 11 – 13 .

حيث انتصر عليهم وأسر منهم الكثير، وفي عهد الملك "رعمسيس الثاني" تحالف الليبيون مع الشردن ولكنه حقق نصرا عليهم، كما تغيرت ملامح العلاقات خلال هذا العصر حيث غلب عليها الطابع الأمني لحماية مصر وحدودها، فقد قام "رعمسيس الثاني" ببناء سلسلة من الحصون شرقي (مرسى مطروح الحالية)[1] للحيلولة دون وصول الليبيين من جهة الغرب إلى وادي النيل.

وقد ظهر اسم "الريبو أو الليبو" أول مرة في عهد رعمسيس الثاني على لوحة "برج العرب" التي عثر عليها في العلمين وتدل على أن اقليمهم قد اخضع من قبل ذلك الملك، ثم ورد ذكرهم في زمن "مرنبتاح" حيث صد هجوما شنوه على مصر في العام الرابع من حكمه، وكانت أخطر غزوة تعرضت لها مصر من قبل الليبيين في العام الخامس من حكم مرنبتاح وسجلت أخبارها أربعة مصادر أصلية هي نقوش الكرنك وعمود القاهرة، ولوحة أتريب، وأنشودة النصر أو لوحة اسرائيل؛ أما "المشواش" فقد كانت من أكبر القبائل الليبية وأخطرها على مصر، وقد اشتهرت بقدرتها القتالية و ورد ذكرها في عهد أمنحوتب الثالث من الأسرة الثالثة عشرة، ثم استمر ذكرها في أغلب النصوص المصرية من الأسرة التاسعة عشر والأسرة العشرين والحادية والعشرين، وفي عصر كل من "مرنبتاح" و"رعمسيس الثالث" قد أدهش المصريين طول السيوف التي يستعملها المشواش ويستخدمونها بكميات كبيرة بدرجة أن "مرنبتاح"[2] وضعها في مقدمة قائمة الغنائم.

وآخر المعارك التي حدثت بين القبائل الليبية والمصريين كانت في عهد "رعمسيس الثالث" [3] الذي انتصر عليهم في عدة حروب رغم تحالفهم؛ ولكن بالرغم من كل ما جرى استمر الليبيون في التسلل إلى الدلتا واستقروا فيها على صورة جاليات، وتمكنوا في النهاية أن يحققوا سلما ما فشلوا في تحقيقه حربا، ألا وهو ارتقاء العرش المصري.

[1]- عبدالعزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013، ص ص 141 – 143 .

[2]- رجب عبد الحميد الأثرم، العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية والعشرين الليبية،مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، السنة السادسة ، العدد الأول ، 1984، ص ص 169 – 173 .

[3]- عبد اللطيف محمود البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، ج 1، تامغناست ، ص ص 62 – 69 .

الفصل الأول

التفاعل الحضاري بين ليبيا و مصر من خلال المصادر المصرية القديمة

أولا : القبائل الليبية القديمة المحاذية لمصر.

ثانيا: العلاقات المصرية بالقبائل الليبية من خلال المصادر المصرية القديمة.

ثالثا: المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي من خلال الآثار المصرية القديمة.

أولا – القبائل الليبية القديمة المحاذية لمصر :

تعد النصوص والنقوش المصرية القديمة من أهم المصادر التاريخية التي ساعدت الباحثين والمختصين في تحديد الملامح العامة للقبائل الليبية القديمة، ومن خلالها تمكنوا من تقسيم هذه القبائل إلى أربعة مجموعات قبلية كبرى هي: "التحنو"، "التمحو"، "الليبو أو الريبو"، "المشواش"، وإلى عدد من القبائل الصغرى التي وردت في هذه المصادر كمجرد إشارات بسيطة، ربما لعدم تأثير هذه القبائل في الأوضاع السائدة في المنطقة، أو ربما لكون هذه القبائل كانت تابعة لإحدى القبائل الكبرى السابقة (أنظر الخريطة رقم1)، وهي كالتالي: ايموكهك، كهك، كيكش، اسبت، اكبت، شاي، هس، بكن[1].

أ– التحنو Tehenu :

1– أرض التحنو و موقعها :

يعتبر اسم "التحنو"[2] أقدم اسم ورد ذكره في النقوش والنصوص المصرية، ويعتقد أنه يرجع إلى أصل مصري معناه البرّاق والتي لا يستبعد أنها أطلقت عليهم بسبب ملابسهم البرّاقة، والمعروف أن أرض "التحنو" تقع إلى الغرب من مصر، إلا أن تحديد موقعها اصطدم بعدة فرضيات :فمنهم من يرى أن اسم "التحنو" كان يطلق على المكان الذي كان يجلب منه النطرون لطلاء أشكال الخزف والزجاج، وكذلك يلاحظ أن تصوير الأشجار ضمن الغنائم التي ظفر بها الملك في لوحتي الملك "وازي" والملك "نعرمر" يوحي بأن أرض التحنو لا تشمل بلاد صحراوية وحسب، بل تشمل كذلك بقاعا خصبة في غربي وادي النيل، وعلى ذلك لابد من التفكير في واحة توجد في هذه الجهة قد تكون واحة "الفيوم"[3]، وما يؤكد ذلك ما وجد في نقش من عهد الفرعون "منتوحتب" أحد رؤساء "تحنو" معلقا في حزامه صور سمك، ومن ثم استنبط أن "الفيوم" هي موطنه، وكان الإله سبك (التمساح) منذ القدم يقدس في الفيوم وإن هذا الإله مثل عدة مرات بوصفه سيد بلاد "باش"، وهي كما تحدثنا نقوش الملك "ساحورع" جزء من بلد "تحنو" علاوة على أن نفس الإله "سبك" قد وجد في نص يرجع تاريخه إلى عهد الملك "طهرقا" يمثل بلاد "تحنو"، وهو

1- O.Bates,op-cit,, p 46.

2- كما يعتقد أيضا أنها تعني "زجاج" أو "قاشاني"؛ وفيه من يرى أن كلمة "تحنو" تعني أرض الزجاج أو أرض "القاشاني" إذ صناعة الزجاج والقاشاني في مصر كانت من الصناعات التي نشأت عن التحنو، وأن تسمية التحنو ليست صحيحة والصحيح أن تسمى "حاتيوى" أما التحنو فهي اسم الإقليم الذي يسكنه هؤلاء القوم، أما محمد بازامة فيرى أن لفظة "تحنو" تقدم معنى يعطي الوضاءة أو البياض أو خفة السمرة، فتسمية الليبيين باسم تحنو هي صفة أطلقها المصريون عليهم للعلاقة التي بين الليبي في زيه أو في بشرته أو في تربة أرضه وبين المعنى الذي تدل كلمة "تحنو" في مفهومهم عليه . أنظر: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث و لمحة في تاريخ لوبية،ج7، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص ص 28-30؛ عبد المنعم أبو بكر، ليبيا في أقدم عصورها، مؤتمر الآثار في البلاد العربية، العدد 7،ليبيا، 18-27سبتمبر 1971، ص 474؛ محمد مصطفى بازامة ، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط2 ، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، 1975، ص 80.

3- سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 31.

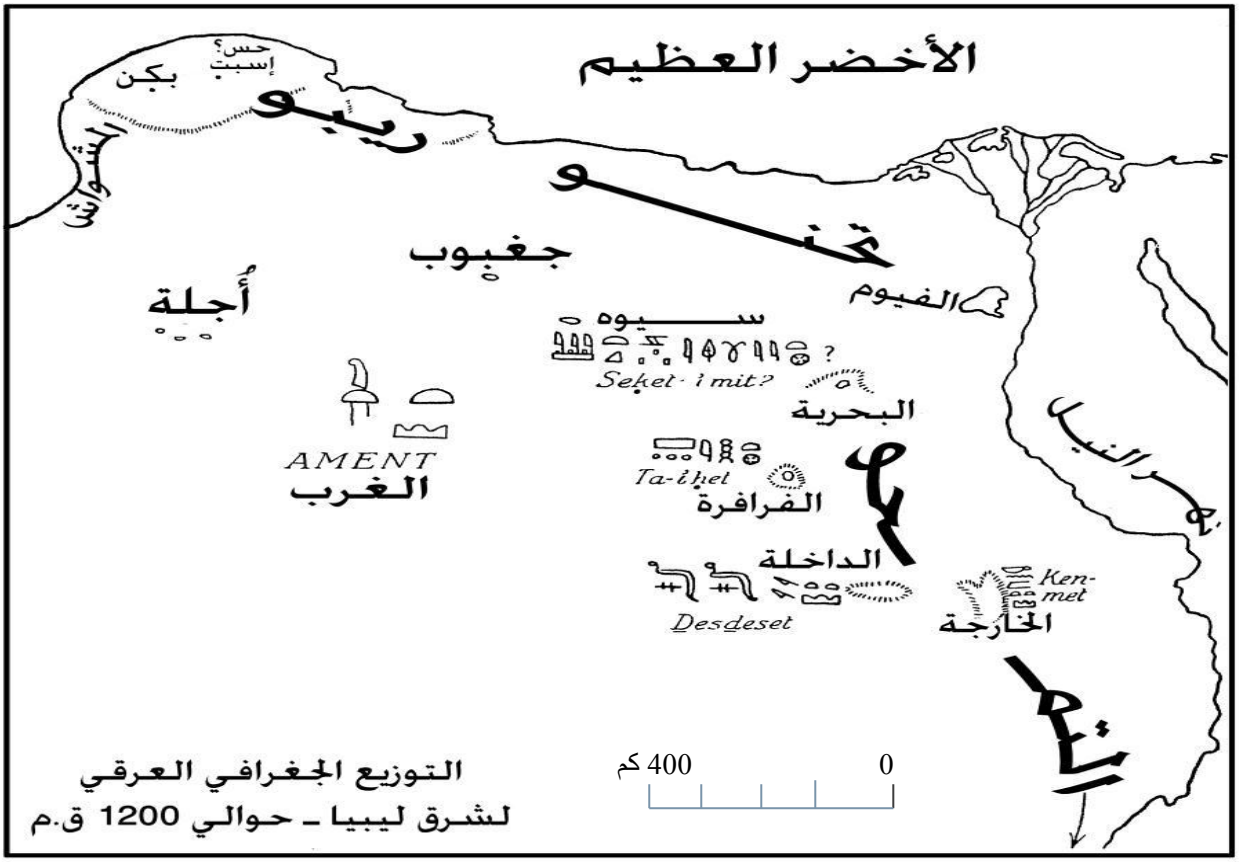

الخريطة رقم 1: توزيع القبائل الليبية القديمة في ليبيا

نقلا عن: محمود عبد المنعم الجزار، العلاقات المصرية الليبية في الفترة من الأسرة 26 حتى الأسرة 30، مجلة أبحاث، العدد السابع، كلية الآداب–جامعة سرت، ليبيا، 2015،ص 144.

ما دفع للاعتقاد بأن بلد "تحنو" تقع في اقليم "وادي النطرون" والفيوم[1]،بحيث يرى "بيتس"[2] أن المصريين قد استخدموا اسم "تحنو" للدلالة على الأرض الواقعة إلى الغرب من وادي النيل وعلى سكانها شمال الأقاليم الزنجية.

إلا أن هناك من يعترض على هذا الرأي، واعتبروا أن كلا من "وادي النطرون" و"الفيوم" كانا معروفين للمصريين جيدا، وقد وجدت أسماؤها على آثار الأسرتين الرابعة والخامسة، كما أن وادي النطرون مكان فقير يستطيع بالكاد إعالة ما يزيد على الألفين من السكان، وفي مستوى معيشي فقير، ومن هنا فإن هذا المكان لا يمكن أن يكون مقرا لهؤلاء القوم الذين كانوا مزعجين للملوك المصريين باستمرار، أما عن الفيوم فقد كان ينظر إليها منذ بداية التاريخ المصري بوصفها احدى الأقاليم المصرية، وكانت تسمى "البحيرة"، وعليه فيجب البحث عن مكان آخر، ويرون أن "مريوط" و"واحة سيوة" و"البحرية" و"برقة"[3] هي الأماكن التي يحتمل أنها كانت أرضا للتحنو.

[1]- أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2000، ص 31 .

[2]- O.Bates, op-cit , p p 46-48.

[3]- محمد بيومي مهران،مصر والشرق الأدنى القديم-المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، 1990، ص 71 .

وهناك فريق ثالث ممن يحاولون تحديد الموطن واسم الإقليم على أساس اقتصادي باعتبار أن أهم منتجات أرض التحنو التي كانت تستوردها مصر في مرحلة الدولة القديمة هو "زيت التحنو"، فهم يستشهدون بأثر يرجع في تاريخه إلى مرحلة ما قبل الأسرات، وهو لوحة الملك العقرب، فقد تعرف الباحث "تيو بري" على طبيعة الأشجار المرسومة مع صفوف الغنائم على هذه اللوحة على أنها أشجار الزيتون، وعليه يعتقد "نيوبري"[1] بأن بلاد "التحنو" تشمل بحيرة "مريوط" وأن زراعة الزيتون أصلية في شمال افريقيا، في حين يعتقد "عبد الحليم دراز"[2] أن الأشجار التي مثلت على ألواح الملوك المصريين الأوائل، لا تمثل شجر الزيتون بل هي نبات "السلفيوم" الذي اشتهرت به "برقة" منذ القدم ولم ينم في أي اقليم آخر خاصة أن المصريين سموا هذا الاقليم باسم الشجرة غير المألوفة في مصر، والمعروف أن المصريين كانوا يعرفون الزيتون جيدا ولا يعرفون شيئا عن "السلفيوم"، واعتبر هذا الافتراض مؤيدا لوجهة النظر التي ترى أن أرض "التحنو" تمتد حتى اقليم "برقة".

ويرى فرانسوا شامو"[3] أن بلاد "التحنو" تشمل كل المناطق الصحراوية الواقعة غربي وادي النيل بما في ذلك الاقليم الجنوبي[4]، ثم أن قبيلة "التحنو" هي المتمركزة شرق "الليبو"أو"الريبو"، وظل هذا الاسم مستعملا بعد الدولة القديمة، للدلالة على شعوب الغرب وذلك مهما كانت صفاتهم الطبيعية أو ملابسهم التي تميزهم عن غيرهم من الليبيين[5]، وبالرغم من ظهور جماعات ليبية بأسماء أخرى إلا أن اسم "تحنو" سيظل يتردد في نصوص الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ليكون دلالة على ليبيا وعلى الليبيين.

2- سمات قبيلة التحنو:

من أهم الآثار والنصوص المصرية التي تتحدث عن "التحنو" ومكنت العلماء المختصين من أن يقفوا بالتفصيل على سمات التحنو البشرية وشكل لباسهم، المناظر المصورة على جدران معبد الملك "سحورع" ومعبد الملك "ني–أوسر–رع"، وهذه النقوش[6] التي تذكرنا بالليبيين الذين صوروا على آثار ما قبل

---

[1]- نقلا عن : أم الخير العقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950 ق.م- 715 ق.م، دار القدس العربي، وهران، 2015، ص 30-31.

[2]- عبد الحليم دراز ، المرجع السابق ، ص 32-33.

[3]- F.Chamoux, Cyrène sous la monarchie des Battiades, Paris, E.De Boccard , 1953, p 55.

[4]- نجد في نص تركته الملكة "حتشبسوت" أنها استوردت 700 سن فيل من بلاد التحنو، وهذا يعني أن مدلول هذا التعريف جغرافيا أخذ يختلف بحيث أنه امتد جنوبا امتدادا كبيرا ويدلنا على ذلك أيضا نص في مقبرة حاكم عنيبة "بن –نون" من الأسرة العشرون الذي كان قد أقام تمثالا كبيرا للملك "رعمسيس السادس" في معبد الدر ببلاد النوبة، وأوقف أراضي كثيرة للصرف من عائدها على القرابين التي تقدم لهذا التمثال، ومن بينها احدى مناطق التحنو، التي لا تبدو أنها كانت على مقربة من عنيبة في بلاد النوبة. عن : عبد المنعم أبو بكر ، المرجع السابق ، ص 474.

[5]- مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص 15.

[6]- بمقارنة الليبيين الذين ظهروا في نقوش الملك "ساحورع" مع الفريق الذي مثل على لوحات وصلايات فترة قبيل وبداية الأسرات المصرية، لا نجد فرقا كبيرا بينهم ، وإن كان لتطور الفن ونضج الحضارة في تصوير بعض العناصر الفنية علاوة على وصول الكتابة في مصر إلى مراحل متقدمة ، كما أن الصفات التي تميز بها قوم التحنو ، لا تختلف كثيرا عن الصفات التي ظهرت على الرسومات الصخرية التي وجدت في عموم الصحراء الوسطى وخاصة في وادي جرات (تاسيلي ناجر) وفي "خروبة" (بالجزائر العاصمة) و أخرى في "فجة الخيل"(قسنطينة)، تصور رجالا ذوي شعر طويل وتنهدل ظفيرة على ظهرهم، ولهم لحى قصيرة وأذرعة موشومة ويربط في حزامهم جراب العورة المعروف باسم الكرنطة KRNT. عن : أم الخير العقون ، المرجع السابق ، ص 28-29؛ عبد الحليم دراز ، المرجع السابق ، ص 30.

الأسرات[1]، فتظهر الصور أن التحنو رجالا كانوا أو نساء طوال القامة، سمر البشرة، وشعرهم أسود طويل متموج يتهدل إلى الخلف في جدائل كثيفة تتدلى إلى فوق الكتف، ووجوههم نحيفة بارزة الوجنات وشفاههم غليظة، ويتميز رجالهم بلحى قصيرة تحدد شكل الفك بشكل ملحوظ وتنتهي بطرف مدبب[2]، وتنتصب فوق الجبهة خصلة من الشعر، وربما كانت نوعا من الزينة يتحلى بها القوم، بحيث يرى "أوريك بيتس" أن الذي يزين الجبهة ما هو إلا طرفي عصابة للرأس عقدت على الجبهة، وهذه العادة كانت ومازالت متبعة عند نساء المنطقة لغاية الآن، في حين يشبهها البعض بالصل المقدس الذي يبدو منتصبا فوق جبهة الفرعون المصري ليحميه حسب اعتقادهم من شر الأعداء[3]، بيد أن من يمعن النظر يجدها خصلة شعر وحسب.

أما بالنسبة للزي فهو ذاته للرجال والنساء، وهو عبارة عن شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر، ويتمنطق بحزام مزين بخطوط عمودية وأخرى أفقية وينتهي من الأمام بقراب يستر العورة، ويتدلى منه إلى الوراء ذيل حيوان طويل، ويحيط بالرقبة عقد عريض تتدلى منه حلي[4]، يتميز "التحنو" عن غيرهم غيرهم من الليبيين بعدم وضع الريش[5] في شعورهم، أما أطفالهم فكانوا يرتدون اللباس الأساسي الذي يغطي الجزء الأعلى من أجسامهم، ولم يكونوا يرتدون الحزام أو قراب العورة أو ذيل الحيوان.

يرى بعض المؤرخين أن هناك أوجه شبه بين ملابس ملوك مصر، وملابس شعب التحنو، ذلك لأن الفرعون كان يتزين بذيل الحيوان باعتباره من امارات الملك، وخصلة الشعر عند التحنو تماثل الصل المقدس على جبين الفرعون، وقد استند[6] البعض إلى أوجه الشبه هذه للقول بأن المصريين يرجع أصلهم إلى الجنس الليبي، وأن الليبيين قد توافدوا على وادي النيل واستوطنوه بوصفهم صيادين ورعاة ، ثم تحولوا إلى حياة الزراعة فصاروا زراعا مستقرين، والمقصود هنا بالليبيين هم سكان الصحراء الكبرى الذين وصلوا في فترة العصر الحجري الحديث إلى مرحلة حضارية متقدمة، الذين قاموا بنقل الرعي والزراعة نحو وادي النيل؛ ويبدو من نقوش ساحورع أنه كان يطلق على رئيس التحنو لقب "حاتي–عاو" أي "أمير تحنو" ،

---

[1]- رجب الأثرم ، المرجع السابق ، ص 166-167.

[2]- جيهان ديزانج، البربر الأصليون، تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات افريقيا القديمة ، جين أفريك ، اليونسكو، 1985، ص 439 ؛ فرانسوا شامو ، في تاريخ ليبيا القديم الإغريق في برقة الأسطورة و التاريخ ، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي ، ط1 ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1990 ، ص 30.

[3]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 13 ؛سليم حسن ، مصر القديمة،ج7، ص 26؛O.Bates,op-cit , p 136

[4]- عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 52 ؛ جيهان ديزانج، المرجع السابق، ص 439.

[5]- يعتقد "جاردنر" بأن عدم وجود الريشة هي علامة الهزيمة ، فالريشة لم تكن لباسا خاصا لقبيلة بعينها ، بل كانت علامة علامة شرف أو وظيفة، وعدم وجودها على رؤوس التحنو في أثر "سكين جبل العركي" ثم في أثر الملك العقرب، وبعده أثر الملك "نعرمر" ثم على رسومات معبد الفرعون "ساحورع"، فهي كلها تمثل مشاهد انهزم فيها "التحنو"، فقد ورد في السطر السادس من لوحة اسرائيل في عهد مرنبتاح الذي انتصر على الأمير الليبي "مري بن دد" ما يلي :"الرئيس الخسيس الذي فر تحت جنح الليل وحيدا بغير ريشة فوق رأسه". وفي السطر الثامن نقرأ:"...وعندما وصل إلى وطنه و شكا ، وكل انسان في بلاده كره مقابلة الأمير الذي اختطف منه الحظ ريشته". وبقيت الريشة علامة شرف وسمو المكانة ، فهناك نص آخر جاء في لوحة الملك بعنخى مؤسس الأسرة الخامسة والعشرون عند الحديث عن أمراء مقاطعات الدلتا من الأسرة الليبية الثالثة والعشرون:" كل الأمراء الذين يحملون الريشة". عن: أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 28؛ آلن جاردنر، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973، ص ص 427-301 ؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج7 ، ص 48-49.

[6]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 13-14؛ عبد المنعم أبو بكر ،المرجع السابق، ص 474.

وهي نفس الكلمة التي أطلقوها على أمراء البيت المالك المصري، وبعد ذلك على عظماء الدولة؛ وذهب بعض المؤرخين[1] إلى أبعد من ذلك بقولهم أن "التحنو" كانوا في الأصل مصريين وأقاموا في الوجه البحري ثم هاجروا منه في وقت ما نحو الغرب، وسكنوا إقليم تحنو الواقع على الحدود المصرية الليبية، مستندين في زعمهم التشابه بين الطرفين في لون البشرة السمراء والشعر الأسود، ويعتبرون ارتداء التحنو ساتر العورة دليل على أنهم مختتون مثل المصريين .

غير أن الدراسات الأنتروبولوجية الحديثة وبعد الكشف على مزيد من الرسومات الصخرية، بينت لنا بأن التشابه بين المصريين والتحنو في لون البشرة مثلا، لا يبعدهم عن أبناء عمومتهم في شمال غرب افريقيا، وبالرجوع للرسوم الصخرية التي ترجع في تاريخها إلى العصور الحجرية، تبين لنا بجلاء أن الصيادين في الصحراء عموما، وكذلك في جنوب وهران كانوا عراة إلا من ساتر العورة، وعلى رؤوسهم شعر كثيف مسترسل يشبه الشعر المستعار، وكذلك كانت لهم لحى مدببة، بمعنى لهم نفس الصفات التي ذكرتها الآثار المصرية عن قوم التحنو[2].

وخلال الألف الثالث ق.م، يبدو أنه قد طرأ تغير عميق على سكان ليبيا، ذلك أنه ظهر وسط الليبيين "التحنو" من ذوي البشرة السمراء والشعر الأسود، شعب جديد تميز بالبشرة البيضاء والعيون الزرقاء ونسبة كبيرة من ذوي الشعر الأشقر، قد أطلق المصريون في نصوصهم على هذا الشعب الجديد اسم "التمحو" تمييزا له عن شعب "التحنو".

ب- التمحو (temehu):

1- موقع بلاد التمحو:

لقد تعددت واختلفت الآراء حول تحديد بلاد "التمحو"، ويرجع ذلك إلى اختلاف وصف هذا الموطن في النصوص المصرية، إذ يرى "جاردنر" و"بيتس" أن بلاد التمحو تمتد على الحدود الغربية لمصر حتى طرابلس غربا والنوبة جنوبا، في حين يرى "أحمد فخري" أن "التمحو" كانوا يعيشون في بلاد احتلها التحنو" من قبل، وربما قد عاش الشعبان في نفس الوقت جنبا إلى جنب، ولكن التحنو قد فقدوا كيانهم وسرعان ما اندمجوا مع التمحو، وليست هناك حاجة إلى أن نفترض أن التمحو قد عاشوا فقط في الجنوب، ذلك لأنهم في الحقيقة قد شغلوا كل إقليم التحنو وربما الشاطئ، ويرى أنهم انتشروا جنوبا واحتلوا الواحات الخصبة حتى دارفور[3]؛ ويذهب "سليم حسن" إلى أن بلاد التمحو تمتد على الحدود الغربية المصرية حتى طرابلس في بلاد النوبة، ويذكر أن "مولر" يعتقد أن التمحو كانوا يسكنون في غربي مريوط وعلى ذلك فهو يرى أن التمحو الذين ذكروا في قصة "سنوهي" قد بقي اسمهم متداولا حتى العهد الاغريقي في لفظة "دورماخ"

---

[1]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 14 ؛ سليم حسن ، مصر القديمة، ج7 ، ص 25-26.

[2]- أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم "الرسوم الصخرية والآثار المصرية، carrefours sahariens vues des rives du Sahara،مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، وهران، 2016، ص ص 94-96.

[3]- نقلا عن بيومي مهران، المغرب القديم ، ص ص 78-79؛ O.Bates ,op-cit ,p p 48-50 ; A.Fakhry, the Egyptian desert , Bahria Oasis ,VI,Boulaq gouvernment press , Cairo , 1942 , p 7.

ومنه اشتق الاسم الليبي "دورماح–ثورناح"، وفي المصرية القديمة "ترماح"، ولفظ "اترماخ" في اللغة اليونانية معناها أزرق العينين، ويرى "مولر" بأن التمحو يشبهون "الأديرماخيين" أقرب الجيران للمصريين طبقا لما قاله هيرودوت[1]، وعليه فالتمحو هم أجداد الليبيين الذين عرفهم الإغريق في برقة.

كما يرى الباحث "بازامة"[2] أن "التمحو" كانوا يسكنون وسط الصحراء الكبرى(منطقة تيبستي–أكاكوس–تاسيلي)، قبل أن ينزحوا بفعل عوامل الجفاف وتقلص الأمطار في أعقاب العصر المطير إلى مصر الوسطى واستقرارهم هناك وبدء ظهورهم على الآثار المصرية، وقد حاول أن يربط بين التوارق سكان الصحراء الكبرى وبين التمحو مستندا إلى أن التوارق يسمون أنفسهم "تامایاك" أو "تاماجق" مستندا على قول "بجوينوت"(ايطالي تخصص في الدراسات البربرية)، أنها تسمية يختلف نطقها عندهم بين منطقة ومنطقة من مثل "تماشك" و"تماحك" وما شابه ذلك، وأصل هذه اللفظة لا يختلف عن أصل لفظة "تمحو" الواردة في نصوص الدولة القديمة فكلاهما مركب من "ت" و"م" على التوالي، وهناك مسائل أخرى ذات علاقة بالنص الفرعوني وملابساته، وهناك اللوحات العديدة المرسومة على صخور الصحراء في أكاكوس وتاسيلي وهي أقدم شاهد مادي على سكنى هذا الجنس لشمال افريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ[3] ، وفي نص يرجع إلى عهد الدولة الوسطى نجد "التمحو" يسكنون منطقة تقع إلى الغرب من مساكن "التحنو" الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بأن "التمحو" قد غيروا من مواقع سكناهم خلال الفترة الانتقالية بين عهد الدولتين القديمة والوسطى فسكنوا الصحراء الغربية من مصر وشرقي برقة (منطقة دفنة–البطنان).

2– مميزات التمحو :

من الآثار والمناظر التي توضح لنا الخصائص الجسمانية والثقافية لقبيلة "التمحو"، مناظر مصورة على مقبرة "بني حسن" التي ترجع إلى عهد الملك "أمنمحات الأول"(الأسرة 12) حين تظهر لنا قافلة من قبائل الليبيين مهاجرة إلى مصر برجالها ونسائها وأطفالها وماشيتها[4]؛ ومن أهم صفاتهم أنّهم كانوا ذوي بشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر أشقر قصير يصل إلى منتصف العنق، تنسدل ظفيرة أو مجموعة ظفائر صغيرة على الصدغ، ويزين الشعر ببعض القواقع، وتثبت أربع من ريش النعام بشكل منحرف، كما يزينون أعناقهم بمحارة مدلاة في خيط؛ أما خصائص زيّهم، فبالنسبة للرجال يلبسون جلابيب طويلة تصل منتصف الساقين وتغطي الذراع الأيسر، بينما يترك الذراع الأيمن عاريا وكذلك الرقبة، أما النساء فترتدي النسوة النقبة (تشبه التنورة) وتصل إلى منتصف الساق أيضا، أطرافها مزركشة وتعقد النقبة حول الخصر،

---

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج7،ص 63؛ جيهان ديزانج، المرجع السابق ، ص 439 ؛ Hérodote, histoire d'hérodote , livre IV , traduit par Larcher , charpentier libraire-éditeur , paris , 1850, para 168.

[2]- محمد مصطفى بازامة ، المرجع السابق ، ص 82-83.

[3]- إن آثار وشواهد ما قبل التاريخ الممثلة في تلك اللوحات المرسومة على صخور الصحراء الليبية، تشير إلى سكنى أصحاب البشرة البيضاء والشعر الأشقر في فزان والمنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى منها واد جرات بالتاسيلي، وكان ذلك خلال عصر الرعاة الذي حدد له تاريخ الألفين السادس ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد، والمعروف أن ذكر الوثائق المصرية للتمحو يعقب تاريخ الرسوم الصخرية بعدة قرون حيث كان أول ذكر لهؤلاء القوم (التمحو) يرجع إلى عهد الملك "بيبي الأول" (الأسرة السادسة). عن: عبدالحليم دراز، المرجع السابق ، ص33.

[4]- سليم حسن ، المرجع السابق، ص 42-43.

وتحمل النساء أطفالهن في سلال خلف ظهورهن، في حين يعتقد "أحمد فخري"[1] أنهن يرفعن أطفالهن في جزء من ملابسهن على الظهر، وهي ظاهرة مازالت لغاية يومنا هذا في الدّشر، المنتشرة بالمناطق الداخلية والجبلية وخاصة في منطقتي الشاوية والقبائل.

وقد صور الملك "سيتي الأول"(الأسرة 19) على مقبرته أجناس العالم الأربعة المعروفة عند المصريين، ومن بينهم شعب التمحو (أنظر الشكل رقم 1)، ويتبين من الرسم أنهم من ذوي البشرة البيضاء والعيون الزرقاء أو السوداء والشعر الأشقر، وأن الشعر قد زين بجدائل صغيرة مرسل بعضها على الجبهة والبعض الآخر أسدل على القفاه بريشتين ويرخي لحيته ويطلق شاربه، وتبين الصورة كذلك شكل ملابسهم فهي تتألف من عباءة فضفاضة من الجلد وتغطي الكتف اليمنى وجزءا من أعلى الذراع ، وفي الجانب الآخر وهو الجانب الأيسر عقدة عريضة والذراع كلها عارية، وقد زخرفت رقعة العباءة بألوان مختلفة وثبت في ذيلها شريط مخطط عريض، ويظهر تحت العباءة قراب العورة، والأذرع والسيقان محلاة بالوشم بصور معينة الشكل أو صلبان مستطيلة وكثيرا ما نشاهد في هذا الوشم صورة العلامة الدالة على الآلهة "نيت"[2].

أما أسلحتهم فهي السهام والقوس والنشاب، وهي الأسلحة المفضلة لديهم، وأحيانا يستعاض عنها بالسيوف والرماح الارتدادية أو العصي المعقوفة (البومورانج)، كما كانوا يستعملون العربات الحربية[3].

هذه الخصائص التي تنسب إلى التمحو الذين عرفهم المصريون تجعلنا نعتقد بأن هؤلاء التمحو هم الأسلاف المباشرون لليبيين في العصر الكلاسيكي، حيث تشبه عادات التمحو وأعرافهم تلك العادات والأعراف المماثلة التي كان الإغريق قد لاحظوها في زمانهم لدى الليبيين، فقد لاحظ "هيرودوت" طريقة تصفيف الشعر وكذلك عادة الوشم وأسلوب الملابس، كما أشار[4] كذلك إلى أن مواطني "قورينة" الأصليين كانوا يعرفون استخدام العربات الحربية منذ وقت مبكر، كما وردت أوصاف مشابهة للتمحو ، فنجد عند الشاعر "كاليماخوس" يصور الثيرانيين الإغريق وهم يغنون صحبة هؤلاء الليبيين الشقر، أما الشاعر "لوكان" فقد أشار إلى الوصيفات الليبيات ذوات الشعر الأشقر في قصر "كليوبترا"، اللاتي لم ير "قيصر" مثل جمالهن "...لم تر عين قيصر شدة شقرة شعورهن حتى لدى نسوة جرمانيا الجميلات"[5] على حد تعبير هذا الشاعر.

---

[1]- A.Fakhry, op-cit , p 8.؛ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد السابع، القاهرة، 2006، ص 10-11 ؛ سليم حسن، مصر القديمة،ج7، ص 42-43.

[2]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 23 ؛ رجب الأثرم ، المرجع السابق ، ص 168.

[3]- فرانسوا شامو، المرجع السابق ، ص 35؛ رجب الأثرم ، المرجع السابق ، ص 169؛ جيهان ديزانج، المرجع السابق ، ص 439.

[4]- Herodote ,livre IV , para 170-175-189

[5]- نقلا عن فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 35 ؛ رجب الأثرم ، المرجع السابق ، ص 169. عن:
Lucain.M.A, La Pharsale, trad .George de Brébeuf, éd.Jean Ribou, Paris, 1670.

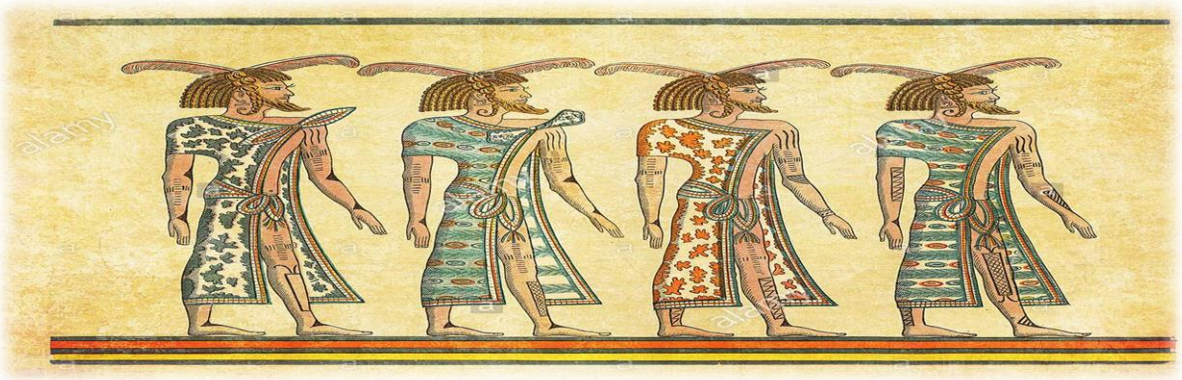

الشكل رقم 1 اللّيبيون القدماء في عهد سيتي الأول

عن: الموقع الالكتروني: www.alamyimages.fr

وقد أظهرت المقارنة بين الوثائق النقشية الفرعونية والإغريقية، عن صدق هذه الفرضية فصور التمحو التي تزين مقبرة الملك "سيتي الأول" يمكن من إيجاد أوجه شبه كبيرة بينها وبين صورة وجه شخصية "آنتي" التي يعتقد أنها شخصية ليبية، وهي الصورة المرسومة على إناء للخمرة يعرف بـ"إناء إيوفرونيوس" المحفوظ بمتحف اللوفر بباريس، فبمقارنة هذه بتلك يمكن أن يلمس نفس انسيابية الوجه، ونفس كيفية انسدال خصل الشعر على الجبهة ، والشفاه الغليظة والشعر الكث الممشوط إلى الأمام وإلى الوراء، ونفس اللحية المدببة، كما عثر على تمثال مصنوع من البرونز في "قورينة" يصور أحد النبلاء الليبيين في القرن الرابع قبل الميلاد، وله نفس النمط السلالي الليبي، كما تم العثور على رأس تمثال من المرمر[1] تعود إلى منتصف القرن الثاني للميلاد، تجسد استمرارية ظهور النمط السلالي للتمحو .

أما عن أصل التمحو فقد قام جدل طويل حوله ولا يزال ليومنا هذا، فهناك من يقول بأن هؤلاء القوم ينتمون إلى جنس حوض البحر المتوسط، ثم هناك من يقول[2] بأنهم أهل شمال افريقيا من البيض وأن أولئك الذين ظهروا بعد ذلك بألوان أجسادهم الحمراء وشعورهم السوداء مثل التحنو في ليبيا والصومال والجالا وأهل بونت في شرقي افريقيا، فهذا يرجع إلى التغير الفسيولوجي الذي يحدث تحت تأثير المناخ الحار وأن الجسد والشعر مكتسبان من حرارة الجو ووهج الشمس.

وعليه فقد ظهرت نظريتان حول هذا الموضوع ، يرى أصحاب النظرية الأولى بأن التمحو جاءوا مهاجرين من قارة أوربا إلى شمال افريقيا ثم توغلوا إلى الجنوب، وأنهم ينحدرون من قبائل الوندال أو أي جنس شمالي آخر ويستند أصحاب هذه النظرية كدليل على ذلك من خلال السمات التي يمتاز بها التمحو عن بقية الليبيين مثل الشعر الأشقر والعيون الزرقاء والبشرة البيضاء[3]، إلا أنه يوجد الكثير من القرائن التي تعارض هذه النظرية على أساس أن ظهور "التمحو" في مصر منذ القرن الثامن والعشرين قبل

---

[1]- للاستزادة أكثر أنظر: فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 38-39.

[2]- Ernest Mercier, L'Afrique septentrional (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), tome premier ,Paris,1888, p XXIII-XXIV؛ عبد المنعم أبو بكر ،المرجع السابق ، ص 476.

[3]- Ernest Mercier, op-cit , p XXIII-XXIV.؛ بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 80.

الميلاد يسبق بكثير أي وجود لهذه القبائل –قبائل الوندال التي وصلت عبر اسبانيا إلى شمال افريقيا[1]، بالإضافة إلى عدم وجود أية قرائن تفيد بأن المجموعات السكانية الأوربية وصلت منطقة الصحراء الكبرى كمهاجرين في أي فترة من فترات التاريخ القديم.

أما أصحاب النظرية الثانية فيرون أن "التمحو" افريقيون سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي من الصحراء متجهين نحو الشمال والشمال الشرقي، ويرى بعض العلماء بأن القوم الذين أطلق عليهم اسم المجموعة "ج" والذين عثر على آثارهم بمنطقة النوبة هم فرع من التمحو وإنهم ليبيون، وقد لعبوا دورا رئيسيا في مناطق النوبة السفلى ابان فترة الانتقال الأول، إذ استطاعوا بعد استقرارهم هناك أن يقيموا حضارة تتميز بمظاهر جديدة عديدة، منها أسلوب المقبرة ذات البناء المستدير الذي يعلو سطح الأرض، وانتشار الأواني الفخارية حول المقبرة وفوق سطح الأرض من النوع الذي يمكن أن نسميه الفخار الأحمر ذي الزخارف الغائرة، واستعمال الجلد في ملابسهم، ثم تقديسهم للبقرة خاصة عند أهل النوبة، وقامت المقارنات المختلفة بين الآثار المكتشفة في بعض مناطق افريقيا الشمالية وبين تلك التي خلفها انسان النوبة في عصر حضارة المجموعة "ج"[2]، و تبين أن مخلفاتهم تتفق ومخلفات الليبيين القدماء.

ج- الليبو أو الريبو[3] lebu/rebu):

1- موطن الليبو:

أجمع الكثير من الباحثين على أن قبائل الليبو(=الريبو) كانوا يقطنون منطقة الجبل الأخضر إلى الغرب من برقة[4]، أي المنطقة الواقعة إلى الغرب من التحنو والتمحو، ومن الواضح أن المصريين في غالب الأمر لم يفرقوا في نصوصهم بين الأسماء الثلاثة فكثيرا ما ذكروا "التحنو" و"التمحو" و"الليبو" على أنهم أولئك الذين يعيشون في المناطق الواقعة إلى الغرب من الدلتا وفي برقة وفي الواحات المصرية؛ ويظن بعض المؤرخين ومنهم "شارل أندري جوليان"[5] بأن "الليبو" هم الأجداد المباشرين للنوميديين من خلال أسماء زعماء "الليبو" التي تشبه كثيرا أسماء النوميديين، ويرى أن جبال الليبو التي ذكرتها النصوص المصرية هي جبال الأطلس في شمال افريقيا، كما يرى "كابار" أن الليبيين الذين ظهروا على مقبرة "سيتي الأول" يعيشون الآن في شمال افريقيا بأسماء مختلفة هي: البربر، قبائل، شاوية، وطوارق، ومازالوا يحافظون على الرغم من الاختلافات الناجمة عن المميزات الخارجية مثل البشرة

---

[1]- عبد المنعم أبو بكر ، المرجع السابق، ص 476.

[2]- عبد المنعم أبو بكر ، المرجع نفسه ، ص 476-477.

[3]- بالنسبة لاختلاف النطق في الاسم "الليبو أو الريبو"، يرى بعض المؤرخين أن هناك نطق واحد فقط وهو "الليبو" ، استنادا إلى الرأي القائل أن حرف الراء في اللغة المصرية القديمة في عهدها المتأخر ينطق لاما. عن: رجب الأثرم ، المرجع السابق ، ص 169- 170.

[4]- O.Bates, op-cit, p 51 ;K.Zimmerman, Lebou /Libou,encyclopédie berbère , volumes n° 28-29, Aix-en-provence, Edisud ,2008, p 2-3 ;Jehan Desanges, Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'ouest du Nil, publications de la section d'histoire, N° 4, Dakar, 1962 , p 172-173.

[5]- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الاسلامي 647 م، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة ، تاوالت الثقافية، 2011، ص 60.

البيضاء والعيون الزرقاء، والأنف الطويل المعقوف والشعر الملولب واللحية المدببة، بل يظهر ذلك حتى في عادة الوشم وبنفس الرسوم التي وجدت على مقبرة "سيتي الأول" ومنها رمز الآلهة نيت[1]، وبمرور الزمن أصبح اسم "الليبو" يدل على كل المنطقة التي تقع غرب النيل، ومن اسم الليبو اشتق الإغريق اللفظ الجغرافي "ليبيا" التي كانت عندئذ تنطبق أولا على منطقة تحركهم ، ثم تدريجيا على كل افريقيا[2].

2-خصائص الليبو:

ورد ذكر "الليبو" في الآثار والنصوص المصرية القديمة ووصفتهم بأنهم كانوا مثل "التمحو" ذوي بشرة بيضاء وعيونهم زرقاء، وشعرهم أحمر، والرأس مزينة بجديلة طويلة تنزل على الصدغ إلى ما بعد الكتف وأن شعر الرأس مقسم إلى خصل بعضها ينزل على الجبهة وبعضها ينسدل إلى الخلف[3]، ويزين الشعر بريشتين، وللرجل دقن صغيرة وشارب كامل، أما صفاتهم المميزة لمظهرهم العام، كانوا يلبسون جلابيب طويلة مفتوحة من الجانب، ويظهر منها أحد الكتفين عاريا، وكانوا يلبسون تحت العباءة قميص يعلو الركبة بدلا من قراب العورة*[4]، وكان الليبو يتميزون بشكل خاص بظاهرة الوشم على الذراع والساق وأحيانا الصدر[5]، وهو عبارة عن رمز الآلهة الليبية "نيت".

أما عن أسلحتهم فمنها القوس والنشاب، غير أن أقواسهم ليست بالأقواس الخشبية البسيطة، ولكنها كانت أقواس مركبة وتظهر المناظر أنها كانت نوع يطلق عليه القوس ذو الزاوية، والسهم كان مصنوعا من حجر النار، كما تظهر المشاهد عدة صور للكنانة وهي على هيئة قربة، كما تبين "مقبرة حتوم" الليبو يحملون عصى رماية في شعائر الآلهة "موت"، كما استعمل الليبو في عهد "رعمسيس الثالث" العربات، فقد غنم منهم 92 عربة، وكانت عرباتهم تشبه العربات المصرية[6]، إلا أن عجلاتهم لها أربع شوكات بدلا من ست في العربة المصرية حينئذ.

د- المشواش(Meshwesh)

1-موطن المشواش: يرجع الباحثون أن المشواش (أو المشوش) سكنوا المناطق الشمالية من الصحراء الليبية، ويرى البعض ومنهم "برستد" و"جاردنر" و"سليم حسن" أن ديارهم كانت تمتد غربا حتى

---

[1]- نقلا عن أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 45.

[2]- فرانسوا شامو، المرجع السابق،ص22؛جيهان ديزانج، المرجع السابق، ص440؛ محمد بازامة، المرجع السابق، ص 84-85.

[3]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 32.

*- يفسر بعض المختصين بأن عدم ارتداء قراب العورة دليل على عدم ختانهم و يعتبرون رجال "الليبو" نجسين، فيعاقبهم الفرعون بقطع عضو الذكر، إلا أن أم الخير العقون ترى أن هذا الرأي غير مصيب، فالعقاب بقطع عضو التذكير عند الفراعنة كان لكل الشعوب ليبيين كانوا أو آسيويين، والدليل على ذلك هو أمر "رمسيس الثالث" في حربه مع المشواش، بقطع أعضاء الذكر عندهم على الرغم من أنهم كانوا يلبسون قراب العورة (أي مختتين حسب تفسير معظم المتخصصين في الموضوع) كما ترى أن الاختلاف في الملابس بين الليبو و بقية الليبيين كان مجرد اختلاف في الأذواق و طراز لبس الليبيين لا علاقة له بالأجساد. عن : أم الخير العقون ، المرجع السابق، ص 46.

[4]- بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 88 ؛ مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 32.

[5]- O.Bates , op-cit , p p 138-140.

[6]- سليم حسن ، مصر القديمة، ج 7، ص ص 51-53.

المناطق التي تمثل تونس الحالية، بحيث يذكر "برستد" :"أن المشواش قطنوا غربي بلاد الليبيين، في الصحراء المجهولة الحد وقتئذ، وقد ذكروا تحت اسم "ماكسيز"، ويعتبرون أصل البربر الذين عمروا شمال افريقيا، والمشواش قوم متمدنون نوعا ما، ماهرون في الفنون الحربية مسلحون جيدا قادرون على القيام بحركات هجومية ضد فرعون مصر[1]؛ كما يحدد "بيتس"[2] موطن المشواش بالمنطقة الواقعة إلى الغرب من "الليبو"، ويرى أنهم اتخذوا الطريق الساحلي في سيرهم من الغرب إلى الشرق.

ومع بداية الأسرة الثامنة عشرة بدأ المشواش يتجمعون حول حدود مصر الغربية طلبا للإقامة الدائمة حول دلتا النيل، وقد صرحوا بذلك بأنفسهم "سنستوطن مصر"[3]، إلا أنهم فشلوا في الوصول إلى الدلتا.

وترى "أم الخير العقون"[4] أن المشواش عادوا أدراجهم ناحية الصحراء الوسطى والرسوم الصخرية شاهد شاهد على استقرارهم بهذه المنطقة ، حيث أنهم في مرحلة الخيول فيما بين 1500-1200ق.م، كان أصحاب هذه الحضارة يركبون العربات، كما امتطوا الخيول أيضا، وأنتجوا نوعا جديدا من الفخار واستقروا حول مصادر الماء في منطقة الأهقار ومناطق أخرى من الصحراء الوسطى، وقد وجد المختصون صلة بين هؤلاء القادمين الجدد وبين قدماء الليبيين أجداد الجرامنت، الذين ظهروا على الرسوم الصخرية، أشكال هندسية رمزية تشبه مثلثين معكوسين، لكن حافظوا على ميزاتهم وهي الريش على الرأس وسلاحهم الرئيسي المتمثل في الدرع الدائري والرمح والخنجر، ثم في فترة لاحقة تزودوا بالسيوف الطويلة، ولا يستبعد أنهم تراجعوا بعد انهزامهم أمام مرنبتاح؛ وهم بيض البشرة ويضعون على رؤوسهم ريش ويلبسون قراب العورة ويتسلحون بالسيف الطويل ويركبون العربات، وهذه الصفات كلها تتجمع في قوم المشواش وحدهم ، في حين أن التمحو لم يمتلكوا العربات والسيوف الطويلة، والريبو لم يرتدوا قراب العورة، أما التحنو فكانوا سمر البشرة ولم يضعوا على رؤوسهم الريش، وبالتالي فإن مصادر المنطقة أي الرسوم الصخرية وكذلك الآثار المصرية تبين بأن هؤلاء المشواش من سكان شمال غرب افريقيا في منطقة تقع غرب بلاد الليبو، وحدود الليبو الشرقية هي مدينة برقة، وأنهم اتخذوا طريقا ساحليا من الغرب إلى الشرق في حروبهم مع المصريين، وقبل الوصول إلى مصر نزلوا في بلاد الليبو أولا، لذلك فهذا المسار يؤكد استقرار قبيلة المشواش في نواحي تونس، لكنهم بعد اندحارهم أمام الجيوش المصرية عادوا أدراجهم ناحية الصحراء الوسطى[5].

رغم أن المشواش فشلوا في الوصول إلى الدلتا عن طريق الحرب إلا أنهم استطاعوا الاستقرار في الكثير من مناطق مصر، منها الواحات البحرية، وقد كان الجيش المصري ابتداءا من الأسرة العشرين يتكون من الليبيين دون سواهم، وقد كان ملوك مصر في ذلك الوقت يقدمون لهؤلاء الجنود هبات من

---

[1]- جيمس برستد، تاريخ مصر من اقدم العصور ،ص 315؛ آلن جاردنر ،المرجع السابق ،ص 312؛سليم حسن، مصر القديمة ، ج7، ص 55؛ Herodote , IV, 191؛ J.Desanges, op cit, p 172.

[2]- O.Bates , op-cit , p 51.

[3]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 30.

[4]- أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 55-57.

[5]- أم الخير العقون ، المرجع نفسه.

الأراض كأجور لهم مما أدى إلى تكون جاليات عسكرية كانت القيادة فيها لليبيين، وكان يرأس كل حامية رئيس ليبي يحمل لقب الرئيس الكبير لـ"ما" اختصار لاسم "المشواش"، وقد وصل بعض العناصر من المشواش إلى مناصب هامة في البلاط الملكي وإلى مراكز القيادة في الجيش[1]، واستطاع واحد منهم "شيشنق" أن يستولي على الحكم في مصر بمجرد وفاة آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وبالتالي استطاع المشواش تكوين الأسرة الثانية والعشرين والاستيطان في الواحة الداخلة وتقدموا منها داخل مصر.

2- صفات قبيلة المشواش:

يظهر المشواش في مناظر معبد مدينة "هابو" أنهم جنس أشقر مثل "التمحو" و"الليبو"، فهم بيض البشرة ذوي شعر أشقر لا بالطويل ولا بالقصير، وقد زين بخصل صغيرة مرسل بعضها على الجبهة والبعض الآخر أسدل على القفا، وأحيانا يقسم إلى ضفيرتين تلفان أمام الأذن وتنتهي نهاية ملتوية على الكتف؛ ويحتفظون بأهم الخصائص التي يميّز بها المصري الإنسان الليبي منذ أقدم العصور، وهي اللحية القصيرة المدببة والأشرطة المتقاطعة على الصدر وقراب العورة والذيل، كما يزينون رؤوسهم بالريش، ويرتدون العباءة الطويلة مثل الليبو، تصل من أحد جانبيها إلى طي الساق وتغطي الكتف اليمنى وجزءا من أعلى الذراع، وفي الجانب الأيسر عقدة عريضة، والذراع كلها عارية، وقد زخرفت العباءة بألوان مختلفة وثبت في نهايتها بشريط مخطط عريض[2]، فملابس المشواش تكاد تكون موحدة بملابس الليبو إلا في شيء واحد وهو أن الليبو كانوا يرتدون قميص تحت العباءة في حين أن المشواش كانوا يرتدون قراب العورة[3] ، كما ذكر "هيرودوت"[4] كذلك أن المشواش كانوا يلونون أجسامهم.

وعليه يرجح بعض العلماء والمتخصصين منهم عالم المصريات "برستد" و"جاردنر"، أن المشواش هم أنفسهم الماكسيين أو الماكسيز[5] الذين أشار إليهم "هيرودوت" بأنهم يقيمون إلى الغرب من بحيرة "تريتونيس"(شط الجريد بتونس)، وهم أصل البربر الذين عمروا شمال افريقيا[6].

وقد استخدم هؤلاء المشواش الذين استقروا في مصر بعد وفاة الفرعون رعمسيس الثالث لقبا هو زعيم المشواش، وكان يختصر في غالب الأحيان إلى زعيم "مش"" MS"، ويعتقد "ج.بويوت" بأن الجذر"MŠ"

---

[1]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص32-33 ؛ فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 48-49.

[2]- M.Georges.Daressy ,Plaquettes émaillées de Médinet-Habou , A S A E,vol 11, le Caire,1911 ,p 57؛سليم حسن ، مصر القديمة ، ج7 ، ص ص 45 -57.

[3]- فرانسوا شامو، المرجع السابق،ص 45؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 32.

[4]- Herodote, IV, 191.

[5]- في حين يرى شامو -و يوافقه في الرأي قزال- بأن الماكسيين ليسوا خلفاء المشواش وأن التشابه في الأسماء وحده لا يكفي للاستناد إلى هذه الفرضيات، ويعتقد أن "المشواش" هم أنفسهم "الأديرماخيداي" الذين تحدث عنهم "هيرودوت"، وحجته في ذلك من قول هيرودوت بأن الليبيين الأقرب دارا إلى مصر، والذين كانوا يقطنون "مراقية" في أيامه، هم "الأديرماخيداي" و أنهم كانوا شديدي التمصر ، لذلك يرى أن الوضع الطبوغرافي، و التشرب الجزئي للعادات و الأعراف المصرية ينطبق تماما على "المشواش" .إلا أن هذا الفريق لم يقتنعنا تماما بما فيه الكفاية ، في حين أن آراء الفريق الأول قد اعتمدت على أقوال المؤرخين الإغريق و بمقارنتها مع الآثار المصرية. أنظر: فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 47؛ جيهان ديزانج، المرجع السابق، ص 441(هامش رقم 45)؛ Stéphane Gsell, histoire ancienne de l'Afrique du nord, tome I, librairie Hachette, Paris , p 354 .

[6]- جيمس برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور، ص 315؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 312.

أو MASS يعني السيد أي الحر والنبيل، ويذهب "بوزنر" إلى أن هذا اللفظ "مش" لا يزال مستخدما لحد الآن في اللغة الترقية، كما يتفق عالم المصريات "بيتس" والمختص بمرحلة فجر التاريخ في المغرب القديم "كامبس" بأن كلمة مشواش من أصل "بربري" وهي MSYالمرادف للكلمة MZGH وقد تحورت عند الإغريق فأصبحت MAZYES ثم MAXYES وفي اللاتينية MAZICES، وهذا اللفظ مثله في ذلك مثل أي لفظ أو اسم، فقد طرأت عليه تغيرات وتخريجات من منطقة لأخرى ، فأمست:

- MUSAGH: عند بربر غرب فزان.
- IMAZIGH: منطقة العير.
- TA-MAZIGHT: في أدرار.
- I-MAZIGHEN : الريف المغربي.
- I-MAZIGHEN : الأوراس.

أما الجذر الحامي "MZGH" فهو يعني حسب "بيتس" النبيل و الحر[1].

أما أهم أسلحتهم، فقد عرف المشواش باستخدام السيوف الطويلة، التي كانت تشمل نصلا من المعدن ومقبضا من الخشب، وكان طولها عظيما جدا، وهم من الأقوام التي عرفت صناعة المعدن حسب المصادر المصرية حيث غنم مرنبتاح في حربه مع الليبيين عدد كبير من السيوف حوالي 9111 سيفا برونزيا، كما استولى رعمسيس الثالث على نوعين من السيوف، النوع الأول وهو عبارة عن 115 سيفا بطول خمسة سواعد، والنوع الثاني 124 سيفا بطول ثلاثة سواعد[2].

كما استعمل المشواش العربات الحربية، وقد ذكر رعمسيس الثالث في قائمة غنائمه أنه استولى على 92 عربة[3] و 184 حصان، وتبدو هذه العربات في نقوش معابد مدينة هابو أن عجلاتها بها أربع شوكات، يجرها زوج من الأحصنة، وهي تشبه العربات المصرية، إلا في عدد الشوكات تختلف عنها، إذ العربات المصرية بها ست شوكات[4].

وإذا رجعنا إلى متحف الهواء الطلق في كل من مرتفعات الأهاغار والتاسيلي وبعض مرتفعات الأطلس الصحراوي، نجد رسومات العربات بأعداد كثيرة، وخاصة النوع الذي أطلق عليه "هنري لوت" العربات

---

[1]-نقلا عن أم الخير العقون ، التقويم الأمازيغي و الفرعون شيشنق، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة العلوم الإنسانية و العلوم السياسية وهران 1 أحمد بن بلة، العدد 3 ، رقم 6، وهران، 2015، ص ص 18-19. أنظر: O.Bates, op-cit, p 47 ; G.Camps, les berbères « mémoires et identités, 2ème édition , Paris, 1987, p 15.

[2]- O. Bates, op-cit , p p 217-225.

[3]- في حين يذكر "برستد" و"بيتس" أن عدد العربات التي استولى عليها رعمسيس الثالث 93 عربة حربية. أنظر: James Henry Breasted , Ancient records of Egypt , vol IV, the university of Chicago press , Chicago , 1906, para 111, p 66 ;O.Bates , op-cit , p 225.

[4]- سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص 53؛ William.F.Edgerton.John.A.Wilson, historical records of RamsesIII the the texts in madinet Habu , studies in ancient civilization , n°12, vol I and II , the oriental university of chicago press, Chicago , 1936, p66.

الطائرة التي تسابق الرياح، وقد انكب على دراسة هذه الرسومات عدد من المتخصصين وجمعوها في مرحلة "العربات" وتليها مرحلة الخيالة[1]، ويؤرخ للأولى فيما بين 1500–1200 ق.م.

تبيّن رسومات العربات في الصحراء الوسطى نوعان من العربات: واحدة تجرها أربعة أحصنة أو أربعة ثيران، وهي ثقيلة الوزن، استخدمها أصحابها لنقل البضائع، ويمتطيها أكثر من راكب؛ وعربات أخرى يجرها زوج من الأحصنة كما ورد في نصوص مدينة هابو، وهذه خفيفة الوزن ذات عجلتين يمتطيها شخص واحد قد تكون استعراضية يمتطيها الحكام ونبلاء القوم أو تكون حربية أو للتدريب[2].

أثارت هذه العربات وأشكالها وأنواعها ومجال استعمالها، وخاصة أصلها ومصدرها جدلا بين الباحثين[3]، فربطها بعضهم بظهور المعادن وظهور شعب جديد في المنطقة، وأن شعوب البحر من علم الليبيين استخدام العربات أولا على حدود مصر، ثم بعد ذلك عبر الصحراء، لأن أصحاب هذه العربات كانوا بيض البشرة، زرق العيون، مسلحين برماح رؤوسها معدنية، وسيوف وخناجر، وهذه كلها مواصفات المشواش كما تبينهم الآثار المصرية، رغم أنه لا يوجد سوى قليل من التشابه بين صور العربات الصحراوية والإيجية[4].

وبالتالي وحسب ما بينته المصادر المصرية، التي عرفتنا بعربات الليبيين المشواش من خلال غنائم رعمسيس الثالث، وفيما بعد المصادر الاغريقية التي عرفتنا بعربات الجرامنتيين، على أنها عربات تجرها أربعة أحصنة كما وصفها هيرودوت[5]:" بأن الجرامنتيين كانوا يتعقبون الاثيوبيين التروقلوديت على عربات تجرها أربعة من الأحصنة". كما اعترف "هيرودوت"[6] بأنّ الليبيين في برقة علّموا الإغريق كيفية قيادة عربات تجرها أربعة أحصنة (أنظر الشكل رقم 2).يتبين أنه فيه فرق بين العربات الصحراوية والعربات الحربية في العصور القديمة؛ وبالتالي يتبين مدى ضعف حججهم.

---

[1]- للمزيد حول دراسة رسومات عربات الصحراء، و حول مرحلة العربات و مرحلة الخيالة أنظر: H.Lhote,les chars sahariens des Syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, Paris, 1982 .et voir aussi Taklit Mebarek Slaouti , les Amazighs en Egypte des temps les plus reculés aux dynasties Amazighes ,editions ANEP , 2016, p p 71-104.

[2]- أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم ، ص 105.

[3]- يعتقد "لوت" بأن أقواما شمالية (كريت) قد نقلوا لسكان شمال افريقيا الدروع المستديرة والرماح المعدنية والحصان والعربة، ويشاطره هذا الرأي "بيتس" الذي يرى أيضا بأن الليبيين قلدوا الكريتيين حتى في طريقة قيادة العربات الطائرة التي تظهر بوضوح في الرسم "المكيني"؛ غير أنّ هناك فريق ثان وعلى رأسه المتخصص في موضوع الأحصنة والعربات في الصحراء J.Spruyte "الذي تمكن من إعادة بناء نموذج لعربة من الخشب، استنادا إلى الرسوم الصخرية الكثيرة العدد، المتنوعة الأشكال، دون استخدام قطعة معدنية واحدة، وقد كانت مصطبتها مصنوعة بسيور جلدية مظفورة، وبالتالي فعربات الصحراء الوسطى لا يتطلب صنعها استخدام المعادن(البرونز)؛ والأحصنة أغلبها بربرية، ويتم كبح جماحها عن طريق ربط بعضها إلى البعض وليس عن طريق وضع نير على رقابها، ورغم أنها تظهر في وضع منبسط(الركض الطائر)، فإن عراقيبها وركبها لا تظهر، وفي الوثائق الإيجية، زيادة على ذلك، يختلف(الركض الطائر) على وضع الأحصنة المكبوحة باللجام. وبهذا فإن العربات الصحراوية تتميز بشكلها الخاص باعتبارها إلى حد ما عربات "رياضة. للمزيد أنظر: أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم، ص 106؛ H.Lhote, les Touarregs du Hoggar, Payot , Paris , 1955, p 102 ;J.Spruytte, Le cheval de l'Afrique ancienne, le Saharien,48 ,1968, p p 32-42.

[4]- جيهان ديزانج، المرجع السابق ، ص 441.

[5]- Herodote, livre IV , 189.

[6]- Ibid

وهناك من المختصين من يعتقد بأن العربات الليبية ثمينة ومكلفة بالنسبة لشعوب بربرية – حسب رأيهم– وأنها كانت هدايا قدمها لهم المصريون عربون محبة لإسكاتهم و للحفاظ على الأمن[1]، في حين ترى "أم الخير العقون"[2] أن هذا الكلام غير مقنع لأن الهدية تقدم عادة للصديق أو لطرف هو أقوى بقصد كسب وده، في حين أن المعلوم تاريخيا أن المشواش كانوا أعداء مصر، وأن رعمسيس الثالث من أقوى فراعنة مصر ولم يكن في حاجة لطلب ودّ الليبيين، لذلك تعتقد أنها كانت سلعة يتبادل بها المصريون مع الليبيين مقابل الذهب والعاج وسلع افريقيا التي كانوا وسطاء في تجارتها.

كما يفترض "هوارد" و"ليكلان" أن العربات الصحراوية المنتظمة ظهرت كتقليد للعربات المصرية، ولكنها سريعا ما صارت عربات رياضة ولهو وترف وأبهة بعد أن طرأ على شكلها تطور لم يتضح لنا بعد[3].

استخدم المصريون القدماء العربة من النوع الذي يجرّه حصانان ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة، بعد أن أدخلوا تعديلات كثيرة على عربة أعدائهم الهكسوس، وما يفرق العربة المصرية عن عربة الصحراء الوسطى أنّ العجلة بها ستة محاور (وكانت أقل في وقت سابق)، في حين عجلة عربة الصحراء بها أربعة محاور فقط، كما أنّ العربة المصرية يمتطيها شخصان، قائد العربة وإلى جواره جندي، في حين يمتطي عربة الصحراء تلك المرسومة على جدران معابد الكرنك ومدينة هابو، أنه يدخل في تركيبها المعادن عكس العربة الصحراوية التي صنعت من الخشب فقط وكان تصميمها بسيطا جدا، وقد صنعت طبقا لأصل فني ثابت[4].

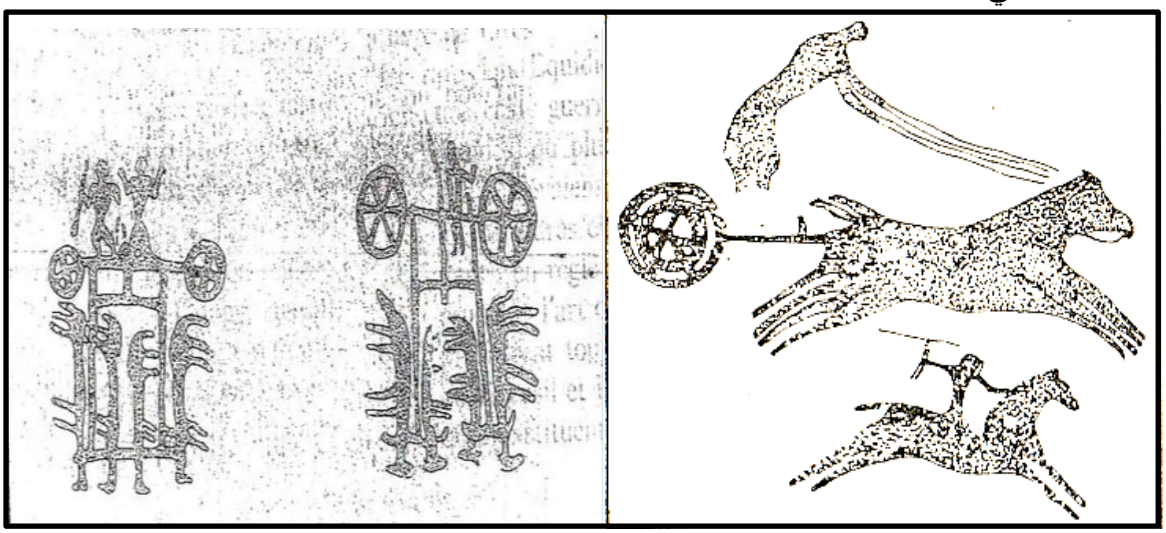

العربات الطائرة (تاسيلي أن أجار) و عربات تجرها أربعة أحصنة كما وصفها هيرودوت (فزان)

الشكل رقم 2: نقلا عن: أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم، ص 116–117.

[1]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 54.
[2]- أم الخير العقون، المرجع نفسه، ص ص 54-55.
[3]- نقلا عن جيهان ديزانج، المرجع السابق، ص 442(هامش رقم 53).
[4]- أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم، ص 106-107 ؛أنظر أيضا: جيهان ديزانج، المرجع السابق، ص 442 ؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص 53؛ Edgarton.Wilson, op-cit, p 66.

وما يمكن استخلاصه هو أنّ الرسوم الصخرية في الصحراء الوسطى عموما تبيّن لنا بأنّ العربة على ما يبدو أصيلة في المنطقة، تختلف عن العربة المصرية والإيجية على حد سواء، إلا أن احتمال حدوث تأثيرات وارد ولا نستطيع نفيه بالكامل، لأن المنطقة كانت مفتوحة على جيرانها وخاصة المصرية، إذ كانت فيه علاقة تأثير وتأثر بينهما، ويمكن تفسير الاختلاف بين العربتين لضرورة اقتضتها تضاريس كل منطقة[1].

لقد تعرضنا بالذكر إلى القبائل الليبية الأربعة الرئيسية، والتي كانت قبيلة المشواش آخر قبيلة ليبية ورد ذكرها في الآثار المصرية– فضلا عن القبائل الصغيرة مثل قهق واسبت وبكن..– والتي من خلال النقوش والنصوص المصرية تمكنا من معرفة أخبار هذه القبائل وسماتهم الشخصية ومواطن سكنهم وأزيائهم وعلاقاتهم الحضارية بالمصريين؛ وبعد المحاولات الليبية الحربية التي باءت بالفشل حسب ما جاء في النقوش والنصوص المصرية، فإن هذا لم يمنعهم من إعادة المحاولة والدخول إلى مصر والاستقرار فيها، بل وتمكنوا في النهاية أن يحققوا سلما ما فشلوا في تحقيقه حربا، ألا وهو ارتقاء العرش المصري من قبل أحد أفراد قبيلة المشواش "شيشنق الأول" وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين الليبية.

ثانيا: العلاقات المصرية بالقبائل الليبية من خلال المصادر المصرية القديمة

حينما نتحدث اليوم عن بعض الأقاليم نرسم لها حدودا معينة تامة الوضوح تنطبق على ما نشاهده في الخرائط الجغرافية المختلفة، غير أن هذا الأمر في الأزمنة القديمة يختلف، إذ المدلول الجغرافي لأسماء الأقاليم والدول لم يكن محددا واضحا، بل كانت البلاد تسمى غالبا باسم الشعب الذي يسكنها، "فليبيا هي التي يسكنها الليبيون، ومصر هي التي يسكنها المصريون "[2]، ففي أقدم العصور لم تكن هناك حدود جغرافية واضحة بين ليبيا القديمة ومصر.

وبالتالي فمن الأمور الشائكة التي تعترض سبيل الباحث في تاريخ ليبيا القديم هو تمييز وتبيان حدود ثابتة لذلك الإقليم أو البلد الذي أطلق عليه قدماء المصريين اسما عاما[3]هو "أمنت" "[4] بمعنى الغرب دون ذكر حدود معينة أو إلى أي مدى تتوقف هذه البلاد، "فليبيا" في عصور ما قبل التاريخ وعصر ما قبل الأسرات المصرية، لم تكن معروفة الحدود لا من الشرق ولا من الغرب ولا من الجنوب[5]، والسبب في ذلك قد يكمن في أن العلاقات الداخلية الأصلية التي كانت تربط أحد البلدين بالآخر منذ عهد ما قبل التاريخ كانت تتعدى تلك العلاقات السياسية الظاهرة التي نراها في العهد التاريخي، ففي غضون

---

[1]- أم الخير العقون ، من مصادر تاريخ المغرب القديم ، ص 107.

[2]- محمد مصطفى بازامة ، المرجع السابق ، ص 75 ؛ عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 17 .

[3]- أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 15 – 14 .

[4]- هو أقدم ما جاء في النقوش المصرية للدلالة على الغرب، وقد دل عليها في الكتابة المصرية القديمة رسم ريشة النعام، و هذه الريشة هي الحلية التقليدية المميزة التي لازمت رأس الليبي، وفي جميع مراحل التاريخ الفرعوني تقريبا . أنظر : محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص 76 .

[5]- محمد مصطفى بازامة ، المرجع نفسه ، ص 78 .

عصر ما قبل التاريخ ثم عصر فجر التاريخ، كانت شمال افريقيا بمثابة فضاء واسع تتنقل عبره القبائل والمواشي، ولم تكن الصحراء قد أخذت صورتها النهائية بعد، وبالتالي لم تكن تمثل عائقا أو حاجزا طبيعيا أمام تنقلات هذه القبائل[1]؛ لكن الأمر بدأ في التغير مع التراجع السريع للمناخ ابتداءا من الألف الرابعة كان من نتائجه تحرك الانسان ومع ظهور مؤسس الدولة المصرية "مينا–نعرمر" الذي وضع حدودا سياسية، فوجدت القبيلة الواحدة بعض فروعها خارج هذه الحدود ومن بقى داخل حدود الدولة الناشئة أصبح له انتماء و وطن وحدود، أما من وجد نفسه خارج هذه الحدود ولغاية المحيط الأطلسي، وقد اتخذت نمط حياة خاص بها؛ وهنا تبدأ النصوص المصرية الحديث عن الليبيين ومحاولاتهم الأولى الدخول إلى مصر[2].

مازالت الأرض الليبية صامتة فيما يختص بتاريخ ليبيا قبل نزول الفينيقيين والإغريق على أرضها ، مما جعل البعض يرجح خلو هذه الأرض من الوثائق – باستثناء الرسوم الصخرية – ولذلك فإنه ليس أمام أي باحث في تاريخ ليبيا القديم، إلا الاعتماد على المصادر والوثائق التي قدمها المصريون بتسجيل أخبارهم وأخبار جيرانهم منذ أن بدأوا تسجيل الأخبار في فترة ما قبل الأسرات، فقد زودونا بأسماء القبائل الليبية، وملامحهم، لباسهم، عاداتهم، وأخبارهم الحربية[3]، ورغم أن هذه المصادر المصرية[4] مليئة بالفجوات والثغرات فهي لم تهدف في المقام الأول إلى تسجيل جوانب غيرها من الشعوب المجاورة وانما جاء ذلك

---

[1]- أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية ، ص 14 .

[2]- محمد الهادي حارش ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة ، الجزائر، 2013، ص 33 .

[3]- أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق ، ص 26 – 27 .

[4]- بالإضافة إلى المصادر المصرية القديمة، يعتبر الكتاب المقدس من المصادر التي يعتمد عليها في البحث عن التاريخ الليبي القديم، حيث نجد ذكر لاسم ليبيا في صيغ وأشكال مختلفة مثل "لهابيم " أو "ليابيم"، و"لوبيم". أنظر: الكتاب المقدس، ط3، دار المشرق، بيروت، 1994، سفر التكوين الاصحاح 10-الآية 13؛ سفر دانيال الاصحاح 11 الآية 43؛ سفر الأخبار الأول 1-11، سفر الأخبار الثاني 12- 2. كما نجد أن المصادر الكلاسيكية من كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان هي الأخرى تحدثت عن ليبيا والليبيين، إذ شاعت تسمية ليبيا عند الاغريق كتعبير جغرافي للدلالة على الاقليم والقارة معا دون مصر فقد وردت باسم "ليبوس" حيث نجد ذكر اسم ليبيا عند "هوميروس" في ملحمته الأوديسة وهو يستخدم اللفظة للدلالة على ليبيا كإقليم، وعندما تعرض لليبيين أي السكان أطلق عليهم اسم اللوتوفاجي أي آكلي نبات اللوتس.عن بازامة، المرجع السابق،ص 31. ويذكر "هيرودوت" أن ليبيا يحيط بها البحر من جميع الجهات الا من جهة اتصالها بآسيا والحدود بينها وبين آسيا هي مصر ويحدد سواحلها الشمالية بأنها تطل على البحر المتوسط ابتداءا من مصر حتى رأس سولويس . أنظر :

Hérodote, livre IV, paragraphes 41-42 .voir aussi Pline l'ancien , histoire naturelle , livre V , texte établi et traduit par Jehan Desanges,les belles lettres,paris,1980,1. et Hérodote , livre II , paragraphe 32 .

و حول أصل السكان يقول "هيرودوت " أن ليبيا تقطنها أربع أمم اثنتان أصليتان واثنتان غير أصليتين، فالليبيون في الشمال والأثيوبيون في الجنوب أصليون، أما الفينيقيون والاغريق استقروا فيها فيما بعد. أنظر: Hérodote , IV , 197 .

كما نعثر على مصطلح ليبيا والليبيين في النقوش البونيقية والبونيقية الجديدة وذلك بصيغة "LBY" "LBT" "LWBYM" "LWBAT" غير أنه في الفترة الرومانية حل اسم افريقيا محل ليبيا عندما أطلقه الرومان على المناطق التي خضعت لسلطانهم، بعد القضاء على قرطاجة أصبحت تسمى ولاية افريقيا وقد اشتق هذا الاسم من اسم "إفري" التي تعني المغارة أو الكهف (أي سكان الكهوف و المغارات) أنظر : François Decret et Mhamed Fantar , l'Afrique du nord dans l'antiquité histoire et civilisation des origines au V^e siècle , payot , Paris , 1981 , p p 15 – 25 .

اقتصر اسم ليبيا على المنطقة الواقعة إلى الشرق من ولاية إفريقيا الرومانية ؛ ليتسع مدلول مصطلح افريقيا وأصبح يطلق على كامل القارة و يتقلص مصطلح ليبيا و الليبيين بعد ذلك شيئا فشيئا حتى أصبح مقتصرا على دولة ليبيا حاليا.

متضمنا تسجيلها لجوانب الحياة المصرية لأن التقليد السائد عندهم أن يسجل الفرعون أخبار انتصاراته أو أمجاده وليس كل تاريخه ، فهذه المصادر عبارة عن أخبار تمثل وجهة نظر غير الليبيين فلا تخلو من كثرة المبالغات[1]، ومع ذلك فليس أمام الدارس للتاريخ الليبي في فترة فجر التاريخ الا أن يستخلص من هذه المصادر ما أمكنه ، وأن يعطي صورة عن الليبيين آنذاك يملأ بها الفراغ الذي خلفه عدم العثور في ليبيا على نحت أو نقش يعطي صورة لما وجد في هذه الوثائق[2] باستثناء الرسوم الصخرية، على أمل أن تساهم هذه الأخيرة كمصدر موضوعي وخام، خلفه لنا سكان المنطقة – أسلافنا من القبائل الليبية– في توضيح بعض النقاط، وأن يكون أكثر نفعا لنا وأجدى، ويجب الانكباب عليه والاستعانة به في تحديد أماكن استقرار القبائل الليبية وملامحهم الجسمانية، وتبيان أنماط معيشتهم ونشاطهم إن أمكن ذلك[3]، ونقارن بينها وبين النصوص المصرية لنطمئن إلى صحة معلوماتنا ودقة أحكامنا.

I– المصادر المصرية القديمة:

أ– مصادر ماقبل وبداية الأسرات :

إن الشواهد الأثرية التي ترجع إلى فترة قبيل الأسرات تعتبر أول المصادر المصرية التي تشير إلى الليبيين، وما يمكن ملاحظته أن هذه المصادر جميعها ما هي الا مناظر عامة لا تصحبها نصوص حيث أن الكتابة المصرية لم تكن قد اكتملت بعد، أما الملاحظة الثانية فهي أن الاتجاه العام في هذه المصادر جميعها عبارة عن مناظر حربية تشير الى معارك بين فريقين، فريق اتخذ هيئة المصريين وفريق آخر اتخذ صفات الليبيين الذين صورهم المصريون على آثارهم في العصور التاريخية[4]، كما رسمهم الفنان المصري القديم بنفس الملامح التي رسمها الفنان الليبي القديم في مرتفعات التاسيلي والأهغار.

1– مقبض سكين جبل العركي : أول هذه المصادر مقبض سكين (أنظر الصورة رقم 1) تم العثور عليه في منطقة جبل العركي باتجاه نجع حمادي في الصحراء الشرقية بمصر يعود الى حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد[5]، وقد نقش على أحد جانبيه معركة برية بحرية بين فريقين أحدهما مصري والآخر اعتبره الباحثون ليبي بسبب ارتدائهم لقراب ستر العورة ولأنهم أرسلوا شعورهم الطويلة وجعلوا جدائل منها تتسدل على جانب الرأس وهذه كلها صفات رسم بها المصريون الليبيين في العصور اللاحقة[6] ، وهذه الصفات شبيهة بصفات سكان الصحراء الكبرى التي توجد رسومها على النقوش الصخرية بالتاسيلي وفزان، كما يفترض الباحثون أن المراكب الممثلة في رسم المعركة البحرية من مراكب السواحل المصرية

[1]- رجب الأثرم ، المرجع السابق ، ص 163 .
[2]- أحمد عبد الحليم دراز ، المرجع السابق ، ص 27 .
[3]- أم الخير العقون ، دولة الامازيغ ، ص 15 – 16 .
[4]- أحمد عبد الحليم دراز ، المرجع السابق ، ص 27 .
[5]- فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 26 – 27 .
[6]-عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 50 .

الشمالية الغربية القريبة من الحدود الليبية ، بالإضافة إلى وجود صورة لمركب تشبه هذا الوصف على لوحة القربان التي عثر عليها "هنري لوت" في التاسيلي[1] .

الصورة رقم 1: مقبض سكين جبل العركي

عن :الموقع الالكتروني the art temple encyclopedia / Pharaonic

2- لوحة الصيد :

تعرف أيضا بلوحة صيد الأسود، وهذه اللوحة مجزأة إلى مقاطع بعضها يوجد بمتحف اللوفر بباريس، وبعضها الآخر محفوظ بالمتحف البريطاني بلندن[2]، وقد نقش على أحد وجهها جماعة من الصيادين ملتحين يضعون ريشة أو ريشتين في شعورهم ويرتدون قراب العورة- وهذه الصفات اتخذها الباحثون كعلامات لليبيين القدماء – انتظموا فيما يشبه الفرق العسكرية حاملين علامة الاقليم التي تمثل الصقر، وأسلحة من سهام وأقواس وحراب وعصي الرماية ومقامع[3]، يبدون وهم يهاجمون حيوانات الصحراء بنجاح، وفي المنظر أسدان مرشوقان بالسهام وحيوانات أخرى، ولعل أهم ما يلفت النظر في هذه اللوحة صفات هؤلاء الرجال فهم ملتحون وفي شعرهم ريش وهناك ذيول متصلة بنقبهم القصيرة، وكانت الذيول ميزة خاصة بالفراعنة أنفسهم ولم تعرف لدى غيرهم إلا في صور الليبيين المقهورين المرسومة على معبد الفرعون "ساحورع"، وهؤلاء الرؤساء الليبيون أنفسهم يلبسون قراب ستر العورة، ولهم كذلك خصلة شعر غريبة صغيرة فوق مقدمة رؤوسهم تذكرنا بالصل (الكوبرا) على جبهة الفرعون، لذا تساءل "جاردنر"[4] عما عما إذا كان من الممكن أن يكون ملوك ما قبل الأسرات في مصر السفلى أو في غرب الدلتا من أصل ليبي، وأن حكام الأرضين المتحدتين فيما بعد ورثوا عنهم الذيل والصل.

---

[1]- أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 28 . انظر : عبدالعزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة، 1980 ، ص ص 187 – 189 ؛ هنري لوت، لوحات تاسيلي، ترجمة زكي حسن ، طرابلس، 1968، ص 212 .

[2]- فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 27 .

[3]- Taklit Mebarek Slaouti , op-cit , p 109 .

[4]- آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 427 – 428 .

3- لوحة الأسد و العقبان : يوجد جزء من هذه اللوحة بالمتحف البريطاني والآخر في متحف أشموليان بأكسفورد (أنظر الصورة رقم 2)، وتروي هذه اللوحة مصادمات بشرية محضة ولكن بأسلوب رمزي ، حيث تصور محاربين يبدو من ملامحهم أنهم ليبيون فهم ملتحون وشعرهم طويل ويرتدون قراب العورة[1].

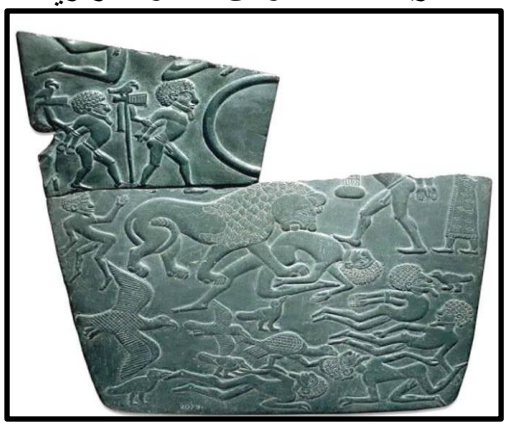

الصورة رقم 2: لوحة الأسد و العقبان

عن: الموقع الالكتروني /civilizationlovers.files.wordpress.com

وقد ظهر إلى جانبهم لواءان للمعبودين "حور" و "تحوتي"[2] ؛ وجد على أحد وجهي اللوحة شكل أسد ضخم غاضب- الأسد يرمز للملك المصري لأن المصريين يصفون ملوكهم بالأسود- يمزق صدر عدو عار إلا من جراب العورة ، يتلوى جسده على الأرض في قسوة بالغة ، وتوزعت حول الأسد وفريسته بقية مفردات المعركة[3]، وحولهم تناثر في ساحة القتال بعض الرجال الصرعى أو الأسرى من نفس الأعداء لأنهم يتسمون بسمات مشتركة ، انقضت عليهم بعض الصقور تنهش وتمزق أجسادهم، كما تبين اللوحة رسما يمثل الجزء السفلي لجسد أحد الأسرى وقد قيدت يداه خلف ظهره وهو يتقدم شخصا ما يرتدي ثوبا ذا أهداب ومطرزا بأشكال بيضاوية، ولقد أقر وأكد المنبت الليبي[4] الذي ينحدر منه أصل هذا الرجل خاصة بسبب ردائه المتميز وأيضا لوجود أحد العلامات الهيروغليفية التي تمثل الليبيين والتي تنطق بالتحنو[5]، ولا ريب أن هذا النقش البارز يثبت قيام الصراعات والنزاعات القديمة التي وضعت بصماتها على القبائل بوادي النيل قبل ظهور النظام الملكي بوقت بعيد، وبوجه خاص يعبر هنا عن انتصار احدى القبائل الليبية على سكان الدلتا.

4- لوحة الحصون و الغنائم : تسمى أيضا لوحة الليبيين أو لوحة الضريبة الليبية أو لوحة التحنو(أنظر الصورة رقم 3)، عثر عليها في مقبرة ملكية للملك "وازي"-الملقب بالعقرب- بأبيدوس من مصر العليا، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة، وفي هذه اللوحة نجد أقدم نص مدون في صورة لهراوة مثبتة على قاعدة رأى فيها علماء الآثار المصرية رمزا هيروغليفيا قرأوه على أنه "تحنو" في أقدم تركيب له في الهيروغليفية[6]، ويظهر على أحد وجهي هذه اللوحة سبعة مربعات تمثل بعض الحصون

---

[1]- نيقولا جريمال ، المرجع السابق ، ص 48 .

[2]- مصطفى كمال عبدالعليم ، المرجع السابق ، ص 11.

[3]- محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 100-101.

[4]- و هذا ما اقترحه "جاك فانديه " حول تلك الشخصية التي تظهر في اللوحة و اعتبره أمير ليبي يدفع أسيرا أمامه . عن : J.Vandier , manuel d'archéologie égyptienne , tome 1, les époques de formation – la préhistoire , les trois premières dynasties , picard , Paris , 1952 , p 586 .

[5]- كلير لالويت، الفن و الحياة في مصر الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2003 ، ص 151 ؛ J.Vandier , op-cit , p 586

[6]- محمد مصطفى بازامة ، المرجع السابق ، ص 79.

والقلاع، وقد أحيط كل منها بجدار مسنن الحافة، وبداخل كل من الساحات التي تحيط بكل حصن سطرت بعض المربعات الأقل حجما وقد تأثرت بأماكن متعددة ، وربما أنها تشير إلى المساكن القائمة بتلك المدينة وبجوارها نلاحظ علامة هيروغليفية تعبر عن اسم كل هذه الحصون، ونجد كلا من هذه القلاع قد دمرت بضربات المعاول والمعازق التي سددها إليها عدد من الحيوانات على التوالي: صقر وأسد وعقرب وصقرين[1]، وهذه الحيوانات المصورة قد تكون بمثابة رموز لبعض الآلهة أو رموز للمدن نفسها، أو أنها حليفة ومعاونة لهذا الملك المنتصر، وأنه يكون مجرد احياء لذكرى انتصار أحد الملوك على عدد من القلاع وحصون أعدائه[2]، أو أن الموضوع برمته يصور أحد الملوك في هيئات مختلفة وأسماء متباينة إذ الصقر والأسد هما رمزان للملك المحارب أما العقرب نسبة إلى الملك العقرب لأن اسمه يكتب بواسطة شكل هذا الحيوان وهو يختتم أحد انتصاراته بهدم قلاع وحصون البلاد المعادية التي قام بغزوها[3].

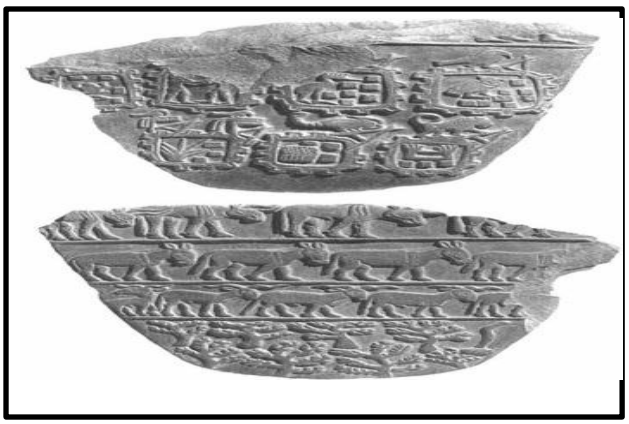

الصورة رقم 3 : لوحة الحصون و الغنائم(التحنو)

عن: J.vandier, manuel d'archéologie , p 590

أما الوجه الآخر من اللوحة فظهر به ثيران وحمير وخراف تسير في أمان متجهة إلى اليمين ولكل نوع منها نهر خاص به، أما في نهاية اللوحة من أسفل فأشجار يفترض أنها أشجار زيتون، وإلى جانب الأشجار توجد علامة تعني بلاد "تحنو" وهي أرض الليبيين المعروفين باسم "جحنيو"(تحنو)[4]، "جحنيو"(تحنو)[4]، فالماشية عبارة عن غنيمة والأشجار يستخرج منها زيت تحنو الذي كانت له قيمة كبيرة. كبيرة.

تعتبر لوحة الغنائم والحصون أقدم وثيقة تبرهن لنا عن وجود ليبيا كأرض معروفة ومعمورة منذ حوالي ستين قرنا، وتتزامن مع بدايات الحضارة المصرية القديمة وبالتالي فهي تخرج ليبيا وأيام حكم التحنو من ظلام ما قبل التاريخ، ومن مزايا هذه اللوحة ابراز بعض العلامات الأكثر قدما في الكتابة المصرية القديمة، انها المرة الأولى التي يشار فيها إلى بلد أو إلى شعبه، وإنه لذو مغزى أن البلد أو الناس الذين تمت الإشارة إليهم هم بالذات الليبيون ، فإذا كانت الهوية المزعومة لهذه المدن لها أساس من الواقع فإنما يجب أن نعتبرها صادقة خصوصا بالنسبة للمدن الموجودة على الشاطئ الغربي لنهر النيل ، حيث يمكن

[1]- كلير لالويت ، المرجع السابق ، ص 151 .

[2]- J.Vandier , op-cit , p 591 .

[3]- كلير لالويت ، المرجع السابق ، ص 152 .

[4]- آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 427 .

أن تكون مدنا ليبية في عصر ماقبل الأسرات، وقد غزاها الملك العقرب وأجلى سكانها التحنو[1]، وتتأكد هذه الفرضية مع المرحلة اللاحقة وهي مرحلة بداية الأسرات في تاريخ مصر أو مرحلة التأسيس التي تبين بوضوح استعادة الليبيين أراضيهم في مصر وردع الفراعنة لهم.

5- الأسطوانة العاجية للملك نعرمر و صلايته : تظهر تسمية "التحنو" بالهيروغليفية ثانية على أسطوانة من العاج تم العثور عليها في مدينة "هيراكونوبوليس"(الكوم الأحمر شمال إدفو بصعيد مصر) تحمل اسم الملك نعرمر (أنظر الصورة رقم 4)، و أمامه نقشت صور أعدائه المكبلون بالأغلال نقش فوقهم لفظة "تحنو" والمقصود بها أنهم سكان "بلاد تحنو"[2]؛ ونتساءل هل نفهم من هذا الشاهد أن الليبيين كانوا من بين سكان الدلتا الذين كان ينبغي لنعرمر محاربتهم أثناء محاولته توحيد البلاد في مملكة واحدة؟ إذا سلمنا أنّ ثمة عناصر ليبية قدمت من ليبيا واستقرت في غربي الدلتا ، فإنه يتحتم علينا أن نرجح أنّ الليبيين التحنو كانوا بالفعل عنصرا متميزا بين سكان الوجه البحري[3]، وعليه يرى "جيمس هنري برستد "

الصورة رقم 4: صلاية الملك نعرمر الوجه و الظهر و رأس مقمعته.

عن: الموقع الالكتروني www.propaganda-eg.com

ويوافقه في الرأي "آلن جاردنر"[4]، أنّ مملكة الوجه البحري كانت تحت حكم ملوك من ليبيا، فقد أشارت أقدم أخبار الوجه البحري إلى منازعات ومشاحنات مستمرة مع الليبيين، كما أنّ هذه المملكة انصبغت بصبغة هؤلاء القوم، كما أن معبد مدينة صان الحجر (سايس) الواقعة غربي الدلتا والمعتبرة مركز النفوذ الليبي، سمي قديما "بقصر ملك الوجه البحري"، ثم إن رمز معبودة ذلك المعبد وهي "نيت" استعمل في الوشم كثيرا على أذرع الليبيين، فلا يبعد أنّ "صان الحجر" كانت وطنا لملك ليبي قديم.

أما "صلاية نعرمر"-المعروفة بلوحة التوحيد- المحفوظة في متحف القاهرة تحت رقم 3055 المرحلة الأخيرة من الوحدة، وقد دوّن على سطح ظهر الصلاية اسم الملك بواسطة علامتين هيروغليفيتين:

---

[1]- للاستزادة أكثر أنظر: أم الخير العقون ، دولة الامازيغ ، ص 106 – 107 .

[2]- فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 28 .؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص 22 – 23 .

[3]- مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق ، ص 12 ؛ Taklit Slaouti , op-cit , p 111

[4]- جيمس برستد، تاريخ مصر من اقدم العصور، ص 21؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 427 – 428 .

السمكة "نعرمر" والازميل "مر"[1]، داخل اطار مستطيل يرمز الى واجهة قصره (السرخ)، وظهر على جانبي الاسم رأسان للمعبودة "حتحور"[2]، وفي أسفلها منظر للملك نعرمر في قوام ممشوق ، وحجم كبير عن أحجام المصورين حوله، وقد ظهر بتاج الصعيد وهو يأخذ بناصية زعيم خصومه من الليبيين ويهم بضربه بمقمعته، وظهرت أمام الأسير علامتان كتابيتان تعبران عن اسم منطقته التي يحتمل أن اسمها "وع" أو "وعش"، وتكون اسم منطقة الأسير من صورة خطاف وحوض ماء أو ترعة ماء وهو ما يشير إلى أعدائه الليبيين، وذلك لأن الخطاف ظل في النقوش المصرية القديمة رمزا لأقصى الأقاليم الشمالية الغربية للدلتا على حدود الصحراء الليبية[3] .

كما ورد على الآثار أن الملك "نعرمر" شنّ غارة على الليبيين غربي الدلتا وأسر منهم حوالي مائة وعشرين ألف نسمة عدا مليون وأربعمائة وعشرين ألفا من الأغنام وأربعمائة ألف من البهائم[4].

وفي أيام الأسرة الثانية تعرضت مصر إلى اضطرابات وقلاقل داخلية وخارجية، أدت الى انفصال الدلتا عن الصعيد، فقد حدث في عهد الملك "نتر"(نثرن أو نثريمو) وهو الملك السابق للملك "بر–اب–سن" أن هاجم الليبيون أرض الدلتا واحتلوها عنوة وانفصلوا بها عن الصعيد[5]، فلما أعقبه "برايبسن" لم يحكم غير الصعيد، ثم خلفه "خع سخم" الذي هاجم أراضي الدلتا وقاتل الليبيين المسيطرين عليها حتى انتصر عليهم في نهاية عهده، وعندما أراد رجاله أن يعبروا عن انتصاره عليهم أشاروا إلى الدلتا باعتبارها الأرض التي كان الليبيون يحتلونها وليس باعتبارها وطنهم الأصيل أو أرض الخصوم الفعليين[6].

ب– مصادر الدولة القديمة :

أصبحت المصادر المصرية التي تشير إلى الليبيين وعلاقاتهم بمصر في فترة الدولة القديمة أكثر وضوحا وتفصيلا من خلال النصوص والوثائق الهيروغليفية المصاحبة للنقوش والرسومات التي صورت على معابد ومقابر الملوك المصريين.

1– نص الملك سنفرو على" حجر بالرمو"[7] ؛ "مقبرة مرسي عنخ الثالثة" :

---

[1]- نيقولا جريمال ، المرجع السابق ، ص 48 .

[2]- الآلهة حتحور ويعني اسمها "منزل حورس" أو مقر حورس"، عبدت كآلهة للموتى في طيبة على وجه خاص، غالبا ما تمثل على هيئة امرأة تحمل تاجا عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس أو البقرة، وأحيانا نراها كلبؤة أو ثعبان أو شجرة. عن : ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، ط1، دار الشروق ، بيروت، 1996، ص 228 .

[3]- شعبان السمنودي عبد القادر اسماعيل، الحملات الحربية المصرية لتأمين الحدود الغربية منذ نهاية عصر ما قبل الأسرات حتى نهاية عصر الدولة الوسطى، مجلة كلية الآداب –جامعة سوهاج ، العدد 36، 2014 ، ص 183 .

[4]- جيمس برستد ، تاريخ مصر ، ص 29 .

[5]- محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 123 – 124 .

[6]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص 123 – 124 .

[7]- حجر بالرمو عبارة عن لوحة من حجر البازلت الأسود ، وهو مهشم إلى أجزاء كثيرة، الجزء الأكبر منها محفوظ بمتحف بالرمو بجزيرة صقلية، كما يوجد جزء آخر منه في المتحف المصري بالقاهرة، وجزء ثالث في مجموعة "فلندرز بتري" بلندن، وقد نقشت عليه قائمة بتاريخ الأسرات الخمس الأولى مع أسماء ملوك الوجه القبلي والبحري قبل توحيد المملكتين. عن: سيريل ألدريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة مختار السويفي، ط 3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، 1996 ، ص 101.

قاد الملك "سنفرو" مؤسس الأسرة الرابعة حملة ضد التحنو الليبيين، وأمدنا اللوح الحجري "حجر بالرمو" بعدد الأسرى وبمقدار الغنائم التي تم الحصول عليها في هذه الحملة، حيث قدّرهم بأحد عشر ألف أسير من قبائل التحنو، وثلاث عشرة ألف ومائة من رؤوس الماشية[1]؛ فهذه الأرقام تشير إلى اضطرابات على الحدود الغربية في ذلك العهد، مما أدى إلى قيام مثل هذه العمليات العسكرية الكبيرة هناك[2]، ويستنبط منه مدى الثراء الاقتصادي النسبي لتلك المجموعة الليبية آنذاك، والدور الذي لعبه "سنفرو" في تدمير بنيتها الاقتصادية والبشرية في تلك الفترة .

ومن جهة أخرى تشير دراسة المناظر الواردة في بعض مقابر الأفراد وهم موظفون سامون في الدولة المصرية وبعض المقابر الملكية في جبانة الجيزة التي ترجع إلى الأسرة الرابعة، إلى قيام علاقات ودية[3] أيضا بين المصريين وبين تلك المجموعة البشرية الليبية المعروفة من بعد في المصادر المصرية باسم "التمحو TMHW" وأغلب الظن أنها كانت صلات نسب، وأشهر هذه المقابر الملكية "مقبرة "مرسي عنخ الثالثة " ابنة الملك "خوفو" ثاني ملوك الأسرة الرابعة، فقد صورت الأميرة مع أمها "حوتب حرس الثانية" بشعر أشقر اللون به شيء من الحمرة وعيون زرقاء وبشرة بيضاء، ترتديان ملابس تختلف عن ملابس المصريات، والملابس كانت عبارة عن رداء ضيق يكسو الجسد أبيض اللون، ويغطي الكتف كمّان يرتفعان بنهاية مدببة لم نلتق بمثيل له في تسجيلات الدولة القديمة، مما يؤكد أنها تنتمي إلى قبيلة "التمحو" الليبية لأن هذه الأزياء تشبه أزياء قبيلة التمحو[4] ، ومن نفس العصر نجد مقبرة أخرى لابن الملك الملك "خوفو" تمثله يقف إلى جانب أمه احدى زوجات "خوفو" – وهي ترتدي نفس رداء "حوتب حرس الثانية" سالفة الذكر، نجد الأمير الملكي يلبس النقبة المعروفة ولكن تتدلى من وسط الحزام رأس "حتحور"، كما أنه يزين جسده الأعلى بشريطين من الجلد يتقابلان في وسط الصدر، وهذا نفس الرداء الذي كان التحنو يرتدونه[5]؛ وهو الأمر الذي دفع بالدارسين إلى شبه اجماع بأن الملك "خوفو" قد تزوج من احدى نساء قبيلة "التمحو"، غير أن هناك آراء تناقض ذلك، لكن الظروف التي أحاطت تولي "حدد فرع" العرش خلفا لأبيه "خوفو"، ثم تولي أخيه "خفرع" العرش خلفا له في ظروف غامضة، تؤكد الرأي الأول القائل بزواج الملك "خوفو" من امرأة تنتمي لقبيلة التمحو[6]، لأن التقليد يقتضي بأن يرث عرش مصر ابن الملك من أخته الزوجة الرئيسية، التي تحمل الدماء المقدسة ، وليس ابنا من زوجة ثانوية .

2- نص الملك "ساحورع" :

---

[1]- فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 29 ؛ Taklit Slaouti , op-cit , p 133

[2]- محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 106 ؛ علاء الدين عبد المحسن شاهين ، المرجع السابق ، ص 26 .

[3]- أم الخير العقون ، دولة الامازيغ ، ص 112 .

[4]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 26 .

[5]- عبد المنعم أبو بكر ، المرجع السابق ، ص 475 – 476 .

[6]- أم الخير العقون ، المرجع السابق ، ص 113 ؛ نيقولا جريمال ، المرجع السابق ، ص 88 – 89 .

تحمل آثار الأسرة الخامسة صورا تمثل المعارك التي شنها ملوك هذه الأسرة على الليبيين، إذ تدل نقوش الملكين "ني أوسر–رع" و"ساحورع" على جدران معابد قرية "أبوصير" (جنوب اهرام الجيزة) [1] تجدد الحرب بين الطرفين .

فالاضطرابات تجددت على الحدود الغربية، وذلك عندما جاءت بعض القبائل الليبية ليهاجموا الدلتا ويستقروا في وادي النيل – ربما لجأت قبائل التحنو إلى مصر نتيجة ضغوط أقوام جديدة هم التمحو من الغرب أو احتمالية حدوث قحط بالمكان– لذلك كان للملك "ساحورع" نشاط عسكري ضدهم انتهى بانتصاره عليهم، دل على ذلك تصوير أمراء هذه القبائل وزوجاتهم وأولادهم على جدران معبده الجنائزي في "أبوصير" على هيئة الخاضعين لسطوته، وأعداد كثيرة من الأغنام والماعز والماشية التي تم الاستيلاء عليها[2]، وهي من الكثرة بحيث تدل على أن واحاتهم ومناطقهم الساحلية كانت وفيرة العشب والمرعى.

تبين اللوحة في الجزء العلوي الآلهة "سشات" –آلهة الكتابة وسيدة دور الكتب– جالسة وقد أمسكت بقلم ولوح تسجل أعداد الأسرى والغنائم التي استولى عليها الملك "ساحورع" من أرض "التحنو" الليبية، وأمام الآلهة "سشات" ثلاثة صفوف من الأسرى بزوجاتهم وأطفالهم، كل صف منهم يمثل مدينته، فاسم المدينة الأولى منهم مهشم، أما الثانية فهي "باش" والثالثة "باكت"، وأسفل هذا الجزء أربعة صفوف من الحيوانات التي أخذت كغنائم وهي : 123400 بقرة، و223000 حمار، و232413 من الماعز، و22368 من الأغنام[3]، وتضمنت النقوش المصاحبة للمنظر عبارة ضرب التحنو، كما يظهر في النقش أسرة أمير التحنو ومن الخلف صورة إله الغرب وصورة الإله "آش" إله بلاد التحنو وهما يقدمان للملك "ساحورع" خيرات البلاد الأجنبية[4]؛ فهذه الصور على جانب كبير من الأهمية إذ تسمح بدراسة البنية الجسدية لـ"تحنو" وشكل ملابسهم.

3– نص الملك "بيبي الثاني" :

وجد في المعبد الجنائزي للملك "بيبي الثاني" أحد ملوك الأسرة السادسة نسخة طبق الأصل من المنظر الذي وجد على جدران معبد "ساحورع"، والظاهر أن تمثيل هذا المنظر على جدران المعابد قد أصبح من المشاهد الرمزية المألوفة الدالة على قوة الملك وتغلبه على ما جاوره من البلاد الأجنبية المعادية لمصر، يتبين في هذا المنظر كذلك الملك وهو يضرب الأعداء بمقمعته، وتظهر فيه صورة الغنائم التي غنمها منهم، وتشمل الثيران والحمير والغنم والماعز، وفوق هذه الغنائم وتحتها صور أسرى مكبلين نقش فوقهم اسما اقليمين وهما "باش" و"بكت"، وتدل الظواهر أنهما اقليمان من بلاد "تحنو"، وفي أسفل الصورة أسرة أمير "التحنو" زوجته وأولاده[5]؛ وتكرر مثل هذا التزوير التاريخي في عصر الانتقال الثالث ضمن مناظر

---

[1]- أندري جوليان،المرجع السابق، ص 60؛ 43 – 42 .Decret et.Fantar , op-cit , p ؛البرغوثي، المرجع السابق، ص 52 .

[2]- بيومي مهران، المغرب القديم ،ص 106.؛. A.Weigall , histoire de l'Egypte ancienne , Paris , 1968 , p 43

[3]- شعبان السمنودي ، المرجع السابق ، ص 186 ؛ Taklit Slaouti , op-cit , p 147

[4]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 52 .

[5]- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج7 ، ص 23 ؛ سيريل ألدريد ، المرجع السابق ، ص 168 – 169 .

معبد "طهرقا" في الكوة بالنوبة المصور عليها حرفية المنظر وحتى الأسماء للأفراد المتضمنة فيه على الرغم من البعد الزمني والمكاني[1].

4- نص الملك "ببيي الأول" و السيرة الذاتية "لأوني"[2] :

أشارت بعض النصوص من الأسرة السادسة تعود إلى عهد الملك "ببيي الأول" إلى شعب محارب جديد هو "التمحو"، استخدمه هذا الملك ضمن جيوشه التي أرسلها في حملاته الآسيوية، فهناك نص خلفه "أوني" على جدران مقبرته في أبيدوس يتحدث عن مهمة أرسله فيها الملك "ببيي الأول" لتجنيد مقاتلين من النوبة وليبيا للجيش المصري الذي قام بحرب ضد قبائل آسيوية[3]، يذكر فيه :"حين أراد جلالته أن يوقع العقوبة على الآسيويين والساكنين على الرمال، جمع جلالته جيشا من عشرات الآلاف الكثيرة من كل أرض، مصر العليا من الفنتين في الجنوب...من نوبيي يام..ومن نوبيي كاآو ومن أرض التمحو"[4] . وبالتالي يفهم من هذا النص بأن الملك "ببيي الأول" استعان بقبائل "التمحو" للعمل كمرتزقة في جيشه دليل على مهاراتهم القتالية وشجاعتهم.

5- نص "حرخوف"[5]:

كما نجد ذكر "التمحو" للمرة الثانية في عهد الملك "مرنرع" وذلك في النقوش التي خلفها الرحالة "حرخوف" على قبره في جزيرة الفنتين (فيلة) قرب أسوان، ودل فيها وهو يسرد أخبار رحلته إلى أرض "يام"[6]، أنه وصل أرض التمحو إلى الغرب من "يام"، وفي رحلته الثالثة إلى درب الأربعين في طريقه إلى دارفور بالسودان، قال هذا الرحالة أنه سافر على درب الواحات ورأى قبيلة من "يام" تزحف على قبائل التمحو الذين كانوا يعيشون في غرب مصر وإن رئيس "يام" كان ذاهبا إلى أرض التمحو ليضرب التمحو حتى الركن الغربي من الأفق، فذهبت وراءه إلى أرض التمحو وهدأته حتى مدح الآلهة من أجل الملك[7]؛ وتتمثل أهمية نص "حرخوف" في إلقائه الضوء على ذلك الصراع بين "يام" والتمحو، وتفسيره فيما يبدو

---

[1]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 28 ؛ آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 75 .

[2]- خدم أوني كموظف صغير في عهد الملكة "تيتي" ثم عينه "ببيي الأول" كرجل بلاط مقرب و في مركز كهنوتي ، ثم عين قاضيا و مساعد للوزير،و كانت له خبرة في الشؤون النوبية،حيث عيّن كحاكم للجنوب، سجل لنا الطريقة التي استطاع بها الوصول إلى أعلى المراكز في البلاد على لوح حجري بمقبرته بأبيدوس.عن: آلن جاردنر،المرجع السابق، ص 113–114؛ وولتر امري ،مصر و بلاد النوبة ،ترجمة تحفة حندوسة، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2008،ص 133.

[3]- شعبان السمنودي ، المرجع السابق ، ص 187 .

[4]- آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 114 – 115 ؛ Taklit Slaouti , op-cit , p 155

[5]- حرخوف من حكام جزيرة الفنتين بأسوان ، يوجد قبره على الضفة الغربية من الجندل الأول ، و قد قام حرخوف بناء على أوامر بعض ملوك الأسرة السادسة بعدة رحلات توغل فيها جنوبا إلى داخل بلاد النوبة العليا ثم إلى مناطق الأقزام بإفريقيا الوسطى . عن : سيريل ألدريد ، المرجع السابق ، ص 213 .

[6]- لقد قام جدل طويل بين المؤرخين حول تحديد موقع "يام" التي تعتبر نقطة النهاية في رحلات "حرخوف"، فيرى "آركل أنها في "دارفور" بينما يجعلها "كيس" عند جزيرة "ساي" شمال الجندل الثالث، ويراها "جاردنر" أنها تقع جنوبي الجندل الثاني ولكنها لا تصل حتى الجندل الثالث؛ وتشير هذه الاختلافات جميعها إلى امكانية وقوع بلاد "يام" جنوب غرب النوبة السفلى. عن: أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 34. للمزيد أنظر : آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 120؛ A.J.Arkell , a history of the Sudan from earllest times to 1821 , 2ND ED , London , 1961 , p42 . D.M.Dixson , the land of Yam , JEA , vol 44 , 1958 , P P 40- 55 .

[7]- البرغوثي ، المرجع السابق، ص 35 ؛ آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص119 ؛ Taklit Slaouti , op-cit , p 151-152.

كنتيجة تالية لمحاولة التمحو التقدم جنوبا باتجاه النوبة، وفي محاولة الربط بينهم وبين حضارة المجموعة الثالثة النوبية[1]، ورغبتهم في الاستقرار بالمكان بعد أن دفعت الظروف البيئية مجموعات منهم مع نهاية الدولة القديمة لمحاولة الاستقرار بالنوبة.

كما نلاحظ من خلال هذا النص، رغم أن مصر كانت دائما حريصة على حماية حدودها الغربية من هجمات الليبيين، وشنها حملات عديدة على قبائل التحنو، لكن في هذه المرة يتدخل مبعوث الملك حاكم الفنتين لصالح قبائل التمحو الليبيين لتهدئة الوضع بين قبائل "يام" وقبائل التمحو، بالإضافة إلى الاستعانة بهم كمرتزقة في الجيش المصري، وتفسير ذلك ربما راجع إلى وجود علاقات مصاهرة ونسب من قبل بين قبائل التمحو والملك "خوفو" خاصة إذا استمرت هذه العلاقة بين الطرفين في باقي أسر الدولة القديمة؛ ويظل مثل هذا الرأي احتمالا مرجحا وفرضية قابلة للنقاش حتى يثبت العكس في ضوء ما قد يكشف عنه مستقبلا من خلال أعمال الحفر الأثري .

مع بداية عصر الانتقال الأول، استغلت القبائل الليبية فرصة الفوضى التي حلت بمصر خلال هذا العصر، حتى وصل الأمر آنذاك أن تركت الحدود مفتوحة بدون أية حماية من جانب مصر[2]، ومن المعروف أن المصريين قد اتخذوا من التمحو جنودا لهم على هيئة فرق كاملة كما جاء على لسان "أوني"، ومن ثم لا نستبعد أن يكون قادتهم قد أصبح لهم مكانة ونفوذ ابان تلك الفترة، ولعل مكانتهم هذه بالإضافة إلى زعزعة الأوضاع خلال عصر الانتقال الأول كانت من العوامل التي دفعت بموجات جديدة من التمحو للاستقرار في مصر[3]، فقد ترك المصري القديم في نقوشه ما ينم عن مبلغ احساسه بخطر "التمحو"،إذ جاء في بردية تعرف باسم "بردية إيبو ور" التي كتبت على لسان شخص حكيم أنه يعتب على أحد الملوك ترك البلاد تتردى وتتعرض لأخطار كثيرة من بينها هجمات الليبيين من الغرب[4].

كما تشير الدلائل إلى أنه حدث زحف قام به قوم من الجنوب في فترة تعاصر عصر الانتقال الأول في مصر، وتدل نتائج الأبحاث الأثرية أن هؤلاء القوم من جنس واحد وهم ليسوا من الزنوج وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة الأقدمين، ولا يوجد ما يشار إليهم على هذا النحو إلا "التمحو" الذين لا يستبعد أنهم سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء الليبية متجهين نحو الشمال[5]، لاسيما أن الكشوف الأثرية تدعم مثل هذا الاحتمال ، فقد عثر في بلاد النوبة على مجموعة من المقابر لقوم ليسوا مصريين أطلقت عليهم بعثة the Archaeological survey of Nubia اسم المجموعة (ج) أو المجموعة الثالثة ،ولكن باكتشاف مقابر هؤلاء القوم بين الجندلين الأول والثاني في زمن يؤرخ بالفترة من حوالي نهاية حكم الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة، وحيث أن هذه الفترة تعاصر حلول فترة الجفاف الذي ازداد في هذه

[1]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 29- 30 .
[2]- شعبان السمنودي ، المرجع السابق ، ص 187 .
[3]- أحمد عبد الحليم دراز ، المرجع السابق ، ص 34 .
[4]- مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 20.
[5]- أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 34 – 35.

الجهات منذ الألف الثالثة ق.م؛ كما يرجح "أوريك بيتس" أن المجموعة "ج" تنتمي إلى الليبيين التمحو ، بعدما قام بدراسة مقابر هذه المجموعة في أواسط النوبة ، وتوصل إلى نتائج أهمها :

أن مقابر المجموعة ج الكثيرة موجودة على الضفة الغربية للنيل في منطقة ترتبط جغرافيا بالواحات المصرية، والليبيون وحدهم كانوا سكان الواحات، كما شاعت بين المجموعة ج بعض العادات الدينية عند الليبيين مثل تقديس الموتى، وتقديس البقر، بالإضافة إلى احدى الصور المحفورة في مقابرهم تصور رجلا يلبس الأشرطة المتقاطعة على الصدر، وهي ظاهرة تميزت بها ملابس الليبيين في الآثار المصرية، وتظهر أيضا صورة اثنين من رماة الأسهم والقوس وهو سلاح ليبي قديم لم يكن أهل النوبة ليعرفوا شيئا عنه حتى في العصور المتأخرة، ويستدل أيضا على أصلهم الليبي من طريقة الدفن والقبر مستدير أو بيضاوي وهذا النوع من المقابر كان منتشر في شمال افريقيا، ويعرف في الصحراء باسم الرجم، بالإضافة الى جماجمهم التي تتميز بطابع البحر الأبيض المتوسط ؛ فهذه المخلفات المادية لحضارة المجموعة ج تتفق مع مخلفات الليبيين[1]؛فتوصل "بيتس" إلى أن تلك المقابر كانت لتجمعات ليبية عاشت في النوبة.

بالإضافة إلى عدم العثور على فخار سابق لفخار هذه المجموعة ج في بلاد النوبة، وفي ظهور فخارهم فجأة وفي مشابهة هذا الفخار للفخار الذي عثر عليه في "وادي هوى" على بعد أربعمائة كيلومتر من الجنوب الغربي للجندل الثالث بين دارفور والصحراء الليبية، كل هذا يشير إلى أن أصحاب هذه المقابر وصلوا إلى النوبة قادمين عن طريق جنوبي غربي، وهذا ما يقف سندا لاحتمال أن "وادي هوى" كان في طريق هجرة "التمحو" إلى الشمال، ويوحي في نفس الوقت بالصلة بين التمحو وأصحاب مقابر المجموعة الثالثة وسكان وادي هوى، وذلك راجع للتشابه الواضح في صناعة الفخار[2]؛ وقامت المقارنات المختلفة بين الآثار المكتشفة في بعض مناطق افريقيا الشمالية وبين تلك التي خلفها انسان النوبة في عصر الحضارة للمجموعة الثالثة، ووصل الدارسون إلى المطابقة الواضحة بين آثار "أهل ليمكواد" عند موريتانيا" وآثار أهل النوبة، ثم أيضا المطابقة الواضحة بين الفخار الذي عثر عليه في الصحراء عند منطقة وادي هوى على مقربة من الحدود الجنوبية لليبيا الحالية وفخار أهل النوبة، وفي نهاية الأمر المطابقة التشريحية من جماجم أهل حضارة المجموعة الثالثة وجماجم بعض القبائل في شمال افريقيا[3].

واستنادا إلى ذلك ذهب بعض المؤرخين[4]،إلى اعتبار ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة في أهناسيا من أصل ليبي، نزحوا إلى مصر من ناحية الفيوم ، وتولوا الحكم بعد اغتصابه من الأسرة الثامنة المنفية، ودليلهم في ذلك ما جاء في المصادر التي تعود إلى مرحلة حكم الملوك الأهناسيين والتي تتمثل فيما يلي:

---

[1]- Oric Bates , the eastern libyans , éd Macmillan and co limited , London , 1914 , p p 245 – 252، سليم حسن ، مصر القديمة ، ج7 ، ص ص 65 – 73 .

[2]- أحمد دراز ، المرجع السابق ، ص 36 ؛ سليم حسن ، المرجع السابق، ص ص 65 -73 .

[3]- عبد المنعم أبو بكر ، المرجع السابق ، ص 477 .

[4]- أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، ج1 ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ص 67 ؛ سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الأهناسي ، ج1 ، مكتبة الأسرة ، 2001 ، ص 414 .

– النقوش التي دوّنها أمراء أسيوط على جدران قبورهم، وقد كانوا معاصرين ومحالفين لحكام هاتين الأسرتين ، وساعدوهم على نشر نفوذهم على البلاد.

– قصة "الفلاح الفصيح" أو "شكاوي الفلاح الفصيح"، هذه البردية التي ترجع إلى الأسرة العاشرة ، وهي قصة فلاح فقير يصر على نيل حقوقه بعد أن سلبه مالك أرض غني متاعه؛ ويتضح من خلال هذه البردية أنه، رغم أن هذا العهد عرف اضطرابات سياسية انحلت فيه وحدة البلاد، إلا أن الأدب عرف تطور فقد نشأت في ثنايا الاضطرابات بعض القيم الإيجابية الأخلاقية التي تدعم حقوق الفرد والمساواة الاجتماعية وكرامة الانسان[1].

– التعاليم التي تركها الملك "خيتي الثالث" وصية لولده و وليّ عهده "مريكارع" وكانت خلاصة تجاربه طوال حياته التي امتلأت بالحروب و ألوان الكفاح[2] .

يمثل عهد الأهناسيين[3] بوجه عام دور انتقال بين حكم الدولة القديمة المنفية وحكم الدولة الوسطى الطيبية، وقد تميز ذلك العهد بازدهار الأدب الذي كان أدبا واقعيا يخلو من عناصر الانفعال والاصطناع، ويترجم مشاعر الناس واحساساتهم في ذلك الوقت ترجمة صادقة، ويبشر بالمساواة الاجتماعية والعدالة الانسانية.

ج – مصادر الدولة الوسطى :

حفظت بعض المصادر المصرية الملكية منها أو الخاصة اشارات قليلة عن القبائل الليبية وعلاقاتها بمصر خلال هذا العصر، وسنحاول أن نضع فكرة عن أحوالهم بقدر ما تسمح به النقوش القليلة التي وصلت الينا عن الليبيين في هذا العهد.

ترجع أول إشارة للقبائل الليبية وعلاقاتها بمصر، من الأسرة الحادية عشرة ضمن مناظر مقبرة "أنتف" رئيس الجنود في جبانة "العساسيف" في غرب طيبة بصعيد مصر، التي تحتوي مناظر للتدريبات العسكرية لمهاجمة أحد الحصون، يبدو مرجحا من بين الجنود المشاركين بها ليبيون بريشة في شعر رأسهم وحاملي أقواس، وإلى أسفل يبدو صاحب المقبرة في مواجهة مجموعة من الليبيين رجال ونساء، ومعهم جندي مصري قابضا على أول فرد من بينهم من شعر رأسه وممسكا بريشته، في حين يقود جندي آخر وزميل له أسيرا ليبيا بحبل قيّدت به بالمثل يدا أسيرين ليبيين من الخلف؛ ولعل مثل ذلك التصوير في مقابر الخاصة لأحداث عسكرية مصرية ليبية يعكس المكانة الوظيفية لصاحب المقبرة ومشاركته لملكه

[1]- عبد المنعم أبو بكر ،مصر الفرعونية "تاريخ افريقيا العام" حضارات افريقيا القديمة،المجلد الثاني،جين أفريك، اليونسكو، 1985 ،ص 86.

[2]- محمد جمال الدين مختار ،لمحة في تاريخ مصر السياسي و الحضاري "تاريخ الحضارة المصرية"العصر الفرعوني ، المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 99.

[3]- للتطلع أكثر حول فترة حكم الملوك الأهناسيين الأسرة التاسعة و العاشرة ، و الصراع الذي قام مع الطيبيين و تمكنهم من اسقاط ملك أهناسيا و بداية حكم الدولة الوسطى. أنظر:

Taklit Slaouti , op-cit , p p 179- 182 . voir aussi Claire Lalouette , Au royaume d'Egypte le temps des rois-dieux , éd Flammarion , Paris , 1995 , p p 166-171 ; Dominique Valbelle , les neuf arcs l'Egypte et les étrangers de la préhistoire à la conquete d'Alexandre , éd A.Colin , Paris , 1990 , p p 73 – 79 .

في ذلك النشاط العسكري، وفي اتفاق مع تلك الاشارات الملكية المتعددة عن إعادة بسط النفوذ المصري على حدودها وتأديبها لجيرانها الآسيويين والنوبيين والليبيين[1] .

ومن بين مصادر الأسرة الحادية عشرة "لوحة الكلاب" ، فقد نقش عليها صور خمسة كلاب مع سيدهم الأمير "أنتف"، وقد أثبت "شارف" في بحثه عن أصل الليبيين أنّ بعض أسماء الكلاب التي ذكرت على هذه اللوحة هي أسماء ليبية، وقد حقق منها اسمين وهما: "بحكى" أي (باهك) ومعناه الغزال، و"إبقور" (أباقر) ومعناه كلب صيد، والظاهر أنهما اسمان أطلقا على هذين الكلبين على سبيل التدليل فحسب، أو قد يدل على أن هذه الكلاب كانت ترسل ضمن ضريبة كان الليبيون يؤدونها[2].

كما عمل "منتوحتب الثاني" أهم ملوك هذه الأسرة على تدعيم حدود مصر الغربية وتأمين المحاجر والمناجم وطرق التجارة بإرسال حملات حربية ضد القبائل الليبية في الصحراء الغربية، وقد أشارت إلى هذه الجهود الحربية "لمنتوحتب الثاني" العديد من المصادر[3] منها نقش بمعبد الجبلين، وبمعبد دندرة؛ ونتج عن نشاط الملك "منتوحتب الثاني" الحربي على حدود مصر الغربية إلى استتباب الأمن هناك وإعادة فتح طريق القوافل من النوبة السفلى إلى النوبة العليا بعد السيطرة على الواحات الواقعة إلى الغرب من جنوب النوبة السفلى[4]، واستعداد النشاط الاقتصادي في الغرب عن طريق استثمار موارد الصحراء الغربية .

وفي بداية عهد الأسرة الثانية عشرة، يبدو أن الهجمات الليبية كانت لا تزال تهدد غرب الدلتا، فقد أقام "أمنمحات الأول" سلسلة من الحصون على حدود الدلتا الغربية مازالت بقايا واحد منها قائمة في "وادي النطرون"[5]؛ وما يدعم جهود "أمنمحات الأول" في تأمين حدود مصر الغربية أمام تسللات الليبيين ما أشير إليه في نصوص بردية "نفر روهو"[6] المعروفة "بتنبؤات نفرتي" المحفوظة الآن في متحف ليننجراد، كتبت هذه البردية كنوع من الدعاية السياسية للملك "أمنمحات الأول"، وقد تحدثت عن وقائع حدثت في عهد الملك "سنفرو"، على أن هذا الملك طلب من رئيس الكهنة وهو "نفر روهو" أن يحدثه عن شيء سيحدث في المستقبل فقص عليه أن البلاد ستقع في براكن الفوضى والفتن وأن الذي سيخلصها من هذه الحالة هو ملك يدعى "أميني" وهو اختصار لاسم "امنمحات" وعندئذ سينقذ البلاد من الليبيين ويقع

---

[1]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 39 .

[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص 39؛ O.Bates , op-cit , p 212؛ عبد المنعم أبو بكر، ليبيا في أقدم..، ص 477.

[3]- شعبان السمنودي ، المرجع السابق ، ص 188 . للتطلع أكثر حول هذه المصادر أنظر :
G.A.Reisner , harvard African studies , vol IV , Cambridge, 1923, p p 541-542 ; M.G.Darrssy,Chapelle de Mentouhotep III , Adenderh, ASAE XVII , 1917, PL I, p 229 ; H.E.Winlock , the rise and Fall of the middle kingdom in Thebes , New York , 1947, p p 28.

[4]- شعبان السمنودي ، المرجع السابق ، ص 188 – 189 .

[5]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 168 .

[6]- للتطلع أكثر حول هذه البردية أنظر:جيمس هنري برستد، فجر الضمير،ترجمة سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص ص 215-218؛ بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة الآداب و العلوم ، ج1 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1989 ، ص ص 299-305 .

الليبيون صرعى أمام لهيبه[1] ، ولم يكن المقصود من كتابة تلك البردية إلا الترويج بين الشعب لهذا الحاكم الجديد ومحاولة اقناع الناس بأن اختياره لإنقاذ مصر أمر أرادته الآلهة منذ أبعد الأزمنة.

كما تشير قصة "سنوحي" أحد قادة "أمنمحات الأول" أن هذا الملك أرسل ابنه الأمير "سنوسرت الأول" في حملة ضد الليبيين غرب الدلتا، وقد ورد فيها:" لقد بعث جلالته جيشا ضد الليبيين تحت امرة نجله الأكبر، الرب الكريم "اسرتسين"(سنوسرت الأول)، والآن ها هو "سنوسرت" يعود من الغزو وهو يجر وراءه أعدادا من الأسرى الليبيين أحياء وأعدادا لا تحصى من المواشي ..."[2].

أما عن الوضع داخل مصر، فقد استقر الليبيون الذين تسللوا أثناء مرحلة الفوضى والاضطراب، ووصل بعضهم إلى مراتب عليا في الإدارة المصرية، ففي عهد الملك "أمنمحات الأول" وصل أحد الليبيين إلى منصب حاكم مقاطعة، وهي وظيفة سامية في سلم الإدارة المصرية، فحكام المقاطعات بمثابة أعوان ومنفذي أوامر الملك على مستوى المقاطعات[3]، فقد عثر في منطقة "مير" بمصر الوسطى مقبرة للمدعى "سنبي" حاكم مقاطعة القوصية الذي عاش في عصر الملك "امنمحات الأول"، وقد صور هذا الحاكم ومعه شخص قد يكون ابنه يحمل أسلحته في منظر للصيد، ويرتدي كل منهما جراب العورة، ثم نجد أن "سنبي" يلبس على صدره الشريطين المتعارضين تماما كما كان أهل التمحو يفعلون، بالإضافة إلى أن تابعه كان يتحلى بريشة في شعره وهي ميزة الليبيين المعروفة[4]، كل هذا يدل على أن "سنبي" من أصل ليبي جاءت أسرته إلى مصر في عهد الانتقال الأول واستقرت هناك حيث بقي أفرادها محافظين على تقاليدهم الليبية.

تابع "سنوسرت الأول" سياسة أبيه في مراقبة الليبيين، فقد ظهر في هذه الفترة لقب جديد وهو "مراقب الصحراء الغربية" الذي حمله كبار الموظفين، هذا وهناك ما يشير إلى قيام حملة حربية في عهد الملك "سنوسرت الأول" إلى الواحات الغربية، وقد قامت هذه الحملة من "طيبة، ويحدثنا أحد قادتها بقوله: "لقد وصلت إلى الواحات الغربية، وكشفت عن الطرق المؤدية إلى المتمردين، وأسرت الذين وجدتهم هناك، وبقي جيشي سالما وبدون خسائر"[5]. وهناك لوحة عثر عليها في العرابة المدفونة (أبيدوس) من عهد الملك الملك "سنوسرت" ، تعرف باسم لوحة "دد–أقو" أو "أكوديدي"، حيث يتحدث فيها عن قيام أحد قواد الملك "سنوسرت الأول" بزيارة لأرض الواحات– ربما واحة الخارجة– لمراقبة هذه المناطق وتأمين الحدود المصرية الغربية، أو ربما يكون بعض استعراض القوة المصرية هناك[6]. وبذلك نتج عن هذه الحملات

---

[1]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية، ص 168-169 ؛ هنري برستد، فجر الضمير، ص ص 215-217.

[2]- James Henry Breasted , Ancient records of Egypt , volume I , Chicago , 1906 , para 487-492, p p 234-236؛عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 54؛ للمزيد أنظر: J.A.Wilson,Egyptian myths and tales , ANET, an anthology of texts and pictures , vol 1 , edited by J.B.Pritchard , Princeton , New Jersey, 1973, p 6.

[3]- أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 116 – 117 .

[4]- عبد المنعم أبو بكر ، ليبيا في أقدم عصورها ، ص 477 ؛ سليم حسن ، مصر القديمة ، ج7 ، ص 39- 40 .

[5]- محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 110.

[6]- شعبان السمنودي ، المرجع السابق، ص 190 ؛ Breasted , op-cit , para 524, p 253.

والمراقبة المستمرة أن ساد الهدوء والسكينة على الحدود المصرية الغربية، فلم نعد نلتقي بما يشير إلى غارات ليبية .

ساعد استقرار الأوضاع هناك على زيادة التبادل التجاري بين المصريين وسكان الصحراء الغربية، حيث يذكر "أحد الموظفين ويدعى "خعوى" في نقش له مدون في "وادي الحمامات" أن ملكه "سنوسرت الثالث" قد أرسله ليحضر له المنتجات الطيبة من بلاد التحنو"[1].

يتضح مما سبق اهتمام الملوك المصريين منذ أقدم العصور بتأمين حدود مصر الغربية لأهميتها السياسية والاقتصادية، فأرسلوا العديد من الحملات الحربية لإخضاع قبائلها التي كانت دائمة الإغارة على الأراضي المصرية، كما أقاموا التحصينات، وقاموا بإرسال العديد من الدوريات التفتيشية على الطرق خاصة طرق القوافل لتأمينها، مما أدى إلى ازدهار الواحات خاصة الخارجة والداخلة، وأصبحت شديدة الصلة بمصر، كما لم تعد فيه حملات حربية ضد هذه القبائل بعد ذلك حتى نهاية الدولة الوسطى.

أما في "الفترة الانتقالية الثانية" أو كما يسمى "عصر الهكسوس"، فلا يستبعد أن تكون حالة الضعف والفوضى التي عرفتها مصر قد شجعت تغلغل موجات جديدة من الليبيين للاستيطان في مصر، فمصر لم تكن في المستوى المطلوب لدرء الخطر بالسلاح المادي فلجأ المصريون لرد خطر الأعداء إلى ما عرف بين المؤرخين "بنصوص اللعنة" وهي عبارة عن دعوات كتبها الكهنة (السحرة) بالمداد الأحمر على قدور من الفخار الأحمر وتماثيل صغيرة من الصلصال، وصبوا اللعنة فيها على أفراد من البلاط الفرعوني، ونفر من حكام النوبة، وعدد من شيوخ الصحراء الغربية أو الليبية (أي الليبيين)، وكان الكهنة يحطمونها في حفل خاص، أملا في تحطيم عزائم المذكورين عليها[2]. وفي هذه الفترة صمتت النصوص المصرية عن ذكر أي شيء عن جيران مصر الليبيين، ولو أن هناك ما يثبت الاستقرار الكبير "للتمحو" في بلاد النوبة، أي المجموعة ج وعملهم المستمر على تقوية مراكزهم هناك. لذلك ارتأى "كامس" أن يقوم بإرسال حملة عسكرية إلى الواحة الشمالية أثناء حروبه مع ملك الهكسوس "أبو فيس" بغرض تأمين تلك الجبهة ضد العناصر الليبية أثناء انشغاله بعدوه الأصلي[3]، حيث أن القبائل الليبية كانت قد انتهزت فرصة احتلال الهكسوس لمصر، فقامت بتنظيم صفوفها، وبدأت تتجه بأنظارها جنوب غربي الدلتا.

د – مصادر الدولة الحديثة : يعتبر عصر الدولة الحديثة من أهم الفترات التي خلفت لنا من المصادر المكتوبة والمصورة ما يمكنه أن يلقي أكبر قدر من الضوء على التاريخ الليبي قبل هيرودوت ذلك لأن العلاقات بين الطرفين زادت سوءا، حيث أمست الغارات الخاطفة غير المنظمة، أثناء الدولتين القديمة والوسطى على مصر، حروبا طويلة الأمد نسبيا، تتحالف فيها القبائل الليبية جميعها وأحيانا

---

[1]- شعبان السمنودي،المرجع السابق،ص 190؛سليم حسن، مصر القديمة، ج7،ص 39؛البرغوثي،المرجع السابق،ص 54.

[2]- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ص 276-277. للمزيد أنظر : ايفان كونج ، السحر و السحرة عند الفراعنة ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999 ، ص ص 178- 183 .

[3]- عبد المنعم أبو بكر، ليبيا..، ص 478؛ Taklit Slaouti , op-cit , p 193 ؛نبيلة عبد الحليم، المرجع السابق، ص 94 .

تتحالف مع الشعوب الأجنبية، ومن خلال بعض الآثار المصرية تبين بأن الغزوة كانت منظمة شاملة تهدف إلى الاستيطان الكلي في مصر.

يعتقد فريق من الباحثين أن سبب هذه التحركات الليبية المتتالية، يرجع إلى جفاف متزايد على أوطانهم[1]، وترى "أم الخير العقون"[2] بأن المختصين قد بالغوا في تقدير تأثير عامل المناخ على القبائل الليبية، وارجاع هجمات قبائلها على مصر إلى عامل "فقر ليبيا"، واعتبرت أنه لا يرجع فقط إلى سبب اقتصادي، بل يعود إلى ظهور هجرات أوربية أشاعت التوتر في الشرق وقد خرجت طوائفها الأولى من موطنها حول البحر الأسود والبلقان في أوائل القرن 14 ق.م، فتسللت إلى حوض البحر المتوسط واختلطت بسكانه وعمل رجالها مرتزقة، في حين نزحت بعض طوائفهم إلى الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط ، ولما انهزمت أمام فراعنة مصر اتجهت إلى الشواطئ الليبية فنازعتهم المكان ثم تحالفت معهم لغزو مصر.

1- مصادر الأسرة الثامنة عشرة :

من الوثائق التي وصلتنا عن علاقات الليبيين بمصر خلال هذه الأسرة ، تلك الاشارة التي وردت في عهد الملك "أحمس الأول"، حيث أطلق على إحدى بناته اسم "أحموسى حنة تمحو" أي أحموسي "سيدة التمحو"[3]، وهذا دليل على حالة الاستقرار والهدوء بالواحات وحدود مصر الغربية.

وفي عهد الملك "أمنحوتب الأول" بدأت أخبار الصدام مع "التمحو" تتردد في النصوص المصرية[4]، ويبدو أن التمحو كانوا قد استقروا على حدود مصر الغربية وأخذوا يباشرون نشاطا عدوانيا ضدها.

استشعر "أمنحوتب الأول" بهذا الخطر الليبي، فلم يجد مناصا من القيام بحملة ضدهم، حيث يشير نص "أحمس بن نخبت" في مقبرته بالكاب، إلى حملة "أمنحوتب الأول" على الليبيين لرد اعتداءاتهم على الدلتا، عندما يذكر أنه "أسر باسم الملك "ثلاث أيد" من قبيلة "أموكهك" في الشمال[5]، حيث يقول :"مرة ثانية خدمت الملك "جسركارع" المنتصر، وقبضت له في الشمال من "أموكهك، أو إلى الشمال من "أمو" في أرض "قهق" على ثلاثة أيد"؛ وتعددت الآراء فيما يرتبط بموقع "قهق" الجغرافي[6]، ففيه من يعتبر مكان

---

[1]- للتطلع أكثر حول جفاف الأراضي الليبية و التغيرات المناخية التي طرأت على المنطقة أنظر :
H.Lhote , a la découvertes des fresques du Tassili, ed Arthaud , Paris , 1988 , p p 22-71. Voir aussi :G.Camps, les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara , Paris , 1974.

[2]-للاستزادة أكثر أنظر: أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 117 – 118 .

[3]- يرى "ويجل " أن "أحمس حنة تمحو" كانت أميرة من التمحو الليبيين، ولكنها لما كانت تلقب "بالابنة الملكية " فيحتمل أن ملوك غرب الدلتا كان لهم ملك خاص في أوائل حكم "أحمس الأول"، اذ اقتبس "يوسفيوس" عن "مانيتون" أن الثورة التي قامت على الهكسوس كان قد نظمها ملوك طيبة أي ملوك الأسرة السابعة عشرة، وملوك آخرين من أجزاء مصر، وأن والدة هذه الملكة كانت بنت ملك من ملوك غربي الدلتا، فالملك "أحمس الأول" تزوج من "أنحابي" لأسباب سياسية تكمن في التحالف ضد الهكسوس وعندما نجح الملك "أحمس الأول " من مبتغاه تخلص من صهره وانفرد بالحكم . أنظر: سليم حسن ،مصر القديمة ،عهد الهكسوس و تأسيس الامبراطورية، ج4، مكتبة الأسرة، 2001، ص 360-361. .

[4]- مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 21 – 22.

[5]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص55 ؛ James Henry Breasted , A history of Egypt from the earlist times to the Persian conquest , second edition , Charles scribner's sons , New York , 1945, p 254

[6]- Oric Bates , op-cit , p 212-213 ؛ علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 48 .

"قهق" يقع إلى الشمال الغربي من حدود مصر، وحقول "أمو" يحتمل أن تكون احدى الواحات الواقعة في الصحراء الليبية، وفيه من يرى أن الملك قام بحملة على ليبيا بعد حملته على النوبة وأن قبيلة "قهق" هذه انما تقع فيما بين بحيرة "مريوط" وواحة أمون[1]؛ وبالتالي فمكان "قهق" لا يعدو الصحراء التي تقع إلى الغرب من مصر، ولا يبعد كثيرا عن غرب الدلتا، وفي تاريخ مصر من الشواهد ما يشير إلى كثرة الغارات التي يقوم بها سكان تلك البقاع الغربية على دلتا النيل، ومن المحتمل أن يكونوا قد هاجموها في زمان "أمنحوتب الأول" ثاني ملوك الأسرة الثامنة عشرة الذي حمل عليهم وظفر بهم ثم سجل انتصاره على لوح من خشب يصوره ملوّحا بسيفه ، وقد جثم العدو عند قدميه[2] .

وفي عهد الملكة "حتشبسوت" وشريكها الملك "تحوتمس الثالث" ، يبدو أن "التمحو" وغيرهم من الليبيين قد أخلدوا إلى السكينة والسلام، إذ جاء في النصوص المصرية أن الليبيين كانوا يقدمون الضريبة للملكة "حتشبسوت"، وكانت مكونة من كميات من العاج وسبعمائة سن فيل وقطع كبيرة من جلد النمر، وفي معبد الدير البحري نشاهد منظرا من عهد الملكة "حتشبسوت" يمثل تسليم كميات من الذهب إلى خزائن الإله آمون ، وكان الذهب يكيل أمام كاتب خزانة الإله وذلك في حضور ممثلي الدول التي كانت تخضع لمصر أو تصادقها، ويظهر في المنظر ممثل لليبيا[3]. ونلمح أيضا من خلال النصوص المصرية التي تعود إلى عهد الملك "تحتمس الثالث"، أن الليبيين كانوا يدفعون له الضريبة، ففي نقوش عثر عليها في "وادي حلفا" يرجع تاريخها إلى السنة الثالثة والعشرين من حكم "تحتمس الثالث"، وفي قصيدة "تحتمس الثالث" الشهيرة، وفي قائمة أقوام الجنوب رقم 88[4]، ذكرت بلاد التحنو تقدم الضريبة للملك.

نالت الواحات عناية عظيمة من جانب "تحتمس الثالث"، فقد كانت مقسمة إلى مجموعتين، وكان لها حاكم أو حاكمان أحيانا تحت إدارة حاكم العرابة، ولكنها منذ الأسرة التاسعة عشرة قد أصبح لها حاكم خاص بها، وفي مقابر طيبة منها مقبرة "بوام رع" يوجد منظر هام نشاهد فيه الممالك المختلفة آتية بضريبتها منها سكان واحات الصحراء الليبية ونقش عليها "رؤساء سكان الواحات الجنوبية والشمالية "، وكتب أمامها "إحصاء ضريبة الواحات[5]"، فهذه الصور تمثل تسديد الضريبة التي قدمت من بعض القبائل القبائل الليبية في الواحات.

ومن اللافت للنظر وجود تصوير لليبيين ضمن المجموعات البشرية الرمزية المعروفة اصطلاحا باسم "الأقواس التسعة" كأعداء للحاكم المصري في المناظر الملكية والخاصة من الدولة الحديثة، مثلما تضمنته مناظر مقبرة في جبانة غرب طيبة ضمن شكل الأقواس التسعة على قاعدة العرش الملكي الجالس عليها "أمنحتب الثالث" وزوجته "تي"، وبالمثل في منظر الملك "أمنحتب الثالث" بهيئة أبي الهول يطأ أعداءه

[1]- سليم حسن ، مصر القديمة،ج4،ص 233؛ بيومي مهران،المغرب القديم،ص 113. .
[2]- بيومي مهران ، المرجع نفسه ، ص 113 – 114 .
[3]- مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 22 ؛ Oric Bates , op-cit , p 213
[4]- سليم حسن ، مصر القديمة ، السيادة العالمية و التوحيد ، ج 5 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992، ص 201 .
[5]- سليم حسن ، المرجع نفسه ، ص 202 ؛ Ahmed.Fakhry, op-cit, p 14.

النوبيين والآسياويين والليبيين؛ كما اشتملت مناظر مقبرة "رعموزا" على تصوير لمجموعة رباعية من البشر بملامح ليبية[1] ، رجح الباحثون أنهم ليبيين من خلال الضفيرة (الخصلة) الجانبية للشعر على جانب الوجه والريشة التي تعلو رؤوسهم.

عكست لنا المناظر التصويرية من عهد أخناتون تصوير الليبيين ضمن حرسه الخاص، أو بهيئة سفراء مشاركين في احتفالات تقدمات الأجانب أو احتفالات التتويج، فعكست مناظر الجدار الغربي لمقبرة "أحمس" في جبانة "تل العمارنة"، وضمن مناظر مقبرة "مر رع الثاني" الكاهن الأعلى لآتون بنفس الجبانة أيضا، تصويرا لليبيين ضمن الحرس الخاص لأخناتون وبشكل يفوق في العدد الجنود المصريين، وتضمنت مناظر مقبرة "بانحسي" في جبانة "تل العمارة جنودا ليبيين في مصاحبة أسرة الفرعون أثناء قيادتها للعربات الملكية[2]. وإثر ثورة "أخناتون" الدينية اضطربت الجبهة الداخلية لمصر، هذا ما شجع الليبيين على استئناف هجماتهم على مصر، غير أن الملك "حورمحب" تصدى لهم[3]، وتمكن من السيطرة على حدود مصر الغربية.

2- الليبيون في مصادر الأسرة التاسعة عشرة :

بدأت مصر في أوائل عهد الأسرة التاسعة عشرة تتعرض لأخطار جسيمة من ناحية حدودها الغربية، فقد تزايد تغلغل الليبيين في الدلتا إلى حد كبير، وترجع أسباب هذا التغلغل إلى تزايد الجفاف في أوطانهم، كما كان هناك غمر سكاني للمنطقة الضيقة على الشريط الساحلي بسبب الشعوب الجديدة –شعوب البحر– التي نزلت بشواطئهم فنازعتهم المكان، مما دفعهم إلى الهجرة نحو مصر؛ وأيا ما كان السبب فهناك تحركات ليبية نحو مصر، وقامت مصر بالتصدي لها بقيادة "سيتي الأول"[4]، ومن دلائل ذلك نقوش على معبد الكرنك سجل فيها "سيتي الأول" أخبار معاركه على الآسيويين، وانتصاره على الليبيين في معركتين، وحول هذه الأخيرة اختلف المؤرخون في تحديدها بالنسبة إلى حروب "سيتي الأول" الأخرى، إلا أن الاجماع يذهب إلى حدوثها في السنة الثانية من حكمه، فكانت هذه الحرب بعد استيلائه على قادش وقبل أن يعود مرة ثانية إلى آسيا ليحارب "خيتا"[5]؛ وقد اتضحت صفات العنصر المهاجم بكل دقة من صور القتال والحرب التي سجلت على جدران معبد الكرنك، بالرغم من أن الليبيين الذين هاجموا مصر في هذه المرة يختلفون عن الليبيين الذين حاربهم المصريون من قبل، ومع ذلك فقد استمروا يطلقون

---

[1]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 49.

[2]- علاء الدين شاهين ، المرجع نفسه. أنظر: N.DE.G.Davies , the rock tombs of EL Amarna , part III , London , 1905 , p1.31 ; A.Nibbi , lapwings and Libyans in Ancient Egypt , 1968 , fig 31 .

[3]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 55 .

[4]- بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 114-115 .

[5]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، ص 269 ؛ Breasted , A history of Egypt , p 411-412.

عليهم اسم "تحنو"[1]، في حين أن هذه الحرب كانت ضد أقوام جديدة، وهم طلائع "المشواش" الذين سيظهرون في الحملات القادمة.

رغم هزيمة الليبيين المدعمين من طرف شعوب البحر في حربهم ضد "سيتي الأول"، إلا أنهم استعادوا نشاطهم وتوغلهم في أيام ابنه وخليفته "رعمسيس الثاني"، فقد وقع على "رعمسيس الثاني" عبء مواجهة تحركات "التحنو"و"التمحو" وما يليها غربا من مجموعات بشرية يظهر اسمها لأول مرة في النصوص المصرية "الليبو" أو "الريبو" و"المشواش" الذين تحركوا شرقا لغزو الدلتا بهدف الاستيطان بها[2].

فإن مصر بحفاظها على السلام مع "خاتي" –بعقد معاهدة صلح مع الحيثيين– كانت في الواقع تستبدل خصمها بخصم آخر أشد مراسا ولم يعد الأمر أمر احتفاظ مصر بسيادتها على أقاليم نائية، لأن حدودها الغربية كانت مهددة من طرف عدو شديد المراس، فقد تعددت الاشارات العامة من فترة حكم "رعمسيس الثاني" عن حروبه ضد الليبيين خاصة ما ورد ضمن نصوص "لوحة أسوان" من سنة حكمه الثاني التي ورد بها "أنه أفنى "التحنو" والتي تعني أن التحنو كانوا يخافون قوته"[3]، وبالمثل ضمن نقوش معابده بالنوبة ، وضمن نصوص لوحة له من تانيس(صان الحجر) عن انتصاراته على "التحنو" وحلفائهم من الشردن؛ فضمن مناظر معبده في "أبو سمبل" (حوالي 265 كم جنوبي أسوان) يبدو "رعمسيس الثاني" واقفا على جسد ليبي مطروح أرضا، بينما يطعن ليبيا آخر بحربته[4]، كما يظهر نقش على الجدار الأيمن من فناء معبد "بيت الوالي" رعمسيس الثاني ممسكا بيده اليمنى بسيف الحرب وباليسرى قابضا على أسير من التحنو من شعر رأسه، ويتضمن النص المصاحب للمنظر إشارة إلى الملك "الإله الطيب قاتل قوم الأقواس التسعة (أي الليبيين) ومحطم بلدان الشمال"، كما حفظت المناظر على جدران أعمدة معبد "أبوسمبل" شكلا ملكيا لرعمسيس الثاني" مصحوبا بزوجته "نفرتاري" في منظر يعكس السيطرة الرمزية للملك على أعدائه ومنتصرا على "نوبي" في حضرة الإله "آمون" وبآخر "ليبي" في حضرة الإله "رع"[5].

ظل هناك العديد من التساؤلات عن مدى الصدق التاريخي لتلك الاشارات ومدى ارتباطها بنشاط حربي فعلي "لرعمسيس الثاني"، فحرب "رعمسيس الثاني" مع "الليبيين" تراوحت بين الرفض والقبول من جانب الباحثين، فمن المشككين بوقوعها "سليم حسن"[6] عندما قال إن ما تركه رعمسيس الثاني من مناظر ونصوص فيها شك كبير، وأنها مجرد أوهام كالتي يصورها الفراعنة إشادة بقوتهم وتغلبهم على جيرانهم، ويدعم هذا الرأي بدليلين قويين أولهما: إن هذه المناظر متطابقة تماما مع مناظر والده "سيتي الأول"

---

[1]- بيومي مهران، المغرب القديم، ص 115؛ سليم حسن ، مصر القديمة، عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية ، ج6 ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1992 ، ص 50-51 .

[2]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 298.

[3]- آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 298 ؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم ، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية و الثلاثين، ج3 ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997 ، ص 365.

[4]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 52 ؛عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 56-57؛ J.H.Breasted, ancient records of Egypt , vol III , the university of Chicago press, Chicago , 1906 , para 448- 487-491.

[5]- Breasted , ibid , para 457 ؛علاء الدين شاهين، المرجع السابق، ص 53.أنظر: والتر امري، بلاد النوبة، ص 209 .

[6]- أنظر : سليم حسن، مصر القديمة،ج6،ص 240.

وثانيهما عدم وجود أية إشارة إلى حربه مع الليبيين في نصوصه الأخرى ، والمعروف أنه قد جرت عادة الفراعنة على تكرار أخبار حملاتهم العسكرية في معظم نقوشهم حتى إن تباعدت في زمانها ومكانها، ومن المشككين في ذلك أيضا "هولشر" الذي ينقل عنه "شامو" قوله أنها مجرد شكل زخرفي تقليدي للمعابد الفرعونية واستخدام عنصر الإشادة والتفاخر بنصرة الجيوش المصرية ، دون أن يعكس ذلك وقائع تاريخية حدثت بالفعل[1]؛ وفيه من يعزو الحروب التي رسمت على معبد "بيت الوالي" إلى إشتراك "رعمسيس الثاني" مع والده "سيتي الأول" في الحكم وفي الحرب[2] وذلك لاستناده على أنها صورة طبق الأصل من المنظر الذي تركه والده سيتي الأول على جدران معبد الكرنك.

أما القائلين بصحتها فمنهم من يؤكد أن حقيقة قيام تهديد ليبي للمصريين في تلك الفترة لم يعد موضع شك، وإنها حرب حقيقية، وهو ما يذهب إليه باحث آخر محددا تاريخها بالسنة الثانية من حكمه، بينما يرى آخر أن "رعمسيس الثاني" قد قام بغزو اقليم "ليبو" وهو ما جعله يخضع "التحنو" لأنه مر ببلادهم باتجاه "ليبو"، وربما اعتمد في هذا الرأي على ما وجد من نقش في حصن العلمين الذي يشير فيه إلى انتصاره على الليبو، وعزمه على ضم أراضيهم إلى دولته[3]؛ الا أنه فيه من يرى أن تلك الحرب وقعت ويرجعها إلى السنة الأولى من حكم "رعمسيس الثاني"[4].

ومهما يكن من اختلاف الآراء بين الباحثين حول وقوع هذه الحرب، إلا أنّ النقوش تبين وقوعها ولو كانت مجرد مناوشات بسيطة أو غارات من قبل الليبيين وحلفائهم من شعوب البحر، كما أن "رعمسيس الثاني" أدرك خطورة القبائل الليبية الجديدة "الليبو" و"المشواش" وخاف من أن تغير عليه، حيث يرى "كتشن"[5] أن "رعمسيس الثاني" كان مشغول البال دائما بالجبهة الليبية، وهي جبهة شارك أباه في حملته عليها وهو بعد أميرا، والآن وقد أصبح ملكا وأثناء فترة الهدوء بعد قادش، قرر "رعمسيس" الأخذ بسياسة طويلة المدى للسيطرة على الشريط الليبي الساحلي وفرض الرقابة الدائمة على سكانه، من أجل ذلك أخذ في دعم سلسلة من المستوطنات بطول حافة الصحراء الغربية بالدلتا من "منف" وحتى البحر، كان يبني فيها أحيانا معابد جديدة لآلهة المنطقة الغربية المحلية، وهذه المستوطنات ما هي إلا مدن صغيرة قديمة لم يبق منها اليوم سوى أطلالها وهي: "أكوام أبوبللو" و"الحصن"، و"فيرين"، و"عبقان" و"البرنوجي".

علاوة على ذلك فقد قام "رعمسيس الثاني" ببناء سلسلة من القلاع والحصون على طول الساحل المصري المطل على البحر المتوسط، وتنتشر غربا لمسافة طويلة نحو الساحل الليبي[6]، هذا إلى جانب العثور على لوحات من عصر "رعمسيس الثاني" عند العلمين، وفي أماكن أخرى بعد ذلك إلى الغرب

---

[1]- حسين محمد سالم عامر،العلاقات الليبية المصرية منذ عهد الهكسوس حتى نهاية الحكم الليبي لمصر (1730-730 ق.م تقريبا، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية،طرابلس،2009،ص207؛ فرنسوا شامو،المرجع السابق،ص 40

[2]- سليم حسن ، مصر القديمة،ج6، ص ص 212-241.

[3]- حسين عامر ، المرجع السابق ، ص 207 .

[4]- سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 241 .

[5]- كنت كتشن ، المرجع السابق ، ص 106.

[6]- كنت كتشن ، المرجع نفسه؛ عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 57

منها[1]. وهكذا فإن تصميم فرعون مصر على وضع منطقة "مراقية"(البطنان) في قورينائية تحت المراقبة العسكرية، من عند نقاط مراقبة مبثوثة على طول الساحل، فإن هذا الاجراء بدا آنذاك وكأنه أمر لا مفر منه[2]، فهذه الاحتياطات الوقائية كانت كافية لاتقاء مخاطر جيرانه الليبيين الأشداء طيلة فترة حكمه.

وقد عثر بين بقايا المعبد الحصن الذي خصصه "رعمسيس الثاني" للإله بتاح ، ورد بها اسم "رع نب" الكاتب الملكي، رئيس القوات والمشرف على الصحراء، وألقت الضوء على جهود الملك لبسط النفوذ المصري على "ماريماريكا" ومحاولات "رعمسيس الثاني" طرد الليبيين خارج حواف غرب الدلتا على الأقل إلى ما وراء "مرسى مطروح"[3]، وهناك نص في "وادي السبوع" بمنطقة النوبة السفلى مؤرخ بالسنة الرابعة والأربعين من عهد "رعمسيس الثاني" يشير إلى أسرى "التحنو" المستخدمين في بناء المعبد هناك[4].

أثبت هذا النظام من الحصون كفاءته سنوات عدة، وتبدو حكمة السياسة التي نفذها "رعمسيس الثاني" بصفة خاصة في توزيع الجنود قاطني تلك المستوطنات من جنسيات مختلفة بعيدة عن موطنها الأصلي تطبيقا لسياسة الترحيل ولخلخلة التجمعات البشرية الأجنبية الأصل داخل المجتمع المصري، مثلما نعلم عن ذلك من نقشه في معبد الكرنك، وبالمثل ضمن النصوص المصاحبة لقمع الليبيين في مناظر معبد "رعمسيس الثاني" في "أبوسمبل" وفي إشارة الملك إلى أنه "الذي وضع النوبيين في أرض الشمال (أو الدلتا) والبدو (الآسيويين)في النوبة ، والذي وضع الشاسو في أرض الغرب، والذي جعل الليبيين (التحنو) يستوطنون المرتفعات (الجبال ربما شرق الدلتا أو في كنعان)"[5] ، ولعل "رعمسيس الثاني" هدف من تطبيق تطبيق مثل تلك السياسة في إعادة اسكان مجموعات بشرية أجنبية بعيدا عن مناطق التماس الجغرافي لها مع أصولها البشرية إلى إحكام سيطرته على جنوده الأجانب.

إذ تبين "بردية انسطاسي الأولى" العائدة إلى عهد الملك "رعمسيس الثاني"، أن الليبيين كانوا يؤلفون جزء مهم من الجيش المصري في عهده، حتى أنّ احدى فرقه وعدد أفرادها خمسة آلاف جندي كانت تحوي ألف وتسعمائة مصري، ومائة من المشواش وألف وستمائة قهق[6]، وهذا يدل على أن المصريين في في ذلك العصر قد اعتمدوا في دفاعهم عن وطنهم بجنود من القهق والمشواش الليبيين.

فترة الراحة الطويلة التي منحها "رعمسيس الثاني" لنفسه قرب نهاية حكمه لم تكن تتفق والتحركات التي تجري فيما وراء الحدود الغربية لمصر، ومن هنا تجددت المحاولات الليبية للنزوح إلى مصر، حيث ظلوا يتدفقون نحو غرب الدلتا، وزاد من خطرهم انضمام شعوب البحر إليهم، وهكذا يبدو أن أخريات "رعمسيس

---

[1]- بيومي مهران ، مصر منذ قيام الدولة الحديثة، ج3 ، ص 365.
[2]- فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 41 .
[3]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 54 .
[4]- آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 298 .
[5]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 54.
[6]- عبد المنعم أبوبكر ، ليبيا في أقدم عصورها ، ص 478 ؛ Taklit Slaouti, op-cit , p 233 . voir : Christiane Desrochers Noblecourt , Ramsès II , éd Pygmalion , Paris , 2004 , réed de 1996 , p p 140-145.

الثاني" الهادئة قد أعطت القبائل الليبية الفرصة وتدمير القلاع والحصون والحصول على تأييد بعض شعوب البحر والاندفاع بقواتهم صوب الواحات الشمالية[1].

يرى "البرغوثي"[2] أن "رعمسيس الثاني" كرر خطأ والده "سيتي الأول" عندما اكتفى بصد وردع الليبيين، وهم الذين كانوا خطرا على مصر في أيام والده حين كانوا وحدهم، فكيف يكون مصير مصر بعد أن تحالفوا مع الشردن من شعوب البحر، كما يعتبر حروب الليبيين مع "رعمسيس الثاني" مقدمة للحملات الكبرى التي تلتها، وهي أكبر أحداث التاريخ الليبي في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين.

ترجع أسباب الزحف الليبي من وجهة نظر بعض المؤرخين إلى عدة أسباب، منها زوال شخصية "رعمسيس الثاني" ذات الشهرة، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية حيث أن "ليبيا" بلد فقير لم يكن فيما مضى يقوم بأود سكانه الأصليين، ولهذا كان السكان المهاجرين لمصر خلال كل العهود دائمي الرغبة في أن يتركوا حياة الصحراء ويتمتعوا بالأمن والراحة على حدود وادي النيل؛ إلا أن هذا السبب الأخير غير منطقي بهذه الصورة حيث أنه من المعروف أن المناطق الليبية هي مناطق غنية بمحصولاتها وحيواناتها، بدليل ما كان يذكره الفراعنة من الغنائم الكثيرة التي يحصلون عليها من مناطق صحراوية فقيرة، بالإضافة إلى أنّ غنى هذه المناطق سيكون من أسباب اندفاع الإغريق لاحقا لاحتلال الإقليم الشرقي من ليبيا خاصة اقليم قورينائية[3]، أضف إلى ذلك الحروب الكبرى في عهد الملكين "مرنبتاح" و"رعمسيس الثالث" ، القبائل الليبية التي خاضت هذه الحروب هي "الليبو" و"المشواش"، وهؤلاء مستقرون على ساحل البحر المتوسط ابتداء من برقة شرقا وباتجاه الغرب، وهي أراضي شهد لها المؤرخون الكلاسيكيون بالخصوبة وكثرة خيراتها ومواشيها في القرون الأخيرة لما قبل الميلاد، أي لما اشتد الجفاف وزاد التصحر، في حين أننا لا نستبعد أن يكون زعيم الليبيين قد قرر تحت ضغط الوافدين الجدد من شعوب البحر، الهجرة بشعبه والاستقرار بمصر[4].

وفيه من يعتبر العامل الاقتصادي سبب لهذا الزحف، حيث أن شعوب البحر حين أخضعوا "كريت" أصبحوا الخلفاء الطبيعيين للتجارة البحرية الكريتية[5]، وأنهم حين فكروا في الاتجاه جنوبا كان الشاطئ الإفريقي عند "برقة" أقرب إليهم من أية نقطة أخرى، ومن هنا نشأت علاقات ودية بين شعوب البحر وبين

---

[1]- أحمد دراز ، المرجع السابق ، ص 50-51.

[2]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 57.

[3]- أحمد دراز ، المرجع السابق ، ص 51 .

[4]- أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 123-124.

[5]- تم الكشف عن دلائل اتصالات تجارية عبر البحر المتوسط (الأخضر العظيم) بين المراكز الحضارية في "قبرص" و "كريت" خاصة مع مناطق الساحل المقابل لها في غرب مصر (مرسى مطروح) و باتجاه ليبيا (برقة) مثلما أبانت عنه أعمال حفائر بعثة متحف جامعة "بنسلفانيا الأمريكية عامي 1985 م و عام 1987م في موقع جزيرة اليهودي (باطة) في ميناء مرسى مطروح باشراف "د.دونالد وايت" من كسر فخارية قبرصية الطابع ، و بالمثل شردات مينوية الأصل و بعض الشردات الفخارية المصرية و الليبية يرجح تأريخها من العصر البرونزي الحديث في دوره الأول LBA لعصر الدولة الحديثة خاصة في القرن الرابع عشر إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. عن :علاء الدين شاهين ، المرجع السابق، ص 54-55. أنظر : L.H.Charless , international trade in the new kingdom cyproite, egyptian and libyans at Marsa Matruh « fifth international compress of egyptology , October 29 – November 3, Cairo , 1980, p 41 ; D.White ,1987 excavations on Bates Island Marsa Matruh, second preliminary report ,J A R C E 26, 1989, p93-94.

الليبيين، ومن المحتمل أنه في تلك الفترة كانت التجارة البحرية المصرية قد أصابها الخمول، من هنا كان الصراع بين شعوب البحر ومصر من أجل تجارة البحر المتوسط، وربما كان ذلك هو السبب الذي جعلهم ينضمون لليبيين ضد مصر في هذه الحرب[1].

شهدت فترة حكم "مرنبتاح" انفجار الموقف على حدود مصر الغربية واندفاع جيرانها الليبيين وحلفائهم من شعوب البحر، فعصر هذا الفرعون يمثل مرحلة مهمة من مراحل الصدام بين القبائل الليبية والسلطة الفرعونية، وقد اعتمد الباحثون في دراسة وتحليل هذا الصدام على مصادر[2] من عهد الفرعون "مرنبتاح" وهي: **لوحة عمدا**[3]**،عمود المطرية**[4]**،عمود القاهرة**[5]**،لوحة أتريب**[6]**،نقوش الكرنك الكبيرة**[7]**، قصيدة قصيدة انتصار مرنبتاح،**[8]، بالإضافة إلى مصادر أخرى ثانوية، تحتوي على انتصارات الملك "مرنبتاح" وعن أسراه وغنائمه ولا تقتصر على الليبيين فقط . ومن بينها : منظر الواجهة الداخلية للجدار الشرقي لفناء الخبيئة في الكرنك[9]، وكذلك نقش على جدران معبد العمارة بالقرب من "عمدا"، بالإضافة إلى عدد

---

[1]- بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 117-118 .

[2]- من المؤسف أن معظم، بل كل مصادر هذا الصراع قد جاءت من الجانب المصري ومن السلطة الحاكمة، وهي الطرف الأساسي في هذا الصراع لذلك فإنها لن تكون محايدة على الاطلاق ويحتاج الباحث إلى الحذر الشديد عند التعامل معها خاصة مع ما نعرفه عن المصادر المصرية من ميل إلى المبالغة والتكرار واستخدام الأساليب الدعائية حتى وصفها أحد الباحثين بأنها نصوص تتسم بالمداهنة والرياء ومتخمة بالبلاغة، وكان من الضروري أن تصور الفرعون منتصرا حتى وإن كان الواقع غير ذلك، ومما يعيق فهم هذه النصوص ميل الكتابة المصرية إلى استخدام صيغ بلاغية الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف كبير في تفسيرها وتأويلها. عن:حسين عامر، المرجع السابق،ص 210؛آلن جاردنر،المرجع السابق،ص 312.

[3]- مؤرخة بالعام الرابع الشهر الثاني من فصل الصيف اليوم الأول، ويحتوي نصها على 13 سطرا ، ويتحدث عن الهجوم الليبي وشعوب البحر على الحدود الغربية والتمرد في الجنوب .عن: رمضان السيد ، المرجع السابق ، ص 159.

[4]- مؤرخ بالعام الخامس الشهر الثاني من فصل الصيف، وعلى هذا العمود نص من أربعة أسطر ،يحدثنا عن انتصار الملك على الليبيين وأعداد الأسرى والغنائم والممتلكات . عن: رمضان عبده ، تاريخ مصر، ج 2 ، ص 250.

[5]- مؤرخ بالسنة الخامسة أيضا من حكم مرنبتاح، عثر عليه في منف ،محفوظ الآن بمتحف القاهرة ، وهو جزء من عمود من الجرانيت، وعليه بقايا نص مهشم يتحدث عن معاقبة الملك للرؤساء الليبيين ولعناصر من شعوب البحر. عن :سليم حسن، مصر القديمة ، ج7 ، ص 92 ؛ Breasted , A R E , vol III , para 593-594 , p 252-253.

[6]- وهي مؤرخة بالعام الخامس الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم الثالث من حكم مرنبتاح ، وقد أطلق عليها برستد هذا الاسم دون أن يوضح معناه ، عثر عليها بالقرب من منوف بالدلتا، ،محفوظة الآن بالمتحف المصري. عن:رمضان عبده ، تاريخ مصر ، ج2 ، ص 276 ؛ سليم حسن ، ج6 ، ص 92-93.

[7]- يعد هذا المتن من أطول الوثائق المحفوظة على جدران المعابد المصرية، ويقدم أتم وصف باق عن انتصار "مرنبتاح" على ليبيا، يحتوي هذا النص على 80 سطرا نقشت على داخل الجدار الشرقي من جهة الغرب الذي يربط معبد الكرنك الأصلي بالبوابة السابعة ، تعرض للتشويه في بدايته وفي بعض أجزائه، وهو من أطول النصوص المتعلقة بهذه الحرب مما قد يشير إلى أنه الأصل الذي اعتمدت عليه النصوص الأخرى. عن:سليم حسن، مصر القديمة، ج7، ص 84، رمضان السيد، المرجع السابق ، ص 159.

[8]- وهي قصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود، وهي المسماة "لوحة اسرائيل"- وقد اعتبر بعض الباحثين أن ذكر "اسرائيل" لأول مرة في هذه اللوحة، وهناك من يعترض بشدة على وصفها "بلوحة اسرائيل" لعدم التأكد من صحة قراءة الكلمة، ويرى تسميتها بلوحة "أمنحتب الثالث" أو "لوحة انتصار مرنبتاح" أو أنشودة النصر"، أو اللوحة ذات النصين لاحتوائها على نصين أحدهما لأمنحتب الثالث والآخر لمرنبتاح- هذه اللوحة في معبد الملك الجنائزي، وكذلك على لوحة في معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك، وهي في مجموعها فخر بالنصر العظيم الذي أحرزه الملك على الليبيين في السنة الخامسة من حكمه، وبه نجت مصر من خطر عظيم. عن: سليم حسن، مصر القديمة، الأدب المصري القديم في الشعر وفنونه والمسرح، ج 18، مكتبة الأسرة، 2000، ص 214؛ Breasted , A R E , para 602-617 , p p 256- 264 ؛ حسين عامر، المرجع السابق ، ص 211.

[9]- رمضان السيد ، المرجع السابق ، ص 159.

من البرديات أهمها "بردية انستاسي رقم 2" و"بردية انستاسي رقم 3"، وهذه البرديات محفوظة بالمتحف البريطاني[1].

يتضح من خلال هذه المصادر أن هذه الحرب وقعت في السنة الخامسة من حكم "مرنبتاح"، وقد وصف "برستد" هذه الحرب" بأنها كانت واحدة من أخطر الحروب التي تعرضت لها مصر في تاريخها"[2]، تاريخها"[2]، ذلك لأنها لم تكن حربا عادية بل كانت عملية استيطان ونقل شعب بأكمله وإسكانه بمصر مثلما فعل الهكسوس من قبل، حيث تفيد "نقوش الكرنك" أن مصر قبل تولية "مرنبتاح" "كان جزء من أرضها غير معتنى به، وقد ترك ليكون مرعى للماشية بسبب أقوام الأقواس التسعة (الليبيين)، وقد ترك خرابا منذ زمن الأجداد وكل ملوك الوجه البحري ظلوا وسط مدنهم محصورين في القصور لقلة الجنود، وقد تزايد التهديد الليبي من جديد وكان المغيرون من الليبيين يكتسحون الحقول المصرية استمرار حتى ضفاف النهر العظيم حيث كانوا يقضون أياما بل شهورا يسرحون ويمرحون في الأراضي المصرية، وفي هذه المرحلة تحالفت القبائل الليبية ضد مصر"[3].

تحالفت قبائل الليبو والمشواش والقهق مع بعض شعوب البحر من "الشردن" و"الشكلش"و"أكواشا"و"لوكا" و"التورش"، تحت زعامة رئيس قبيلة الليبو "مري بن دد"[4]، وهذا الأخير تصفه النصوص المصرية بأنه "يأخذ معه كل محارب حسن وكل رجل محارب من بلده، وقد أحضر معه زوجه وأطفاله"[5]، وكذلك فعل حلفاؤه إذ جاءوا بنسائهم وأطفالهم، كما جاءوا بالماشية وثروة من الأسلحة والأدوات التي تم الاستيلاء عليها فيما بعد[6]؛ وبعد أن جمعوا شملهم وكونوا قوة نظامية متحالفة بدأ الزحف والهجوم على مصر.

يرى "جاردنر"[7] أن الهجوم لابد أن يكون قد جاء من مكان بعيد في الغرب من برقة، وربما من ورائها مادام التحرك الأول لقائدهم "ماري" كان يستهدف النزول على أرض "تحنو" واحتلالها ، ولم يمض وقت طويل حتى غزو القلاع الأمامية بل إن بعضهم شق طريقه إلى واحة الفرافرة ومع ذلك فإن النهر الكبير أو الفرع الكانوبي للنيل جعل حدا لتقدمهم.

انتشرت أخبار الغزو في البلاد، فشعر المصريون بالخطر الداهم الذي يهدد بلادهم، وأخذ القلق والفزع بالفرعون مرنبتاح مأخذه[8]، بعد أن توغل "مري بن دد" وحلفائه في الدلتا وصار هؤلاء على مقربة من مقر حكم الفرعون الذي كان هو وأنصاره قد امتلأوا رعبا من هذه الثورة ، فأغلق أبواب عاصمته وفر

---

[1]- رمضان عبده ، تاريخ مصر ، ج2 ، ص 276-277.

[2]- Breasted , A R E , vol III , para 569 , p 238 .

[3]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 57-58.

[4]- Alan Buttery, op-cit , p 4 ; Breasted , a history of Egypt , p 467.

[5]- Breasted , A R E , vol III , para 579 , p 243.

[6]- Taklit Slaouti , op-cit , p 235 ؛ آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 300.

[7]- آلن جاردنر ، المرجع نفسه.

[8]- بيومي مهران ، مصر منذ قيام الدولة الحديثة ، ج 3 ، ص 368.

السكان من بعض المدن القريبة خوفا من مخاطر المواجهة النهائية بين الطرفين؛ فقد جاء في قصيدة انتصار مرنبتاح :" وهو الذي أزاح تلا من النحاس من فوق ظهور الشعب حتى يتمكن من منح من كانوا في الأسر الهواء"[1]. وهو ما يشير إلى أن الخطر قد بلغ درجة جعلت الفرعون يغلق على نفسه عاصمته ويعجز حتى عن تسديد مخصصات المعابد وصار أهل العاصمة والمدن المجاورة[2] وكأنهم أسرى داخل أسوارها خوفا من اقتحامها من جانب الجيوش الليبية حتى يتمكن من الاستعداد للمواجهة.

كان هؤلاء الجنود مصممين على هدفهم، فقد وصفتهم المصادر المصرية على أنهم "يحبون الموت ويحتقرون الحياة وقلوبهم متعالية على أهل مصر"[3] ، لذا أمر الفرعون بتحصين الحدود، واهتم بقلاع "عين شمس" و"منف"، ثم حشد جيوشه وجهزها للقتال[4].

أمر "مرنبتاح" بتجهيز الحشد العظيم في "مبر"، حيث احتشد خير رماته، وجيء بعرباته الحربية من كل مكان ، سار مشاته يتقدمهم المقاتلون بالسلاح الأبيض، ومن ورائهم رماة النبال وكان الملك قد جمع رجال بلاطه وقد خطب فيهم قائلا :"..انكم تتزعجون كالطيور..هل ستخرب البلاد.. وأقوام الأقواس التسعة (الليبيين) قد أتوا إلى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم..؟ "[5].

جرت المعركة الحاسمة بين الجيشان في مكان يدعى "بي ير" أو "بر أر"، ودامت المعركة ست ساعات بحسب ما ورد عنها في المصادر المصرية، ألحق بهم مرنبتاح الهزيمة، وإن يرى "جاردنر"[6] أن مرنبتاح لم يسهم بشخصه في القتال، والسبب في ذلك أنه كان طاعن في السن حين ولي العرش ومع ذلك فالنصر نسب إليه .

ومن المرجح أن مرنبتاح في هذه المعركة قد استطاع أن يختار موقعا يستطيع أن يكسب النصر منه، إذ لم يكن من السهل على القوات الليبية المهاجمة أن تجتازه، ويعتقد أن الحظ قد لعب دوره في هذه المعركة ، فكان إلى جانب المصريين ولم تكن شجاعة المصريين هي سبب الانتصار، حيث أن الليبيين وحلفائهم قد أنهكهم السير لمسافة كبيرة حتى واقع المعركة، وأيضا لأن مختلف ألوية الجيش المتحالفة لم يسبق لها أن حاربت تحت قيادة واحدة[7].

رغم أن المعركة لم تستمر أكثر من ست ساعات بحسب ما ورد عنها في النصوص المصرية، إلا أنها كانت بمثابة مجزرة بشرية بلغ فيها القتال غاية الشدة والعنف[8]، فقد كان عدد القتلى حوالي 6359 من الليبيين،و 21 من القهق، و237 من الحلفاء، كما أخذ المصريون في هذه المعركة عدد كبير من الأسرى،

---

[1]- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج18 ، ص 215.
[2]- حسين عامر ، المرجع السابق ، ص 218.
[3]- Breasted , A R E , para 580 , p 244.
[4]- بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 119-120.
[5]-عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 58 ؛ Breasted , op-cit , para 580 , p 243
[6]- آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 300.
[7]- بيومي مهران ، المرجع السابق، ص 120 ؛ أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 129.
[8]- بيومي مهران ، مصر منذ قيام الدولة الحديثة ، ج 3 ، ص 369.

حوالي 3000 أسير من شعوب البحر[1]، وأسر منهم جميعا أي الليبيين وحلفائهم حوالي 9367 أسير، وكان من بين القتلى ستة من أبناء "مري بن دد" وعدد من أقربائه وضباطه، أما الأمير "مري بن دد" استطاع أن ينجو بنفسه بأعجوبة؛ اجتاح المصريون المعسكر الليبي وأشعلوا النيران في خيامه، كما استولوا على أمتعة "مري بن دد" الخاصة بما فيها فضته وذهبه وأوانيه البرونزية وأثاث حريمه وعرشه وقسيه وسهامه بالإضافة إلى ثيرانه وغنمه وحميره[2] وكل ما كان قد أحضره معه من بلاده.

وحسب ما ذكرته المصادر المصرية التي استولى عليها المصريون كانت ضخمة، وقد أدرجت في قائمة على الوجه التالي:

سيوف المشواش النحاسية 9111، أسلحة ليبية صغيرة 120214، الخيول التي حملت الأمير الليبي، أطفال الأمير الليبي وقد أخذوا أحياء هم واثنتا عشرة من زوجاته، مواش متنوعة 1308 رأسا من الماعز، أواني شرب من الفضة، أوان مختلفة 3174، قسي 2000[3].

وبهذه الأعداد الهائلة من الغنائم والقتلى والأسرى، يتبين مدى الخطر الذي كان يحوم حول مصر في تلك الآونة، إذ بلغ عدد الجيوش الليبية حسب تقدير "بيتس" و"برستد" ما بين 20 و25 ألف جنديا، وقد كانوا جميعا حسب تعبير "ماسبيرو" الصفوة من كل الجنود وكل الأبطال في كل بلد[4].وهكذا انتهى تهديد الليبيين وانقذت الحدود المصرية الغربية، واطمأنت مصر فترة من الزمن، وقد احتفل المصريون بذلك.

إن هزيمة الليبيين على يد قوات "مرنبتاح" لم تمنع هؤلاء من إعادة الكرة ومحاولة غزو مصر بعد ذلك بحوالي ثلاثين سنة، وفي عهد "ست نخت" من الأسرة العشرين تدفقت القبائل الليبية من الليبو والمشواش باتجاه مصر مستفيدة من أحداث الصراع الداخلي بها في أواخر الأسرة التاسعة عشرة، واحتلت التحصينات الغربية لحدود مصر والجزء الغربي من الدلتا، ووصلت غاراتها إلى واحة سيوة[5].

وفي عهد "رعمسيس الثالث" ثاني ملوك الأسرة العشرين واجه خطر الغزو الليبي مرتين ، الأولى وقعت في السنة الخامسة من حكمه أي حوالي سنة 1194 ق.م، والثانية في السنة الحادية عشرة من حكمه أي حوالي سنة 1188 ق.م، وقد استطعنا معرفة تفاصيل هاتين المعركتين بفضل بردية هاريس الكبرى[6] ونقوش معبد "رمسيس الثالث" الكبير في مدينة هابو[7].

---

[1]- Alan Buttery , op-cit , p 4.

[2]-عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 59 .

[3]- Breasted , A R E , para 589 , p 250-251؛ O.Bates, op-cit , p 217-218 ؛ البرغوثي،المرجع السابق، ص 59-60.

[4]- أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 129. انظر : G.Maspero, histoire ancienne des peuples de l'orient :les premieres mèlees des peuples , librairie hachette , paris , 1897, p 433.

[5]- فرانسوا شامو ، المرجع السابق ، ص 43.؛ علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 57 .

[6]- بردية هاريس Papyrus Harris:هي أطول وثيقة مكتوبة على ورق البردي وصلتنا عن حياة "رعمسيس الثالث" حيث يبلغ طولها أكثر من أربعين متر، ويبلغ عرضها حوالي 42 سم، وهي بردية مدونة بالخط الهيراطيقي، وتفيد كثيرا في شرح وفهم النقوش والصور التي خلدها هذا الفرعون على جدران معبد مدينة "هابو"، وهي تتعرض كذلك لكل الحروب التي خاضها . عن فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 43.

[7]- رجب الأثرم ، المرجع السابق ، ص 175 ؛ Breasted , ARE, vol IV, para 36-37 , p p 19- 21

- الحرب الأولى (حوالي 1194 ق.م): ترك "رعمسيس الثالث" عن حروبه الأولى مع الليبيين سلسلة من المناظر، ومتنا مؤرخا بالسنة الخامسة يحتوي على 75 سطرا[1]، يمكن للباحث أن يستخلص من مجموعها صورة مفهومة عن هذه الحرب، وهذه المناظر مصورة على الجدارين الغربي والشمالي للمعبد الكبير.

يرجع السبب في قيام هذه الحرب إلى تدخل الفرعون "رعمسيس الثالث" في شؤون الليبيين، إذ حاول أن يعرض عليهم ملكا منهم رباه في مصر، فرفض الليبيون لأنه كان في نظرهم حاكما مصريا، وأدى هذا الموقف إلى نشوب الحرب بينهم وبين "رعمسيس الثالث"، وقد سجل هذا الملك على جدران معبده الكبير في طيبة الغربية أخبار حربه هذه ضد الليبيين حيث قال :" لقد أتى أهل بلاد التمحو مجتمعين معا في مكان واحد، ومعهم "الليبو" و"السبد" و"المشواش"، غير أن خططهم حطمت ...وقد طلبوا رئيسا بأفواههم، غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم ...وأن الاله الواحد الممتاز هو الذي عرف خطة صائبة ..ليجعل أهل الممالك الأجنبية يطلبون بقلوبهم من الملك العظيم أن ينصب رؤساء لهم...وكان جلالته قد ربى ولدا صغيرا من أرض "تمحو" وقد عضده بقوة ساعديه ونصبه رئيسا عليهم لينظم الأرض وهذا ما لم يسمع به من قبل منذ بدأ الملوك."[2]

وسواء أكان ذلك هو السبب الرئيسي، لاندفاع الليبيين من "الليبو" و"المشواش" و"السبد" ضد مصر استنكارا لمحاولات "رعمسيس الثالث" التدخل في شؤونهم، وثورة على ذلك أو الرغبة الدائمة من القبائل الليبية للوصول والإقامة في مراعي الدلتا الخضراء، فإن "رعمسيس الثالث" كان عليه عبء مواجهة ذلك التحالف بقيادة "ثيمر" – بعد عزل مري بن دد عين بدلا منه– ومجموعات جديدة من شعوب البحر تقدمت معه أو سبقته إلى مصر نتيجة لما لحق بحوض البحر المتوسط من تغيرات سياسية[3].

تبدأ وقائع هذه الحرب تتأكد تاريخيا من اللحظة التي اتحد فيها "التمحو" وتحالف[4] معه الثكل والبلست ضد مصر، وقد حدث هذا عندما تجمعت قبائل "الليبو" و"المشواش" و"السبد" وتحركت شرقا

---

[1]- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج7 ، ص ص 271-276.

[2]-عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 63-64؛ Edgerton.Wilson,op-cit , plates 27-28 , p25

[3]- وقعت في سوريا و آسيا أحداث خطيرة حفزت الليبيين في النهاية على تكرار محاولة أميرهم "مري بن دد" التي حدثت قبل ثلث قرن من الزمن، وكانت تلك الأحداث عبارة عن اضطرابات في الشمال أدت إلى الزحف الكبير الذي قامت أقوام متعددة منهم إلى الجنوب تحت ضغط جيرانها في الشمال، و كان من بين تلك الأقوام :" الثكل ، البلست (الفلسطينيون في الانجيل ، و كانوا قد استقروا قبل ذلك في جزيرة كريت اليونانية) و الدنين و الوشش و الشكلش و الشردن . و بدأ الثكل و الفلسطينيون يتحركون جنوبا و شرقا كما أن عددا من المغامرين منهم بدأوا يغيرون على شواطئ الدلتا ، و كان من الطبيعي أن تلتقي مصالحهم مع مصالح الليبيين مما أذكى في نفوس الليبيين الحماس لتلك المطامح التي كان "مرنبتاح" قد أخمدها إلى حين . فإن مصر الآن أصبحت بين فكي الكماشة شعوب البحر يهددون حدودها الشرقية، والليبيون يهددون حدودها الغربية. عن : عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 63.

[4]- يرى بعض المؤرخين أن فريقا من شعوب البحر قد تحالفت مع الليبيين في هذه الحرب –كما حدث في أيام مرنبتاح- فيرى "برستد" و يوافقه في الرأي "ابو المحاسن عصفور" أن هناك فريقا من شعوب البحر اتجهوا بأساطيلهم التي يقودها رجال مغامرون إلى شواطئ الدلتا، متبعين أساليب النهب والقرصنة أينما حلو، وحينما وصلوا إلى شواطئ إفريقيا انضم إليهم الليبيون الذين كانوا يأملون في نهب أراضي الدلتا الخصبة واحتلالها، ثم تقدموا معا برا وبحرا حيث قابلهم "رعمسيس الثالث" وحدثت بينهم معركة انتهت بهزيمتهم؛ ومن ناحية أخرى فهناك فريق آخر من المؤرخين يعارض هذه الفكرة، ذلك أن "جون ويلسون" يرى أن مناظر الحرب العشرة الموجودة بمدينة "هابو" لا تصور أعداء باستثناء جيش "ريبو-تحنو" وأن شعوب البحر المصورين كانوا يحاربون في جانب مصر كمرتزقة، كما أن النقوش المصاحبة لم تذكر الشماليين اطلاقا و أن نقش السنة الخامسة الذي يعطي بيانات عن هذه الحرب ينقسم إلى قسمين : قسم يعالج الحرب الليبية الأولى، وقسم منفصل يعالج الحرب ضد شعوب الشمال، وأن المعركتين بقيتا مختلفتين، ومن هنا فليس هناك تحالف، بخاصة وأن

لينضم إليهم "أقوام البحر" والليبيون الذين كانوا يقيمون في الدلتا من قبل (التحنو)، وعلى هذا الأساس فإن عدد المحاربين المتحالفين لم يكن يقل كثيرا عن ثلاثين ألفا، ودخلوا مصر وبدأت الحرب فخربوا ريف الدلتا ونهبوا مدنها من "كربن" حتى "ممفيس" في الجنوب، دون أن يلقوا أي مقاومة في بادئ الأمر، فبدأوا يخلدون للسكينة والاستقرار واعتبر "ثيمر" نفسه مهمته منتهية، وفي هذه الآونة فوجئ بجيش "رعمسيس الثالث" ينقض عليهم وألحق بهم الهزيمة، وقتل منهم حوالي 12535 قتيلا، وأسر حوالي ألف أسير[1] استخدموا في الجيش وفي خدمة المعابد؛ ويبدو من مراجعة النصوص الخاصة بالحرب الليبية الأولى هذه أن العنصر الغالب عليها هو عنصر "الليبو"، وأن قادتهم الذين هلكوا في تلك الحرب هم "دد" و"مشكن" و"مري" و"ورمر" و"ثمر". وقد يكون اسم "مري" واسم "دد" قد وضعا بين أسماء أمراء الليبو وقادتهم وأنهما نقلا من نصوص "مرنبتاح" أو تكون أسماء تتكرر لأفراد من نفس هذه الأسرة المتزعمة لليبو[2].

-الحرب الثانية(1188 ق.م): تجددت الضغوط الليبية على حدود مصر الغربية في العام الحادي عشر من حكم رعمسيس الثالث، بعد أن خاض "رعمسيس الثالث" في سنته الثامنة حربا ضد شعوب البحر الشماليين، فهذه الحرب جذبت كل انتباه المصريين عن الحدود الغربية، فقد تركوا حدودهم دون حراسة فأعطوا الليبيين الفرصة في أن أعادوا تنظيم أنفسهم، واخترقوا الدلتا بسهولة، وقد كانت راية الزعامة في هذه الحرب "للمشواش"-بعدما كانت الزعامة في الحرب الأولى لقبيلة "الليبو"- حيث لم ترضى قبيلة المشواش عن نتائج الحرب الأولى وعن تخاذل الليبو في قيادتهم لهذه الحرب ضد "رعمسيس الثالث"[3]، فكما جاء في المصدر المصري:"لقد تسبب الريبو في ارتباكنا وارتباكهم لأننا أصغينا إلى نصيحتكم"[4].

استطاع زعيم "المشواش" "كبر" أن يجعل القبائل الليبية تحت لوائه، وتمكن "مششر بن كبر" أن يقود المشواش ومن تحالف معهم – ضم التحالف خمس قبائل وردت الإشارة إليها في النصوص المصرية باسم "الكيكش والاسبت والشاي والهس والبكن"-نحو مصر[5]، ويرى البرغوثي"[6] أن الحلفاء في هذه المرة قد توصلوا إلى نوع من التفاهم مع العموريين في سوريا، لأن هذه الحرب الليبية والحرب العمورية ضد "رعمسيس الثالث" وقعتا في السنة الحادية عشرة من حكمه إذ تظهر على جدران معبد هابو نقوش تبين هذا الفرعون وهو يقود ملك العموريين والرئيس الليبي معا أمام الإله آمون، ومثل هذا التفاهم بين الطرفين

الاشتباك الحاسم كان على حافة الصحراء في الركن الشمالي الأقصى من الدلتا. ويرى "بيومي مهران" أن الحرب في جملتها من الليبيين، وإن كان هذا لا يمنع من أن بعضا من شعوب البحر قد ساعدوا الليبيين في حملتهم هذه ضد مصر و ان لم يكن ذلك بصورة رئيسية، ذلك لأن هذه الحرب الليبية الأولى كانت أصلا من الليبيين. عن: بيومي مهران، المغرب القديم، ص 126-127. أنظر J.H.Breasted , cambridge ancient history , II, 1931, p 173 ؛ أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 105.

[1]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 65؛ سليم حسن ، مصر القديمة ، ج7 ، ص 289.

[2]- مصطفى عبدالعليم ، المرجع السابق ، ص 29.

[3]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 66؛ أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 171- 172.

[4]- Edgerton.Wilson , op-cit , plates 80-83, p 84.؛سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 323 .

[5]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 58 – 59.

[6]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 67.

كان من الممكن أن يتم بواسطة "الثكل" الذين كانوا حلفاء لليبيين في حرب السنة الخامسة من حكم "رعمسيس الثالث".

تفيد نقوش ولوحات معبد مدينة هابو، أن القوات المتحالفة زحفت على مصر وعقدت النية على احتلالها، وكانوا على حد تعبير احدى هذه النقوش يقولون:" إننا سنقيم في مصر، هكذا كانوا جميعا يقولون، ثم أخذوا يعبرون الحدود المصرية فوجا إثر فوج"[1].

أول خطوة قام بها "مششر" وحلفائه القضاء على قبيلة "التحنو" المسالمة المقيمة في غربي الدلتا على حدود مصر مباشرة، وإرغامها على الانضمام للحلف، وبعد اخضاعهم تماما قاموا بحملتهم على مصر كما ذكر في المصادر المصرية:" وكان رئيس المشواش سابقا قد أتى مهاجرا ومعه أهله، وانقضوا على بلاد "تحنو" الذين أصبحوا رمادا فقد خربت مدنهم وأصبحت قفرا، ولم يعد لبذرتهم وجود"[2].ثم استمرت القوات المتحالفة في التقدم داخل مصر، ونهبوا المدن الواقعة على الشاطئ الغربي من "منف" حتى "قروبين"، وقد وصلوا في زحفهم حتى النهر العظيم على كلا شاطئيه، وبمعنى آخر من رأس الدلتا حتى قاعدتها، أو من القاهرة حتى الاسكندرية[3]، وهذا ما تؤكده بردية "هاريس" فقد جاء فيها ذكر لهذه الحملة كما يلي: "كان الليبو والمشواش مستقرين في مصر وكانوا قد استولوا على كل الرقعة الواقعة غرب "حيكوبتاح"(منف) حتى قروبين ووصلوا إلى النهر الكبير من كل جوانبه، وكانوا هم أولئك الذين خربوا مدن اقليم "اكسويس" مدى بضع سنوات حين كانوا بمصر... أنني قد قضيت عليهم وذبحتهم بضربة واحدة ولقد أذللت "المشواش" و"ليبو" و"اسبات" و"قيقاش" و"شايتب" و"هاسا" و"بقن" وجعلتهم غارقين في دمائهم مكومين فوق بعض، لقد جعلتهم يرتدون عن وطء حدود مصر، ومن بين ما ستنفذهم سيفي أخذت أسرى وربطتهم كالطيور أمام خيلي، وكان هناك عشرات الآلاف من نسائهم وأطفالهم وكانت تعد مواشيهم بعشرات الآلاف، واحللت قادتهم في معاقل تحمل اسمي، وعينت عليهم قواد جيش ورؤساء قبائل ثم دفعتهم محولا اياهم إلى عبيد موسومين باسمي وقد عوملت نساؤهم وأطفالهم بنفس المعاملة، أما ماشيتهم فقد حملتها إلى بيت آمون وجعلتها قطعانا أبدية له"[4].

كما تذكر نقوش معبد "رعمسيس الثالث" بمدينة هابو تفاصيل هذه المعركة وانتصار "رعمسيس الثالث" على الليبيين والغنائم التي تحصل عليها[5]، وتدل الغنائم التي حصل عليها "رعمسيس الثالث" على أن الليبيين لم يكونوا من الأقوام الهمج، بل كانوا مسلحين بأحسن الأسلحة ومجهزين بأمتن العدد، فقد كانت سيوفهم عظيمة يبلغ طول الواحد منها أربع أذرع وثلاث أذرع، وكانوا كذلك مسلحين بالأقواس والعربات والكنانات والخيل والحمير لحمل الأثقال، ولذلك نجد أن "رعمسيس الثالث" أخذ يستعد لمنازلتهم ويتأهب

---

[1]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 67.

[2]- سليم حسن،مصر القديمة، ج 7،ص 322-323؛ Breasted,A.R.E,vol IV,para 87,p 52 ;Edgerton.Wilson, op-cit,p76

[3]- بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 134.

[4]- آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 316-317.

[5]- نبيلة عبدالحليم ، المرجع السابق ، ص 100-101.

للمسير مع جنوده من المصريين والأجانب عند سماع بوق اعلان الحرب، ثم سار بجيشه لمقابلة العدو[1]، وكما تدل آثار مدينة هابو:"انقض عليهم "رعمسيس الثالث" بعرباته الحربية ويشاهد جنوده في حصنين يقذفون سهامهم ورماحهم على الليبيين (وهي دلالة واضحة على أنهم كانوا في حالة دفاع وإن دل على شيء فإنما يدل على خطورة الموقف)، فوجد "المشواش" وحلفاؤهم أنهم عاجزون عن الصمود في وجه المصريين الذين راحوا يضيقون عليهم الخناق، فاختلت صفوفهم ولاذوا بالفرار غربا باتجاه حافة الصحراء لتنتهي المعركة بهزيمة الليبيين"[2].ونظرا لأهمية هذا الانتصار في انقاذ مصر من الخطر الذي كان يهددها، فقد أقام "رعمسيس الثالث" احتفالا سنويا أطلق عليه اسم "عيد قتل المشواش"[3].

يتضح من خلال التفاصيل المسجلة على جدران معبد مدينة هابو أن انتصار "رعمسيس" على الليبيين كان كبيرا، فقد وصل عدد القتلى من الجيش الليبي إلى 2175 قتيل، وبلغ عدد أسراهم 2052 أسير[4]، وكان من بين الأسرى "مششر" زعيم المشواش، وزعماء التحالف وبعض أفراد أسرهم، وعددا من الشبان والأولاد، وتذكر المصادر المصرية –في قصيدة عن هذه الحرب– أن كبر والد مششر التمس اطلاق سراحه إلا أنه قتل هو الآخر[5]، وكان مصير هؤلاء الأسرى أن وسموا باسم الملك وأرسلوا ليستخدموا في الجيش بينما أرسل ألف منهم للعناية بقطعان معبد آمون[6].

غنم المصريون من هذه الحرب غنائم كبيرة ، وقد نقشت على جدران معبد الملك رعمسيس الثالث في مدينة هابو التفاصيل التالية:

119 رأسا من الماشية و الثيران؛ 115 سيفا بطول خمسة سواعد ؛ 124 سيفا بطول ثلاثة سواعد ؛ 603 أقواس؛ 93 عربة حربية؛2310 جعب سهام؛ 92 رمحا؛ 183 خيل و حمير المشواش [7].

يرى "سليم حسن"[8] أن الماشية قد بلغ عددها 4272 رأسا، وتشمل ثيرانا وأبقارا من مختلف الأنواع والأعمار، وماعزا وغنما وقد أهدى الفرعون الجزء الأعظم منها للاله آمون؛ في حين ترى "أم الخير العقون"[9] أن الأعداد الهائلة من الماشية التي تعود فراعنة مصر الاستيلاء عليها تفوق هذه الأعداد مئات المرات، كما أن شعبا يطمح في الاستقرار في أرض مصر لا يجلب معه 119 رأسا من الماشية فقط، وتعتقد أن الأرقام التي قدمها "ايدغارتون" أقرب إلى الصواب حيث لا تختلف كثيرا عن أرقام الغنائم في سابق الغزوات الليبية في الدولة القديمة مثلا، حيث يرى "ايدغارتون" أن "رعمسيس الثالث" قد استولى

---

[1]- سليم حسن ، المرجع السابق ، ص 323.

[2]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 67 ؛ آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 317.

[3]- O. Bates , op-cit , p 225.

[4]- Edgerton.Wilson ,op-cit,plate 68,p60 ; Alan Buttery,op-cit,p5 ; Breasted ,A.R.E,vol IV,para 111,p66

[5]- Edgerton.Wilson,op-cit,plates 85-86,p92 ؛عبد العليم، المرجع السابق ،ص30، جاردنر، المرجع السابق،ص 317

[6]- عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 69 ؛O.Bates , op-cit , p 225.

[7]- Breasted ,op-cit , para 111 , p 66 ; O.Bates , op-cit , p 225.

[8]- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج7 ، ص 325.

[9]- نقلا عن: أم الخير العقون ، المرجع السابق ، ص 135 .انظر : Edgerton.Wilson,op-cit , p 67-68.

على 42721 من حيوانات مختلفة،107 ثيران من ذوي القرون الطويلة، 7340 رأسا من الماشية مختلفة الأعمار، و34738 رأسا من الغنم و9452 رأسا من الماعز، و184 حمارا و92 زوجا من الخيول.

إن الأعداد الضخمة من غنائم الماشية هي دليل واضح على تربية المواشي قد لعبت دورا بارزا في الاقتصاد الليبي، ومن الملاحظ كذلك أن الحضارة المادية لهؤلاء الليبيين قد تجاوزت مجرد مستوى مجتمع الرعاة–كما كشف عنه هيرودوت أن العنصر البدوي يشكل العرق الأساسي للشعوب الليبية التي عاشت فيما بين مصر وبحيرة تريتون– والغنائم التي استولى عليها "رعمسيس الثالث" من أسلحة متطورة أقواس وسيوف –بعض المؤرخين يردها الى احتكامهم بشعوب البحر– وعربات حربية تدل على تطور وقوة وقدرة الليبيين العسكرية[1]؛ إذ يرى "عبد المنعم أبو بكر"[2]أنه ليس من شك أن هذه القوة التي التقى بها المصريون المصريون سواء في عصر "مرنبتاح" أو عصر "رعمسيس الثالث" إن دلت على شيء فهي تدل على أنها كانت قوة منظمة لشعب قد وصل في حضارته إلى درجة من التقدم تخرج به من حيز حضارة العصر الحجري الحديث إلى حضارة عصر تاريخي، وليس من المعقول قطعا أن نأخذ بما يكتبه المؤرخون من أن العصر التاريخي لليبيا يبدأ منذ استقرار الاغريق في برقة والفينيقيين في طرابلس، أي أن العصر التاريخي لا يبدأ إلا من القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد.

إذا كان "رعمسيس الثالث" قد نجح في درء خطر المشواش عسكريا، إلا أن سياسته في جلب أعداد وفيرة منهم للعمل كجنود مرتزقة في الجيش المصري والسماح لهم بالعيش في مصر في أماكن تجمع خاصة بهم، وتخصص مخصصات لهم من كساء وزاد تصرف لهم من الخزانة وشؤون الغلال الملكية، والعمل على تحريم التحدث بلغتهم الأصلية واجبارهم على تعلم اللغة المصرية، قد جلب على مصر أخطارا عديدة أواخر عصر الرعامسة إلى عصر الانتقال الثالث؛ ولعل من أبرز الأمثلة على بدأ الليبيين في إثارة القلاقل الداخلية في مصر في أواخر عهد الملك "رعمسيس الثالث"، مشاركة ليبي يدعى "أنيني" في "مؤامرة الحريم"[3] للقضاء على حياة "رعمسيس الثالث".

كما حفظت نصوص "يوميات عمال دير المدينة"(الجبانة) من أواخر عصر الرعامسة اشارات عدة إلى الدور الذي لعبه الليبو والمشواش من إثارة للفوضى وإثارة الاضطرابات حتى داخل "طيبة" خاصة من أواخر حكم "رعمسيس التاسع" وما ترتب عليه من عدم ذهاب العمال إلى أعمالهم وإبقاء رؤسائهم لهم داخل الأسوار، كما وردت إشارة إلى أن سكان الصحراء هم "المشواش"، وفي جزء آخر من نفس البردية نجد إشارة إلى الليبيين مؤرخة بالعام الحادي عشر، وفي يومية أخرى مؤرخة بالعام الخامس عشر ورد ذكر الليبو والمشواش، الذين عبروا النهر على الضفة الشرقية بطيبة[4]، وفي عهد "رعمسيس العاشر" تشير

[1]- جونتر قيتمان ، مصر و الأجانب في الألفية الأولى قبل الميلاد ، ترجمة عبد الجواد مجاهد ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009، ص 29.

[2]- عبد المنعم أبوبكر ، ليبيا في أقدم عصورها ، ص 479.

[3]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 59-60 ؛ آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص 319-320.

[4]- علاء الدين شاهين ، المرجع السابق ، ص 60 ؛ نبيلة عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 102-103.

تشير يومية مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه[1]، أن عمال الجبانة توقفوا عن العمل لأيام عدة من هذا الشهر بسبب خوفهم من سكان الصحراء (الليبو والمشواش).

وعليه يمكن القول بأن المحاولات الليبية الحربية باءت بالفشل –حسب ما جاء في المصادر المصرية– لكن هذا لم يمنع محاولاتهم في الدخول إلى مصر مرة أخرى والاستقرار والاستيطان فيها، وتمكنوا في النهاية أن يحققوا سلما ما فشلوا في تحقيقه حربا، ألا وهو ارتقاء العرش المصري .

ثالثا: المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي من خلال الآثار المصرية القديمة:

سجل المصدر المصري أخباره وأخبار جيرانه منذ أن بدأوا بتدوين تاريخهم في فترة فجر التاريخ، وقد زوّدونا بالكثير عن القبائل الليبية التي كانت تعيش من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا عاداتهم، معتقداتهم، وعتادهم، فالمصادر المصرية القديمة ساهمت في تقديم صورة واضحة عن النظام الاجتماعي والاقتصادي للّيبيين، فقد كان المصريون أقرب من غيرهم من الأمم من سكان ليبيا اقليميا واثنيا وربما لغويا[2].

1- الجانب الإجتماعي :

أ- المجتمع :

عرف الليبيون نظام الحكم القبلي، فقد كان يرأس القبيلة زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة، ويشترط في رئيس القبيلة المختار الالتزام بالعدل في حياته وتصرفاته، وتستطيع القبيلة عزل رئيسها إذا ما ثبت عدم كفاءته، ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخرين كما حدث في حالة الأمير "مري بن دد" بعد هزيمته، الذي ولى أخوه في منصب رئيس القبيلة[3]، كان منصبا وراثيا في الأسرة الحاكمة.

كان يساعد رئيس القبيلة في إدارة شؤونها مجلس استشاري، وهذا ما تبينه نصوص الملك "رعمسيس الثالث" الذي أمر أن يحضر إليه الأسرى العشرة ويرجح أنهم كانوا يشكلون مجلسا استشاريا، كما تكررت في نصوص هذا الملك أيضا عبارة رؤساء المشواش، وأشير في نصوص الأسرة الثانية والعشرين الليبية إلى الرئيس الأعظم للمشواش "رئيس الرؤساء" و"زعماء أرض المشواش". كما توضح الصور التي حفظتها جدران المعابد في مصر تباين المركز الاجتماعي للّيبيين بعدد الريش التي يضعونها فوق رؤوسهم[4]، فبعضهم يتحلون بريشة واحدة وآخرين يتحلون بريشتين.

---

[1]- بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص 143-144.

[2]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم الانسانية، العدد الأول، رقم 2، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2012، ص 15-16.

[3]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 39؛ عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق، ص 87.

[4]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق، ص 39.

يعتقد "بيتس"[1] بأن رئيس القبيلة يعتبر كاهنا في القبيلة أيضا، وهذا الرئيس يثبت في رأسه ريشتين تمييزا له عن الرؤساء الأصاغر الذين يحملون ريشة واحدة، ويحمل صولجانا من الفضة المطعمة، وله لباس رأس خاص مطرز بالفضة، ويرتدي لباس أبيض يشبك فوق الكتف بمشبك ذهب وينتعل صندلا، وهذه الميزات قد استدل بها "بيتس" من خلال الرسوم التي تغطي جدران معابد الملوك الذين خاضوا حروبا كثيرة ضد الليبيين أمثال "مرنبتاح" و"رعمسيس الثالث"، وكانت قد سبقت هذه الميزات في بداية الألف الثالثة تثبيت ذيل الحيوان في الحزام ليتدلى من الخلف، والوشم على الأذرع والسيقان وكذلك تثبيت الريش على الرأس[2].

ب- الأسرة الليبية:

تساعدنا النصوص المصرية على دراسة المجتمع الليبي بصفة عامة ونظام الأسرة الليبية بصفة خاصة، وإذا كانت مصادر العصر اليوناني تقطع بأن الليبي قد عرف تعدد الزوجات، فإن المصادر المصرية تكشف عن وجود هذه العادة عند الليبيين القدماء، فقد ذكر في نقوش الكرنك من عصر "مرنبتاح" أن "مري بن دد" أمير الليبو كان يصحب معه زوجه وستة أولاده، كانوا في الواقع رجالا بالغين، ومن غير المعقول أن تكون هذه الزوجة أمّا لهم وإلا لكانت من كبر السن بحيث لا تستطيع مصاحبة زوجها[3]، لذلك فإنه من المرجح أن تكون هي السيدة الأولى في حريم الأمير الليبي.

كما جاء في نصوص رعمسيس الثاني أن كبر بن دد" أحضر معه ابنه وزوجه وأسرته، ولكن في نص آخر أشير إلى نسائه وبذلك تكون الزوجة التي ذكرت هي السيدة الأولى في الحريم، وثمة شواهد أخرى منها لوحة حورباسن وهو ينحدر من أسرة ليبية سجل شجرة نسبه، التي تبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة، ولعل ذلك يفسر أن الزوجة التي ورد ذكرها كانت السيدة الأولى في حريم ضم عددا من الزوجات؛ وفي لوحة "بعنخى" نقرأ أن الملك "نمرود" (وهو ليبي من المشواش) أرسل زوجته الملكة "نس تبت" إلى زوجات الملك بعنخى لتلتمس العفو عنه "..ولما دخل بعنخى قصر نمرود أمر بأن تمثل في حضرته كل زوجات الملك وبناته.."[4] وهذا النص يقطع بتعدد زوجات هذا الملك الليبي الأصل.

ولعل ظاهرة تعدد الزوجات على نطاق واسع بين الليبيين هي التي أدت إلى وقوع عدد كبير من الكتاب الإغريق والرومان في الخطأ عندما تحدثوا عن انتشار ما يشبه أن يكون إباحية جنسية؛ فها هو "هيرودوت" يقول عن قبيلة "الناسامونيين" و"المساجيتي":" إن الرجل منهم حتى ولو كان متزوجا كان يتمتع بنساء الآخرين من أبناء قبيلته"، ويقول عن "الأوسيس:" انهم لا يتزاوجون وإنما يعيشون سوية

---

[1]- O.Bates, op-cit, p 116

[2]- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 3. أنظر: O.Bates, op-cit, p 116.

[3]- . Breasted, ARE,vol III, para 588, p p 248-250,O. Bates, op-cit, p 116 ; مصطفى عبد العليم، المرجع السابق ، ص 38

[4]- مصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 38-39؛ O.Bates, op-cit, p 109.

كقطيع من الحيوانات وعندما يكبر الأطفال يجتمع مجلس القبيلة الذي يضم كل رجالها البالغين، ليقرر إلحاقهم بمن يشبهونهم من الرجال"[1].

ويناقش " بيتس" هذه التهم فيعتبرها أخطاء وقع فيها قدماء الكتاب الإغريق والرومان لعجزهم عن تفهم ظاهرة تعدد الزوجات ويورد حجتين يدعم بهما رأيه: الأولى أن الأوسيين كانوا ينزلون عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية، إذا تبين لهم أنها كانت فاقدة لعذريتها، وقوم هذه صفتهم لا يمكن أن يصح عليهم ما قاله "هيرودوت" عنهم؛ والثانية أن نمطا من قرابة الدم كان شائعا في شمال افريقيا مما يدل على أن القوم كانوا متفقين على نوع من الزواج يكفي لتحديد قرابة الدم في نطاق الأسرة والقبيلة[2].

ولا يعني تعدد الزوجات في هذا المجتمع الليبي القديم يعني انحطاط مركز المرأة فيه، ذلك أن المرأة الليبية تظهر في صور الآثار المصرية وهي تلبس ملابس الرجل وتتحلى بنفس زينته[3]، وهذا في حد ذاته دليل على علو مكانتها في المجتمع.

فكان للمرأة دور ملحوظ في المجتمع اللّيبي، فإلى جانب كونها زوجة وأم، فقد خرجت مع الرجال للحرب واسعاف الجرحى، وقد اتخذت زي الرجال رداء لها، ومنه جراب العورة وذيل الحيوان، وهي أهم قطعة لباس ميّزت الرجل عن المرأة، وقد علّق الأثري "بيتس" على ذلك بأنه كان وسام شرف، وسمو المكانة للمرأة التي ترتدي لباس الرجل، ولهذا الغرض ارتدت "حتشبسوت"، وملكات مروى لباس الرجل، وهذا هو ما نقلته رسومات جدران "ساحورع" وكذلك جدران مدينة "هابو"[4].

ج- الملابس و الحلي عند اللّيبيين القدماء:

تميزت القبائل الليبية القديمة سواء التحنو أو التمحو، الليبو، أوالمشواش، كل قبيلة بطريقة لبسها، فمثلا كان "التحنو" يلبسون أشرطة من الجلد وقراب العورة، أما "التمحو" فملابسهم كانت أرقى كثيرا، تتألف من عباءة فضفاضة مزخرفة من الجلد ثبت في ذيلها شريط مخطط، وإلى جانب ذلك احتفظ "التمحو" بقراب العورة، كما كان "الليبو" يلبسون تحت العباءة بدلا من قراب العورة قميصا يعلو الركبة وملابسهم تكاد تشبه ملابس المشواش، غير أن المشواش عادوا إلى استعمال قراب العورة، الذي يقتصر لبسه على البالغين من الرجال والنساء[5].

كان الليبيون يلبسون الأحذية والصنادل، وإن كانوا يظهرون في صور الآثار المصرية حفاة الأقدام، هذا لا يعني أنهم كانوا حفاة في واقع حياتهم وإنما قد يعني إما إهمال من جانب الفنانين المصريين وإما المبالغة في اظهار أولئك الرؤساء والأمراء بمظهر الذل والخضوع، وعلى أي حال فهناك صور للّيبيين

---

[1]- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 85-86؛ Hérodote, livre IV,para 172-180؛ O.Bates, op-cit, p 110.

[2]- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 86؛O.Bates, op-cit, p 110-111.

[3]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 39.

[4]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 19؛O..Bates, op-cit , p 113-114

[5]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 40.

أشهر الحلي التي كان الليبيون يتزينون بها هي ريش النعام، إذ نجد أن المحاربين اللّيبيين عامة كانوا يزينون به رؤوسهم، بالإضافة إلى ذلك فإن الليبيين كانوا يلبسون الحلق والأساور على أذرعتهم والخلاخيل، ولعل الريشة كانت أبرز ما كان الليبي يتحلى به، وا ٍذا كانت لا تظهر أحيانا، فإن ذلك لأن الرسام لا يجد في المساحة التي يرسم فيها صورة الليبي متسعا لرسمها، كما كانت الريشة من علامات الزعامة وسقوطها من على الرأس هو علامة ذل وعار لحاملها[1]، وكان الرؤساء يتحلون أيضا بذيل الحيوان.

كما كان الليبيون يعتنون بتصفيف شعورهم وترتيبها في جدائل، على نحو ما تظهر في الصور المصرية، فقد تزين الليبيون بخصلة من الشعر على الجبهة، كما هو واضح على نقوش معبد الفرعون "ساحورع" أو بظفائر تغطي الجبهة وهو ما صو ّ ر على جد ان المقابر بتل العمارنة ومعبد مدينة هابو، كذلك عرف عنهم أيضا اسدال ضفيرة من الشعر على الصدر أو تلف وراء الأذن أو تنسدل الجديلة على الصدغ؛ ويطلق الرجل من الليبيين لحيته بشكل منسق، وقد تكون اللحية أحيانا كثة، وقد تكون خفيفة تحيط بالوجه وتنتهي بطرف مدبب، ونشاهد على بعض الصور أن الرجل كان يطلق شاربه، ولكن عادة اطلاق الشوارب لم تكن عادة شائعة عند كل الليبيين[2] (أنظر الشكل رقم3).

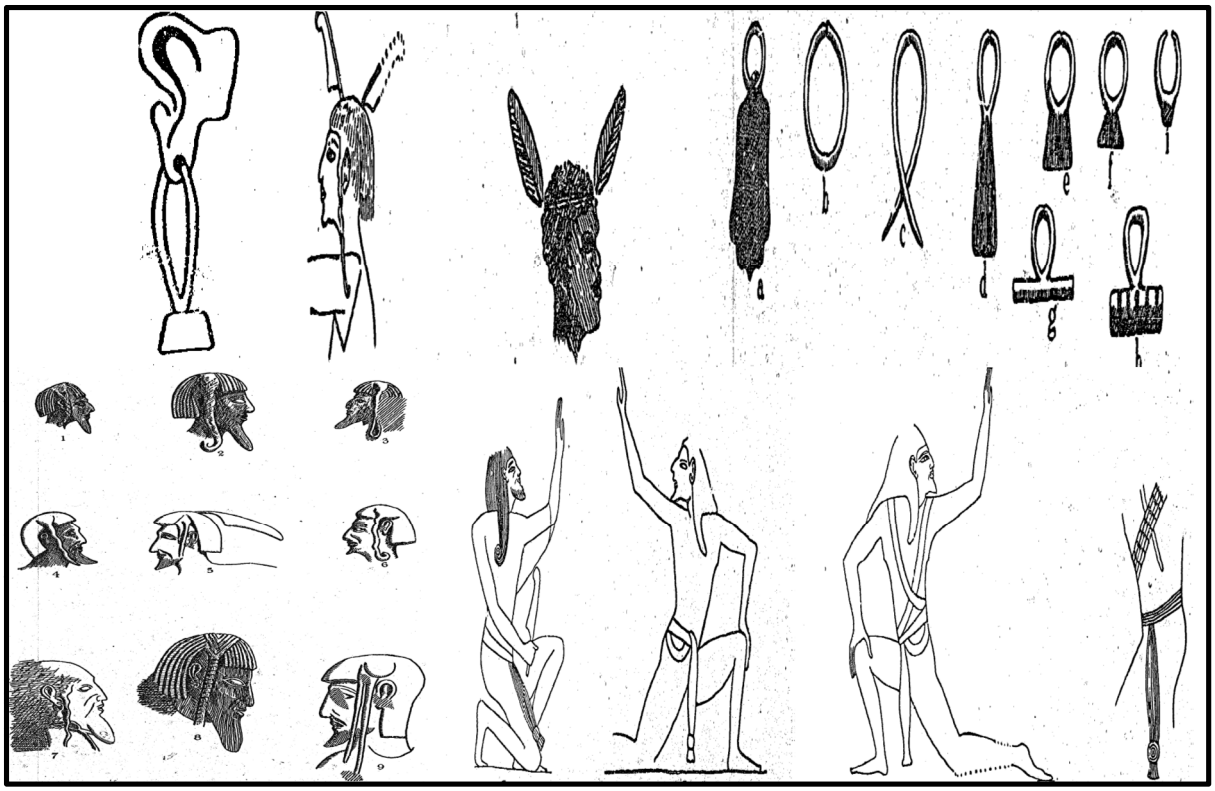

الشكل رقم 3: أشكال جواب العورة و تصفيفات الشعر و أدوات الزينة عند القبائل الليبية

عن: O.Bates, op-cit , p p 43-131.

[1]-عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق ، ص 99-101.

[2]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 41-42؛ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 14.

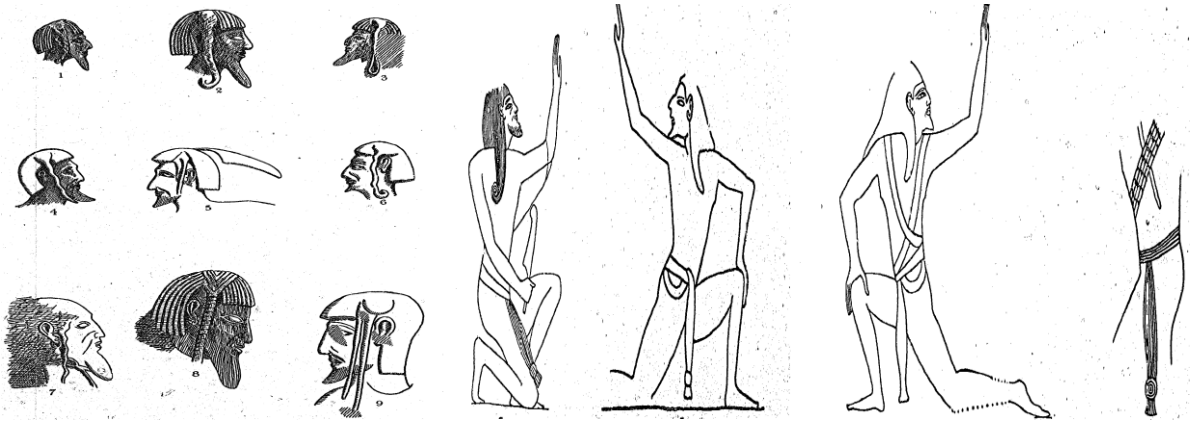

الشكل رقم 3: أشكال جراب العورة وتصفيفات الشعر وأدوات الزينة عند القبائل الليبية

عن: O.Bates, op-cit , p p 43-131.

واستعمل الليبيون أيضا الوشم في أشكال مختلفة، وأحسن شاهد عليها هو صور الرؤساء الليبيين المرسومة على جدران مقابر الفرعون سيتي الأول بتل العمارنة، ويرجع "أوريك بيتس" أن الرؤساء الليبيين هم فقط الذين كانوا يستعملون الوشم، وأن رجال الأسر الحاكمة دون نسائها هم الذين كانوا يستعملونه؛ أما أنماط الوشم التي استخدمها الليبيون فقد كانت أنماط محلية بسيطة، وأهمها نمط ذو دلالة دينية لأنه يتعلق بالآلهة نيت، فقد كان الوشم عند الليبيين في البداية علامة مميزة للرؤساء الكبار، ثم صار شيوع استعماله بين الرؤساء علامة تدل على أنهم كانوا يضعون أنفسهم تحت حماية الآلهة "نيت[1]"، أما الأنماط الأخرى من الوشم فهي بسيطة للغاية و يمكن ردها إلى العصر الحجري الحديث وكانت ربما للزينة فقط.

د- المظاهر المادية في المجتمع الليبي:

أجمع عدد كبير من المؤرخين على أن الليبيين في عصر الحروب الليبية الكبرى لمصر، كانوا في مرحلة حضارية متقدمة إلى حد كبير، لأنهم كانوا يستعملون الأسلحة والأواني المعدنية، وهذه قضية جديرة بالبحث الواعي العميق، لأنها ذات أثر كبير على الحضارة الليبية القديمة وذات دلالة تاريخية عميقة. ففي قائمة الغنائم التي استولى عليها الفراعنة المصريون كانت تضم أوان من الذهب والفضة والبرونز، وسيوفا من النحاس(أنظر الشكل رقم 4 و الصورة رقم 5)، وكانت سيوف المشواش عبارة عن نصل من المعدن مثبت في مقبض من الخشب، قد يبلغ طوله ثلاثة أمتار، وكان السلاح الرئيسي للّيبيين القوس والنشاب؛ وفي نص للملك "مرنبتاح" أن "مري بن دد" انقض برماة السهام، وأن الرئيس الليبي خلف وراءه قوسه وسهامه وجعبته، وأكثر من تسعة آلاف من سيوف المشواش البرونزية وأواني الشرب الفضية والسكاكين، كما كان من جملة الغنائم التي استولى عليها "رعمسيس الثالث" من الليبيين 115 سيفا بطول

[1]-عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 102-103؛ Bates, op-cit, p 138.

خمسة سواعد و124 سيفا بطول ثلاثة سواعد[1]، ويؤكد هذه المعلومات ما نجده من تمثيل للأوعية الليبية في النقوش المصرية وما ذكره الكتاب الكلاسيكيون عن السيوف الليبية.

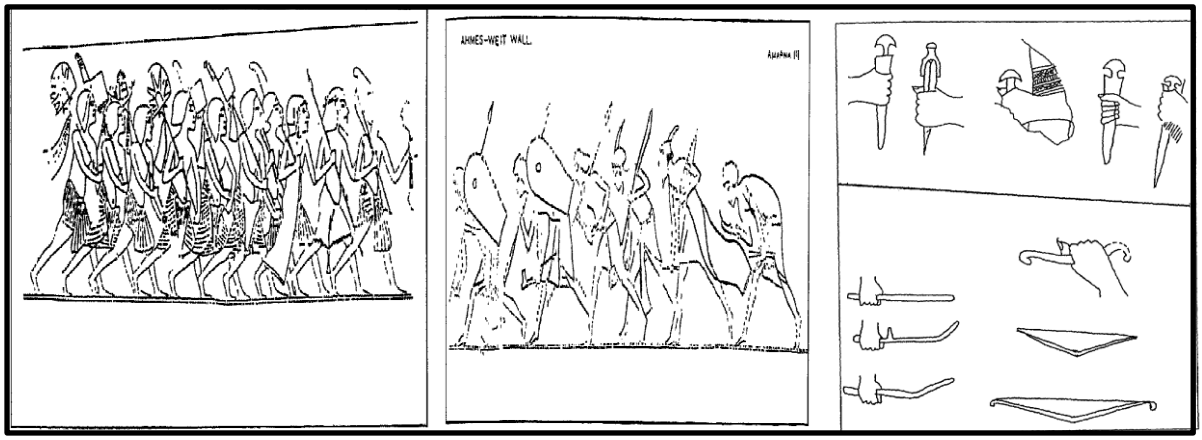

الشكل رقم 4: أنماط متنوعة من الأسلحة الليبية والليبيون ضمن الحرس الملكي للفرعون أخناتون بجبانة تل عمارنة

عن: علاء الدين شاهين، المرجع السابق، ص ص 98-106.

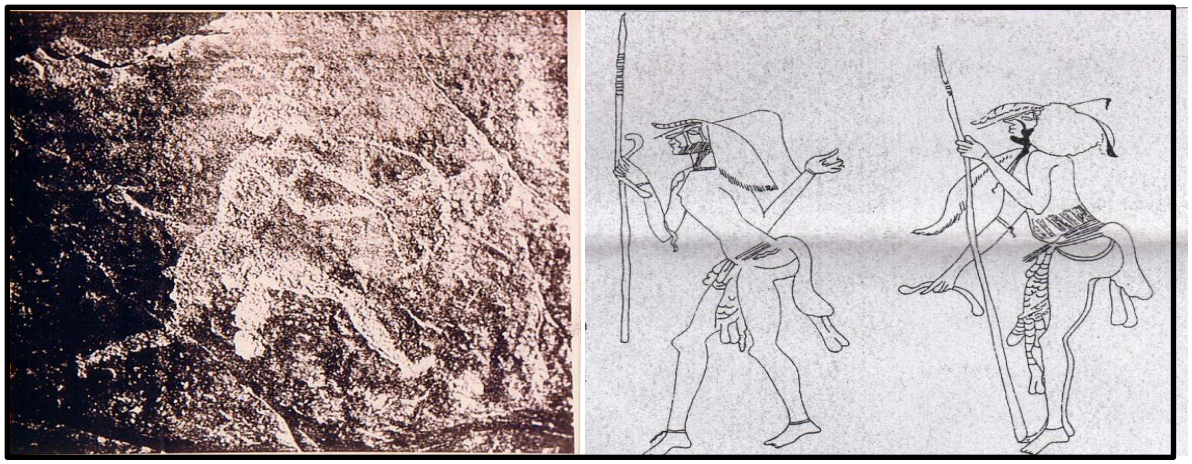

الصورة رقم 5: ليبيون يرتدون جراب العورة و ذيل الحيوان وعلى رأسهم ريش، مسلحين بعصا الرماية وبالقوس، بنفس مواصفات الليبيين على الآثار المصرية (تاسيلي أن أجار).

نقلا عن: أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم، ص ص 111-114.

يعتقد فريق من الباحثين ومنهم "بيتس" أن الليبيين قد حصلوا على هذا النوع من السيوف من بلاد أجنبية، في حين يذهب "وانرايت" إلى أن الليبيين كانوا على صلة بشعوب البحر في هذه الفترة بالذات فأخذوا عنهم استخدام السيوف الطويلة في المعارك[2].

ومن المعدات اللّيبية الأخرى التي صنعها قدماء الليبيين "العربات الحربية"، فقد كان الليبو والمشواش يقاتلون المصريين بعرباتهم الحربية[3]، وقد غنم منها رعمسيس الثالث حوالي ثلاثة وتسعين عربة.

---

[1]- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 104؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 42؛ Breasted,A.R.E, vol IV, para 111, p 66

[2]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 34. أنظر:
J.A.Wainwright, the Mechwech,in J.E.A,N48,London, 1962, p 94-95.

[3]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 43؛ عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 316.

ومن الأسلحة الدفاعية التي يدافع بها المحارب عن نفسه– وإن كانت هناك مراجع تقول بأن اللّيبي كانت تنقصه هذه الأسلحة الدفاعية– وبالاعتماد دائما على الآثار المصرية، فإننا نستشف بأن الحقيقة غير ذلك، حيث أن رسومات على جدران معبد الكرنك تبيّن المحارب الليبي وقد استخدم الدروع والخوذات وقاية له من ضربات السيوف، بل ويرجع استخدام الليبي الدرع إلى مرحلة العصور الحجرية؛ وتجدر الإشارة في هذا المقام بأن الآلهة الليبية "نيت" كان يرمز لها بدرع مصنوع من جلد، يتقاطع عليه سهمان، كما تشهد عليه آثار مصرية تعود لمرحلة ما قبل الأسرات، وهو نفس الرمز الذي استخدمه أفراد قبيلة الليبو، كوشم يزينون به أذرعهم وسيقانهم، كما هو واضح على منظر شعوب العالم الأربعة[1].

كما كان جنود الليبو والمشواش يعسكرون في خيام مصنوعة من الجلد ويضعون سهامهم في جعاب من الجلد ويحفظون المياه في قرب من الجلد[2]، وهذه الأخيرة تعد من أهم المعدات الليبية القديمة التي كان يستحيل للجندي الليبي أن يعبر الصحراء دونها، وقد ورد ذكرها لأول مرة على آثار الدولة الحديثة في مصر، وكانت القرب تحمل بربطها تحت بطون الخيل حتى لا يتبخر الماء منها[3](وهذه عادة لا تزال دارجة حتى اليوم).

ومما يكشف عن بعض مظاهر الحضارة المادية للّيبو، ما جاء بصدد غزوة "مري بن دد"، من أنه "فر تاركا أثاث زوجه وعرشه.." وهذا يعني أنه كان للّيبو في مساكنهم في ليبيا أثاث، وأنهم كانوا يعرفون الكراسي، إذ كان رئيسهم يتخذ لنفسه عرشا، وقد عثر في "غدامس" على صورة ربما كانت معاصرة لأواخر عصر الدولة الحديثة في مصر، حيث تمثل الصورة سيدة وهي جالسة على مقعد، وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام، ولنا أن نتصور أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأواني الفخارية أو المعدنية وقرب الماء والأسبتة، وأنه كان لديهم أدوات تستخدم في كافة أغراض الحياة اليومية، مثل الإبر والأكياس الجلدية ومخارز لصنعها، وأواني لحفظ اللحم المجفف والحبال والسلال[4]،إذ تدل إحدى الصور على جدران مقبرة "خنوم حتب" ببني حسن أن اللّيبيين كانوا يعرفون السلال حيث ظهرت النساء الليبيات في تلك الصورة وهن يحملن أطفالهن على ظهورهن فوق سلة، وقد قامت كل واحدة منهن بسند قاعدة السلة بيدها زيادة في تحقيق الأمان للطفل[5].

تكشف الآثار أيضا عن وجود بعض الآلات الموسيقية مثل الصاجات، والطبل ذو الوجهين الذي يدل شكله على أنه كان مصنوعا إما من الفخار أو الخشب الذي غطيت نهايتاه بالجلد، وكان هذا الطبل يحمل برباط يشده إلى الكتفين، وكان يعلق في العنق بوساطة شريطين؛ بالإضافة إلى آلات موسيقية

---

[1]- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 16-17.
[2]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 43.
[3]- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 111.
[4]- مصطفى عبد العليم،المرجع السابق، ص 43-44؛البرغوثي،المرجع السابق،ص 115-116؛ O.Bates,op-cit,p 153
[5]- جيهان رشدي محمد، مناظر اصطحاب المرأة للطفل على جدران مقابر عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة "دراسة تحليلية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 12، القاهرة، 2011، ص 18.

أخرى مثل البوق والنفير والقيثارة الصغيرة قائمة الزاوية، وكان الليبيون يستعملون جميع الآلات الموسيقية المذكورة في وقت واحد في مناسبات الاحتفالات العامة، إذ اننا نجد أحد النقوش المصرية يمثل جميع هذه الآلات أثناء استعمالها في آن واحد، كما كان الليبيون يقومون بالرقص ويسيرون في مواكب احتفالية، حيث ينقل "أوريك بيتس" عن النقوش المصرية رقصة حربية كان يؤديها أفراد من قبيلة "التمحو" الليبية تعود إلى عهد الدولة الحديثة، حيث انقسموا إلى مجموعتين: يقوم ثلاثة رجال بقرع العصيّ بتوقيت زمني منتظم، بينما يؤدي اثنان آخران حركات قتالية راقصة موزونة بقرع العصيّ أيضا؛ وهذه الرقصة تشبه إلى حد كبير رقصة (الكاسكا) التارقية في وقتنا الحاضر[1]، مما يشير إلى أن قدماء الليبيين تركوا شيئا من آثارهم الفنية وعاداتهم وتقاليدهم في مواقعهم الأولى، بينما حملوا نماذج منها إلى وادي النيل أثناء هجرتهم إليه زمن الجفاف.

لم يعثر على مبان للّيبيين في هذه الفترة، وقد يعلل ذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يشيدون مبانيهم من أنواع من الحجارة لم تستطع مقاومة عوامل الفناء، والليبيون سواء الليبو أو المشواش كانوا يتخذون خياما مصنوعة من الجلد، وقد استمر استعمالهم لهذا النوع من الخيام حتى فترة متأخرة[2].

2- الحياة الاقتصادية:

للتعرف إلى الحياة الاقتصادية عند الليبيين القدماء، فإن ما ذكر على الآثار المصرية كاف لتبين أنّ الليبيين قد ألفوا حياة الرعي والزراعة والتجارة.

أ- الرعي:

يرجّح أنّ الرعي وتربية الماشية والصيد تقع في المرتبة الأولى من مقوّمات الاقتصاد اللّيبي، إلى جانب الزراعة والتجارة؛ وقد توصل سكان شمال غرب افريقيا إلى استئناس الحيوان في العصر الحجري الحديث، ويظهر ذلك واضحا على الرسوم الصخرية، التي تبيّن الحيوان المستأنس وقد علق في رقبته طوق، لكن هذا لم يمنع من أنّهم كانوا يصطادون الحيوانات البرية والمستأنسة على السواء، ويتزينون بريش النعام، فقد سبق أن لاحظنا في الحروب الليبية المصرية أعداد هائلة من المواشي التي كان المصريون يستولون عليها من اللّيبيين منذ عهد ساحورع من الأسرة الخامسة، وفي كل حرب كانت الجماعات الليبية من تحنو أو تمحو أو ليبو أو مشواش، تأتي بعدد ضخم من الماشية والماعز إلى جانب البقر والثيران والخيل والحمير[3]، كما أنّ الضريبة التي كانت تأخذها الملكة "حتشبسوت" من قبائل التحنو كانت تحتوي على جلود نمور وأنياب الفيلة، وكذلك ريش النعام.

---

[1]-عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 117-118؛ عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 313؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 44.

[2]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 44-45.

[3]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 21؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37.

توالت الأسر الفرعونية بعد ذلك، وتكاتفت مناورات ومحاولات اللّيبيين الاستقرار على أرض مصر وانهزامهم المتكرر والاستيلاء على ممتلكاتهم بما فيها ماشيتهم. فقد استولى الفرعون رعمسيس الثالث في حربه الثانية ضد الليبيين على غنائم كثيرة منها ماشية متنوعة وهي بعدد 42.721 رأسا من الحيوانات المختلفة مقسمة على الوجه التالي: 107 ثور، 7340 رأس ماشية، 34.738 رأسا من الغنم و 9452 من الماعز و184 حمارا و 92 زوجا من الخيول التي تجر 92 عربة. إنّ هذه الأعداد إنما تشير إلى غنى ليبيا في الثروة الحيوانية وكذلك في خصوبة الأرض التي تعيش عليها مثل هذه الأعداد[1].

ورد ذكر جلود النمر التي كانت القبائل الليبية تقدمها جزية لحتشبسوت، وتعددت الاشارات إلى ملابس الليبيين المصنوعة من الجلد، ووضح لنا مدى اهتمام الليبيين بريش النعام ولم يقم أي دليل على استئناس الليبيين لمثل هذه الحيوانات[2]، ولذلك فإنه من المرجح أن يكون الصيد هو وسيلتهم للحصول عليها.

ب- الزراعة:

إلى جانب الرعي وتربية الماشية، فقد عرف الليبيون الزراعة؛ وتدلنا على ذلك كثرة الأواني الفخارية، بالإضافة إلى تلك الآلات العظمية التي اكتشفت في مواقع "مشتى العربي" بالقرب من "شلغوم العيد"، و"كولومناطة"(تيارت)، وهي عبارة عن عظام ضلع عجل قوي، يعتقد أنّها استخدمت لقطع السنابل، ثم وجود الرحى النائمة (المطاحن الحجرية) بكثرة في كل أجزاء الصحراء من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا؛ كل هذه دلائل على المعرفة المبكرة لسكان شمال غرب افريقيا للزراعة؛ فقد أرخت المخابر لسنابل قمح من موقع "أمكين" بتمنراست" بحوالي 6100 ق.م، أما عملية التصحر فبدأت وبالتدريج مع منتصف الألف الثامنة، مما جعل السكان يهجرون أماكن استقرارهم المتصحرة، نحو مناطق بها مصدر ماء ثابت مثل النيل في مرحلة فجر التاريخ، أو تراجع شمالا حيث الأودية والأحواض[3].

وما ذكر على الآثار المصرية يبيّن أنّ اللّيبيين قد ألفوا حياة الزراعة، فقد ورد بلوحة التحنو أو كما تعرف بلوحة الحصون والغنائم على أحد وجهيها أربعة صفوف أفقية، الثلاث الأولى صور ثيران وحمير وخراف على الترتيب أما الصف الرابع ففيه أشجار زيتون وإلى يمين هذه الأشجار نقشت علامة التحنو، ومن الواضح أن الماشية والأغنام غنائم حرب تبين ممارسة الليبيين للرعي وتربية المواشي، وشجر الزيتون رمز لزيت التحنو الثمين المشهور في مصر القديمة[4] وهذا دليل على أن الليبيين عرفوا الزراعة مبكرا.

كما ورد في نصوص الأسرة التاسعة عشرة إشارة إلى أن اللّيبيين عرفوا الزراعة، إذ جاء في نص أنشودة النصر التي أشادت بمرنبتاح"..وأسفاه على ليبيا، لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطبيعية

---

[1]- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 6.
[2]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37؛ O.Bates , op-cit, p 94.
[3]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي القديم، ص 22.
[4]- رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 165.

يمرحون في الحقول". كما قال هذا الفرعون أنه أخذ كل عشبة تأتي من حقول ليبيا، وأنه لم يعد هناك فوق أرض الليبو أي حقل صالح ليكفي إعالة السكان". كما يتبيّن بأن الليبيين قد زرعوا الحبوب، وأرض الليبو كانت تنتج القمح، لأن هذا الفرعون قال أنه "نهب كل مؤن رئيس الليبو من القمح.."[1].

ج- التجارة:

إلى جانب الرعي والصيد والزراعة عرف اللّيبيون القدماء التجارة؛ إن صفة البداوة التي فرضتها الظروف على بعض القبائل الليبية، جعلت هذه القبائل تتحكم في القوافل التي تمر بالصحراء، كما أنّ طبيعة منطقة شمال افريقيا وموقعها وسط مراكز حضارية، ومناجم الثروة في افريقيا منذ أقدم العصور أدّى باللّيبيين إلى امتهان التجارة، وإن كانت النصوص المصرية تتكلم وبإسهاب عن تبادلاتها التجارية مع الشرق مثل جبيل والجنوب مثل بونت، فإنها تبقي تبادلاتها مع الغرب طي الكتمان[2].

كان الليبيون يلعبون دور الوسيط في نقل السلع من دارفور ومنطقة تشاد، وكان بعضها يذهب مباشرة إلى مصر كجانب من الجزية المفروضة على الليبيين، أو كسلع تجارية عبر بلاد النوبة، فقد حصلت الملكة "حتشبسوت" من التحنو على العاج وسبعمائة ناب فيل، وكان الليبيون يقدمون الذهب كنوع من الجزية للملكة حتشبسوت وشريكها في الحكم الملك "تحتمس الثالث"، وكان "التمحو" ينقلون إلى بلاد النوبة حجر التمحي، وهو من الأحجار الكريمة؛ كما عثر في جزيرة كريت على تمثال لقرد مصنوع من العاج وعلى بعض الأختام العاجية أيضا، وقد عثر في مقابر الأتروريين على بيض النعام؛ فاللّيبيون كانوا يقومون بدور الوسيط بين تجار الجنوب (بلاد النوبة و تشاد)، وتجار الشمال بين مصر وبعض دول البحر المتوسط، فقد كان اللّيبيون ينقلون هذه السلع إلى سواحل برقة، ومنها كانت تصدر إلى جزيرة كريت أو ايطاليا وبعض أقاليم البحر الأبيض المتوسط[3].

ولعل الليبيين من ناحية أخرى كانوا يحصلون على بعض الأقمشة الجلدية المزخرفة من الشردان، والأواني الذهبية والفضية والبرونزية والسيوف النحاسية من آسيا الصغرى أو من بحر إيجة، وتصور بعض الرسوم المنقوشة على الصخر في جبل أكاكوس جنوب فزان قوافل يحرسها أصحابها[4] وهذا يعني أنّ الليبيين كانوا منذ عصور ما قبل التاريخ يعملون في نقل التجارة وتبادل السلع مع غيرهم من الشعوب.

وهذا ما يبيّنه متحف "الهواء الطلق" بالتاسيلي والهقار، على أن الليبيين منذ الألف الأولى ق.م وقبلها، قد تولوا قيادة القوافل التجارية المتجهة إلى النيجر والتشاد، وكانت تحميها العربات العسكرية والخيالة المحاربين على صهوة أحصنتهم، كما تظهره لنا الرسوم الصخرية في مرحلة الخيالة[5].

---

[1]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37؛ Breasted, A.R.E, vol III, para 610, p 260.

[2]- أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 24.

[3]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37-38؛ البرغوثي، المرجع السابق، ص 95؛ O.Bates, op-cit, p 101.

[4]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 38؛ O.Bates, op-cit, p 104.

[5]- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 9.

الفصل الثاني

الحـــكـــم اللـــيـــبـــي لمصـــــــر

أولا : الأوضاع في مصر قبيل قيام الحكم الليبي.

ثانيا: فترة حكم فراعنة بأصول ليبية الأسرات" 22-23-24".

ثالثا: المظاهر الحضارية للحكم الليبي لمصر.

أولا: الأوضاع في مصر قبيل قيام الحكم الليبي

ساهمت ظروف وأوضاع مصر الداخلية في أواخر الأسرة العشرين إلى وصول الليبيين لسدّة الحكم، فرغم العصر الذهبي الذي تميز به النصف الأول من حكم رعمسيس الثالث، من نهضة معمارية عظيمة واصلاح الإدارة وتنظيم الجيش، والحالة الاقتصادية المزدهرة ، والقضاء على أعداء مصر في الخارج، إلا أن النصف الثاني من عهده أي في أخريات أيام هذا الفرعون تميز بالضعف، حيث فشل رعمسيس الثالث في السيطرة على الأمور في الداخل، ولم تنجح هباته الملكية السخية للكهنة والمعابد في الحصول على دعمهم فاشتعل غضب العمال وبدأت الاضطرابات .

ومن خلال نصوص بردية هاريس نفهم كيف بدأ الانهيار في الأسرة العشرين وما آلت إليه الحالة الاقتصادية للبلاد من سوء، بينما كدست الثروات في المعابد وبين أيدي الكهنة، وكيف تسرب الأجانب بكميات كبيرة–خاصة منهم الليبيين– فكوّن الملك منهم فرقا من المرتزقة ضمت إلى باقي القوات[1]، فاستعان رعمسيس الثالث بالجنود المرتزقة الأجانب ليكونوا عونا له ضد المصريين الذين أخذوا يئنون من الحالة، وبخاصة من الأزمة الاقتصادية التي سببت ارتفاعا كبيرا في أسعار الحبوب، وبسوء الحالة الاقتصادية اضطر عمال الجبانة في طيبة إلى الإضراب عن العمل، لأن رواتبهم لم تصرف لهم لمدة شهرين، توقف العمال عن عملهم ثم تجمعوا وهاجموا مخازن معبد الرمسيوم وهم يصيحون بأنهم جائعون محاولين أن يلفتوا نظر رؤسائهم والكهنة إلى حالتهم، لكن دون جدوى. وهكذا كانت تسير الأمور، فالكهنة يكدسون الأموال ، والموظفون يستغلون كل موارد الدولة لمصلحتهم، والأجانب يتحكمون في شأن الدولة، و لهذا قام أحد وزراء رعمسيس الثالث بثورة ضده في الدلتا "بأتريب"، ولكن الثورة لم تنجح[2]، ولكن الأمر الأشد خطورة هو حدوث مؤامرة (مؤامرة الحريم) التي هددت حياة الفرعون نفسه، وكان من بين المتآمرين ليبي يدعى "أنيني"[3]، وبعد أن تم اكتشاف هذه المؤامرة وقدم المتآمرون إلى المحكمة، أمر بإعدام الكثير منهم، ولكن قبل أن تنتهي هذه المحاكمة مات "رعمسيس الثالث" ؛ وعلى العموم فإن هذه المؤامرة تدل على الضعف الذي أصاب نهاية حكم رعمسيس الثالث منذرا بعصر انهيار لمرحلة عظيمة مرحلة الدولة الحديثة.

يعتبر رعمسيس الثالث آخر الملوك الأقوياء للدولة الحديثة ، ولكن مات الفرعون تاركا البلاد في حالة سيئة، ومن بعده جاء ملوك لم يحملوا من تطلعاته سوى الاسم فقط، من رعمسيس الرابع حتى رعمسيس الحادي عشر، فقد تدهورت الأوضاع في اتجاه مزيد من الانحطاط، ولا نعرف عنهم الشيء الكثير سوى

---

[1]- زكية طبوزادة ، المرجع السابق، ص 153-154.

[2]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية، ص 297-298.

[3]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 318-320؛ Breasted, A.R.E, vol IV, para 454-456 ؛ جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 135-136.

أن فترة حكمهم قد تميزت بالاضطرابات الداخلية وسيادة الفتن والثورات والمجاعة، فالمقابر الملكية لم تعد في مأمن فقد جاء اللصوص لينهبوا التوابيت الملكية ويستولوا على الحلي[1].

تظهر حركات تمرد، بالإضافة إلى انتشار الفساد وسرقة أموال المعابد وتزايد قوة كهنة آمون بطيبة، وسوء الإدارة، كما كان هناك أيضا عصابات من الأجانب تكونت من الجنود المرتزقة، وأخذت تتنقل ناشرة الرعب والفزع، وكانت غالبيتها مكونة من الليبو والمشواش[2] ، وسرعان ما تسللوا إلى أكثر المناصب أهمية حتى أصبح الكثيرون منهم موضع ثقة الفرعون ومن بطانته الأقربين، وظل البلاط لا يخلو منهم، فرعمسيس الرابع" تابع سياسة أبيه نحو الأجانب، للعمل في المشاريع الحكومية وفي الجيش وفي مصانع المعابد وفي ضياع الملك ونبلائه؛ لم يكن في ذلك خطر على البلاد طالما ظلت قوية وعلى رأسها فرعون من فراعينها العظام، لكن الأمر جد مختلف إذ حدث ذلك في عهد خلفاء رعمسيس الثالث الضعاف، وفي فترة كانت تقاسي البلاد فيها الأمرين، فبجانب الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني البلاد منذ أخريات أيام رعمسيس الثالث، كانت تعاني كذلك من نزاع داخلي بين أفراد العائلة المالكة نفسها حول العرش، بالإضافة إلى قلة الحروب في الأسرة العشرين بعد عهد رعمسيس الثالث، وعدم توفر المال اللازم لدفع أجور الليبيين الذين عملوا كمرتزقة في الجيش، فاضطر هؤلاء الفراعنة الضعاف إلى إقطاعهم أراضي زراعية واسعة كمرتبات دائمة[3]، مقابل الالتزام بالخدمة العسكرية، بحيث لم يجدوا حيلة يقاومون بها نفوذ الكهنة والأمراء الإقطاعيين، إلا هؤلاء الجنود، كما أن سبل التدرج في السلم العسكري وخاصة في مركز الضباط كان حكرا على النوبيين والليبيين المشواش فقط، وتشيد بردية ويلبور[4]، إلى وجود طبقة من الإقطاعيين الحربيين المشواش في أواخر الأسرة العشرين[5].

كما عرفت مصر في النصف الأخير من الأسرة العشرين فترة من البؤس والفقر، فكان ضعف المحاصيل في عهد رعمسيس السابع ومن خلفوه من ملوك، سببا في غلاء عظيم في الغلة انتهى بحدوث

---

[1]- جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 136-137.

[2]- كان هناك عامل هام أسهم بشكل كبير في توطن الليبيين في مصر، ذلك أنه بتشجيع من الفراعنة كان الليبيون يجندون كجند مرتزقة في الجيش المصري و يوطنون في القلاع و الحاميات و الحصون، قام بذلك كل من الملك "رعمسيس الثاني" و"رعمسيس الثالث"؛ فالفرعون المصري استجلب أعداد كبيرة من الليبيين الأشداء لينشط بهم جيشه، وبالتدريج أصبح الجيش المصري مع نهاية الأسرة العشرين في أغلبه يتألف من جند مرتزقة ذوي أصول ليبية، و لقد انتشر هؤلاء في أغلب أنحاء مصر في الدلتا و على ضفاف النيل و في واحات الصحراء الغربية خاصة الداخلة و البحرية، كما استقرت جماعات منهم في أهناسيا و"تل بسطة"، وابتاعوا الضياع وتقوى نفوذهم. عن: فرج محمود الراشدي، التواجد الليبي في المجتمع المصري القديم، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي-كلية التربية المرج، العدد الرابع، 2015، ص 12.

[3]- بيومي مهران، المغرب القديم، ص 141-142 ؛ فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 48.

[4]- تعد بردية ويلبور الموجودة في متحف بروكلين، والمؤرخة بالعام الرابع من حكم رعمسيس الخامس، وثيقة رسمية أصيلة ذات أهمية كبيرة ويسجل نصها الرئيسي في أربع مجموعات متتالية رصدت بها مقاييس وضرائب الحقول الممتدة قريبا من كروكوديلونبوليس(الفيوم)إلى الجنوب، وقد رتبت الحقول التي حددت أماكنها ومساحتها في كل حالة تحت عناوين تحمل أسماء الهيئات المالكة المختلفة وهي المعابد الكبرى في طيبة وهليوبوليس ومنف، ويليها عدد من المعابد، وذكر الهيئات المشتركة ويشار إليها كضرائب، والشطر الأخير من الفقرة أكثر أهمية لأنه يذكر جمهورا من مختلف الملاك أو المستأجرين متضمنا عائلات بأكملها. عن آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 326-327.

[5]- أم الخير العقون، التقويم الأمازيغي و الفرعون شيشنق، ص 19.

مجاعة أخذوا يتحدثون عنها في مختلف النصوص عدة سنوات، وأطلقوا عليها "سنة الضياع"[1] عندما كانت المجاعة.

وأصبحت التقارير الخاصة بعمال الجبانة تذكر أياما كثيرة اضطر فيها العمال إلى إيقاف العمل بسبب الأجانب، وبالتحديد بسبب خوفهم من المشواش والليبو، وقد جرت هذه الأحداث في عهد رعمسيس التاسع ورعمسيس العاشر[2]؛ كما توجد إشارات إلى أن علاقة المصريين بتلك العناصر الليبية منذ نهاية الأسرة العشرين قد أصبحت سلمية، ففي محاكمة من عهد رعمسيس الحادي عشر، يشهد أحد صناع الجعة من غربي طيبة بتسلمه لبعض الفضة من المشواش بطريق التجارة، وفي أمر من قائد الجيش إلى متعهدي الخبز، يطالبهم بإعادة تزويد المشواش بالخبز[3].

كما ورد في النصوص المعروفة اصطلاحا باسم "خطابات الرعامسة المتأخرة" في نفس عهد الفرعون "رعمسيس الحادي عشر"، عن صرف مخصصات الغلال لأناس من المشواش، كذلك طلب القائد الليبي "بايعنخ" مساعدة المشواش له في حملة عسكرية ضد نائب الملك النوبي "بانحسي"[4]، بل لم يستطع الفرعون الحاكم رعمسيس الحادي عشر فيما يبدو الاستغناء عن تعاون الليبيين معه.

تزايد نفوذ الكهنة، حتى أدى برعمسيس الحادي عشر إلى تعيين حريحور–(قائد الجيش الملكي وزير الجنوب)– في منصب كبير كهنة آمون، وأخيرا حدث ما لابد من حدوثه وهو استيلاء كهنة آمون– بعد نضال طويل دام عدة قرون بالانتصار على الملكية الطيبية العريقة–على العرش، وازاحة رعمسيس الحادي عشر من الحكم آخر ملوك الرعامسة، وبداية عصر جديد عصر الانتقال الثالث بإعلان كبير كهنة آمون "حريحور" ملكا على مصر، ليتقاسم بعدها حريحور ووزير الشمال "نسي بانبدد"[5](سمندس) مملكة رعمسيس الحادي عشر وحصل كل منهما على لقب فرعون.

قسمت البلاد في عهد الأسرة الحادية والعشرين إلى دولة في مصر السفلى عاصمتها "تانيس"، ودولة في مصر العليا عاصمتها "طيبة"، ففي الشمال كان يقيم الملك سمندس، بينما كان الجنوب–بدءا من هيراقليوبوليس تقريبا– عليه مسحة "الدولة الثيوقراطية"(الدينية)[6]، وإن كانت في حقيقة الأمر ومن دون شك شك سلطة عسكرية تحكم بواسطة قيادة عسكرية عليا قائمة بذاتها شكلا، وتابعة لملك مصر السفلى فعلا.

وعلى أية حال، فلقد أدت سياسة المسالمة واقتسام الغنائم في عصر الأسرة الواحدة والعشرين بين البيتين في تانيس وطيبة، إلى الإبقاء على نظام الحكم الثنائي لفترة طويلة اتسمت بالفتور وبالسياسة

---

[1]- زكية طبوزادة، المرجع السابق، ص 157.
[2]- بيومي مهران، المغرب القديم، ص ص 142-144.
[3]- نبيلة عبد الحليم، المرجع السابق، ص 103-104.
[4]- جونتر قيتمان، المرجع السابق ، ص 32.

[5]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 299؛ فرانسيس فيفر، المرجع السابق، ص 197؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص ص 334-336.
[6]- جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 40؛ جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 137-138.

الانطوائية في مجملها، لأن هذا العصر وإن وفر لمصر استقرارا فقد كان استقرارا فاترا لم يخل من خصومات بين الحكام، كما كان ملوك تانيس يستعينون على قضاء مآربهم وتنفيذ أغراضهم بالجنود المرتزقة الأجانب الذين كانوا قد وطدوا أقدامهم في داخل البلاد، باحتلال المناصب العليا والتدخل في شؤون إدارة البلاد، ومن الواضح أنّ السيطرة على مقاطعات مصر ومنذ عهد آخر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين، كانت ضعيفة جدا، لأن السلطة الفعلية كانت بين أيدي الليبيين المشواش، فقد فرض قادة المشواش سلطتهم على كل الأقليات المتواجدة في مصر آنذاك وتدخلوا في شؤون تانيس وطيبة ومنف، وأقاموا قلعة في مدينة الهيبة[1].

وبينما كانت الأسرة الحادية والعشرين تتداعى وفي طريقها إلى الانهيار كان مركز الليبيين يرتفع ومكانتهم تتقوى[2]، فبعد تجنيد فراعنة الأسرتين العشرين والحادية والعشرين لأعداد كبيرة من الليبيين المشواش في الجيش المصري، أصبحوا يشكلون في مصر شيئا فشيئا طبقة عسكرية قوية متنفذة، حيث وصلوا إلى أعلى الرتب العسكرية، وكانوا يحصلون عوضا عن الرواتب، على أعطيات عينية تمثلت في اقطاعهم مساحات من الأراضي، وليس من المستبعد أن يكونوا قد ساعدوا بني جنسهم من المشواش على الحضور إلى مصر والإقامة بها في حاميات الحدود[3]، وهكذا فإنهم تمكنوا من إنشاء في وادي النيل جاليات عسكرية، يرأس كل منها زعيم ليبي يحمل لقب "الرئيس الكبير لما" أي "زعيم المشواش".

ويبدو أن طول مقام المشواش في مصر، علمهم كيف يجارون عادات وتقاليد المجتمع المصري، وبالرغم من محاولة إظهار أنفسهم كمصريين فإنهم حافظوا على شخصيتهم الليبية عبر الأجيال التالية[4]، فقد احتفظوا بأسمائهم الليبية مثل "شيشنق" و "أوسركون" و "تكلوت" ، واحتفاظهم بوضع الريشة فوق رؤوسهم التي كانت تميز مظهرهم.

ساعدت الأوضاع التي كانت تمر بها البلاد، على أن يتمتع المشواش بكثير من النفوذ في جالياتهم التي صبغت بالصبغة العسكرية، ولعل أقوى هذه الأسر تلك التي كانت تعيش في الواحات، ثم نزحت إلى أهناسيا (هرقليوبوليس) في أخريات أيام الرعامسة، والتي تزعمها رئيس من رؤساء المشواش يسمى "بيوواوا"، وقد خدم أبناء تلك الأسرة في معبد الإله حرشف[5]، كما أصبح لكثير من زعمائها مركز مرموق،

---

[1]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 169-170.

[2]- فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 13.

[3]- فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 48؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 32-33.

[4]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 356؛ فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 48.

[5]- يمثل الإله "حرشف" في صورة كبش وهو الإله العظيم لبلدة "أهناسيا المدينة" ويعده عباده بمثابة إله عالمي إذ يطلقون عليه ملك القطرين، وتعد عيناه بمثابة الشمس والقمر ومن أنفه يخرج الهواء، ويدل معنى اسمه "الذي على بحيرته" على أن معبده يوجد عند بحيرة، وهذا هو الواقع لأن معبد الإله كان مقاما عند مدخل الفيوم حيث توجد بحيرة قارون، وأطلق عليه أيضا اسم رب السمو وماثله الإغريق بآلهتهم هرقل. عن: سليم حسن، مصر القديمة-نهاية الأسرة الواحدة و العشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الاثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين، ج9، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1952، ص ص 444-446؛ روبير جاك تيبو، موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص 125-126.

مرموق، فقد تقلد "مواساتا"(موسن) ابن بوبوواوا مهمة الإشراف على معبد الإله حرشف وحاكم مدينة الجند المرتزقة، وورث عنه أبناؤه لقب الكهنوت، وامتد نفوذهم الديني ليشمل مصر الوسطى بأكملها[1].

تجاوزت سلطة المشواش السلطة العادية للكاهن، فقد كان أحد أفراد هذه الأسرة وهو "شيشنق" والد "نمروت" (نمرود)، قد نصب رئيسا على الحامية الليبية "رئيس المشواش العظيم" (رئيس ما الكبير) إلى جانب احتفاظه باللقب الديني، وبذلك جمع بين يديه السلطتين الدينية والعسكرية، كما حمل ابنه "نمروت" على أيامه لقب الرئيس العظيم للأجانب (الرئيس الأعظم للمشواش)[2]، وأصبحت هاتان الوظيفتان موروثة في الأسرة، حيث ازدادوا نفوذا وقوة، والذي بدوره "شيشنق الأول" ابن نمروت ، احتفظ بهاتين الوظيفتين قبل توليه العرش في مصر، وحمل لقب "الرئيس العظيم للأجانب، رئيس الرؤساء"[3].

ولقد حظيت هذه العائلة الليبية باحترام كبير من طرف ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وكان لها نفوذ كبير وقوة معتبرة في ذلك الوقت، ومما يعبر عن ذلك هو أن شيشنق(جد شيشنق الأول مؤسس الأسرة 22) توفي ابنه "نمروت"، فقام بدفنه بأبيدوس في احتفال عظيم، ولكنه رأى فيما بعد أن الموظفين الذين كانوا يقومون على أداء الشعائر الدينية لم يؤدوها واستولوا على دخل الأوقاف الخاصة بها، وعبثوا بقبره ومحتوياته، فذهب شيشنق إلى الفرعون رافعا شكواه ومطالبا بمعاقبة المتهمين، وقد اهتم الفرعون شخصيا بالأمر وجاء بصحبة شيشنق إلى طيبة، لتعرض القضية على الإله آمون ويصدر حكمه فيها، وكان الحكم لصالح شيشنق، فحكم وحي آمون بإدانة الجناة، وأرسل الفرعون تمثالا على صورة ابنه "نمروت" على سبيل الترضية للرئيس الليبي "شيشنق"، ليوضع في معبد أوزيريس في أبيدوس[4]. فهذه الحادثة تعبر عن المكانة الرفيعة التي حظي بها أولئك الليبيون عند الفرعون المصري، وهذا يشير إلى ازدياد نفوذهم وقوتهم، وزادت أهمية أسرة شيشنق في حياة حفيذه "شيشنق الأول" الرئيس الكبير للمشواش أمير الأمراء، وكان على رأس تجمع كبير يعمل له حسابه وأصبح يترضاه الفرعون نفسه[5].

وهذا ما تبينه نصوص لوحة من الجرانيت عثر عليها في أبيدوس، أنّ "شيشنق الأول" الرئيس العظيم للمشواش رئيس الرؤساء، طلب من الفرعون بسوسنس الثاني أن يأذن له بتشييد مبنى في أبيدوس لإقامة

---

[1]- نبيلة عبد الحليم، المرجع السابق، ص 105؛ رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 177.

[2]-أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 312؛عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 155؛ M.G.Daressy,les parents de Chéchanq I [er], A.S.A.E, tome XV, imprimerie de l'institut Français d'archéologie orientale, le caire, p 177.

[3]- M.G.Daressy, Ibid.

[4]-A.M.Blackman, the stela of Shoshenk great chief of the Meshwesh ,J.E.A ,vol 27 ,1941, p p 84-86. ؛ سليم حسن، مصر القديمة، نهاية عصر الرعامسة و قيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة الواحدة و العشرين، ج8، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994،ص ص 748-762.

[5]- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 402.

عبادة جنزية لتمجيد أبيه "نمروت"، كما طلب منه أن يخلف أباه في مركزه، وقد أجاب الفرعون طلبه دون تردد، كما دعاه بسوسنس الثاني في أعياد جلالته وتلقى المجد معه[1].

تمكن شيشنق الأول من مد نفوذه السياسي والعسكري بمصر، في أواخر الأسرة الحادية والعشرين مستفيدا من الأوضاع المحيطة به، من تأسيس أسرة حاكمة جديدة الأسرة الثانية والعشرين الليبية؛ ويبدو أن الانتقال من الأسرة الحادية والعشرين إلى الأسرة الثانية والعشرين الليبية مر في سلام[2]، إذ صعب على بعض المختصين في علم المصريات، تشبيه حكم الليبيين باستعمار الهكسوس أو الكوشيين أو الآشوريين أو الفرس لمصر، لأن هؤلاء قد استخدموا القوة في الوصول إلى عرش مصر، وحكموا مصر لصالح أنظمة أجنبية، في حين انتقل الحكم من أيدي المصريين إلى زعماء المشواش في ظروف هادئة وبدون اغتصاب أو انقلاب، فقد انتظر "شيشنق الأول" وفاة آخر فراعنة الأسرة الحادية والعشرين "بسوسنس الثاني" للجلوس على عرش مصر، بل الأكثر من ذلك، احترم المشاعر المصرية، وعمل بالتقليد المصري القديم، فزوج بكر أبنائه من الأميرة "ماعت كارع" الوريثة الشرعية للعرش[3]، وبالتالي اكتسب الشرعية عن طريق هذه الزيجة.

ثانيا: فترة حكم فراعنة بأصول ليبية الأسرات 22-23-24.

بعد فترة الاضطرابات والفوضى التي عمت مصر في نهاية الأسرة الواحدة والعشرين، تمكن "شيشنق الأول" زعيم المشواش العظيم من أن يتولى حكم مصر عام 950 ق.م[4]، ويؤسس الأسرة الثانية والعشرين الليبية، فأعاد النظام وبدأ حكم فراعنة ذوي أصول ليبية تداولت على السلطة حتى حوالي عام 715 ق.م، حتى ذلك التاريخ[5] كانت هناك ثلاث أسر متزامنة من أصل ليبي هي الأسرات الثانية والعشرون، الثالثة والعشرون، والرابعة والعشرون.

---

[1]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 358؛ A.M.Blackman, op-cit, p p 83-95.

[2]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 358.

[3]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 174؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 358.

[4]- ظهر اختلاف بين الباحثين حول تاريخ بداية الحكم الليبي في مصر، فإذا كان فريق يفترض سنة 950 ق.م، فإن فريقا آخر يعطي تاريخ 945ق.م، إذا اعتمدنا على مصادر الأسرة السابقة للدولة الليبية، وهي الأسرة 21، فلا نجد أمامنا سوى النصوص المدونة على لفائف الكتان المستخدمة في إعادة دفن موميات الفراعنة والكهان، والتي تعتبر بمثابة المصدر الوحيد تقريبا حول هذه الأسرة، وحسب هذا المصدر فإن هذه الأسرة تنتهي بتقدير حوالي 950 ق.م، وبالتالي يكون هذا التاريخ هو بداية الأسرة 22 الليبية؛ كما يمكن تحديد سنة 950 ق.م كبداية لحكم شيشنق الأول مؤسس الدولة الليبية، بالاعتماد على كتاب الملوك في الإنجيل، ذلك أن شيشنق دخل أورشليم عاصمة المملكة اليهودية غازيا، في السنة الخامسة من حكم رحبعام بن سليمان حوالي 930 ق.م، وهو التاريخ الذي يوافق السنة العشرين من حكم شيشنق الأول؛ بينما ترى أم الخير العقون أن الاختلاف في السنة 950 أو 945 ق.م، أن هذين التاريخين يمثل الأول منها تاريخ إعلان شيشنق فرعونا في كل من مصر السفلى ومصر الوسطى، أما التاريخ الثاني فيمثل بسط نفوذ الفرعون الجديد على كامل تراب مصر، والسبب أن شيشنق الأول في بداية عهده لم يلق اقبالا وترحابا في كل أرجاء مصر، ففي طيبة لم يعترف به كهنة آمون ملكا فرعونا على مصر إلا في السنة الخامسة من حكمه، وعلى أساس ما تقدم يمكننا أن نأخذ بتاريخ 950 ق.م كبداية للدولة الليبية في مصر، ويدم حكمها لغاية 715 ق.م وهو تاريخ موثق في أكثر من أثر ومصدر. عن: أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص ص 189-192.

[5]- فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص 13.

1- فترة حكم الأسرة الثانية و العشرين: 950-715 ق.م:

أ- أصل ملوك الأسرة:

تمكن المؤرخون من رسم شجرة عائلية للأسرة الثانية والعشرين، من خلال لوحة "حورباسن"[1]، وبعض الوثائق الأخرى[2] كلوحة "دارسي" و مرسوم "العرابة" وكذا صدرية عثر عليا في تانيس، وتتمثل هذه الشجرة العائلية كالآتي:

بوبوواوا
↓
ماواساتا (موسن)
↓
نبنشي
↓
باثوت
↓
شيشنق = محتنو سخت
↓
نمروت = تنتسبح
↓
شيشنق الأول[3]

هذا هو تسلسل نسب الأسرة التي انتهت بتولي "شيشنق الأول" ملكا على مصر وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين.

---

[1]- لوحة حورباسن، محفوظة الآن بمتحف اللوفر بباريس، وقد عثر عليها عالم المصريات "ماريت" في "السربيوم" (مدافن العجل أبيس) بمنف، أقامها "حورباسن" القائد الحربي والكاهن الأعظم للإله "حرشف" لمدينة "أهناسيا" في السنة السابعة والثلاثين من حكم الفرعون "شيشنق الخامس"، أي عند نهاية الأسرة الثانية والعشرين. عن: رمضان عبده، تاريخ مصر،ج2، ص 362. أنظر : Auguste Mariette, La Serapeum de Memphis, III, Louvre, N° 278, PL 31 عثر على هذه اللوحة من قبل عالم المصريات ماريت، وربما أن اللوحة وردت لدى Breasted وقام سليم حسن بترجمتها. للاستزادة أكثر أنظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 83-85؛ James Henry Breasted , Ancient records of Egypt , vol IV, the university of Chicago press , Chicago , 1906 , para 36-37, para 792, p p 398-399 ; Bates, op-cit, p 228 .

[2]- "لوحة دارسي" نشرها الأثري دارسي"، وفيها يذكر والد شيشنق ووالدته، أما "مرسوم العرابة" فهو لوحة من الغرانيت عثر عليها "ماريت" في الجهة الجنوبية من المدخل الغربي "لكوم السلطان" بالعرابة المدفونة؛ وبالنسبة "لصدرية تانيس"، فقد وجدت على مومياء الملك "حقاخبررع" شيشنق الثاني".للاستزادة عن هذه الوثائق أنظر: M.G.Daressy , les parents de Chéchanq I , p 177؛ A.Mariette, Abydos II description des fotilles executees sur l'emplacement de cette ville, Paris,1869-1880, p 36-37. ؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 86-87؛سليم حسن،مصر القديمة، ج 8، ص747

[3]- Bates,op-cit, p 228 ; Breasted, A.R.E, vol IV, para 787,p 395؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 88.

ب- نظام الحكم في عهد "شيشنق الأول": (950- 929)[1]

يعتبر "شيشنق الأول"[2] مؤسس الأسرة الثانية والعشرين (أنظر الصورة رقم 6)، أهم شخصية في قبيلته وأهم ملك في نظام السلطة الليبية التي سيطرت على مصر خلال الألف الأولى قبل الميلاد، في الفترة الانتقالية الثالثة[3].

الصورة رقم 6: نقش و تمثال للملك شيشنق الأول وجد بالكرنك

عن الموقع الإلكتروني: www.wikipedia.org.fr

بعد وفاة "بسوسنس الثاني" أعلن "شيشنق الأول" نفسه ملكا على مصر وأسس بذلك الأسرة الثانية والعشرين دون القيام بثورة لخلع الملك، كما أنه لم يظهر أية عداوة للبيت الملكي من الأسرة الواحدة والعشرين حيث انتقل الحكم إلى الأسرة الليبية في ظروف سلمية[4]. ولكي يجعل مركز العائلة شرعيا في حكم البلاد، زوّج "شيشنق الأول" ابنه "أوسركون الأول" من "ماعت كارع" ابنة "بسوسنس الثاني"[5]، وحتى يعطي لابنه حقا شرعيا لتولي عرش مصر بعد وفاته.

---

[1]- هناك اختلاف في التحديد الدقيق للسنة التي تولي فيها "شيشنق الأول" الحكم- كما أسلفنا سابق- وكذلك في نهاية عهده، فبينما يشير مانيتون إلى أنه حكم 21 سنة وهي مدة تتوافق مع التاريخ المذكور آنفا (950-929 ق.م)، لكن الآثار التي عثر عليها تدل على أنه حكم 24 سنة، لذا فالاختلاف في تحديد فترة الحكم يرجع أساسا إلى عدم الاتفاق حول سنة جلوس شيشنق على عرش مصر سنة 950 أم سنة 945ق.م.عن: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 105-106؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 256-257.

[2]- اختلف الباحثون في نطق اسم "شيشنق" على حسب ما ذكر في المصادر ، فبعضهم ينطقه "شاشانق" أو "شيشاق" أو "شوشنق" و فيه من ينطقه "سوساكوس" أو "شساكوس".

[3]- يعتبر التأريخ للفترة الانتقالية الثالثة من تاريخ مصر الفرعوني، من أصعب المراحل دراسة بسبب قلة المادة المدونة، وإن كان هذا النقص يعكس عموما عدم استقرار الأحوال السياسية آنذاك، وإنما يضيف المختصون إلى ذلك أن الانقطاع المفاجئ للوثائق التاريخية مع بداية الألف الأولى بالذات يرجع لأسباب متنوعة أهمها الأسباب الادارية، او بمعنى آخر تمركز مؤسسات الدولة في شمال مصر فقط، وبالتالي فإن رطوبة المناخ وطبيعة التربة لم تحافظ على صحة الآثار وخاصة البرديات منها، فإن التأريخ للدولة الليبية الذي يمتد على فترة كبيرة من هذه المرحلة يعتبر بالنسبة للمؤرخ مهمة صعبة، إذ أن تاريخها يشوبه الكثير من الغموض بسبب الغياب شبه نهائي لتاريخ الملوك الذين اختاروا احدى مدن الشمال إما "بوبسطة" أو "تانيس" عاصمة لملكهم، ولهذا السبب يعتمد دارسو هذه المرحلة على آثار الكرنك في طيبة بالدرجة الأولى، و إن كانت هذه الآثار تهتم بتاريخ كهنتها أكثر من الملوك أنفسهم. عن: أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 189.

[4]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 358؛ رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 177.

[5]- James Henry Breasted , A history of Egypt, p 528.

حاول "شيشنق الأول" سد الطريق أمام أي طامع من قادة المشواش الأقوياء، فألغى اللقب الليبي "زعيم المشواش العظيم" خوفا أن يتخذه هؤلاء القادة جسرا فيعبروا عليه للمطالبة بالعرش، وحافظ على اللقب الذي لا يحمله إلا هو بين أقرانه من القادة المشواش ألا وهو ممثل السلطة الشرعية "فرعون"، وبالتالي نلاحظ أن الركيزة الأساسية التي قامت عليها الأسرة 22، كانت تتمثل في البحث عن تأكيد الشرعية، ليس فقط في نظر المصريين بل أيضا في صفوف الليبيين الذين أصبحوا الدعامة الثانية التي قامت عليها الدولة الليبية، فقد توصل "شيشنق الأول" إلى عرش الفراعنة لأنه كان يمثل الشرعية عن طريق المصاهرة مع الأسرة الحاكمة القديمة، وأيضا بواسطة مساندة قادته العسكريين، وبالمقابل اعترف لهم بالكثير من الصلاحيات ومنها تعيينهم على رأس مقاطعات مصر خاصة في مصر السفلى والوسطى، في حين أبقى بعض الأسر المصرية النبيلة في مقاطعات الجنوب وحرص على ربط علاقات مصاهرة معهم لضمان ولائهم له[1].

أما عن عاصمة الأسرة الثانية والعشرين فقد اختلف المؤرخون حولها، فإذا كان "مانيتون" و"جان يويوت" يرجعان أصل الأسرة إلى "بوبسطة"(الزقازيق حاليا)، فإن فريق آخر من المؤرخين يرجعون أصل الأسرة الثانية والعشرين إلى "هيراقليوبوليس" طبقا للوحة "حورباسن" السالفة الذكر، على أن "شيشنق" جد "شيشنق الأول" كان له نفوذ وسلطان على هذه المدينة، غير أن حفيده "شيشنق الأول" قد أفلح في بسط نفوذه في أواخر عهد آخر ملك في "تانيس" حتى مدينة "بوبسطة"[2]، وذلك لأنه قد عثر في أثناء الحفائر التي قامت في تلك الجهة على قاعدة تمثال كتب عليها (الرئيس العظيم لقوم "ما" "شيشنق")، وهذا الأثر يدل على أنه قد عمل في "بوبسطة" كرئيس عظيم لقوم المشواش قبل أن يتولى حكم مصر.

لم يجد "شيشنق الأول" صعوبة في استلائه على الملك في الشمال، ولكن كهنة آمون في طيبة لم يعترفوا بشيشنق في بداية حكمه بملك مصر، والذي رأوا فيه ما يهدد مركزهم وثروتهم، بل أنه كان في نظرهم "رئيس ما العظيم" شيشنق"، لما كتبوه على نقش وجد على قطعة حجر بالكرنك نقش على أحد وجهيها التاريخ التالي:" السنة الثانية من عهد الرئيس العظيم لقوم "ما" "شيشنق"، وعلى الوجه الآخر نجد نقش مؤرخ بالسنة الثالثة عشرة من عهد الملك "شيشنق" محبوب آمون"[3].

اتجه ظن بعض المؤرخين إلى أن مجموعة من كهنة آمون هجرت طيبة عندما تولى "شيشنق الأول" الحكم ولجأت إلى النوبة العليا واستقرت في "نباتا" القريبة من الشلال الرابع، وبناء عليه من هؤلاء الكهنة كان أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (وسنتعرض لهذا الموضوع لاحقا)، قبل انتهاء السنة الخامسة من حكمه انضمت طيبة تحت لوائه[4]، ولا غرابة في ترك الكهنة البلاد فقد كانوا هم المسيطرون على

---

[1]- أم الخير العقون، التقويم الأمازيغي و الفرعون شيشنق، ص 21.

[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 107؛ بيومي مهران، المغرب القديم، ص 147- 148.للمزيد أنظر: J.Yoyotte, Egypte ancienne,histoire universelle, I, Paris, 1965 , p 121.

[3]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 313؛ سليم حسن، المرجع السابق ، ص 108.

[4]- زكية طبوزادة،المرجع السابق،ص 187؛ ؛سمير أديب،المرجع السابق،ص 231.

شؤون الوجه القبلي خلال الأسرة 21، وكانوا يعدون بمثابة ملوك لهذا الجزء من البلاد، فكان غضب بعضهم تركه للبلاد، ولكن سرعان ما فرض "شيشنق الأول" سيطرته على طيبة وعلى مصر كلها، وعين ابنه "أيوبوت" كبيرا لكهنة آمون بطيبة قائدا للجيش وحاكما للصعيد.

فمن المعروف عن "شيشنق الأول" أنه كان حاكما قويا شجاعا نهض بمصر وعزم على استرجاع عزها القديم وتاريخها المجيد، ولما كانت البلاد في حالة سيئة كان مجهود هذا الملك أشبه بمن يبني عمارة عظيمة بأنقاض عتيقة، زد على ذلك أن القطر المصري كان تحت نفوذ حكام المشواش، ومما حسن الحالة نوعا ما أن هؤلاء كانوا يهابون "شيشنق الأول"، ويعرفون أصله وكيفية وصوله للملك[1]، لكنهم كانوا أيضا على يقين من أنهم لو اتبعوا خطة شيشنق ربما توصلوا إلى العرش المصري أيضا.

فالملك "شيشنق الأول" تولى الحكم في ظروف صعبة فكان عليه إعادة الوحدة والأمن والاستقرار في مصر، ولتحقيق ذلك قام **بإصلاحات داخلية** عميقة تمس مختلف الجوانب قبل الالتفاف إلى النشاط الخارجي وابعاد الخطر الأجنبي واسترجاع هبة مصر بإبعاد السلطة المصرية على مستعمرات مصر القديمة.

وبمجرد جلوس "شيشنق الأول" على عرش مصر حصر هذا الشرف الرفيع في أفراد أسرته، فأسند إلى ابنه "أيوبوت" مناصب كبير كهنة آمون[2]، والرئيس الكبير للجيش وحاكم الوجه القبلي في آن واحد، وضمن بفضل الجمع بين هذه المناصب الثلاثة الربط بين السلطة السياسية والسلطة الروحية، وعين "جدبتاح يواف عنخ"[3]، مساعدا له في منصب "كاهن آمون الثالث"، كما عين "نيسي" وهو زعيم احدى القبائل المتحالفة مع القبائل الليبية، في منصب كاهن آمون الرابع، وولى ابنه "نمرود" على مصر الوسطى بلقب قائد الجيش في "هيراقليوبوليس" وأصبحت هذه المدينة نقطة استراتيجية تتحكم في التبادل التجاري[4]، كما عمل على الزواج من الأسرة الكهنوتية (وهو شكل من أشكال الزواج السياسي) فزوج ابنه من ابنة "بينزم" رئيس كهنة آمون[5]، وبهذه السياسة استطاع "شيشنق الأول" تثبيت حكمه في البلاد مما جعله يلتفت إلى حدوده الشرقية، ويبدو واضحا أن حملة "شيشنق" الشهيرة على "أورشليم" كان احدى أهم أهدافها تحسين الوضع الاقتصادي لدولته، وما يدل على ذلك الغنائم والضرائب التي عاد بها من فلسطين عقب تلك الحملة، كما سيأتي الذكر لاحقا. ليتفرغ بعد عودته من حروبه في "فلسطين" للشؤون العمرانية في داخل البلاد حيث شيد وأصلح كثيرا من المباني.

---

[1]- جيمس هنري برستد، تاريخ مصر، ص 357.

[2]- كسر بذلك الفرعون "شيشنق الأول" تقليد الوراثة المتعارف عليها من قبل بالنسبة لهذا المركز، و كانت حركة حكيمة، إذ أن من نتائجها الاشراف المباشر من قبل الفرعون على هذه الوظيفة البالغة الأهمية، وهذه السياسة اتبعت لعدة أجيال قادمة. عن: آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 359.

[3]- يعتقد "نيقولا جريمال" أنه أحد أبناء "شيشنق الأول".

[4]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 417-418؛ عبد العزيز الصويعي،المرجع السابق، ص 162.

[5]- عبد العزيز الصويعي، المرجع نفسه.

ج- نظام الحكم في عهد خلفاء "شيشنق الأول":

1- أوسركون الأول:

بعد وفاة الملك "شيشنق الأول" تولى الحكم بعده ابنه "أوسركون الأول" (أنظر الصورة رقم 7) زوج ابنة الفرعون "بسوسنس الثاني" آخر فراعنة الأسرة الحادية والعشرين[1]، فكان اعتلاء هذا الملك للعرش مطابقا للقوانين والعادات المصرية المتبعة.

الصورة رقم 7: تمثال نصفي للملك أوسركون الأول

عن: الموقع الإلكتروني www.tawalt.com

وكانت المملكة التي ورثها هذا الملك عن والده غنية واسعة الثروة حتى تمكن أن يتبرع لمعابد مصر تقريبا بما ينيف على أربعمائة وسبعة وثمانين ألف رطل فضة، ولما أضيف هذا المقدار إلى ما تبرع به من الذهب بلغ المجموع خمسمائة وستين ألف رطل من المعدنين النفيسين[2]، وتعتبر هذه الهبات أعظم برهان على الغنى وبحبوحة الحياة بالقطر المصري في مبدأ الحكم الليبي.

أعطى "مانيتون "الفرعون "أوسركون الأول" فترة حكم تساوي خمسة عشرة سنة، ولكن ما اكتشف من آثار تدل على أنه حكم فترة أطول من ذلك، حيث عثر على لوحة في العرابة ورد عليها أنها مؤرخة بالسنة السادسة والثلاثين من حكم هذا الفرعون[3]؛ ولعل ذلك يشير إلى الفرق الكبير بين تقدير "مانيتون" وتقديرات المؤرخين المعاصرين وهي الأدق، لأنها مبنية على ما وجد من آثار تعود لعهده أو لعهود غيره من الفراعنة الآخرين، وبالتالي "أوسركون الأول" حكم من حوالي929 إلى 893[4].

---

[1]-هنري برستد، تاريخ مصر، ص 359؛ حسن محمد محي الدين السعدي، المعالم الرئيسية لتاريخ مصر الفرعونية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995، ص 368-369.

[2]- هنري برستد، المرجع السابق، ص 359.

[3]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 177.

[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 257.

إلا أن فيه من الباحثين من يشك في أن الفرعون أوسركون الأول قد حكم مصر وحده طوال هذه المدة أي حوالي 36 سنة، ويظنون أن ابنه "تاكيلوت الأول" قد اشترك معه في حكم البلاد، وأن هذا الاشتراك قد يكون حدث في السنة الثانية عشرة من حكم "أوسركون الأول"، وتبين ذلك لوحة في متحف "فلورنس" تاريخ السنة الثالثة والعشرين من حكم ملك يدعى "تاكيلوت"[1].

سار "أوسركون الأول" على نهج أبيه "شيشنق الأول" في محاولته جمع السلطتين الدينية والسياسية والعسكرية، ونفذ توصيات أبيه، فقام بتعيين أكبر أبنائه وهو "شيشنق الثاني" كاهنا أكبر لطيبة، ليحل محل أخيه "أيوبوت"، كما تدل شواهد الأحوال على أن "شيشنق الثاني" قد اشترك مع والده في الحكم مدة حياته[2] وكان "شيشنق" يحكم في طيبة، ووالده يحكم في الدلتا.

فالملك الذي سوف يحل عند ارتقائه العرش لقب "شيشنق الثاني" هو حفيد "بسوسنس الثاني" من خلال والدته "ماعت كارع"، وقد علا شأن هذا الكاهن حتى أنه اتخذ لنفسه الألقاب الملكية ووضع اسمه في طغراء وأصبح القائد لكل جيوش مصر، ولا نزاع في أن هذا الأمير كان قوي الشكيمة، حتى أنه على الرغم من كونه الوارث للعرش قد جعل طيبة تكاد تكون مستقلة أو شبه مستقلة من حكومة الشمال التي كان يديرها والده[3]. كما ورث منصبه بعد وفاته إلى ابنه "حورسإيسي"(حورس إيزيس) حفيذ أوسركون[4]– وليس إلى أحد من أبناء الملك الحاكم كما كان متبعا من قبل– الذي اتبع تقليد أبيه في وضع اسمه داخل خانة ملكية، وقد حكم مدة قصيرة وتوفي.

توفي "شيشنق الثاني" وهو لا يزال شريكا في الحكم ووالده على قيد الحياة، وأشرف والده الملك "أوسركون الأول" على دفنه ثم وافته المنية بعد ذلك، وورث "تكلوت الأول" الذي أنجبه من زوجة ثانوية عرش أبيه[5]؛ ومن أهم الآثار التي عثر عليها وتخص الملك "أوسركون الأول" بعض المباني في معبد "أتوم" في "بوباسطة" بالدلتا، وأقام في منف هيكلا للآلهة "باست" تبقت منه عتبة ضخمة، أما في مصر العليا فقد أكمل معبد والده في الحيبة، كما أضاف بعض المباني لمعبد إيزه في أطفيح[6].

2– تكلوت الأول:

درجت هذه الأسرة على اطلاق تسميات متشابهة على أبنائها، مما أسهم في خلق الغموض والاضطراب حول المعلومات التاريخية لبعض أفرادها، وينطبق هذا الأمر على "تكلوت الأول"، حيث يجد المؤرخون صعوبة في التمييز بين "تكلوت الأول" وآخر يحمل نفس الاسم[7]، ولعل ذلك هو الذي أدى إلى

---

[1]- نقلا عن: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص194.
[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 257.؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 199.
[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 420؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 200؛ برستد، تاريخ مصر، ص 360.
[4]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 315؛ أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، مطبعة المصري ، الاسكندرية، 1968، ص 216.
[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 420.
[6]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق ، ص 185.
[7]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 258؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 216.

الاختلاف في تقدير فترة حكمه؛ ففي حين يرى بعض الباحثين أن فترة حكمه زادت عن الثلاث وعشرين سنة[1]، يرفض باحثون آخرون هذا التقدير، ويعتبرون أن هذا الملك لم يتجاوز في حكمه الست أو السبع سنوات[2]، وذلك استنادا إلى الآثار التي ترجع لعهده والتي تم اكتشافها حتى الآن.

أحدث تاريخ عرف حتى الآن لهذا الملك على الآثار هو السنة السابعة وهو التاريخ الوحيد الذي اقترحه الباحثون بعد فحص دقيق، أما "برستد"[3] اقترح تاريخ السنة السادسة من حكمه، والذي نجده بين تواريخ مرسى الكرنك الخاصة بمنسوب فيضان النيل.

إن الظاهرة الشائعة بكثير في هذه الأسرة، هي اشراك الملوك أبنائهم أثناء حكمهم، ومن هنا يمكن التوفيق بين التاريخين بأن التاريخ الأطول إنما يمثل فترة حكمه شاملة الوقت الذي حكم فيه بالاشتراك مع والده[4]، وإن كان هذا الافتراض لا يلغي حقيقة الشك والغموض الذي يحيط بعهد هذا الملك.

صراع "تكلوت الأول" مع أخيه "أيوبوت"(أيولوت) كبير كهنة آمون، قد حال دون اقراره الأمور الداخلية أو متابعة سياسة أسلافه الخارجية[5].

وقد نسب للملك "تكلوت الأول" بعض الآثار منها، تمثال صغير عثر عليه في العرابة نقش عليه طغراؤه وألقابه، غير أنه ليس من المؤكد أن هذا الاسم ينطبق على "تكلوت الأول"، كما لا ينطبق على "تكلوت الثالث"، وكذلك نسب إليه لوحة وجدت في العرابة المدفونة، وقد مثل على هذه اللوحة الملك والإله "أوزير" يتعبد إليهما كاهن الإله "أنوبيس" ويدعى "نسو–ورت حقاوى" وزوجه "شبن–سبدت"، وكذلك بالجزء الأسفل من لوحة من الحجر الجيري عليها اسم هذا الملك "محبوب آمون تكلوت"، غير أنه لا يعرف لأي "تكلوت" تنسب هذه اللوحة، هذا وقد ذكر هذا الملك على لوحة "حورباسن"، كما ينسب الأثري "هول" بعض جعارين لهذا الملك[6]، وهكذا نخرج من تاريخ هذا الملك بآراء يحوطها الشك والابهام بسبب تشابه الأسماء بين الملوك الذين يحملون هذا الاسم.

3– أوسركون الثاني: 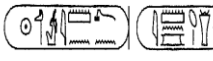

كان "أوسركون الثاني" ابن الملك "تكلوت الأول" والملكة "كابس" يلقب أحيانا بلقب ابن الآلهة "باست"، وبخاصة في معبد "بوبسطة" أهم مركز لعبادة الآلهة "باست" في مصر، وهذا اللقب يميزه عن بقية الملوك الذين يسمون باسم "أوسركون" بعده، ويعتبر آخر الملوك الأقوياء في الأسرة الثانية والعشرين مثل سلفيه "أوسركون الأول" و"شيشنق الأول"، ويشهد التاريخ أن حكمته السياسية قد مكنته من حكم فترة تناهز

[1]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 361.
[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 258.
[3]- Breasted, A.R.E , vol IV, para 695,note 4, p 341؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 216-217.
[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 258-259؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 194.
[5]- حسن محي الدين، المرجع السابق، ص 369؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 420.
[6]- نقلا عن :سليم حسن، المرجع السابق، ص 217.

الثلاثة عقود، فهي من 879-851ق.م[1]، وكانت فترة حرجة، كادت مصر أثناءها أن ترجع إلى سابق عهدها من الانقسام والتشتت.

حينما تولى "أوسركون الثاني" (أنظر الصورة رقم8 و9) بعد والده "تكلوت الأول" وجد أن نفوذ عمه (رئيس كهنة آمون) يهدد سلطانه وخاصة في أجزاء مصر الجنوبية، ولذا عمد إلى الاحتفاظ بهيبة الملكية في تلك الجهات وقام بإصلاح بعض التلف الذي أصاب معابد طيبة باسمه، وخاصة في معبد الأقصر الذي أثر فيه الفيضان، ومع هذا يبدو أن الخطر ظل يهدد نفوذ الملك من نواحي متعددة، كما يتبين ذلك من تمثال للملك "أوسركون الثاني" عثر عليه في تانيس[2]، إذ نقشت عليه دعوات –ذات أهداف سياسية– يطلب فيها الملك من معبوده آمون أن يخلد أبناءه في الحكم، وأن يمنحهم السلطة على رؤساء الكهنة وعلى رؤساء المشواش العظام وعلى كهنة "هرقليوبوليس" ومما جاء في هذه الدعوات:"...اجعل أولادي في الوظائف التي عينتهم بها ولا تجعل قلب أحدهم يكبر ويعظم على قلب أخيه"[3].

الصورة رقم 8: تمثال و نقش للملك الليبي أوسركون الثاني

عن: فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 34.

الصورة رقم 9: من داخل جدران مقبرة الملك أوسركون الثاني في تانيس و تمثال يمثله

عن: الموقع الإلكتروني http://bobmanske.com/royalty02 ؛ www.qudamaa.com

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 220؛ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 218.

[2]- للمزيد أنظر: Pierre Montet, la nécropole royale de Tanis d'après les découvertes récentes, comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres, 89° année, n°4, Paris, 1945, p p 511-515.

[3]- أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الادنى، ص217؛ Breasted ,A.R.E, vol IV ,para 745-747, p 370-371

فمن هذه الدعوات يمكن أن نتبين ظروف مصر وحالتها الداخلية أثناء حكم "أوسركون الثاني"، إذ كانت هناك بضعة قوى متنافرة كل منها تعارض سلطان الملك، وهذه القوى تتمثل في الكهنة – أفراد الأسرة الحاكمة كانوا يومئذ منشقين بعضهم على بعض ومتنافسين– ورؤساء المشواش الذين أصبح لهم سطوة كبيرة باعتبارهم يمتون بصلة للبيت المالك، وربما أصبح معظم أمراء الأقاليم من هؤلاء الليبيين[1]، لذا فقادة الجنود المأجورة كانوا دائما على استعداد لإثارة الفتن، إذا أصابهم حيف أو رأوا في أنفسهم القوة الكافية لتحسين مركزهم[2].

كما ادعى "حورسااِيزيس" الملك شاقا عصا الطاعة على ابن عمه "أوسركون الثاني" الملك الشرعي، فقد نصب نفسه بنفسه ملكا على عرش البلاد في العام الرابع من حكم أوسركون الثاني، ولم ينقذ سطوة هذا الأخير سوى وفاة "حورسااِيزيس" الأمر الذي مكن "أوسركون الثاني" من تعيين ابنه "نمرود" في منصب كبير كهنة لآمون بطيبة[3]؛ وكان نمرود قائدا لحامية "هيراقليوبوليس" وكبير كهنة الآلهة "حرشف"، ونهج نفس السياسة في "منف" ففرض ابنا آخر هو الأمير "شيشنق" كبيرا لكهنة بتاح متجاهلا السلالة المحلية، كما عين في "تانيس" "حورنخت" ابنه الصغير كبيرا لكهنة آمون، ولكنه توفي لما بلغ العاشرة من عمره. إن مغزى اختيار "حورنخت" لشغل هذا المنصب رغم حداثة سنه لأمر واضح ويؤكد على الطابع السياسي المحض لهذا التعيين[4] الذي لم يكن له من هدف سوى تجميع المقاطعات المنتشرة في طول البلاد وعرضها حول البيت المالك.

لعل اقرار "أوسركون الثاني" الأمور الداخلية قد ساعده على القيام ببعض الانجازات خلال مدة حكمه، إذ شهد عهده آخر ومضات ازدهار الأسرة الثانية والعشرين، فقد شيد العديد من المباني في بوبسطة حيث قام بتجميل معبد الآلهة "باست"، فزخرف بهو الأساطين وأضاف فناء الأعياد، كما شيد العديد من المباني بتانيس ومنف والكرنك[5]، وقد احتفل "أوسركون الثاني" في عام حكمه الثاني والعشرين بعيد سد، حيث انتهز الفرصة لإصدار مرسوم الإعفاء من كل أنواع الخدمة بالنسبة لنساء حريم معبد آمون رع وكذا المعابد الأخرى في مدينته، بقوله:"..إن جلالته جاء في عمل خير عظيم لأبيه آمون رع حين أعلن عيد سد الأول لابنه الذي يستقر فوق عرشه، فسمح أن يذيع عنه أعمالا كثيرة عظيمة في طيبة سيدة الأقواس التسعة. قال الملك أمام أبيه آمون:"لقد أعفيت طيبة في ارتفاعها وعرضها بوصفها متطهرة ومزينة لسيدها، بحيث لا يكون هناك تدخل في شؤونها من قبل مفتشي بيت الملك، كما يعفى أهلها إلى الأبد من أجل الاسم العظيم للإله العظيم الكبير"[6]؛ ولا يمكن أن يفهم هذا بغير كونه تصريحا باستقلال طيبة، إما اعترافا بالأمر الواقع أو لأن أوسركون وجد من حسن السياسة أن يقوم بهذا الأمر.

---

[1]- أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ ، ص 217-218؛ . Breasted, a history of Egypt, p 532

[2]- Breasted, op-cit, p 532-533.

[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 421؛ حسن محي الدين، المرجع السابق، ص369.

[4]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 421.

[5]- للتطلع أكثر أنظر: سليم حسن، مصر القديمة،ج9، ص ص 220-307؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 421.

[6]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 362؛Breasted,A .R.E,vol IV, para 748-751, p p 371-373

أشرك "أوسركون الثاني" ابنه "شيشنق" معه في الحكم لكنه لم يعش طويلا، فأشرك معه ابنه الآخر "تكلوت" لمدة سبع سنوات، توفي بعدها فورثه تكلوت[1] وهو الذي صار ملكا من بعده، وعرف باسم الملك "تكلوت الثاني".

4- تكلوت الثاني:

حكم هذا الملك حسب "مانيتون" ثلاثة عشرة سنة، في حين تظهر المخلفات الأثرية التي ترجع إلى فترة حكمه حوالي خمسة وعشرين سنة[2]. وقد يعود ذلك إلى احتساب فترة مشاركته أبيه في السلطة قبل أن يتفرد هو بالسلطة بعد موت والده، ويرى بعض الباحثين أن انتشار ظاهرة اشراك الملوك لأبنائهم في السلطة انما يعود إلى الاضطراب والخوف على ضياع العرش من الأسرة، نتيجة للتنافس الشديد من قبل بعض الأطراف الأخرى، خاصة وأن محاولة السيطرة على المؤسسة الدينية في طيبة جاءت نتيجة عكسية، حيث صار أبناء الأسرة الذين يتولون كهانتها طرفا رئيسيا في هذا الصراع[3].

ساد سلام نسبي بين "بوبسطة" و"طيبة" على امتداد السنوات العشر الأولى من حكمه لأن "تكلوت الثاني" قام بحركة حكيمة، وهي الزواج "بكاروماما" ابنة أخيه كاهن آمون "نمرود"، فضمن بذلك ولاء أخيه وقطع الطريق أمام الطامعين، فيرث أبناؤه من صلبه منصب جدهم في طيبة. ولما توفي كاهن آمون "نمرود" في السنة الحادية عشر من حكم "تكلوت الثاني"، سارع بتعيين ولده المدعو "أوسركون" خلفا لجده على رأس جهاز كهان آمون، في حين أبقى أبناء أخيه "نمرود" على كهانة "حرشف" في "هيراقليوبوليس"؛ غير أن هذا التعيين لم يلق اقبالا داخل "طيبة" فقامت ثورة على الكاهن الجديد وهي ما عرف بثورة "طيبة"[4].

كان الأمير "أوسركون" لايزال صغيرا عندما تولى منصب كبير كهنة آمون بطيبة، ولكن سرعان ما بدأت الأزمة، إذ ترك لنا الأمير "أوسركون" على جدران البوابة البوبسطية بالكرنك حوليات[5] تتعلق بأعماله وسياسته والأحداث التي ميزت عهده، كما تبين أن مدة تولي منصب الكاهن الأعظم تمتد فترة طويلة من الزمن، من السنة الحادية عشرة من عهد والده "تكلوت الثاني"، حتى السنة التاسعة والثلاثين من حكم "شيشنق الثالث"، ما جعل "برستد"[6] يظن أن مجموع السنين التي تولى فيها "أوسركون" منصب الكاهن الأكبر تبلغ أربعا وخمسين سنة؛ ففي العام الحادي عشر من حكم "تكلوت الثاني" عين ابنه

1- Breasted, a history of Egypt, p 533.

2- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 318.

3- حسين عامر، المرجع السابق، ص 260-261.

4- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 215؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 423-425.

5- قام هنري برستد بترجمة نصوص الحوليات التي سجلها "أوسركون الثاني" على البوابة البوبسطية، كما أعاد ترجمتها "كامينوس" بعد دراسة النسخ التي حصل عليها من المعهد الشرقي لجامعة "شيكاغو" و استطاع أن يستخلص منها فحواها التاريخية. أنظر: آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 363؛ Breasted,A.R.E, vol IV, para 756-770, p p 377-386؛ Ricardo .A.Caminos, the chronicle of prince Osorkon, analecta orientalia 37, pontificium intitutum biblicum, Roma, 1958.

6- سليم حسن، المرجع السابق ، هامش رقم 1 ص 338؛ زكية طبوزادة، المرجع السابق، ص 192؛ Breasted,A.R.E,vol IV,para 756,p 377.

"أوسركون" كبيرا لكهنة آمون في طيبة والقائد العام للجيش وحاكم الجنوب، وقد دلت شواهد الأحوال من النقوش على أنه كان في طيبة حزب معاد له، الذي حرّض أهل طيبة على الثورة[1].

وكان "أوسركون" إذ ذاك يعيش في الحيبة، وسرعان ما استدعي بوصفه حاكما لمصر العليا ليخمد الثورة التي نشبت في طيبة، فأبحر جنوبا صوب طيبة، ووقف في طريقه عند منطقة "هرموبوليس" وقدم الولاء لإلهها "تحوت"، وعمل على ترميم بعض الهياكل المخربة، وعندما وصل إلى العاصمة الجنوبية رحبت وفرحت به المدينة كلها، وبخاصة هيئة الكهانة، وسرعان ما أقر النظام هناك[2]، واستجاب إلى شكوى الكهنة ضد الثوار، ولم يقف انتقامه إلى عند حد إعدام المتمردين بل أحرق جثتهم وهكذا تم له سحق التمرد، وخلال السنوات الأربع التي أعقبت هذه الأحداث حاول بشتى الطرق أن يستميل أهل وكهنة طيبة إلى جانبه، فأغدق عليهم الهبات وثبت ما كانوا يتمتعون به من امتيازات، وبدا أن الأمور أخذت تعود إلى مجراها الطبيعي، ويقال أن "أوسركون" زار طيبة ثلاث مرات في عام واحد وأنه جاء معه بسفن محملة بتقدمات الأعياد، وكانت هناك فترة هدوء مؤقت للخصومة بين الشمال والجنوب، لأن الحرب الأهلية اندلعت بشراسة في العام الخامس عشر من حكم "تكلوت الثاني"[3].فاضطر "أوسركون" إلى الهرب؛ وبعد نحو عشرة أعوام أمضاها في حرب ونزاع عاد إلى طيبة في العام الرابع والعشرين من حكم والده، بمعاونة بعض أعوان والده وسط أسطول نيلي عظيم، ويبدو أنه استلهم وحي الإله آمون حينئذ وانتشرت في الوجه القبلي والبحري، فأصدر آمون أمره اللاهوتي بالعفو عن الثائرين، وبعد ذلك قام رئيس الكهنة بالإصلاحات والترميمات لمعبد آمون، ولكن ذلك العفو كان مؤقتا في نظر أهل طيبة على الأقل ولم يتجاوز الأمر مجرد هدنة، فبعد أقل من سنتين استأنف أهل طيبة كفاحهم ، وفقد أوسركون سيطرته على الوجه القبلي، فاضطر "أوسركون" للهرب ثانية، غير أنه عاد على جناح السرعة لما توفي والده "تكلوت الثاني"[4]، ولم يتول العرش ابنه الأكبر "أوسركون" بل شغل مكانه "شيشنق الثالث"[5].

5- شيشنق الثالث:

يبدو أن الأمور قد اضطربت بعد "تكلوت الثاني"، حتى إن "مانيتون" لم يستطع معرفة سنوات حكم الملوك الثلاثة الذين جاءوا بعده، فأعطاهم رقما واحدا هو اثنان وأربعون سنة، لكن للمؤرخين المعاصرين رأي آخر يناقض ما ذهب إليه "مانيتون"، حيث تتوافر معطيات أثرية تشير إلى أن فترة حكمهم كانت لفترة

[1]- سليم حسن، مصر القديمة،ج9، ص 338-339؛ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 186.
[2]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 363.
[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق،ص 425؛Breasted,a history of Egypt, p 534؛ آلن جاردنر،المرجع السابق،ص 363.
[4]- Breasted, op-cit, p 534؛أبو المحاسن عصفور،معالم تاريخ الشرق،ص 219؛نيقولا جريمال،المرجع السابق،ص 425.
425.
[5]- Wiliam.J.Murnane, op-cit, p 88؛نيقولا جريمال،المرجع السابق، ص 425؛ رمضان السيد،المرجع السابق،ص 237.
237.

طويلة عن التي حددها مانيتون، وبالنسبة لشيشنق الثالث (أنظر الصورة رقم 10) حكم حوالي اثنين وخمسين سنة[1].

الصورة رقم 10: تمثال الملك شيشنق الثالث

عن الموقع الالكتروني :http://www.cfeetk.cnrs.fr/karnak

كما اختلف المؤرخون[2]حول أصل الملك الجديد، فمنهم من يراه ابنا لتكلوت الثاني ودليلهم في ذلك المدة الطويلة التي قضاها في الحكم حوالي 52 سنة، اعتبروا هذا التقدير يشمل السنوات التي قضاها شريكا لوالده "تكلوت الثاني" في السلطة، ولكن ذلك يصطدم مع اعتبار بعض المؤرخين أن "شيشنق الثالث" ليس ابن لتكلوت الثاني"، بل كان مغتصبا للعرش بعد أن تمكن من حرمان ابن تكلوت الثاني "أوسركون" الذي كان كاهنا أكبر على طيبة من الوصول للعرش.

أثار الاستيلاء على السلطة الصراعات الأسرية من جديد بسبب اندلاع النزاعات حول وراثة العرش، و يبدو أن "شيشنق الثالث" قد لقى قبولا من جانب أهل طيبة في سنوات حكمه الأولى نظرا لاغتصابه العرش من "أوسركون" صاحب الحق فيه، فحال بذلك دون تقوية شوكته، أو لأنه ترك لكهنة طيبة مطلق الحرية في البت في اختيار كاهن آمون الأكبر، فأبعد "أوسركون" من جديد من منصبه ليستبدل "بحورساايزيس" في العام السادس من حكم "شيشنق الثالث"[3].

حدث شقاق جديد لم يكن مصدره طيبة في هذه المرة، وإنما البيت المالك ذاته، ففي العام الثامن من حكم "شيشنق الثالث" قام الأمير "بادي باست" بتنصيب نفسه ملكا وأسس أسرة ملكية جديدة هي الأسرة الثالثة والعشرين، وحكم الفرعونان سويا واحتفظ كل منهما بألقابه ولم يحدث الانقسام هذه المرة بين الشمال والجنوب، ولكن في الدلتا نفسها، وسرعان ما اعترف كهنة ""آمون" بالفرعون الجديد قبل العام الثاني عشر من حكم "شيشنق الثالث" واستقبلوا اثنين من أبنائه وسط جماعتهم؛ وظل الأمير "أوسركون" وحده يذكر اسم أخيه "شيشنق الثالث" بالرغم من أنه مغتصب عرشه، إلا أنه لم يتخذ موقفا قاطعا، فقد تصالح في الظاهر مع "شيشنق الثالث" واسترد منصب كبير كهنة آمون، إلا أن "حورسإيزيس" استعاد منه المنصب

[1]- سليم حسن، المرجع السابق ، ص 327؛آلن جاردنر،المرجع السابق،ص 365؛حسين عامر،المرجع السابق،ص 262.
[2]- Breasted , a history of Egypt, p 535؛حسين عامر، المرجع السابق،ص 262.
[3]- Wiliam. J.Murnane, op-cit, p 88؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 425.

في العام الخامس والعشرين من حكم "شيشنق الثالث"، قبل أن يختفي نهائيا في العام التاسع والعشرين من حكم "شيشنق الثالث"، وهكذا أصبح لأوسركون اليد العليا لمدة تناهز العشر سنوات إلى أن توفي في العام 39 من حكم "شيشنق الثالث"[1].

وعلى الرغم من هذا الاضطراب الواضح في حكم البلاد، إلا أنه يحسب "لشيشنق الثالث" بعض الاضافات المعمارية، والشاهد على ذلك ما خلفه من أعمال في تانيس، حيث كان أهم عمل قام به "شيشنق هو البوابة الضخمة التي أقامها في معبد تانيس الكبير وهي التي تعرف بالبوابة الغربية[2]، وكذا المقبرة التي جهزها لنفسه في الجبانة الملكية، كما شيد المنشآت في مندس ومصطاي بل وفي منف أيضا.

توفي "شيشنق الثالث" عام 773 ق.م بعد حكم دام حوالي 52 سنة[3]، تاركا الموقف في الدلتا مضطربا جدا.

6- بامي:

يرى بعض الباحثين أن الفرعون "بامي" اشترك مع والده الفرعون "شيشنق الثالث" في السنة الأخيرة من حكمه، ولكنهما توفيا في العام التالي دون أن ينعم "بامي" بالحكم منفردا[4]، في حين يرى الأثري "دارسي" أن الملك "بامي" كان ابن الملك "شيشنق الثالث"، وأنه لا ينبغي أن يعتلي عرش الملك، ولكن المدة الطويلة التي حكمها والده وهي 52 سنة تقريبا قد جعلته الوارث للملك بعد موت اخوته، وهذا الاحتمال يرتكز على ما جاء على المجموعة الصغيرة من التماثيل الموجودة بالمتحف المصري، وهي التي عثر عليها في "سايس"، حيث نقرأ:" الرئيس الأكبر لقوم "ما"(المشواش) "بامي" ابن رب الأرضين "شيشنق محبوب آمون"[5]. بينما يعتقد باحثين آخرين أنه لا توجد صلة بين "بامي" و بين "شيشنق الثالث" لأنه لم يرد ضمن أسماء أبناء الملك "شيشنق الثالث"، وأكبر مدة حكمها "بامي" كما وجد على الآثار "ست سنوات"، فقد عثر على لوحة أقامها الكاهن الأكبر للإله "بتاح""بدي إزيس"، عند دفن أحد عجول "أبيس" ودوّن كل ذلك على اللوحة في السنة الثانية من حكم الملك "بامي"؛ هذا وقد عثر على لوحتين موحدتين باللوحة السابقة، كما وجدت لوحة باسم "خنوم خنسو" في السرابيوم مؤرخة بالسنة الثانية من حكم "بامي" التي حفظت تاريخا سليما من عهد هذا الفرعون وكذلك ألقابه، ويوجد بمتحف اللوفر لوحة باسم شخص يدعى "باتقب" أرخت بالسنة السادسة من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين ابن رع رب التيجان "بامي محبوب آمون معطي الحياة"[6].

---

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص426-427؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 316.
[2]- حسن محي الدين، المرجع السابق، ص 371؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 327-338؛.
[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق،ص 427.
[4]- السيد رمضان، المرجع السابق، ص 238؛ رمضان عبده، تاريخ مصر، ج2، ص 361.
[5]- M.Georges.Daressy,le fils ainé de Chéchanq III, A.S.A.E, tome XVI, imprimerie de l'institut Français d'archéologie orientale, le Caire, p 61-62؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 381.
[6]- سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 381-383.

لقد حمل هذا الفرعون اسما يبدو غريبا مقارنة بأسماء أبناء الأسرة الآخرين، ويكتبه البعض "باميو" وتعني هذه الكلمة في اللغة المصرية (القط)، مما دفع بعض الباحثين بالقول أن "بامي" قد يكون أحد أحفاد الفرعون "أوسركون الثاني" الذي حمل لقب الآلهة "بست" والتي تقترن بالقط، والذي اهتم في عهده كثيرا بهذه الآلهة[1]، فحمل "بامي" هذا الاسم تيمنا بهذه الآلهة خاصة وأن كلتا الكلمتين مرادفتين لبعضهما البعض.

7- شيشنق الخامس:

يرى بعض المؤرخين وضع "شيشنق الرابع" في الأسرة الثالثة والعشرين[2]، لأن بعض ملوك الأسرة الثانية والعشرين قد عاصروا بالفعل ملوك الأسرة الثالثة والعشرين.

خلف "شيشنق الخامس" أباه "بامي" –الذي كان حكمه قصيرا– حوالي عام 767 ق.م وظل متربعا على عرش البلاد حتى عام 730 ق.م[3]. دفن في عهد هذا الفرعون عجلين أبيس، كما ظهر في عهده "حورباسن" صاحب لوحة النسب التي قدمت للباحثين خدمة جليلة في مجال تحقيق نسب هذه الأسرة، ومن خلال هذه اللوحة تأكد الباحثون من حكم "شيشنق الخامس" لحوالي سبعة وثلاثين سنة أو أكثر، حيث تؤرخ هذه اللوحة في السنة 37 من حكم "شيشنق الخامس"[4].

تطورت الأوضاع في عهده في غربي الدلتا، حيث تأسست في سايس حوالي 767 ق.م دائرة استيطانية تضم "الما" بزعامة شخص يدعى "أوسركون"، أخذ يبسط نفوذه شمالا ليشمل "بوتو" وجنوبا صوب منف، ومع نهاية حكمه وبدايات حكم خلفه "أوسركون الرابع" أي حوالي 730 ق.م، كان "تف نخت" يحكم في سايس بعد أن أعلن نفسه كبير زعماء الليبو وأمير الغرب العظيم؛ وامتد سلطانه ليشمل غرب الدلتا ونصف مناطق وسط الدلتا. توفي "شيشنق الخامس" ليخلفه ابنه "أوسركون الرابع".

8- أوسركون الرابع:

يذكر بعض المؤرخين في نهاية قائمة ملوك الأسرة الثانية والعشرين الملك "أوسركون الرابع"، ويعتبرونه آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين، ويعطوه كتاريخ حكم الفترة من 730 إلى 715 ق.م، لم يمتد سلطان هذا الملك إلى أبعد من مدينة تانيس بوباسطه، وليت الأمر اقتصر على ذلك، فدائرة "فاربيتوس" الموالية له من الناحية النظرية والتي استوطن فيها "الما" قد شطرت مملكته شطرين[5].

زادت مقومات الفوضى والاضطراب إبان حكم ملوك الأسرة الثانية والعشرين، خاصة أثناء حكم الملوك "شيشنق الثالث"،"بامي" و"شيشنق الخامس". وبدأ الانقسام يسود مصر أكثر فأكثر خاصة في الدلتا، وهكذا

---

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 263.
[2]- رمضان عبده، تاريخ مصر، ج2، ص 361-362.
[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 428.
[4]- رمضان عبده ، المرجع السابق، ص 362؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 263.
[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 428؛ رمضان عبده، تاريخ مصر، ج2، ص 362.

قامت الأسرة الثالثة والعشرون الليبية قبل أن تنتهي الأسرة الثانية والعشرين، لذلك نجد أن الأسرتين كانتا متعاصرتين لفترة ما، خاصة في عهد آخر ملوك الأسرة 22 "شيشنق الثالث" و"بامي" و"شيشنق الخامس".

2- فترة حكم الأسرة الثالثة و العشرين:818-715 ق.م

حملت الأسرة الثانية والعشرين بوادر انحلالها من خلال السياسة التي اتخذتها للمحافظة على نفوذها في طيبة، مركز الثقل الروحي في البلاد، حيث حاول كل ملك أن يجعل أبناءه على رأس السلطة الدينية في طيبة، وكان من متطلبات ذلك أن يعزل من كان يتولاها من قبل مما أدى إلى النزاع بين الأسرة الحاكمة نفسها، ومن جهة أخرى بدأ هؤلاء المعينين لرئاسة طيبة بالعمل على تفادي عزلهم، وذلك بتوريث هذا المنصب لأبنائهم هم أيضا، وكذلك باكتساب نفوذ كبير في طيبة، كان في بعض الأحيان منافسا لنفوذ الملوك أنفسهم، وقد وجد هؤلاء وأولئك في قادة الجيش وحكام الأقاليم سندا لهم ضد بعضهم البعض حتى صار مبدأ اقتسام السلطة وكأنها أمر مسموح به ليحافظ كل طرف على منطقة نفوذه[1].

فانقسمت مصر على نفسها من أثر هذه الثورات المتتالية، وضعفت سلطة الملوك وقويت سلطة أمراء الأقاليم إذ أخذ كل منهم يقوي نفسه خشية من سطوة جاره، أو طمعا في توسيع رقعة ملكه، ولهذا لم يجد "بادي باست" كثيرا من المقاومة عندما أراد خلق أسرة ملكية جديدة. ويظهر أن "بادي باست" حكم جزءا كبيرا من غربي الدلتا وحصل على معونة كهنة طيبة، بينما ظل كهنة "منف" على ولائهم للبيت المالك القديم الذين ظل لهم النفوذ على شرقي الدلتا ومصر الوسطى؛ كما يظهر أن البيتين المالكين تقاتلا في البداية ثم اصطلحا فيما بينهما، وقبل كل منهما الأمر الواقع وصار في مصر أسرتان ملكيتان تحكمان في وقت واحد، إذ نجد أنه في حكم "بادي باست" أول ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، كانت القيادة العليا للجيش في طيبة في يد أحد أبناء "شيشنق الثالث"، ولكن لم يكن لواحد من هاتين البيتين حكم كامل على البلاد التي يحكمها أمراؤها الثمانية عشر[2]، إذ أن هؤلاء الأمراء كانوا يعيشون شبه مستقلين وكان لكل منهم جيشه الخاص وبلاطه .

ومن دراسة الأسماء التي اختارها فراعنة الأسرة الثالثة والعشرين:"بادي باست" و"أوسركون" و"تكلوت"، يبدو من الراجح أنها كانت ترتبط بصلة القرابة مع الأسرة الثانية والعشرين البوبسطية[3]، وهو ما يعني أنها في الحقيقة ليست سوى فرعا من الأسرة الثانية والعشرين دفعتها الظروف للانفصال.

وهكذا ازدادت مصر انقساما على انقسام، فإلى جانب انشطارها إلى شمال وجنوب، تجزأت إلى شرق وغرب في الدلتا، فإلى جانب الأسرتين المتوازيتين، ظهر العديد من زعماء الأسرات المحلية وأغلبهم من العسكريين الليبيين في الشمال، إلى أن قامت الأسرة الرابعة والعشرون، وبالرغم من أن جميع هؤلاء الملوك لم يناصبوا دائما بعضهم البعض العداء[4]، فقد كانت تجزئة السلطة محفوفة بالمخاطر على مصر

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 266.
[2]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 317؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 391-392.
[3]- جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 145؛ سليم حسن، المرجع السابق، هامش رقم 1 ص 391.
[4]- جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 145؛رمضان السيد، المرجع السابق، ص 243-244.

التي صارت عاجزة عن حشد جيش قوي، وفي نفس الوقت لم تستطع تأمين الأشغال اللازمة للاقتصاد العام التي لا غنى عنها من أجل ازدهار البلاد.

ففي الدلتا كان يتقاسم السلطة فراعنة الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، من جانب، واقتسمها من جانب آخر زعماء الأسرات الذين اغتصبوا السلطة المحلية وأغلبهم من العسكريين الليبيين، أما في مصر الوسطى فمن الاستحالة بمكان أن نميز بين ما يخضع لفراعنة الأسرة الثانية والعشرين وما يتبع فراعنة الأسرة الثالثة والعشرين، دون أن تحدث بينهم مع ذلك أعمال عدوانية؛ وفي الوجه القبلي، فإن كبير الكهنة وعابدة الإله آمون المرتبطان بصلة القرابة بالفراعنة المتربعين على عرش الشمال، قد أمسكا بزمام السلطة في طيبة وحافظا على استقلالهما تجاه الحكومة المركزية[1]، وقد كانت حالة الانحلال هذه التي كانت تسود في الدلتا هي التي جعلت ملك "ناباتا"(من بلاد كوش) "كاشتا" يستولي على الوجه القبلي، ثم أتى بعده "بيعنخى" وانقض بجيشه على الدلتا.

أ- ملوك الأسرة الثالثة و العشرين:

تظم الأسرة الثالثة والعشرون لدى "مانيتون" –طبقا لأفريكانوس–أربعة ملوك[2] من "تانيس"، وتبدأ الأسرة بـ "بتوباستس" الذي حكم لمدة 40 سنة، ثم "أوسرخو" أو "أوسرثون" لمدة 8 سنوات، "بساموس" لمدة 10 سنوات، و "زت" لمدة 31 سنة، فالمجموع 89 سنة[3].

أما عن الآثار، فقد مكنت الحفريات الكثيرة الأثريين من كشف آثار تثبت أسماء حكام هذه الأسرة وترتيبهم، لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن تاريخ هذه الأسرة لا يمثل فقط حكم مصر من طرف بيتين حاكمين متعاصرين، بل نجد أن هذه الازدواجية في الحكم قد شجعت الكثير من الأمراء والكهان وقادة الجند على الانفصال وادعاء السلطة والزعامة، فاتخذوا الألقاب الملكية جميعهم، ونتيجة لهذه الادعاءات أصبح من الصعب جدا ترتيب الملوك وضبط سنوات حكمهم[4].

1- بادي باست:

في العام الثامن من حكم "شيشنق الثالث"، قام "بادي باست" بتنصيب نفسه ملكا وتأسيس أسرة ملكية جديدة عاصمتها "ليونتوبوليس[5]"("تل المقدم" الحالية) بالدلتا، وهي الأسرة الثالثة والعشرين.

---

[1]- جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 145-146؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 391-392.

[2]- أما بالنسبة لعالم المصريات "كتشن" فقد ذكر ثمانية ملوك لهذه الأسرة، والذي استقى معلوماته من الآثار مباشرة، ورتب ملوك هذه الأسرة على النحو التالي: -"بادي باست"و حكم من 818 لغاية 793 ق.م، - "أيوبوت" حكم من 804 لغاية 783 ق.م (اشترك في الحكم مع والده مدة 11 سنة)، - "شيشنق الرابع" (و فيه من الباحثين من يعتبره من ملوك الأسرة 22) حكم من 783 لغاية 777 ق.م، "أوسركون الثالث" حكم من 777 لغاية 749 ق.م؛ "تكلوت الثالث" من 754 إلى 734 ق.م(اشترك مع والده في الحكم 5 سنوات)، "رود آمون" من 734 إلى731 ق.م؛ "أيوبوت الثاني" من 731 إلى 720ق.م، "شيشنق السادس" حكم من 720إلى 715 ق.م. عن : أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص ص 256-257.
أنظر: K.A.Kitchen, the third intermediate period of Egypte, Oxford,1972, p 467.

[3]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص ص 365-499.

[4]- ام الخير العقون، المرجع السابق ، ص 256.

[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 425-426؛ Wiliam.J.Murnane, op-cit, p 89.

لم تختلف الأسرة الثالثة والعشرين عن الأسرة الثانية والعشرين بل كانت معاصرة لها وكانت تحكم في طيبة –فقد اعترف كهنة آمون بالفرعون الجديد "بادي باست" قبل العام الثاني عشر من حكم "شيشنق الثالث" واستقبلوا اثنين من أبنائه وسط جماعتهم– ومن المحتمل أنه نودي به ملكا في الدلتا ثم بعد موت الكاهن الأكبر "أوسركون" أعلن ملكا في "طيبة"، في حين كان أواخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين لا يزالون يحكمون في الدلتا؛ بالإضافة إلى ذلك ينسب "مانيتون" هذه الأسرة إلى "تانيس" إلا أن أسماء ملوكها تدل على أنها من أصل "بوبسطي" إذ نجد أن اسم "بادي باست" الذي يعني اسمه "منحة الآلهة باست" أنه من أصل بوبسطي[1].

حكم "بادي باست" أربعين سنة طبقا لما قال "أفريكانوس"، أو خمس وعشرين سنة طبقا لـ"يوسيبيوس" وكلاهما نقلا عن "مانيتون"[2]، أما على الآثار الباقية فنجد أن آخر سنة ذكر فيها هي السنة الثالثة والعشرون، كما جاء في النقش التاسع والعشرين من نقوش "مرسى الكرنك"[3]؛ فالروايات التي نقلت عن "مانيتون" بخصوص فترة حكم "بادي باست" (أنظر الصورة رقم11)، لا تؤكدها المكتشفات الأثرية، التي لا تحدد سوى السنة الثالثة والعشرين من حكمه، وربما جاء هذا الارتباك في تقدير حكمه من وجود شخصية أخرى تحمل نفس هذا الاسم تماما، وتظهر على نقوش آشورية تعود لآشور بانيبال، بعدما يقرب من قرن من عهد "بادي باست[4]"، والواقع أن العدد الكبير من المخلفات الأثرية التي تحمل نفس الاسم، تضع أمام الباحث قدرا كبيرا من الصعوبة ما يعود منها لهذا الملك أو لغيره، مما يجعل من المتعذر معرفة عهد هذا الفرعون على وجه الدقة.

بدأ "بادي باست" يؤرخ الأحداث طبقا لسنوات حكمه، مما يشير إلى أنه اعتبر نفسه فرعون مساويا لشيشنق الثالث، كما اتخذ "بادي باست" مظاهر الملك مثله، فقد عين ابنه "أيوبوت" كشريك له في الحكم[5].

الصورة رقم 11: تمثال الملك بادي باست

عن الموقع الالكتروني :www.ifao.egnet.net

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 390-391؛ Breasted, a history of Egypt, p 535.
[2]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 365.
[3]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 393 ؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 365.
[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 267؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 393-395.
[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 426 ؛J .Wiliam.,op-cit, p 89-90

2- أيوبوت:

ليس لدينا تاريخ مؤكد لحكم هذا الفرعون إلا تاريخ السنة الثانية، فقد عثر على اسمه منقوشا على مقياس النيل بمرسى الكرنك، وهي السنة السادسة عشرة من حكم الملك "بادي باست" التي تقابل السنة الثانية من حكم ملك الوجه القبلي والبحري "أيوبوت"[1]. ومن غير المعروف ما إذا كانت هذه السنة التي كان فيها مشاركا في الحكم مع الملك "بادي باست" أو منفردا، والواقع أن الغموض والتشويش الذي يحيط باسمه يجعل من المتعذر الفصل في شأن حكمه ،حتى يرى بعض المختصين[2] من علماء المصريات أنه ربما كان هناك أكثر من واحد يحمل اسم "أيوبوت"، وأنهم كانوا من صغار الملوك المعاصرين لبعضهم البعض الذين حكموا في أقاليمهم في فترات متباعدة، لا يمكن الجزم بها.

وربما كانت فترة حكمه قصيرة جدا، بحيث لم تسمح له بترك آثار كثيرة تؤرخ لعهده، حيث يرى "نيقولا جريمال"[3] بأن "أيوبوت" اشترك مع أبيه "بادي باست" في الحكم مدة عامين فقط، إذ تزامنت وفاة "أيوبوت" مع وفاة أبيه "بادي باست"؛ في حين فيه من يعتقد أن الفرعون "أيوبوت" حكم احدى عشر سنة مشاركا لوالده "بادي باست" ثم انفرد بالحكم لعشر سنوات أخرى، ولا يعرف عنه الكثير لأن الفوضى قد تفشت في البلاد، وتمرد حكام المقاطعات، واسترجعوا اللقب القديم "الرئيس القديم للمشواش" الذي أوقف تداوله مؤسس الدولة الليبية[4].

3- أوسركون الثالث:

نقل عن مانيتون روايتين حول فترة حكم الفرعون "أوسركون الثالث"(أنظر الصورة رقم 12)، تقول احداهما أنه حكم تسع سنوات، والأخرى تقول أنه حكم ثماني أو سبع سنوات[5]، في حين يعتقد "كيتشن" أن أن "أوسركون الثالث" قد حكم في الفترة ما بين 777-749 ق.م، ويكون بذلك قد حكم ثماني وعشرين سنة؛ أما "كلوزر" فيعتقد بأنه حكم فيما بين 783-778 ق.م أي فترة قصيرة لا تتجاوز الخمس سنوات؛ ونلاحظ بأن الفترة التي نسبها له "كلوزر" لا تختلف كثيرا عن الثماني سنوات التي أعطاها له "مانيتون"[6].

وقد عثر على نقش بالكرنك يؤرخ للفيضان الذي حدث في السنة الثامنة والعشرين لحكم ملك باسم "أوسركون"، وقد يكون هو "أوسركون الثالث"، لكن الفرق الكبير في تقدير مدة حكمه وما يظهر على النقش دفع الباحثين[7] إلى ارجاع هذا النقش لأوسركون الثاني وليس الثالث، حيث يقول "جوتييه" انه ليس متأكدا من أن النقش الثالث عشر من نقوش مرسى الكرنك الخاص بزيادة النيل المؤرخ بالسنة الثامنة والعشرين يمكن نسبته فعلا للملك "أوسركون الثالث" كما يقول "لجران" بل يستحسن نسبته للملك "أوسركون

---

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 402.
[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 268؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 402.
[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 426.
[4]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 261.
[5]- سليم حسن، المرجع السابق، ، ص 404؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 499.
[6]- أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 262.
[7]- نقلا عن :سليم حسن، المرجع السابق، ص 404؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 268.

الثاني"، إذ لا يعتقد أن "أوسركون الثالث" قد حكم في هذا العصر المضطرب مدة طويلة، كما يشاطر "دارسي" الأثري "لجران" في هذا الرأي، ويظن أن الكاهن الأكبر لآمون "أوسركون" قد خلف والده "تكلوت الثاني" بمثابة ملك، وأنه على الرغم من السن المتقدمة التي تولى فيها عرش الملك فإنه قبض على زمام الأمور مدة طويلة بمفرده بقدر ما استطاع أي مدة أربع وعشرين سنة.

هذا ما جعل فريق من الباحثين يتساءلون، هل هذا الفرعون هو الكاهن الأول لآمون الأمير أوسركون ابن تكلوت الثاني الذي عايش أحداث ثورة طيبة؟ خاصة وأن عودة هذا الكاهن إلى منصبه الديني لآخر مرة، كان في العام التاسع والثلاثين من حكم "شيشنق الثالث"، ومن خلال اسم والدة كل منهما وهي "كاروماما مري موت"، اعتبر هذا الفريق من الباحثين أن الفرعون "أوسركون الثالث" هو نفسه الأمير "أوسركون"، فقد ثبت على نصوص مدونة على مقياس النيل للفرعون أوسركون الثالث، وقد قام بترميمات في معبد الأقصر، لما حدث فيضان أتلف جزءا منه، بأنه ابن "كارومامري موت"، وكذلك نعرف من حوليات الكاهن أوسركون" بأنه ابن تكلوت الثاني" وكاروماما مري موت". وإذا كان هذا الافتراض صحيح أي أن الفرعون أوسركون الثالث هو نفسه الأمير أوسركون بن تكلوت الثاني، فبحكمه ضمن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، يكون قد استرجع حقه الضائع، لأن الأسرتين فرعان من أصل واحد، فبوصول الفرعون "أوسركون الثالث للحكم، ورثت الأسرة الثالثة والعشرون تدريجيا الأسرة الثانية والعشرين في الكثير من مقاطعات مصر الوسطى والعليا واكتسب الولاء جنوب منف والدلتا[1]، وكاد بذلك أن يكون أوسركون الثالث فرعونا على مصر كلها.

الصورة رقم 12: تماثيل للملك أوسركون الثالث

عن الموقع الالكتروني : www.cfeetk.cnrs.fr

امتاز عصر "أوسركون الثالث" بحادثين مهمين، أولهما حدوث فيضان عالي جدا، تركه لنا منقوشا بالخط الهيراطيقي على جدران معبد الأقصر، ويظهر من وصف هذا الفيضان أنه كان عارما، حتى أصبحت كل معابد طيبة كالمستنقعات، مما جعل "أوسركون الثالث" يقوم بإصلاحها وتجديدها، وترك عددا من النقوش التي تتحدث عن هذه الأعمال؛ وقد اضطروا إلى اخراج تمثال المعبود "آمون رع" على

[1]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص ص 263-265.

أمل أن يخفف حدة الأزمة ويظهر معجزاته[1] ؛ أما ثاني الحادثين فهو أن الملك "أوسركون الثالث" لم يتبع ما اتبعه آباؤه من قبل بوضع أحد أبنائهم في وظيفة كبير كهنة آمون بل زاد على ذلك بأن وضع ابنته "شب–ان–أوبت" داخل النظام الكهنوتي باسم "عابدة آمون الالهية"، ولم يمض غير قليل حتى زاد نفوذ العابدات أو الزوجات الالهات لآمون، وغطى على نفوذ كبار الكهنة، وكانت "شب ان أوبت" أولى سلسلة من السيدات استمر نفوذهن لمدة قرنين من الزمن[2]؛ وصارت هاته النسوة منافسات لمنصب رؤساء الكهنة من الرجال، بل ان هذا المنصب صار أحيانا منافسا لمنصب الملك نفسه[3]، وقد فتح هذا المنصب بابا جديدا من أبواب الصراع على السلطة.

كان "أوسركون الثالث" معاصرا للسنوات الأخيرة من حكم "شيشنق الثالث"، وخضعت لسلطانه "مندس" التي استوطن فيها المشواش وكانت مجاورة له مباشرة، كما تمكن "أوسركون الثالث" من انهاء سيادة الأسرة الثانية والعشرين في الكثير من مقاطعات مصر، ففي "هيراقليوبوليس" عين ابنه "تكلوت" مكان الأمير الذي كان يحكم بها من الأسرة الثانية والعشرين، كما نصب "نمرود" حاكما على "هرموبوليس"، وانحسر بالتدريج تأثير الأسرة الثانية والعشرين عن منطقة "طيبة" حيث توصل "أوسركون الثالث" إلى معاونة ابنه "تكلوت" على الجمع بين منصب كبير الكهنة وقيادة "هيراقليوبوليس"، فأحيت الأسرة الثالثة والعشرين تحالف طيبة مع العاصمة السياسية ولو في الظاهر. أشرك "أوسركون الثالث" ابنه كبير الكهنة "تكلوت الثالث" في الحكم[4]، وبعد موت "أوسركون الثالث" تربع "تكلوت الثالث" بمفرده على عرش البلاد.

4- تكلوت الثالث:

يصل الاضطراب والخلط في معرفة ملوك هذه الأسرة مداه في عهد هذا الملك، حتى أن أحد النقوش التي عثر عليها، تبدو غريبة ومتناقضة إلى حد كبير، فهي تتحدث عن تكلوت وأوسركون في نفس الوقت، وتنعتهما بأوصاف مختلفة، وهو أمر نادر الحدوث في تاريخ مصر كلها، ويعتقد بأنه اندماج لا يحلم به أحد، حيث يذكر اسمان على نقش واحد لاثنين يدّعون الملك، وفيه من الباحثين من يرى أنه لحل هذه المعضلة ، إنهما ليسا سوى ابنين "لأوسركون الثالث"، وإن أولهما ربما كان كاهنا أكبر قبل أن يصير شريكا في الملك[5].

وقد وجدت بعض الآثار لهذا الملك تؤرخ بالسنة الثالثة والعشرون من عهده، وان كان هناك من يشكك في هذا الأمر وينسبه "لتكلوت الأول"، ففي متحف فلورنس لوحة عثر عليها في "بوبسطة" مؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من عهد الملك "تكلوت"[6]؛ والواقع لا يوجد دليل قاطع في هذا الصدد، فمعظم المخلفات

---

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص ص 404-408؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 317؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ص 246.

[2]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص 317-318؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 428.

[3]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 269.

[4]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 427-428؛ Wiliam.J.Murnane, op-cit, p p 91-94.

[5]- نقلا عن: حسين عامر، المرجع السابق، ص 269.

[6]- :سليم حسن، المرجع السابق ، ص 422؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 269.

الأثرية التي تحمل اسم "تكلوت" لا يمكن التمييز بينها ونسبتها إلى أحد هؤلاء الذين حملوا هذا الاسم، وكان منهم ملوكا وآخرين كهنة مما يجعل أي استنتاج مجرد تخمين لا يرقى إلى اليقين، ما لم يعثر على أثر صريح يدل على صاحبه.

يرى "نيقولا جريمال"[1] أن فترة حكم "تكلوت الثالث" كانت قصيرة لم تتجاوز السنة أو السنتين، ولما ارتقى عرش البلاد أصبحت أخته "شبن أوبت الأولى" عابدة الإله آمون" فاقتسمت معه الحقوق السيادية الملكية في منطقة طيبة، بل واضطلعت إلى حد ما بدور كبير الكهنة الذي تخلى عنه "تكلوت الثالث" ليتفرغ لأمور الحكم.

في مصر الوسطى و"هيراقليوبوليس" بالتحديد حل شخص يدعى "بف تاو عاوى باستت"(أو بف نف دوباست) محل "تكلوت" وتزوج احدى بنات "رود آمون" أخ "تكلوت الثالث" ثم خلفه لفترة عابرة، ليخلفه "أيوبوت الثاني"، وفي ظل حكمه اتخذ "بف نف دوباست" ألقابا ملكية على غرار ما فعله نظيره نمرود في هرموبوليس[2].

5- رود آمون:

جاء ذكر هذا الملك بوصفه ابن ملك يدعى "أوسركون"، ويحتمل أنه "أوسركون الثالث"، وقد وضعه بعض الباحثين في بادئ الأمر في العصر الصاوي وبعضهم في الأسرة الخامسة والعشرين، وكان أول من وضعه في مكانه الحقيقي أي في الأسرة الثالثة والعشرين هو الأثري "ماسبيرو"[3].

ترك بعض الآثار له في الوجه القبلي، تسن أنه اشترك مع والده "أوسركون" في بناء معبد في الكرنك، واسمه جاء مهشما في منظرين من مناظر هذا المعبد، إذ لم يتمكن بعض الباحثين من قراءة الاسم حيث لم تبق منه إلا كلمة "آمون" وجزء من كلمة "رود" المكملة للاسم "رود آمون"، بعدها تمكنوا من قراءة الاسم كله ونسبوا "رود آمون" إلى "أوسركون الثالث" بوصفهم ابنه، ولكن نجد من جهة أخرى من يظن أن "رود آمون" هو ابن "أوسركون الرابع"، وفيه من يرى أن "رود آمون" قد حكم في طيبة بوجه خاص وذلك لأن ثلاثة أخماس الآثار التي وجدت له عثر عليها في طيبة وأنه ابن "أوسركون الثالث" لا "أوسركون الرابع"؛ كما يوجد ملكان باسم "رود آمون" مختلفان واحد منهما يلقب "وسرماعت رع" في الأسرة الثالثة والعشرين، والثاني يلقب "وسرماعت رع ستبن آمون" في الأسرة السادسة والعشرين، غير أنه ليس من المستحيل أن يكون في تلك الفترة ملكان بهذا الاسم واحد منهما في طيبة وآخر في احدى جهات الدلتا. وتدل كل شواهد الأحوال على أن "رود آمون" هو ابن الملك "أوسركون الثالث" وأنه هو الذي في عهده تمكن "بيعنخى" من الاستلاء على الوجه القبلي، ومن المحتمل أنه خلال حملة "بيعنخى" كان أحد أبناء "رود آمون" الذي يسمى "أوسركون" يحكم في الدلتا[4].

---

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 428.
[2]- نيقولا جريمال، المرجع نفسه، ص 428-429.
[3]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 424.
[4]-سليم حسن، المرجع نفسه، ص 424-425.

ب- الملوك الأواخر للأسرة:

يروى عن "مانيتون" أن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين كانوا أربعة، وتضيف إليهم الدراسات الحديثة حاكمين، وإضافة إلى ما ذكرناه تورد المصادر الأثرية عددا من الملوك، عجز الباحثون عن نسبتهم إلى أي من الأسر الحاكمة[1]، مما يرجح معه أن يكونوا مجرد حكام للمدن والمقاطعات ممن استغلوا ظروف البلاد وأعلنوا أنفسهم ملوكا في مدنهم ومقاطعاتهم.

ذكر الباحثون عدة ملوك حكموا في أثناء الأسرة الثالثة والعشرين، غير أنه لا يعرف مكان كل واحد منهم بالنسبة لملوك هذه الأسرة. وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الملوك كانوا يحملون لقب الملك فعلا غير أن كلا منهم كان لا يحكم إلا على جزء صغير من البلاد، لا تزيد مساحته أحيانا عن مساحة مقاطعة من مقاطعات القطر، والظاهر أن كلا منهم قد أخذ يستولي على جزء من البلاد ويستقل به عن بيت الملك في عهد الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين اللتين كانتا معاصرتين، وقد ظهر هذا التمزق في وحدة البلاد في الوجه البحري ومصر الوسطى بخاصة[2].

من هؤلاء الملوك الصغار نذكر: الملك "بف نف دوباست"، و"تحوتمحات"، و"نمروت" و"أوبوت"، و"رع منى"...وغيرهم. وكان من الطبيعي في ظل هذا التشرذم أن يحاول بعض الملوك الذين يتمتعون بقدر من النفوذ يفوق غيره من توحيد البلاد[3]، ووضع الأمور في نصابها الصحيح مما مهد لقيام الأسرة الرابعة والعشرين.

3- فترة حكم الأسرة الرابعة و العشرين: 730-715 ق.م.

في ظل ازدواج الملكية بين الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، وصلت مصر إلى درجة من الضعف الداخلي جعلت الأمراء المحليين في الأقاليم يشيرون إلى أنفسهم وكأنهم قد أصبحوا ملوكا[4]، وفي أثناء هذا الاضطراب تمكن "تف نخت" من السيطرة على النصف الغربي من الدلتا، وأسس الأسرة الرابعة والعشرين الليبية.

صار بذلك في منطقة الدلتا ثلاثة بيوت حاكمة، في الشمال والوسط إضافة إلى بيوت صغيرة تشارك بشكل أو بآخر في السلطة، فـ"تف نخت" وجد أن هناك ملكا آخر ينافسه في "هرقليوبوليس" وآخر في "الأشمونين" وثالث في "بوبسطة"، ورابع في "تانيس"...الخ، إلا أن "تف نخت" لم يكن كغيره من الأمراء بل امتاز عليهم جميعا بالكثير من القوة والطموح، ولهذا أراد أن يكون لقبه الذي وضعه أمام اسمه حقيقة واقعة وصمم على إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه وأن تكون مصر بأسرها مملكة واحدة[5].

---

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 270.
[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ض 429.
[3]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 270-271؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 429-436.
[4]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 189.
[5]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 318؛ محمد ابراهيم بكر، العصور المتأخرة 945-332 ق.م، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور –تاريخ مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 317.

لقد بلغ الشح في المعلومات التاريخية إلى درجة أن المؤرخ "مانيتون"، لا يذكر سوى بضعة أسطر عن الأسرة الرابعة والعشرين، جاء فيها كما نقله أفريكانوس:" الأسرة الرابعة والعشرون بوخوريس من سايس 6 سنوات أو 44 سنة...نطق حمل في عصره". وقد حاول الباحثون سد النقص في المعلومات من خلال الوثائق المعاصرة، وخاصة المتعلقة بتاريخ بلاد النوبة[1](لوحة بعنخى) التي تتحدث عن حروبه في مصر ضد هذه الأسرة والزعماء الليبيين الآخرين.

تتكون الأسرة الرابعة والعشرون من ملكين فقط هما: "تف نخت" و"باك ان رنف"، وقد حكمت هذه الأسرة في غرب الدلتا في "سايس"، على حين حكم "بعنخى" من الأسرة الخامسة والعشرين في الجنوب في كوش، ويعتقد أن نفوذه امتد حتى "منف"، ونعرف تفاصيل الصراع الذي حدث بين الشمال والجنوب عن طريق المصدر نفسه– "لوحة بعنخى" التي تعطينا صورة لما دار من أحداث، ويرى بعض الباحثين أن هذا المصدر غير واقعي لأنه يقص الأحداث من جانب واحد، لأن "بعنخى" يدعي في هذا النص أنه قضى تماما على "تف نخت" وغزا مصر كلها، حتى حدود الدلتا الشمالية، ومن المحتمل جدا أنه استولى على مناطق أبعد من ذلك، فنجد في الواقع أنه بعد انتصاره المزعوم، ترك مصر فجأة ووصل إلى عاصمته "نباتا"، وهو أمر غريب للغاية، وبالإضافة إلى ذلك "تف نخت" ظل سيدا في الدلتا لعدة سنوات بعد الغزو الكوشي لها، وأنه كون الأسرة الرابعة والعشرين في الدلتا[2] وليس كما ذكر "مانيتون" أن مؤسس الأسرة هو "باك ان رنف".

1– تف نخت:

لم يذكر "مانيتون" شيئا ما عن "تف نخت"، ولكن في المصادر الكلاسيكية يذكر اسم "تنيفاخثوس" كأب لبوخوريس وكنصير ومدافع عن الحياة البسيطة؛ وكل ما يعرف عنه في البداية أنه كان أميرا لمدينة "سايس" وهي "صان الحجر الحالية" في غرب الدلتا، يحمل لقب الرئيس العظيم للغرب[3]، وأخذ يعمل على اخضاع الأمراء المحليين في مصر العليا متجنبا الصدام بملوك شرق الدلتا في أول الأمر، وترك كل من اعترف بسيادته من الأمراء في مكانه، وبعد أن بسط نفوذه على مصر الوسطى عاد فمد نفوذه على شرق الدلتا ووسطها، أي أنه أصبح ملكا بالفعل على الوجه البحري ومصر الوسطى حتى "بني حسن"، ولم تقاومه إلا "هيراقليوبوليس" عاصمة إقليم "الأشمونين"[4].

كانت القوة الضاربة لقوات الدلتا تحت امرة "تف نخت" في "سايس" الذي جمع حوله أربعة حكام يحملون لقب "رؤساء ال"ما" وهم أمراء: "سبنيتوس(غرب فرع دمياط)، "بوزيريس"، "منديس"(شرق فرع دمياط)، بي سويد(جنوب شرق الفرع البيلوزي)، وانضمت إليه مملكتا "أتريب" و"تانيس" بقيادة "أوسركون"، ومملكة "ليونتوبوليس" بزعامة "أيوبوت" الذي تبعته طيبة و هراقليوبوليس و هرموبوليس؛ ولم تكن هذه

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 271.
[2]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 250؛ جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 147-148.
[3]- رمضان عبده، تاريخ مصر ج2، ص ص 371- 381؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 372.
[4]- Breasted, a history of Egypt, p 540؛أحمد سليم، المرجع السابق، ص 189؛أحمد فخري، مصر الفرعونية،ص 318.

الوحدة السياسية سوى وحدة ظاهرية في مواجهة الخطر القادم من أقصى الجنوب، ولكنها دعمت السلطة الصاوية في "سايس" التي ستقف بعدها بمفردها في وجه الكوشيين[1].

وفي تلك الأثناء كان "بعنخى" قد تولى الملك في "النوبة العليا"(كوش) بعد "كاشتا"، لم يهتم بادئ الأمر لنجاح "تف نخت" في بسط نفوذه على بقية أمراء الدلتا ولكنه رأى في عودة تقدمه إلى الصعيد خطرا يهدد نفوذه هناك، وانزعج كثيرا حينما علم بأن "تمرود" أمير الأشمونين استسلم له في النهاية وانظم إليه، وعلى ذلك أمر "بعنخى" قواته بالتقدم شمالا نحو "تف نخت" لوقف تقدمه إلى الجنوب– ومن المحتمل أن القوات النبتاوية لم تصادف نجاحا كبيرا في أول الأمر– فاضطر بعنخى أن يتقدم بنفسه نحو الشمال لوقف تقدم "تف نخت" حيث تمكن– كما سنشير بالتفصيل أثناء عرضنا للأسرة الخامسة والعشرين– من السيطرة على الدلتا، وأسس الأسرة الخامسة والعشرين، إلا أنه بعودته إلى "نباتا"، عاد "تف نخت" فاتخذ الألقاب الملكية من جديد، وبالتالي فالملك "تف نخت" لم يخضع لبعنخى إلا اسميا، لذلك ترقب رحيله وأنشأ في الوجه البحري مملكة مستقلة، وبقي حاكما على الدلتا ثماني سنوات[2]، وكان معاصرا لآخر أيام الأسرة الثالثة والعشرين ببوبسطة والتي يرجح أنها خضعت لإرادته وحكمه، كما تعاصرت في هذه المرحلة كل من الأسرتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين، حيث حكم "تف نخت" في الدلتا، وظلت مصر العليا تابعة لنفوذ حكام نباتا.

من الآثار التي تركها "تف نخت" لوحة محفوظة الآن في متحف أثينا، ذكر عليها كملك، إذ تمثله كملك يقدم هبة من الأراضي إلى الآلهة "نيت" معبودة "سايس" وحامية الأسرة في العام الثامن من حكمه.والنص جاء كالآتي:" في السنة الثامنة تحت حكم ملك مصر العليا والسفلى، سيد الأرضين "حورس سياخت" ملك الوجه القبلي والبحري، المنتسب إلى المعبودتين المبجل حورس الذهبي شبسس رع، ابن رع من صلبه، محبوبه المولود من نيت الأم المقدسة، تف نخت"، (في) يوم عيد صدر مرسوم ملكي.. لإعطاء أرض من 10 أروره...لمعبد المعبودة نيت سيدة "سايس"[3].

فيه أثر آخر لهذا الملك وهو عبارة عن لوحة في مجموعة خاصة، ليس عليها ذكر لسنة الحكم، ولكنها تذكر هبة منحها الملك، والنص كالآتي:" حورس، سياخت ملك مصر العليا والسفلى شبسس رع، ابن رع، تف نخت ابن نيت، إلى المعبود حورس وواجيت"[4]. توفي "تف نخت" وخلفه في الحكم ابه "باك ان رنف".

---

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 429.

[2]- Breasted,a history of Egypt, p p 545-546؛أحمد سليم، المرجع السابق، ص 189؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص ص 321-323، أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى،ص ص 223-225.

[3]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 372؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ص 251. للمزيد حول هذه اللوحة أنظر:
R.El Sayed, documents relatifs à Sais et ses divinités (BDE 69, Le Caire,1975,p p 37-53 , Pl.VII.

[4]- رمضان عبده، تاريخ مصر ج2، ص 382؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ص 251.

2- باك ان رنف "بوخوريس":

"بوخوريس" هو تحوير يوناني لاسمه الأصلي "باك ان رنف"، وهو ثاني وآخر ملك حكم الأسرة الرابعة والعشرين، ولقد ورث عن أبيه "تف نخت" حكم مصر السفلى، وغيّر العاصمة من "سايس" إلى "منف"؛ وجاء في مصدر "مانيتون" أنه حكم ست سنوات وبأنه الحاكم الوحيد للأسرة الرابعة والعشرين[1]، عكس ما ورد في الآثار.

لم تفدنا الآثار المصرية كثيرا عن فترة حكم هذا الملك القصيرة، وكل ما وصل إلينا هو لوح حجري وجد بالسرابيوم يرجع تاريخه إلى السنة السادسة من حكم "باك ان رنف"، أقيم وقت الاحتفال بدفن أحد عجول "أبيس" بتلك المقبرة[2]. ولقد جاء في رواية يونانية أن هذا الملك كان عادلا مجتهدا في تنقيح القانون ساهرا على الحق بكل قواه[3]، ولا غرابة في ذلك فأحوال البلاد الداخلية وقتئذ كانت سيئة للغاية تتطلب أمثال هذه المجهودات.

فإن ما أعطى لهذا الملك أهمية خاصة، رغم قصر فترة حكمه، هو شهرته الواسعة كمشرع كبير مثلما تشير بعض المصادر التاريخية- فقد صار لباك ان رنف" شهرة واسعة لدى المؤرخين الإغريق، باعتباره واحد من المشرعين الستة الكبار في مصر-[4]، فقد وصفت هذه المصادر "باك ان رنف" بأنه من أعظم المشرعين الكبار، وأنه قد فاق من سبقوه في حكمته، وكان عاقلا امتاز بدهائه، فنظم شؤون الملك وشرع أصول المعاملات وكان عادلا في قضائه.

اتجه "باك ان رنف" في أواخر سنين حكمه إلى طريق الاصلاح وتدعيم جانب من أسس العدالة والتشريع، وللأسف كانت تشريعاته سببا رئيسا في زوال حكمه، ذلك لأنها شملت مضامين تحررية وثورية بالنسبة للمفاهيم السائدة في عصره، وبصرف النظر عن الجوانب القانونية البحتة في هذه التشريعات فإن انعكاساتها السياسية كانت كافية لإثارة العناصر الكهنوتية والعسكرية المسيطرة على كل موارد الدولة من أراض وعقارات، هذه العناصر التي كانت قد قطعت شوطا كبيرا في تعميق النظام الإقطاعي وتسيير أملاكهم بواسطة العبيد والفلاحين المستأجرين[5].

وبخصوص تشريعات "باك ان رنف"، لا نملك نصوصا مباشرة تصور لنا جهود الفرعون "باك ان رنف" الداخلية، حيث يعتمد المتخصصون في دراسة اصلاحاته أساسا على ما ورد عند "ديودور الصقلي"، ويعتقد "أوجين ريفيو" بأن ديودور في رحلته إلى مصر سنة 59 ق.م تمكن من الوصول إلى نصوص

---

[1]- أم الخير العقون، من مصادر التشريعات المحررة للفرد عند الفرعون "بوخوريس" ذي الأصل الليبي، مجلة عصور، العدد 12-13/14-15، مخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، دار الأديب للنشر و التوزيع، وهران، 2008-2009، ص 305.

[2]- Breasted, a history of Egypt, p 547؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 372.

[3]- Breasted , a history of Egypt , p 547 .

[4]- حسين عامر،المرجع السابق،ص 275؛أحمد فخري، مصر الفرعونية،ص 323؛آلن جاردنر،المرجع السابق،ص 372.

[5]- أم الخير العقون، زعماء الرّيبو "اللّيبو" و حلم الوحدة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد الخامس، المجلس العربي للدراسات العليا و البحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، 2004، ص 27.

تشريع "بوخوريس"؛ وهناك شبه إجماع بين علماء المصريات والمتخصصين في القانون بأنه لم يصل إلينا ولا نص قانوني واحد صريح من الأسرة الرابعة والعشرين، وكل ما نملكه من ذلك هو ما جاء بين طيات الوثائق الكوشية (الأسرة الخامسة والعشرين)، حيث نلتقي بآثار تشريع جديد غير الذي كان معمولا به في مصر قبل الأسرة الرابعة والعشرين، وباجتهاد المختصين تمكن فريق منهم من استخراج بعض المستجدات في التشريع، ويتفق هؤلاء بأن الفرعون الليبي "باك ان رنف" قد اهتم بالدرجة الأولى بحماية الفرد وحماية حقوقه وأن تشريعه كان بمثابة ثورة حررت الأقنان المرتبطين بالأرض، بل ملكتهم الأرض التي يعملون عليها[1].

و قد قام **تشريع "بوخوريس" على الأسس التالية:**

*** تحديد فائدة القرض و تحريم استرقاق المستدين:**

– تحديد نسب الفوائد على الأموال المقرضة كان بسبب تفاوت هذه النسب إلى أن بلغت أضعاف مضاعفة.

– حرّم أن يكون شخص المستدين رهينة لدى الدائن كما كان معمولا به في العراق وبلاد اليونان.

*** ارساء مبدأ التعاقد لتأكيد الملكية:**

– تبدو بجلاء فطنة "بوخوريس" لأنه سعى إلى تحرير الفلاح المصري من تبعيته للفرعون أو المعبد، فاتّخذ لذلك سبيلا وهو مبدأ التعاقد و بفضل العقد جعل الفلاح صاحب ملك[2].

وبعد أن شرعت الأسرة الرابعة والعشرون في انتهاج سياستها الجديدة، أصبحت منفصلة تماما عن الدولة النوبية (كوش)، فقد تم العثور على أثر من آثار "باك ان رنف" ممثل عليه أسرى نوبيون وإن ظل كل من بعنخى وأخته العابدة الالهية لآمون "أمناردیس"[3]، يملكان الصعيد[4].

توفي "بعنخى" ملك "نباتا"، وتولى السلطة بعده أخوه " شباكا، الذي زحف نحو مصر، بعدما استنجد به الجنوب (طيبة) من قبل الكهنة، الذين اعتبروا المسائل التي تعرض لها تشريع "باك ان رنف" بمثابة الضربة القاضية لآمالهم وطموحاتهم، ومن ثمة كان للوشاية التي مارسها هؤلاء الكهنة أثر بالغ في نفس الملك الكوشي الجديد "شباكا"[5].

وصل "شباكا" على رأس جيش إلى "منف" في عام حكمه الثاني، المقابل للعام السادس من عهد "باك ان رنف"، واصطدم الخصمان، وتردد المراجع كلها على لسان "مانيتون" بأن "شباكا" قد أسر "باك ان رنف"، وقتله حرقا، وإن كان هناك من يشكك في هذا المصير ويعتقد بأنها كانت دعاية من طرف

---

[1]- نقلا عن: أم الخير العقون، من مصادر التشريعات "بوخوريس"..، ص 306-307.

[2]- أم الخير العقون، المرجع نفسه، ص 312.

[3]- طمع "بعنخى" في خيرات آمون فحاول الاستيلاء عليها بطريق شرعي، فعين أخته و زوجته "أمناردیس" بدل ابنة "أوسركون الثالث" المدعوة "شب نوبت" أميرة "طيبة" الدينية وقتئذ. عن : Breasted, a history of Egypt, p 546.

[4]- زكية طبوزادة، المرجع السابق، ص 204.

[5]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 275؛أم الخير العقون، زعماء الريبو، ص 28.

الكوشيين لكي يقبل المصريون أو على الأقل المتضررون من تشريعات "باك ان رنف"، ب"شباكا" الكوشي كفرعون على مصر[1].

ثالثا- المظاهر الحضارية للحكم اللّيبي بمصر:

1- الجانب الإجتماعي و الإقتصادي:

أ- طبقات المجتمع و وضعهم الإقتصادي:

يمكن القول بيقين أن درجة كبيرة من الانصهار قد حدثت بين سكان وادي النيل وبين اللّيبيين، وأن أعدادا غفيرة من المهاجرين الجدد قد وجدت طريقها إلى الوادي بعد أن زالت السلطة التي كانت تقف حجر عثرة في طريق وصولها إليه، وهذا الاختلاط والانصهار لابد أن يقود إلى تأثيرات متبادلة وعلاقات اجتماعية متشابكة خاصة مع وجود روابط تاريخية عميقة بين المصريين والقبائل الليبية وهو ما يؤدي إلى تقليص الفوارق والتنوعات الجغرافية داخل الاطار الحضاري الواحد، الذي جمع ولازال يجمع هذه المنطقة وهي فوارق طبيعية تفرضها طبيعة الاقامة أو مستوى المعيشة أو نوع الحرفة أو النظام الاجتماعي، وهي في معظمها لا تمس جوهر وجود تلك الجماعات بقدر ما تتعلق بتمايزات طفيفة من حيث اللغة أو التصورات العقائدية أو العادات الاجتماعية[2] وهي ظواهر لازلنا نلمسها حتى في المجتمعات الحالية.

لقد اعتمد الفرعون "شيشنق الأول" على ولاء قادة الحاميات الليبية المتكونة في معظمها من العسكريين المشواش في تعضيد دولته الناشئة، ولقد أبقى هذه الحاميات في جهات متفرقة من مصر وخصوصا في الدلتا ومصر الوسطى والفنين و(الشلال الأول على النيل) ليكونوا أصحاب النفوذ والقابضين على زمام الأمور، إذا ما قامت فتنة أو نشبت ثورة بين الأهالي ضد الحكام الليبيين؛ ولقد حكم الفرعون "شيشنق الأول" مصر موحدة وأسند تنفيذ سياسته إلى موظفين وأجهزة إدارية ومؤسسات حكومية، كان معمولا بها منذ عهد الرعامسة، مثل مدير خزائن ملك الأرضين ومدير مخازن الأرضين وغيرها من المؤسسات، مما يوحي بمركزية السلطة بين أيدي شخص الفرعون ملك الأرضين (مصر السفلى ومصر العليا)، بالإضافة إلى نفوذ الأمراء والأميرات، كما كان للفراعنة الليبيين أتباع يلقبون بعيون الملك وكانوا من الليبيين وأمراء مصريين قدامى صاهروا البيت الحاكم وتزوجوا بناتهم، فشملتهم انعامات الفراعنة، مثلهم في ذلك مثل رؤساء الحاميات العسكرية[3]، وبذلك ظهرت طبقة اقطاعية كبيرة وغنية تزايدت أعدادها وثرواتها مع مرور الزمن وتوفر لها نفوذ كبير في حكم الأقاليم، لكنها بقيت مرتبطة بمركز السلطة الممثل في الفرعون، فتدين له بالولاء والطاعة وتدفع له الضريبة السنوية.

---

[1]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 325؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 373-374؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 323.

[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 307.

[3]- أم الخير العقون، المرجع السابق، ص ص 347-348.

بالاطلاع على نظام الحكم في عهد اللّيبيين والإدارة والهبات الملكية يمكن أن نلخص إلى ابراز التحول الاجتماعي والديني والاقتصادي في مصر في هذا العصر[1]، والذي كان من أبرز مظاهره من الناحية الاقتصادية هو التحول من اقتصاد اقليمي بحت غاية في التعقيد، إذا نظرنا إلى تلك الألقاب الادارية والعسكرية والدينية ومدلولها الاجتماعي، والوضع الاقتصادي والمهني لمن حملوها، ولكن هذا الأمر قد يؤدي إلى التظليل وإلى استحالة تحديد وتصنيف الطبقات الاجتماعية في مصر في هذه المرحلة، وبالتالي فإنّه يمكن القول بأنّ مصر لم تشهد في هذا العصر نمطا طبقيا من الوجهة الاجتماعية البحتة، كما أنّ حكامها وبصفة خاصة حكام المدن ذوي المراكز المرموقة حملوا ألقابا تجمع بين صفة السيادة والحرفية في الوقت نفسه بكل ما تشمله هذه الصفة من معنى، ولكن مع ذلك فيمكن دراسة العناصر الداخلة في التركيب الاجتماعي لمصر وتبيان مدى أهميتها[2] كما يلي:

1- الطبقة العسكرية:

نشأت الطبقة العسكرية من أسرى الحرب في عهد رعمسيس الثالث بعد انتصاراته على اللّيبيين، حيث وضعهم في مستوطنات حربية وكذلك من أتى بعدهم من ليبيا في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وقد كانت السلطة في أيديهم في مقر الملك بالدلتا؛ وفي عهد "شيشنق الأول" وخلفائه أصبحت السلطة في يد هذه الطبقة العسكرية[3]، وحرم على سائر الأمة الانخراط في سلك الجندية.

ينسب للمؤرخ "هيرودوت" قوله أن المجتمع المصري قد انقسم في العهد اللّيبي إلى مجموعة من الطبقات[4]، كان على رأسها فئتين متميزتين هما "كلاسيريس و هرموتوبيس" (خيالة و مشاة)، وأن كل أعضاء هاتين الفئتين كانوا من المحاربين الليبيين[5]، وقد ذكر "هيرودوت" المقاطعات التي عسكر فيها هؤلاء المحاربين:مقاطعات الهرموتوبيس: بوسيريس، سايس، خميس،بابريميس، مقاطعة الجزيرة(بروسوبيتيس)،أما مقاطعات الكلاسيريس فهي كالتالي: طيبة ، بوبسطيس، أفتيس، تانيس، منديس، سبينيتوس، أثريبيس، فارباتيس، ثمويس، أنوفيس، أنوسيس، مويكفوريس[6].

---

[1]- لأن المفهوم السياسي والاجتماعي والاقتصادي لإدارة الدولة الليبية، قد تغير لدى الفراعنة الليبيين في مرحلة الفوضى التي شهدتها الدولة في النصف الثاني من عهدها،وأصبح بعيدا كل البعد على المركزية وقائما أساسا على النظام الاقتصادي بما يحمله من ترسيخ للطبقية في المجتمع وتوارث المهن والوظائف في معظم الأحيان.عن: أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 348.

[2]- سليمان بن السعدي، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2009، ص ص 291-292.

[3]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 480.

[4]- قسم هيرودوت المجتمع المصري في العهد الليبي إلى سبع طبقات هي: طبقة الكهنة، طبقة المحاربين، رعاة البقر، رعاة الخنازير، التجار، المترجمين، الملاحين و أسماؤها ناشئة من حرفها. عن : محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الكتاب الثاني، دار القلم، 1966، فقرة 164، ص 297.

[5]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 304؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 487.

[6]- محمد صقر، المصدر السابق، الفقرتين 165-166، ص 298.

كانت الجندية وظيفة وراثية، يتوارثها الولد عن أبيه ولا يسمح للجندي أن يمارس أية حرفة، يحترف الجندية فقط[1]. والواقع أن المعلومات الممتازة عن الحالة الحربية في مصر، التي قدمها لنا هيرودوت لابد أنه استقاها من عهد الأسرة السادسة والعشرين وكذلك من عهد السيادة الفارسية، حيث لم تتغير الأوضاع، وكان الجنود من المشاة وكانت الوظائف العسكرية وراثية، فكان الابن منذ صغر سنه يدرب على فنون الحرب، وعلى ذلك كان الفرد منهم يمنح نصيب من الأرض معفاة من الضرائب، وكانوا يعيشون في مستعمرات عسكرية ثابتة، على رأسها رئيس من طائفة المشواش بوصفها حاميات ثابتة[2].

ومع انهيار السلطة الملكية وازدياد ثراء هذه العناصر وعلى الخصوص قادتهم، ظهرت طموحاتهم الاستقلالية كقادة للجيوش، فحكموا مدنهم واغتصبوا الامتيازات الملكية التي كانت للفرعون فقط، وحملوا لقب الزعيم العظيم للمشواش كما كانوا يتولون المهام الدينية، وعلى سبيل المثال فإن كاهن آمون الأول كان في الوقت نفسه قائد الجيش وحاكم مصر العليا في طيبة، وكذلك كان الزعيم العظيم للمشواش الذي حمل لقب الكاهن الأعظم للإله المحلي في إقليمه مثل أمراء منداس، تانيس، هيراقليوبوليس وغيرها[3]، وبالتالي فإن هذه النماذج في أواخر الدولة الليبية تجعل من الصعوبة بمكان تحديد إلى أي الطبقتين العسكرية أم الدينية يمكننا نسب هؤلاء الحكام.

2- طبقة الكهنة:

ظلت حكومة "طيبة" الإلهية التي وضعها "حريحور" وخلفاؤه، تحت سيادة الأسرة في عهد الحكم الليبي، وقد كان نفس النظام موجودا في "منف" حيث كان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر عضو من الأسرة المالكة، وكذلك كان الحال في "هليوبوليس" و "ليوتوبوليس" وغيرها، وكانت وراثة ابن الكاهن لأبيه في وظيفته تعد نظاما متبعا في العهد الليبي، أما وظيفة الكاهن الأعظم التي كانت موجودة في الأسرة الواحدة والعشرين لم يعترف بها ملوك الأسرة الثانية والعشرين، ولكن صفة الكهانة ومطالبها لا يوجد فيها تغيير[4].

تشير المصادر المصرية أنه أثناء ثورة طيبة في عهد الفرعون الليبي "تكلوت الثاني"، كان أول شيء أقدم عليه الكاهن أوسركون لتهدئة النفوس هو إعادة تنصيب الأبناء في مهام الآباء، وتشير نفس المصادر، بأن الكهنة في عهد الدولة الليبية عموما تمتعوا بمراكز مرموقة وبصفة خاصة في طيبة ، هيراقليوبوليس، منف، هيليوبوليس وتانيس، حيث كان لقب الكاهن الأول للإله المحلي في هذه المدن، يؤهل حامله لأن يكون حاكما للمدينة التي يباشر طقوس عبادة إلهها؛ ومع ظهور الفوضى والاضطرابات في نهاية الدولة، انتقل هذا التقليد إلى باقي مدن مصر، حيث حمل زعماء المشواش لقب كاهن في مدنهم كوسيلة لحكم هذه المدن[5]، وعليه يمكن القول بأن مصر آنذاك كانت تحكم عن طريق الكهنة العسكريين

[1]- محمد صقر، المصدر السابق ، فقرة 166، ص 299.
[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 485-486.
[3]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 352.
[4]- سليم حسن ، المرجع السابق، ص ص 482-484.
[5]- أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 353.

وكثيرا ما حدثت نزاعات نظرا للأهمية التي يكتسبها هذا المركز، بل إن بعض الفراعنة مثل "تكلوت الثاني"، قد صاهر هؤلاء الكهنة لتثبيت دعائم عرشه.

أما الأشخاص الذين كانوا يؤلفون طبقة الكهنة، فكانوا بولادتهم وأصلهم يشتركون في إقامة شعائر العبادة ، وكذلك كان لهم نصيب في دخل المعبد وقربانه؛ وقد قسم رجال هذه الطائفة إلى أربع طبقات وأفراد كل طبقة يتناوبون العمل في خلال العام لإنجاز الأعمال المقدسة، وكان يشرف على هؤلاء الكهنة كهنة محترفون كل حسب درجته الدينية حتى مرتبة الكاهن الذي كان يطلق عليه اسم والد الإله[1] وعلى رأس كل هؤلاء كان يشرف الكاهن الأكبر، وقد كان من الطبيعي أن يرث الابن وظيفة والده.

هذا ما بينته ألواح الهبات التي قدمها زعماء المشواش للكهنة، أن الكهان طوائف فيه فئة تباشر طقوس تطهير المعبد وقدس الأقداس (حجرة تمثال الإله)، وفئة أخرى تشرف على خزائن الإله وضياعه وإقامة الأعياد، وإلى جانبهم كانت مغنيات وراقصي الإله[2].

3- طبقة الحرفيين:

ليس هناك ثمة مصادر أو إشارات مباشرة يمكن أن تقدم لنا انطباعا عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأصحاب الحرف، ولكنه من الممكن استنتاج وضع هؤلاء من خلال دراسة روح العصر الذي ساده التركيز على وراثة المناصب والممتلكات، وشيوع الاضطراب، وسيادة العسكريين على كل الأقاليم، أما بالنسبة لوضع الفلاحين وملكية الأرض فإنه يمكن استنتاجه من خلال تطور أوضاع العسكريين الذين يبدو أنهم أصبحوا أكثر استقلالا عن سلطة الملك، وأنهم باشروا حكم إمارتهم المستقلة، وتركوا زراعة الأرض لهؤلاء الفلاحين أما بوصفهم مأجورين أو مستأجرين، أو حتى تابعين للأرض التي مهما انتقلت ملكيتها من أب لابنه كانوا مرتبطين بها، و ربما كان يعمل إلى جانبهم في زراعة الأرض بعض العبيد نظير قوته، أو نظير أجر معين يدفعه المستأجر إلى صاحب الأرض، أو حتى نصيب معين من غلة الأرض بالنسبة للمأجورين. أما عن ملكية الفلاح للأرض فلا نعرف عنها شيئا، وربما كانت مستبعدة في هذه المرحلة[3]؛ لذلك نفترض بأن فترة أواخر الدولة الليبية في مصر، كانت من أصعب الفترات على أفراد الطبقة الوسطى وأن هذا الوضع قد فجر مشاعر الثورة على التقاليد[4]، وكان السبب وراء إصدار اصلاحات الفرعون "باك ان رنف" فيما بعد.

يكاد يتفق المختصون أن الفرعون الليبي "باك ان رنف"- بعد دراسة نصوص تشريعه- قد اهتم بالدرجة الأولى في اصلاحاته بحماية الفرد وحماية حقوقه، وأن تشريعه كان بمثابة ثورة حررت الأقنان المرتبطين بالأرض، بل ملكتهم الأرض التي يعملون عليها، ففي مرحلة الفوضى التي شهدتها الدولة الليبية في النصف الثاني من عهدها، أصبح النظام السياسي والاقتصادي قائما على النظام الاقطاعي، الذي اتصف

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 483.
[2]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 353.
[3]- سليمان بن السعدي ، المرجع السابق، ص 296-297.
[4]- أم الخير العقون ، المرجع السابق ، ص 355.

في عمومه بارتباط الفلاحين بالأرض (نظام الأقنان) ومقاومة أصحاب الملكيات الصغيرة قبل انقراضها. ويبدو أن هذه الوضعية المزرية لأفراد الطبقة العاملة من المجتمع، هي التي فجرت غضب المصلح "باك ان رنف" وثورته ضد الاقطاعيين الكبار ولقد حقق هدفه على مرحلتين[1]:المرحلة الأولى تحديد فائدة القرض وتحريم استرقاق المستدين، أما المرحلة الثانية فهي ارساء مبدأ التعاقد لتأكيد الملكية؛ وبذلك اعتبر "باك ان رنف" نصير المستضعفين ونال مكانة راقية في نظر سكان الأرياف كملك مصلح.

أما بالنسبة للتجارة ووضع التجار، فمن الأهمية بمكان التذكير بأن موانئ الدلتا استعادت نشاطها في بداية الدولة الليبية وخاصة في النصف الأول من عهدها بعد الخمول الذي عرفته أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين المصرية، لما حول الملك "سليمان" التجارة إلى موانئه؛ فبعد حملة "شيشنق" المظفرة على مملكتي اليهود، عادت السفن الأجنبية والفينيقية تؤم موانئ الدلتا من جديد، وربما الرخاء الذي عرفته دولة الليبيين في مصر، وخاصة في النصف الأول من عمرها، فإنما يرجع أساسا إلى الرسوم التي كانت تفرض على السفن والسلع وعائدات التجارة الخارجية عموما؛ ومما يؤكد نشاط التجارة الخارجية في هذه الفترة هو وجود شخصيات تتولى هذه المهام ومنها "مدير باب البلدان الأجنبية الجنوبية"، وقد كان مقره في "الفنتين"، وكان يتلقى أوامره من "طيبة" ويهتم بالسلع المتبادلة بين مصر والسودان، وكذلك "مدير باب البلدان الأجنبية الشمالية"، وقد كان مقره في "سفت الحنا" مقابل "واد طميلات" ويهتم بشؤون التجار والبضائع الداخلة والخارجة من فلسطين وسوريا، و"مدير باب البلدان الأجنبية المطلة على الأخضر الكبير(ويقصد بها البحر الأبيض المتوسط) ويهتم صاحبها بالسلع المتبادلة بين مصر والبلدان الأوربية وخاصة اليونان، وكانت تفرض على البضائع الداخلة إلى مصر، ضريبة مقدارها 10% من ثمن السلعة[2]، وربما كان هذا النظام الجمركي معمولا به طيلة حكم الأسر الليبية وتأكدت الوضعية أكثر أثناء حكم الأسرة السادسة والعشرين.

ولا نستبعد بأن تكون التجارة الخارجية قد تعثرت قليلا أثناء مرحلة اللامركزية في مصر، وكان لهذا التعثر أثره الخطير على موارد الدخل الملكي الذي كان يعتمد بشكل كبير على الدخول المتحصلة من الرسوم الجمركية؛ كما يمكن الإشارة إلى أن الفرعون "تف نخت" لما أنشأ الأسرة الرابعة والعشرين، لقي مؤازرة كبيرة من طرف "البرجوازية التجارية" التي سلبها "بعنخى" ممتلكاتها، كما أن فترة حكم الأسرة الرابعة والعشرين القصير، عرف انفراجا وفتح موانئ الدلتا أمام التجار اليونانيين، الذين تأكدت مكانتهم في مصر أثناء حكم الأسرة الليبية، والذين تأكدت مكانتهم في مصر أثناء حكم الأسرة السادسة والعشرين[3].

[1]- أم الخير العقون ، من مصادر التشريعات المحررة للفرد عند الفرعون "بوخوريس"، ص ص 306-312.
[2]- أم الخير العقون ، دولة الأمازيغ ، ص 355-356.
[3] - أم الخير العقون ، المرجع نفسه.

2- الجانب الديني:

أ- التأثير الديني الليبي في مصر:

لاشك أن العقائد الدينية هي أبرز مقومات الشعوب التي تميزها عن الآخرين، وهي أهم مظاهر وحدة أية جماعة انسانية، ورغم عدم اغفالنا للتأثيرات المتبادلة بين الشعوب في مجال العقائد الدينية إلا أن دراسة متأنية للمعتقدات الدينية التي سادت مصر القديمة، وتلك التي وجدت لدى القبائل الليبية تشير من غير شك إلى عمق الروابط بين الجماعتين وأنّ العلاقة بينهما تتجاوز فكرة التأثيرات المتبادلة، وعلى أساس ذلك أرجع الكثير من الباحثين الآلهة المصرية القديمة إلى أصول ليبية أو صحراوية؛ كما يرون، أو بمعنى آخر انها آلهة مشتركة بين الجماعتين[1].

فمسألة الأصل الليبي لعدد من آلهة مصر القديمة شغل بال الباحثين طويلا، ودار حولها جدل كبير ما بين مؤيد ومعارض في بعض التفصيلات، وعلة الفريق الذي يقول بالأصل الليبي لبعض الآلهة المصرية تكمن في أن تكوين وادي النيل السكاني يعود في بعضه إلى المهاجرين الليبيين بعد جفاف الصحراء، ويتحدثون عن مجموعة من أقدم معبودات مصر وأشهرها، ليس باعتبارها معبودات نهرية نيلية، بل باعتبارها أربابا جاءت أصلا من الصحراء مع الإنسان الصحراوي الذي اضطر تدريجيا إلى اللجوء لضفاف النيل الذي تحددت معالمه شيئا فشيئا في الوقت الذي بدأت الصحراء تجف مع تغير المناخ، ولما كانت نشأة هذه المعبودات الأولى مرتبطة بالمطر الذي يأتي من السماء فهي إذن آلهة سماوية أصلا غير نهرية، ومنها الإله "ست" و"من"، كما ارتبطت بعض الآلهة بالتلال الواقعة غربي وادي النيل، منها الإله "حا" و"أش"؛ ويعتبرون دين السماء في مصر ليس بالغ القدم فحسب بل نراه مرتبطا ارتباطا خاصا بالغرب بليبيا بالصحراء، وهو السبب في أننا نرى بروز هذه الآلهة وسيطرتها كلما ازداد نفوذ الليبيين المهاجرين الجدد[2] مثلما حدث في الأسرة الثانية والعشرين وأسرات العصر المتأخر.

وفي هذا الشأن يقول "بدج":"إن الآلهة الأجنبية التي نجحت في أن تنال مكانة في مشاعر المصريين كانت من أصل ليبي". ويضيف "ما من ريب في أن عددا من الآلهة الليبية تبناها سكان الدلتا الغربية في عصر ما قبل الأسرات، وأنها صارت من كل غاية وقصد آلهة مصرية تحت حكم ملوك الأسرة الأولى"، ثم يعدد "بدج" هذه الآلهة الليبية بالاسم: "نيت في مدينة سايس، و"بست" في مدينة بوباستيس، ومن المحتمل جدا أن أوزيريس وأتباعه من الأرباب كانوا ليبيي الأصل، وإن بأسماء مختلفة، وفيه من يرى

[1]- حسين عامر ، المرجع السابق، ص 315.

[2]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 201-202؛ علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، المجلد الأول، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع بليبيا ودار الآفاق الجديدة بالمغرب، 1990، ص ص 269-271.

ضرورة وجود علاقة بين ديانة المصريين وديانة الليبيين أقرب من العلاقة التي وجدت بين ديانة الليبيين والساميين مثلا، حيث توجد عناصر متنوعة في الديانة المصرية ذات أصل ليبي[1].

و من بين الآلهة ذات الأصل الليبي في مصر نذكر:(أنظر الصورة رقم 13)

الصورة رقم 13: مجموعة تماثيل للآلهة ذات الأصل الليبي في مصر.

عن: الموقع الإلكتروني bshara2011.blogspot.com /www.googleimage.com

1- الإله ست :

يعرف كذلك ب"ساتي وسوتخ"، إن عبادة هذا الإله كانت من أقدم العبادات في مصر، كما يحتل مكانة فريدة في اللاهوت المصري، ومما يبين أصله الليبي أنه إله سماوي؛ ومن مظاهر عبادته في شكل "خنزير" أو "فرس نهر" في حضارتي مرمدة والمعادي من عصر ما قبل الأسرات؛ من هنا نجد أصول رب العاصفة "ست" معروفة عندما نرى أعتق بصيص من الحياة في الصحراء التي تحد مستنقع النيل، والمعروف أنه في عصر الأسرة الثانية والعشرين كان الإله "ست" معبودا بالغ الأهمية في واحات الصحراء الغربية. فالإله "ست" من المعبودات التي عبدت في مصر وليبيا، رغم أنه أول معبود وطني شاعت عبادته في مصر فإنه ارتبط في النصوص دائما بليبيا واقليم الصحراء والبلاد الأجنبية، وفي أغلب الأحيان كان "ست" يعتبر إلها للصحراء، وكان يعرف في العهد الثيني باسم سيد ليبيا كما ظل يعرف بلقب حامي الأراضي الحمراء أي الصحراء، كما عبد في واحة الخارجة وكان أحمر اللون أحمر العينين،

[1]- علي فهمي خشيم ، المرجع السابق، ص ص 269-271؛ والس بدج، برت إم هرو كتاب الموتى الفرعوني(عن بردية آني بالمتحف البريطاني)، ترجمة فيليب عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص ص 253-254؛ عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 203.

والمصريون يمقتون اللون الأحمر لأنه في نظرهم يعني الشر، حيث يذكر بعض الباحثين:"أن ست ينتمي إلى الليبيين إذ اعتبر ذا شعر أحمر وجلد أبيض"[1].

2- الإله مين:

مثل هذا الإله على رأسه ترتفع ريشتان عاليتان –التي هي احدى مميزات الليبيين القدماء- رافعا ذراعه الأيمن وقابضا على السوط المثلث الفروع، ويعتبر إله لخصوبة الأرض، حيث تدل طقوس احتفاله الكبير على أنها كانت بمثابة شكر على محصول زراعي طيب[2]، وهو من الآلهة السماوية، وضعه يشبه وضع الإله "ست"، إذ تطورت صورته معبودا كاملا حوالي منتصف الألف الرابع ق.م، تعود عبادته إلى فجر التاريخ المصري[3](مرمدة و الفيوم تقعان في الجانب الغربي من مصر على تخوم الصحراء.

3- الآلهة نيت:

هي واحدة من أقدم المعبودات المصرية، كان موطنها الأصلي مدينة سايس(صان الحجر)غرب الدلتا، ومن المعروف أنها كانت تمثل آلهة الحرب، رمزها المعروف يتكون من قوسين ودرع، كانت أيضا آلهة الفيضان التي تسكن شواطئ النيل؛ سميت الآلهة "نيت" بالبقرة التي ولدت الشمس أو بالبقرة التي تحمل الشمس بين قرنيها أو الأم التي ولدت الشمس، والتي ولدت لأول مرة عندما لم يولد أي شيء آخر[4]؛ إذ وجدت صورة تمثل البقرة في "مايا ديب" بجبال طرابلس الغرب، وكان شعارها رمزا حربيا، وهذا الرمز يفسر السر الذي جعل رجال القبائل الليبية المحاربة يحملون رمزا يمثل البقرة تحمل قرص الشمس بين قرنيها كعلامة حربية تجلب النصر، ويعتبر بعض الباحثين أن "نيت" آلهة ليبية النشأة، وقد ناقش "بيتس" بتفصيل كبير كل ما يتعلق بهذه الربة الليبية الأصل، التي غزت مصر منذ أقدم العصور،[5]ويرى بعض المؤرخين أن عبادتها ترجع إلى العهد الذي كانت الأسرة في المجتمع أمومية لوقت لهن الحق في وراثة الملك، كما كان للمرأة في الشرائع الدنيوية، وحمل الليبيون رمز هذه المعبودة كوشم على الذراع والسيقان في أغلب رسوماتهم على الآثار المصرية القديمة .

هذا ما يدعونا إلى الاعتقاد أن "نيت" لا تكون إلا صورة أخرى لـ"تانيت" المعبودة في المدن المغربية القديمة خاصة "قيرطا"(قسنطينة) وقرطاجة، حيث تذكر في جل النقوش رفقة بعل-أمون، وأن كل ما في الأمر أن المصريين قد حذفوا منها "تا" البداية، الدالة على التأنيث في اللغة الليبية[6].

---

[1]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 207.

[2]- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة نشأتها و تطورها و نهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكري، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص 63-64.

[3]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 201-202 ؛ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 272.

[4]- أدولف إرمان، المرجع السابق، ص 59-60.

[5]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 208-209؛ مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق، ص 46.أنظر: O.Bates, op-cit, p p 203-207.

[6]- محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، هامش رقم 8، ص 20.

4- الإله آش :

يعتبره بعض الباحثين أنه معبود ليبي، وقد وجد منذ الأسرة الثانية على أختام جرار الخمر على شكل رجل برأس حيوان الإله "ست"، مما يبين صلة الإثنين ببعضهما بعض، ويقول "بيتس" إن إلها ليبيا باسم "آش" ذكر منذ الأسرة الخامسة في نقوش الملك "ساحورع"، ويظهر الاسم كذلك على أختام الجرار في الفترة ذاتها تقريبا، ويمكن الحكم من الشكل الذي يبدو فيه هذا المعبود في نقوش "ساحورع"[1] أنه كان ذا شهرة في ليبيا في عهد الدولة القديمة.

وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين الليبية سيطرت عبادته وخصوصا في الواحات، إذ يلقب بإله التحنو(إله ليبيا)، وإله الصحراء الغربية ويسمى غالبا سيد ليبيا، وفي الأسرة السادسة والعشرين صوّر بثلاثة رؤوس ترمز لربات مصرية ثلاث هي رأس اللبؤة والعقاب والصل مع لقب يدل على ذلك هو "آش" كثير الوجوه[2].

5- الإله آمون:

كان آمون الإله الأعلى للّيبيين، وكانت عبادته منتشرة على نطاق واسع، وفي كل أرجاء ليبيا، حيث عثر على آثار ورسوم صخرية تمثل هذا الإله على امتداد الأطلس الصحراوي والهقار التاسيلي، إذ يرى "هنري باسي" أن "آمون" كان الإله الأكبر الذي لم يكن مجرد رمز ومظهر سحري[3]؛ إلا أن عبادة آمون وجدت بمصر القديمة كذلك وقد أدى التشابه بين كبش زناقة في شكله العام مع كبش ذي قرص الشمس عند المصريين، وكبش بوعلام مع كبش أمنوفيس الثالث إلى إثارة جدل بين المؤرخين حول أصول آمون الليبية أم المصرية[4].

فبالنسبة للآراء القائلة بالأصل المصري لعبادة آمون يرى "دوفيرير" أن آمون وصل إلى ليبيا عبر الصحراء ومن هناك إلى الجنوب الوهراني، ويعتبر الرسوم الصخرية بالسوس دليلا على حضارة ليبية مسها جناح العبقرية لمصر القديمة[5]، كما يعتقد "ليجيا" أن الليبيين كانوا واقعين تحت التأثير المصري قبل قبل أن تحل عبادة آمون بواحة سيوة[6]*.

---

[1]- علي فهمي خشيم ، المرجع السابق، ص 274-275؛البرغوثي،المرجع السابق،ص 134؛O.Bates,op-cit,p 184.

[2]- خزعل الماجدي، الدين المصري، ط1،دار الشروق، عمان،1999،ص 66؛عبد الحليم دراز،المرجع السابق،ص 209.

[3]- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 19؛ محمد علي أبو شحمة، المعتقدات الدينية الليبية القديمة، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، جامعة مصراتة، ص 359.

[4]- محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، ص 22-23؛ أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين،ج1، مجلة عصور، العدد 2، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، 2002، ص 177-178.

[5]- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 24.

[6]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 210.

*- بيد أن"بيتس" يرى أنه كان في واحة سيوة قبل أن تضم إلى مصر الفرعونية إله ليبي، قرنه المصريون بمعبودهم آمون ذلك الإله الذي أصبح بفضل سيادة طيبة رب مصر بأكملها. ولم يعرف للإله الليبي إسم، ولم تعرف طبيعته إلا من صورته المصرية أو الإغريقية، وهو إله واحة أمونيوم سيوة". وعزز "بيتس" رأيه بأن هيرودوت تحدث عن الإله الطيبي باسم الإله زيوس-آمون، وعن الإله المصري باسم الإله زيوس الطيبي، وقد رأى بيتس أن الإله زيوس آمون الليبي اكتسب شهرة واسعة في العالم القديم، باعتباره مصدر وحي ،وكان الكبش هو رمزه وحيوانه المقدس، وهو في هذا يشبه الإله آمون

أما الفريق الذي يرى أصلية آمون الليبية منهم "فلدرمار شميديت" و"فلامو" الذين سلما بأن عبادة آمون لا تكون إلا ذكرى بعيدة لعبادة فجر ليبية، وبأن وجود الرسوم الصخرية بالجنوب الوهراني شيء طبيعي وخال من كل تأثير، وحتى "قزال" الذي كان يرى التأثيرات المصرية على الرسوم الصخرية في الجنوب الوهراني، في الجزء الأول من كتابه: التاريخ القديم لشمال افريقيا، تراجع وغيّر رأيه في الجزء السادس وأصبح يميل إلى أنه لا شيء يدفعنا إلى تشبيه الكبش الصحراوي بالإله آمون طيبة، ولا على جعله منحدرا منه، ولا العكس[1]؛ وهذا خلافا "لفلامو" الذي يرى في آمون ليبيا سلفا لآمون طيبة، معتمدا على أن آمون طيبة لم يظهر إلى الوجود إلا ابتداءا من عصر الدولة الوسطى؛ ومما يدعم هذه الفكرة أن رمز القرص "رمز إله الشمس "رع" لم يصبح رمز الإله آمون إلا في الفترة الممتدة من أواخر الألف الثالثة، وأوائل الألف الثانية، كما أنكر "جيرمان" أي تأثير مباشر لآمون طيبة على كباش الرسوم الصخرية الليبية؛ والمعروف أن آمون كان الإله الإقليمي لطيبة في عصر الدولة الوسطى والإله رع كان الإله الأعلى لمصر في عهد الدولة القديمة، ونتيجة انتقال مقر الحكم من منف إلى طيبة، حدث امتزاج بين "آمون" و"رع"، فظهر "آمون–رع"[2].

وعليه يعتبر "محمد الهادي حارش" ليبيا ومصر كانتا منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة مسرحا لعبادة الكباش المقدسة، وممارسة هذه العبادة في كلا الوسطين حتى بعد ظهور المسيحية، والتشابه الموجود بين العبادة الليبية لآمون والعبادة المصرية لنفس الإله يدل على عمق عقائدي مشترك ناجم عن اتصال مبكر بين هذه الشعوب المجاورة، والمؤكد أن خصوبة وادي النيل كانت وراء جذب الليبيين نحو مصر من جهة، كما كان للتصحر الذي بدأ ينتاب المنطقة الجنوبية لليبيا، الدور الحاسم في دفع السكان للهجرة بحثا عن المصادر الدائمة للماء، وبالتالي يكونون هؤلاء المهاجرين هم الذين نقلوا عبادة الكباش إلى هذه المناطق التي ارتادوها[3].

مر الإله آمون بثلاثة مراحل هي: إله بدائي مغمور لا يعرفه إلا فريق صغير من الكهان، ثم تطور أثناء المرحلة الانتقالية الأولى ليرتقي إلى إله محلي لمدينة طيبة لأسباب سياسية ، ثم تطور ليصبح إله الأسرة الحاكمة[4] ثم ترقى بعد ذلك إلى إله الامبراطورية المصرية في الأسرة الثامنة عشرة.

وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين الليبية قدم "شيشنق الأول" إضافة لعبادة الإله آمون حيث عين ابنه "أيوبوت" كبيرا لكهنة آمون وبالتالي كسر تقليد الوراثة المتعارف عليه من قبل، وهذه السياسة اتبعت لعدة أجيال قادمة[5]، كما قام "أوسركون الثالث" من ملوك الأسرة الثالثة والعشرين بإضافة جديدة تمثلت في

المصري. وقد انتشرت عبادة الإله الليبي في سيوة في شكله المصري. عن : مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 45-46.

[1]-نقلا عن محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 23-24.

[2]- محمد الهادي حارش،المرجع نفسه،ص ص 24-28؛ أم الخير العقون،المصادر الدينية المشتركة،ص 182-183.

[3]- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 29.

[4]- أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة، ص 183.

[5]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 359.

وضع ابنته "ستب ان أوبت" داخل النظام الكهنوتي، باسم عابدة آمون الإلهية[1]. كما أظهر ملوك الأسر الليبية اهتماما شديدا بالإنفاق على معابد هذا الإله حتى أن الهبات التي قدمها "أوسركون الأول" وصلت إلى حوالي 2،3مليون دبنا[2]، يظهر من لوحة واحة الداخلة التي تعود لعصر شيشنق الأول.

6- الإله أوزير:

يرجع العديد من المؤرخين أصل هذا الإله إلى ليبيا، حيث يذكرون أن المعبود "أوزيريس" يعتبر معبودا نباتيا وأن دوره الأساسي كان في مجال الزراعة والنبات، إذ يضربون أمثلة عديدة على أن "روح الحبوب" كانت تسمى "العجوز" في كثير من المجتمعات البدائية ، وبأن أوزيريس نشأ اسمه من اللغة الليبية القديمة باعتباره إلها ليبيا في الأصل، ويشيرون إلى الجذر"و س ر" "WSR" في لهجة الشمال الإفريقي التي تعني القديم أو العتيق أو العجوز[3]، وهذه الصفة قبل غيرها تربطه بالغرب وتصله بالليبيين أصلا ونشأة، إذ من المعروف أن الإنسان قد استقر على ضفاف النيل بعد أن كان قد تحول من طور الصيد والرعي إلى طور الزراعة في مناطق الصحراء، والتي كانت بحكم تعرضها لتساقط المطر آنذاك(العصر المطير) أكثر ملاءمة لهذا التحول الحضاري في حياة الإنسان الأول. ويرجع "بتري" أصل أوزير" إلى الليبيين حيث يقول:"إن عبادة أوزير الوافدة على مصر من ليبيا قد غيرت كثيرا من طقوس ومفاهيم المعبودات الأخرى، فتحولت حتى في شكلها الحيواني إلى بشر برؤوس حيوانية والتي كانت الأصل قبل ذلك[4].

بالإضافة إلى ذلك من بين ألقاب هذا الإله العديدة بصفته راعي الأموات، لقب 'سيد الأمنتيت" و"أمنتيت" هو الغرب ويرمز لعالم الأموات، والواقع أن "أوزير" اعتبر إله الغرب وسيد عالم ما بعد الحياة في مصر القديمة، ورغم أن رمز الإله "أوزير" في "أبيدوس" عبارة عن صندوق يفترض أنه يحتوي على رأس "أوزير" محفوظا بهذه المدينة وكان هناك ثعبان وريشتان مرتبطة بالصندوق تمثل الإله، والريشتان والأفعى[5] من مميزات الليبيين والأخيرة من معبوداتهم القديمة.

7- الآلهة ايزيس:

تحولت ايزيس تبعا لانتشار العقيدة الأوزيرية من آلهة محلية في الدلتا إلى آلهة كونية غزت العالم القديم، وهي زوجة "أوزيريس" الوفية وأم "حورس"؛ وردت أوصافها في مختلف النصوص على أنها الآلهة العظيمة، الأم المقدسة، وفي عصر متأخر سميت أم الآلهة والكائنة الوحيدة كانت البقرة حيوانها المقدس، وكانت تمثل غالبا على هيئة امرأة ترضع طفلها "حورس"[6].

[1]- أحمد فخري ، مصر الفرعونية، ص ص 317-314؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 428.
[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 318.
[3]- علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 273.
[4]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 203-204؛ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 273-274.
[5]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 204.
[6]- ولاس بدج، المصدر السابق، ص 252.

وحول عبادة ايزيس في ليبيا لا تفيدنا الآثار المصرية كثيرا، وإنما نجد ضالتنا في الأساطير اليونانية وكتابات هيرودوت والآثار الرومانية التي كشفت عنها في "قورينة" و"صور بدائية" تم العثور عليها في الصحراء الليبية إلى الغرب من إقليم برقة، حيث نعرف منها جميعا أن عبادة ايزيس كانت منتشرة بين الليبيين منذ عصور ما قبل التاريخ[1].

8- الإله حورس:

يعتبر هذا الإله من المعبودات التي عبدت في مصر وليبيا، وقد تعددت ألقاب هذا الإله وأسماؤه والآلهة التي مثلها ومثلت فيه[2]، حيث يحتل حورس مساحة واسعة في اللاهوت المصري، وعلينا أن نفرق بين حورس الأسطورة الأوزيرية (حرساازيس أي حورس ابن ايزيس) وبين "حورس" الإله الشمسي الكبير. أما حورس الإله الشمسي فهو بالغ القدم في التاريخ المصري وهو وإن احتفظ بخصائصه الأولى إلا أن جميعها قد أضيفت إلى "حورس" ابن "ايزيس"؛ كانت الصورة المفضلة التي تمثل حورس هي صورة الصقر الذي ذهب "بدج" إلى اعتبار أنه قد يكون أول كائن حي عبده المصريون ، ويستند في هذا أن علامة الصقر في متون الأهرام تعطي نفس المعنى الذي يعطيه رمز الإله. وفيما يتعلق بالإله الشمسي هناك عدة آلهة "حورس" ترد كثيرا في متن كتاب الموتى، وأهمها "حرومور" أي حورس الكبير، "حرو-مرتى" أو "حريرتي" أي حورس ذو العينين والمقصود بها الشمس والقمر، وحورس راعي الأفقين(حروخوتي). أما حورس الأوزيري فيسمى "حرو-باخرات"[3] أي حورس الطفل وكان يمثل دائما واصبعه في فمه.

أما في ليبيا فنجد صلة حورس ب "التمحو" و"التحنو" واضحة حيث نجد ألقاب حورس العديدة لقبا يربطه مباشرة بهذا الشعب هو "حور تحنو" ولقبا آخر هو "تحنوي" أي صاحب تحنو؛ كما أن عبادة حورس رغم انتشارها في كل مصر فإنها تركزت في الدلتا الغربية حيث كان يطلق على هذا الإله "الليبي ذو الذراع المرفوعة"[4].

ونظرا لوجود أوجه الشبه الكثيرة بين العبادات الليبية والعبادات المصرية فإن ذلك جعل البعض يرجح وجود تأثير متبادل[5] بين المصريين والليبيين في مجالات العبادة و الدين.

ب- أهم الآلهة في عهد الحكم الليبي:

و من أهم الآلهة التي كان لها شأن كبير في عهد الحكم الليبي تمثلت في:

---

[1]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 205.
[2]- عبد الحليم دراز، المرجع نفسه، ص 204.
[3]- ولاس بدج، المصدر السابق، ص 253؛ أدولف إرمان، المرجع السابق، ص 36.
[4]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 205؛ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 277. للمزيد حول الإله حورس و و ايزيس و أوزيريس أنظر: إيزابيل فرانكو، أساطير و آلهة –نفنات رع إله الشمس، ترجمة حليم طوسون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص ص 181-236.
[5]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 46.

1- الإله حرشف:

معبود قديم جدا يرجع إلى المهاجرين لوادي النيل من الصحراء الليبية، يفسر اسم حرشف في معنيين: الأول الذي هو على رماله، والثاني الذي هو على مائه أو بحيرته[1]، فهو مرة معبود ينسب إلى الرمال أي الصحراء، و أخرى إلى الماء.

يتشابه هذا الإله في صورته مع آلهة أخرى مثل الإله آمون والإله ختوم التي تمثل في صورة كبش، ويمثل الإله "حرشف" الإله العظيم لهيراقليوبوليس (أهناسيا المدينة) ، عندما تمكنت الأسرة الليبية من تثبيت نفسها في مدينة هيراقليوبوليس كقوة اجتماعية واقتصادية مؤثرة صار أبناؤها من الأعضاء المهمين في كهانة هذا الإله، مما مكنهم من السيطرة على السلطة الدينية في المدينة إضافة إلى نفوذهم الاقتصادي[2]، حيث نعرف أن "ماواساتا" ابن "بوبيوواوا" كان أحد كهنة الإله حرشف وهو المنصب الذي توارثه أبناء الأسرة الليبية.

2- الآلهة باستت:

اشتق اسم هذه الآلهة من اسم المدينة التي عبدت فيها وهي بوبسطة (تل بسطة حاليا)، فقد علا شأنها وعظم سلطانها عندما اتخذ ملوك الأسرة الثانية والعشرين "بوبسطة" عاصمة لملكهم، فبني لها معبد باسمها ومثلت في جميع أرجائه وكان لها ثالوثها[3]، وقد اتخذت هذه الآلهة أشكال متعددة تجمع بينها إما من فصيلة القطط أو الأسود[4]، وهكذا تحولت هذه الآلهة المحلية إلى واحدة من أهم آلهة مصر في ذلك العهد.

3- الإله بتاح:

عندما استولى الليبيون على زمام الأمور في مصر جعلوا منها مراكز حربية في جهات متفرقة ليكونوا أصحاب النفوذ والقابضين على أعنة الأمور إذا ما دعا داع لقيام فتنة أو نشوب ثورة، ومن أهم هذه المراكز التي كانت فيها حامية عظيمة لليبيين "منف" التي كان يمجد فيها الإله "بتاح"، وقد كان الكاهن الأكبر للإله "بتاح" هو في الوقت نفسه القائد الحربي من المشواش، وتوارثت وظيفة الكاهن الأكبر لبتاح سلسلة أفراد من أسرة المشواش حتى الغزو الكوشي[5].

كان الإله بتاح يمجد في "منف" أكثر من أي إله آخر، وكان يطلق عليه اسم آخر هو "تاتنن" أي الأرض المرتفعة، وكان يمثل بتاح منذ القدم في صورة إنسان مزمل برأس أصلع عار وتظهر يداه كأنهما خارجتان من صدره ويقبض في يده على صولجان، إذ عثر في عهد "شيشنق الأول" بمنف" على قطعة

---

[1]- علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 276؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 445-446.
[2]- سليم حسن، المرجع نفسه، ص 444-445 ؛ هنري برستد ، تاريخ مصر، ص 356.
[3]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 442-443.
[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 317؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 442.
[5]- سليم حسن، المرجع نفسه، ص 446-447.

ضخمة من المرمر كانت قاعدة مائدة قربان عليها نقوش تبين الكاهن الأعظم للإله "بتاح" حاملا في يده اليسرى الصولجان الخاص بهذا الإله، وفي يده اليمنى آلة لفتح الفم[1].

3)- الجانب المعماري و الفني:

ترك الملوك الليبيون في مصر آثار مختلفة أثناء فترة حكمهم، تتمثل في بعض البقايا العمرانية كالمقابر والمعابد والتوابيت والتماثيل..وغيرها، ويبدو من خلالها أن هؤلاء الملوك، قد قطعوا شوطا معتبرا في مجالي العمران والفن.

أ- المعماري:

يتفق الباحثون على أن دلتا النيل الغنية وذات الإمكانيات الاقتصادية الكبيرة التي ساهمت في ازدهار وادي النيل وحضارته، إلا أنها كانت ذات أثر سلبي على المخلفات الأثرية والمنشآت المعمارية، فالرطوبة الشديدة من جهة والطمي المتراكم بكميات كبيرة سنويا من جهة أخرى والكثافة السكانية والزراعية الشديدة، كل هذه العوامل ساهمت في طمس جزء كبير من المخلفات المعمارية التي أقيمت في الدلتا، وحيث أن مركز الحكم الليبي كان أساسا في الدلتا فليس هناك ما يمنع من الاستنتاج أن قدرا كبيرا من المنجزات المعمارية لهذا العصر قد تلاشت أو طمرت تحت طبقات الطمي المتراكمة[2]، إلا أن ما تبقى من هذه المخلفات يشير إلى الجهد الكبير الذي بذل في هذا المجال.

لقد ترك الفراعنة الليبيون آثار منشآتهم العمرانية في مدينة بوبسطة، وهي مركز حكمهم الأساسي، كما أشار إلى ذلك مانيتون، وأيضا في مدينة "تانيس" التي كانت العاصمة الاقتصادية للبلاد، ولا يستبعد أن يكون الحكام الليبيون قد أقاموا بها قصورا واستراحات لهم، بالإضافة إلى المعابد؛ وقد فضلوا هذه المدينة لتكون مأوى أبدي لهم في مماتهم، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم ينسوا باقي أنحاء مصر وخاصة العاصمة الدينية طيبة[3] .

كان لمؤسس الأسرة الليبية "شيشنق الأول" النصيب الأكبر من المنجزات المعمارية، فقد ترك آثارا عدة من الأهمية بمكان في تلك الفترة من تاريخ البلاد التي قلت فيها الآثار، فلما تولى "شيشنق" مقاليد الحكم أخذ أولا في توطيد السلام والأمن في البلاد، وبعد ذلك عزم على أن يقوم لآلهته التي ناصرته وساعدته للوصول للسلطة، بتجميل معابدها وبخاصة معبد آمون بالكرنك، ولذلك صمم على أن يقيم أثرا شاهقا بارزا يسترعي الأنظار بعظمته على غرار ما أقامه الملوك العظام في عهد الدولة الحديثة؛ فأقام بوابة النصر التي تقع بين معبد رعمسيس الثالث الصغير الذي أقامه للإله "آمون رع" والبوابة الثانية التي كانت تعد وقتئذ واجهة معبد الكرنك العظيم، وتؤلف بوابة "شيشنق" جزءا من امتداد الجدار الجنوبي لقاعة العمد

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9،ص ص 170 - 447.
[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 310-311.
[3]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 330.

العظيمة[1]، وهذه البوابة تدعى عادة البوابة البوبسطية، وقد نقش عليها سجلات أسرة "بوبسطة" في طيبة، كما نقش عليها مناظر النصر التي خلدت غزوة "شيشنق" على فلسطين، ونقش عليها الكهنة العظام أبناء هذه الأسرة وتواريخهم.

أما أضخم تلك العمائر فيتمثل في البهو العظيم بمعبد الكرنك في قلب مدينة طيبة، والذي أقام أمامه صرحه الكبير، وهو أكبر صرح عرفته مصر القديمة بأسرها، ويقدم لنا "برستد" وصفا لهذه المنشآت التي يرى أنها قد أكملت عمارة معبد الكرنك وأعطته شكلا بديعا من جهة النيل، وأن "شيشنق الأول" قام بإحياء مشاريع البناء المعتادة للفراعنة التي توقفت كأكثر من مائتي عام[2]، إذ تدل النقوش التي تركها "شيشنق الأول" على صخور بلدة السلسلة وهي الخاصة بقطع الأحجار لإقامة المباني، على أنه كان قد صمم على إقامة الردهة الأولى لمعبد الكرنك بما في ذلك البوابة الأولى التي أمامها، وقد ترك لنا رئيس البعثة الذي أرسله "شيشنق الأول" لقطع أحجار البوابة البوبسطية في محاجر السلسلة لوحة ذكر عليها أعماله والغرض منها، حيث يذكر النقش الذي تركه "حور مساف"، وهو رئيس البعثة أن "جلالته أعطى شروطا لإقامة بوابة عظيمة جدا من..لأجل أن تضيء طيبة وإقامة أبوابها المزدوجة من عشرة آلاف الأذرع(ارتفاعا)، وذلك لإقامة ردهة أعياد لبيت والده آمون رع ملك الآلهة وليحيطها بأعمدة"[3]، إلا أن شيشنق لم يقدر له أن يعيش ليكمل العمل الضخم الذي صممه، ليكمله ابنه من بعده.

ومن آثاره المعمارية أيضا ما يعرف بلوحة الكرنك، والتي عثر عليها "لجران" عام 1894، وهي من الحجر الرملي، وقد تهشمت معظم نصوصها، وتظهر رسومها "شيشنق الأول" وهو يقدم القرابين للإله آمون، كما ترك "شيشنق الأول" أثرين بارزين كانت لهما قيمة تاريخية عالية إضافة إلى قيمتها المعمارية وهما لوحة واحة الداخلة، ولوحة الضرائب، أما عن اللوحة الأولى فإنها تلخص رواية الخلاف حول بئر ماء في تلك الواحة وتكليف شيشنق لابنه بالذهاب إلى الواحة، وحل النزاع بين المواطنين، وتروي تلك اللوحة طريقة حل الخلاف، حيث يصف "سليم حسن" هذه اللوحة بأنها ذات أهمية بالغة بالنسبة لتاريخ هذه الفترة، حيث إنها تبحث في الأحوال الطبيعية والإدارية والدينية والطبوغرافية لهذا الإقليم، كما أنها تحتوي على تطور جديد تمثل في إضافة لقب الفرعون قبل اسمه الملكي[4]، وهو تقليد لم يكن معروفا من قبل حيث كانت كلمة فرعون وصفا للقصر الملكي وليس للملوك أنفسهم كما أنها تقدم لنا وصفا تفصيليا للقضاء بواسطة الوحي.

أما عن لوحة الضرائب، والتي عثر عليها عام 1907 في هيراقليوبوليس، توجد الآن بالمتحف المصري، وهي لوحة ارتفاعها 57سم و طولها 56سم، وتحوي 29 سطرا، وقد أقيمت نتيجة لطلب ابن

---

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 109؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 359-360.

[2]- Breasted, a history of Egypt, p 531؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 311.

[3]- Breasted,a history of Egypt,p 531 ؛ سليم حسن، المرجع السابق،ص ص 109-11؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 360.

[4]- سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 133-137؛ حسين عامر ، المرجع السابق، ص 312.

شيشنق مساعدته في الحصول على قرابين لمعبد الإله حرشف وهو إله المدينة، فاستجاب له والده وأصدر أمرا بفرض مجموعة من الضرائب وتوزيعها على المدن المختلفة والحرف وفئات الشعب لتوفير ثمن ثيران التضحية[1]، وهي تمثل وثيقة مهمة عن نوع الضرائب إضافة إلى قيمتها الدينية والجغرافية.

وبالإضافة إلى بناءاته في طيبة، فله آثار متفرقة ومنها معبد صغير في منف يعرف بمعبد ملايين السنين، كما بدأ في العمل في معبد آخر في الخيبة(مصر الوسطى)[2].

أما "أوسركون الأول" فقد ترك عدة أعمال تجسد نشاطه المعماري، فقد كانت المملكة التي ورثها هذا الملك عن والده غنية واسعة الثروة، حيث تمكن أن يتبرع لمعابد مصر في السنوات الثلاث الأولى من حكمه تقريبا بما ينيف على أربعمائة وسبعة وثمانين ألف رطل فضة، ولما أضيف هذا المقدار إلى ما تبرع به من الذهب بلغ المجموع خمسمائة وستين ألف رطل من المعدنين النفيسين[3]، وتعتبر هذه الهبات أعظم برهان على الغنى وبحبوحة الحياة بالقطر المصري في مبدأ الحكم الليبي.

ومن بين أعمال "أوسركون الأول" توسيع معبد صغير يقع على مشارف مدينة بوبسطة، وقد نقش على جدران هذا المعبد مجموعة الهبات الملكية للمعابد، وقد احتوى المعبد على مناظر جميلة مدهشة تزين القاعة الرئيسية به[4](أنظر الصورة رقم 14و 15).

الصورة رقم 14: فناء المعبد الكبير والصرح الثانى في فترة حكم الليبيين (معبد آمون بالكرنك)

عن الموقع الإلكتروني: //www.ncpd.org.eg

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 313؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 140-147.
[2]- أم الخير العقون،دولة الأمازيغ،ص 336؛زكية طبوزادة ،المرجع السابق،ص 191،جاردنر،المرجع السابق، ص362.
[3]- رضوان سيد عبد السلام، الفراعنة ملوك الذهب،2015، ص 63-64؛ Breasted, a history of Egypt, p 531-532
[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 313؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 177-179.

الصورة رقم 15: تخليد حملة شيشنق الأول على أحد جدران معبد الكرنك، بوابة النصر (بوابة شيشنق الأول)

عن الموقع الإلكتروني: www.mondedelabible.com; //ar.wikipedia.org

كما ينسب لهذا الفرعون الشروع في إعادة بناء المعبد الكبير في بوبسطة، وزينه بمناظر جميلة، لا يسع الإنسان إلا أن يؤخذ بجمالها، وإنها كانت أكثر اتقانا من تلك التي تركها رعمسيس الثاني في أواخر أيامه[1]. ومن أهم الآثار التي تحدثنا عن عهده "لوحة الوصية" بالكرنك، والتي أقامها في عهده ابنه "أورات" وهي تحتوي على قائمة مفصلة بأوقاف معبد آمون وتوصف بأنها وثيقة قانونية نادرة عن ذلك العصر؛ إضافة إلى آثار أخرى متفرقة مثل لوحة العرابة المدفونة التي تعود للسنة 36 من حكمه، وكذلك قيامه باستكمال معبد أبيه في الحيبة، وإقامة بلدة صغيرة بالفيوم، كما يعود لعصره عدد من التماثيل لأبي الهول والجعارين المنتشرة في بعض متاحف العالم مثل متحف ليدن بهولندا، وبروكسل ببلجيكا واللوفر بباريس[2].

ليأتي الفرعون "أوسركون الثاني" في المرتبة الثانية بين ملوك الأسرة الليبية من حيث قيمة الآثار المعمارية التي وصلت إلينا من عهده، وتدل الآثار الباقية أن "أوسركون الثاني" قد اتخذ "رعمسيس الثاني" نموذجا له، والظاهر أنه لم يكن يريد أن يقلد سلفه هذا بل كان يريد أن يفوقه، وذلك باغتصاب آثاره وينتقم للملوك الذين اغتصب رعمسيس الثاني آثارهم[3].

عرف عن هذا الملك أنه أعلى من شأن الآلهة "باستت"، ولذلك فقد قام بتشييد معبد كبير لها في "بوبسطة"، ويوصف هذا المعبد بأنه من أجمل المعابد التي أقيمت لهذه الآلهة، ونجد اسم الآلهة منقوشا

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 183-184.
[2]- سليم حسن، المرجع نفسه، ص 186-197؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 313.
[3]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 220.

بحروف كبيرة في هذا المعبد ولم يقتصر ذلك على التماثيل واللوحات بل على عقود المعبد والعمد، وكان غرض الملك من ذلك محو اسم "ست"[1].

وقدمت الآثار المعمارية لأوسركون الثاني خدمة جليلة للتاريخ المصري، فالنقوش الكثيرة التي اكتشفت على البوابة الضخمة من الجرانيت، التي أقامها أوسركون الثاني داخل معبد مدينة بوبسطة تقدم وصفا تفصيليا لمناسبة دينية وسياسية مهمة، وهي ما يعرف "بعيد سد"، وهو العيد الذي يقام بمناسبة مرور ثلاثين عاما على تولي الملك السلطة، وإن كان بعض الملوك لم يلتزموا بهذه المدة في إقامة العيد –حيث احتفل أوسركون الثاني بهذا العيد في العام الثاني والعشرين من حكمه، حين انتهز الفرصة لإصدار مرسوم الإعفاء من كل أنواع الخدمة بالنسبة لنساء حريم معبد آمون رع وكذا المعابد الأخرى في مدينته– وتشمل تلك النقوش مراحل الإعداد للعيد والإعلان عنه، وما يحدث خلاله من مظاهر الاحتفال[2]، ويعتبر هذا الوصف أوسع وأشمل وصف لهذا العيد اكتشف في وادي النيل.

وفي تانيس ترك الفرعون الليبي "أوسركون الثاني" بصماته وآثاره واضحة، فبالإضافة إلى بعض أعمال الترميم التي قام بها، فإن الأثريين قد أزالوا أطنانا من التراب كانت جاثمة على أعمال ضخمة خلدت ذكرى هذا الفرعون، حيث عثر في بداية الأمر على بيوت وهياكل مقامة من اللبن(الآجر المشوي)، في جنوب غرب المعبد الكبير لآمون، وأثناء أعمالهم داخل هذه البيوت لاحظوا وجود بئر نازلة قطرها حوالي متر ونصف المتر، وفي آخر هذه البئر وصل إلى أهم مقبرة جمعت مومياءات ملوك الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين، ويعتقدون أن هذه المقبرة من المقابر التي لم تصلها أيدي اللصوص في التاريخ المعاصر؛ وتحتوي هذه المقبرة الملكية، قبر الفرعون "أوسركون الثاني" وفي غرفة مجاورة دفن أفراد من أسرته منهم: ابنه حورنخت، وابنه الفرعون "تكلوت الثاني" والفرعون "شيشنق الثالث"[3].

كما قام "أوسركون الثاني" بإصلاح المعابد ومنها معبد الأقصر، وذلك بعد أن غرق من أثر الفيضان الضخم الذي حدث في عهده، كما وجدت آثار له خارج مصر، ومنها تمثال له في معبد الإله بعل بمدينة جبيل، مما يشير إلى العلاقات الوطيدة في عهده مع دويلات الشام، وفي فلسطين أيضا حيث عثر على آنية من المرمر عليها اسمه في السامرة[4].

كما عثر على تمثال بالحجم الطبيعي، يمثل أوسركون الثاني منحنيا بصدره إلى الأمام وساقه اليسرى إلى الخلف، وكان التمثال بدون رأس، وقد كتب اسمه على الكتف الأيسر، وألقابه كاملة على قاعدة التمثال حاملا لوحا دون عليه نص صلاة يرفعها لآمون طالبا ابقاء ذريته في مناصبهم التي عينهم فيها، أما في شرق المعبد فقد أقام هيكل الأعمدة بحجارة مستخدمة[5].

---

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 313-314؛ سليم حسن، مصر القديمة،ج9، ص 221.
[2]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 362؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 314.
[3]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 362؛سليم حسن، المرجع السابق،ص ص 237-242؛ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 339-340.
[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 314؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 227-232.
[5]- أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 341.

بالإضافة إلى الأعمال الضخمة من بوابات وهياكل وغرف احتفالات شاهقة، راسخة أقامها الفراعنة الكبار، هناك آثار متفرقة لغيرهم من الفراعنة الليبيين:

عاصر "تكلوت الثاني" الأزمة السياسية التي شهدتها الدولة الليبية، وتعرض حكمه لثورة شعبية امتد لهيبها من طيبة إلى كامل البلاد، لذلك يعرف بأنه ملك غير بناء، نتيجة لظروف البلاد التي لم تسمح له بذلك، إذ ولم يخلف هذا الفرعون إلا بعض الآثار الصغيرة المتفرقة[1] مثل الألواح والجعارين والتماثيل التي تحمل اسمه.

أما "شيشنق الثالث" فكان أهم عمل قام به في تانيس هو البوابة الضخمة التي أقامها في معبد تانيس الكبير، وهي التي تعرف بالبوابة الغربية، وقد كساها كلها بالجرانيت وكانت بقاياها عند الكشف عنها عبارة عن تل من الأحجار، أعاد الأثريون تصميم البوابة المهدمة، لتبين أنها كانت تتألف من برجين قويين يفصلهما ممر عرضه خمسة أمتار، يرتكز عليه الجداران المبنيان من اللبن، وواجهات البوابة منحنية بعض الشيء، وأن برجي البوابة كان كل منهما مستقلا عن الآخر، والواجهات والفرج التي للبوابة مزينة بالنقوش الغائرة جميلة الصنع، ومواد هذه البوابة مأخوذة كلها من آثار قديمة من نفس المكان[2].

بالإضافة إلى المجموعات الأثرية المتكاملة التي تعود "لشيشنق الثالث"، تتمثل في تابوته الخاص وهو من الفضة الخالصة، ورأس صقر من الذهب الخالص ومقتنيات شخصية مثل النعال والأساور الذهبية، وخاتمه الشخصي وقناع من الذهب يغطي المومياء، وكذلك صدرية ذهبية نقش عليها مقتطفات من كتاب الموتى[3]، إضافة إلى أشياء أخرى عديدة.

وفي عهد "أوسركون الثالث" من أهم النقوش التي خلفها، نقش الفيضان العالي الذي تركه منقوشا بالخط الهيراطيقي على جدران معبد الأقصر[4]، الذي يبين أن هذا الفيضان دمر العديد من المباني، وترك خسائر عديدة.

ب- الفني:

تراخت بعد عصر الرعامسة عزمات الفن والفنانين المصريين، بعد أن استهلكت جانبا ضخما من وسائلها المادية والحيوية في عصرها الأخير، وبعد أن تهاوت قبلها عزائم الفراعنة، واضطربت اقتصاديات البلاد وأحوالها السياسية منذ أواخر القرن الثامن عشر ق.م، ولكن لحسن الحظ أن استمرت دوافع الانتاج الفني باقية ببقاء الدين ومطالبه، وبقاء سلطانه الواسع على أهله وملوكه[5]، إذ ازدهرت في الألف الأولى قبل الميلاد الفنون القائمة على الأشغال المعدنية في الشرق الأدنى عامة وفي مصر خاصة.

---

[1]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ ، ص 341.
[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 328-329.
[3]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 315.
[4]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 404-405.
[5]- عبد العزيز صالح، الفن المصري القديم، نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية-العصر الفرعوني، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 365.

فعرفت فترة حكم الليبيين انتعاش عظيم فيما يتصل بالعودة إلى إحياء أساليب النحت، وأضافوا عليه تشكيل تماثيل من البرونز، رصعوها بمعادن وأحجار كريمة ونقشوا على سطوحها صور أربابهم ومناظر عبادتهم، كما تميزوا وارتقوا برسوم التوابيت ومتونها وزخارفها وصورها بألوان صفراء فاقعة ثابتة رائعة[1].

إن تمثال "أوسركون الثاني" الذي يمثل الملك على شكل "أوزيريس" في حماية "حورس" و"ايزيس" وكذلك تمثال عابدة الإله "كاروماما" حفيذة "أوسركون الأول"، يقفان إلى جانب أعظم روائع الفن وأبرزها في مصر أثناء حكم الليبيين[2]، وتعتبر من أفضل تماثيلهم المعدنية، وقد مثل الفنانون هذه الأخيرة أي تمثال الملكة "كاروماما" كما لو كانت تخطو في تؤدة على رأس موكب ديني تقدم فيه قربانا إلى ربها، أو تهز خلاله الصلاصل بيدها الممدودتين إلى الأمام، وعبر بنظرتها فيه وسمات وجهها عن يقظة وانتباه كبيرين[3](أنظر الصورة رقم 16).

أوسركون الثاني وزوجته كاروماما(المتحف البريطاني)

ثالوث أوسركون الثاني(متحف اللوفر)

تمثال كاروماما من البرونز (متحف اللوفر)

الصورة رقم 16: تماثيل للملك أوسركون الثاني و زوجته كاروماما

عن: الموقع الإلكتروني studioaix.pagesperso-orange.fr؛ es.wikipedia.org/ ؛ www.louvre.fr.

وفي مجال النحت ظهر نشاط جديد منذ عهد "أوسركون الثاني"، فقد حاول فنان عصره أن يخرج نماذج فنية رائعة كانت تضاهي طراز العهود السابقة مع اتقانها بشكل جيد، مثلما يظهر من "ثالوث أوزير" الذي تم صنعه من الذهب واللازورد، كما يظهر الهدوء والوقار في تمثال آخر للملك "أوسركون

[1]- عبد العزيز صالح، الفن المصري ، ص 365 .
[2]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 430.
[3]- عبد العزيز صالح، المرجع السابق ، ص 365.

الثاني"، فصناعة النحت كانت لا تزال في عهد هذا الفرعون حافظة لرونقها وبهائها في مدرسة النحت في الجرانيت، حيث مثل الفرعون "أوسركون الثاني" راكعا منحنيا بجذعه إلى الأمام ليقدم لوحة للإله، وساقه اليسرى إلى الخلف، و وجد بدون رأس[1]، وقد كتب اسم أوسركون على كتفه اليسرى، وألقاب الملك نقشت كاملة على القاعدة.

وقد عثر على كثير من التماثيل الخاصة بكبار الموظفين في عهد "أوسركون الثاني" ،منها تمثال الكاهن "زد تحوتي فعنخ" بالكرنك، من بينها تمثال مصنوع من الجرانيت الأسود مثل الكاهن قاعدا على كرسي مكعب ويده اليمنى على ركبته ممسكة بمنديل ويلبس شعرا مستعارا مسبلا ، وجسمه ملفوف في عباء تحتها جلباب و قميص آخر، وعلى مقدمة الكرسي توجد امرأة في يدها زهرة البشنين[2].

لقد كانت صناعة التماثيل في مصر الفرعونية أثناء مرحلة الدولة الحديثة –حجرية كانت أو حديدية– ذات نمط واحد، يتميز بوقفة جامدة لا ليونة فيها، الوجه حاد، النظرة محدقة إلى الأمام، الذراعان ملتصقان بالجسم والكفان مقبوضتان والقدم اليسرى إلى الأمام؛ ولكن ابتداء من الألف الأولى ق.م، وأثناء حكم الليبيين لمصر، حدث تجديد في مجال الفنون وعلى الخصوص فن النحت، فإن كان الملوك الليبيون قد اغتصبوا بعض أعمال أسلافهم، إلا أنهم أنتجوا آثارا تعتبر تحفة تزين الكثير من متاحف العالم، ويعتبر عهد الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، عهد نهضة وازدهار لفن النحت ووضع التماثيل المعدنية، فقد انتشرت تماثيل كبيرة متقنة الصنع، ومتعددة الأشكال والهيئات، والجديد فيها هو أناقة هذه التماثيل ورشاقة قوامها، وهذا لم يكن معروفا قبل عهد الليبيين[3](أنظر الصورة رقم 17و 18).

ومن الأمثلة الأخرى عن روائع فن النحت في هذا العهد تمثال "أوسركون الثالث"، وجد في خبيئة الكرنك، تمثال لهذا الفرعون من الحجر الجيري الجميل الذي كانت صناعته رشيقة، مثل راكعا على ركبتيه ويدفع بيده قاربا صغيرا للإله "سكر" وعلى رأسه الكوفية والصل وكتب على القاعدة:" يعيش الإله الطيب رب القربان في الكرنك و وريث رب الكون..ثور أمه(لقب للملك) ملك الوجه القبلي والوجه البحري...محبوب آمون ابن ايزيس أوسركون "معطي الحياة"[4].

بالإضافة إلى تمثال الكاهن "حورسايزيس" بالكرنك مثّل وهو قاعد القرفصاء على قاعدة، وذراعاه مطويتان على ركبته، وصناعته ممتازة وطرازه جاف بعض الشيء وذلك من مميزات هذا العصر، وقد نحت في قطعة جميلة من المرمر وعليه نقوش؛ كذلك تمثال الكاهن "باكنخنسو" تمثال من الجرانيت الرمادي، مثّل قاعدا القرفصاء على مخدة مستديرة، وذراعاه مطويتان على ركبته، ونقش على الكتف

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 274-276.
[2]- سليم حسن، المرجع نفسه، ص 281-282.
[3]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 343.
[4]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 412.

الأيمن للتمثال "طغراء الفرعون" محبوب آمون "أوسركون"، وعلى مقدمة التمثال منظر مثّل فيه الإلهان "آمون" و "أوزير" واقفين يتسلمان صورة العدالة، يقدمها لهما رجل يرتدي ملابس كاهن وقدماه حافيتان[1].

الصورة رقم 17 صرح شيشنق الثالث بتانيس

عن: الموقع الإلكتروني /looklex.com/egypt/tanis05.htm

الصورة رقم 18 : توابيت مصغرة على هيئة مومياء و تمثال للملك شيشنق الثاني و أوسركون

عن : P.Montet, La Nécropole, pl.29 ؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، المرجع السابق، ص607.

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 295-297.

أما بالنسبة للفنون الصغرى، فتبين المادة الأثرية التي عثر عليها في مقابر الفراعنة الليبيين، أن فناني هذا العصر برعوا في صناعة الحلي والمجوهرات وغيرها من تماثيل صغيرة(أنظر الصورة رقم 19 و20 و 21)، فقد عثر للملك شيشنق الأول على عقد وصدرية ذهبية، كما عثر للملك أوسركون الأول على عدة جعارين وتعاويذ باسمه وآثار صغيرة في مختلف متاحف العالم، منها جعران بمتحف "ايدن" وأخرى في مجموعة "نيوبري"، ومجموعة صغيرة من البرونز وعقد "منات" الخاص بالآلهة حتحور وحمالات من الجلد وعقد منات من الخشب، وكذلك أسطوانة من العقيق في متحف "بروكسل"[1].

الصورة رقم 19 : صدرية ،خاتم و سوار من ذهب لشيشنق

عن: الموقع الإلكتروني /www.flickriver.com/ ؛ /commons.wikimedia.org ؛ www.pinterest.com

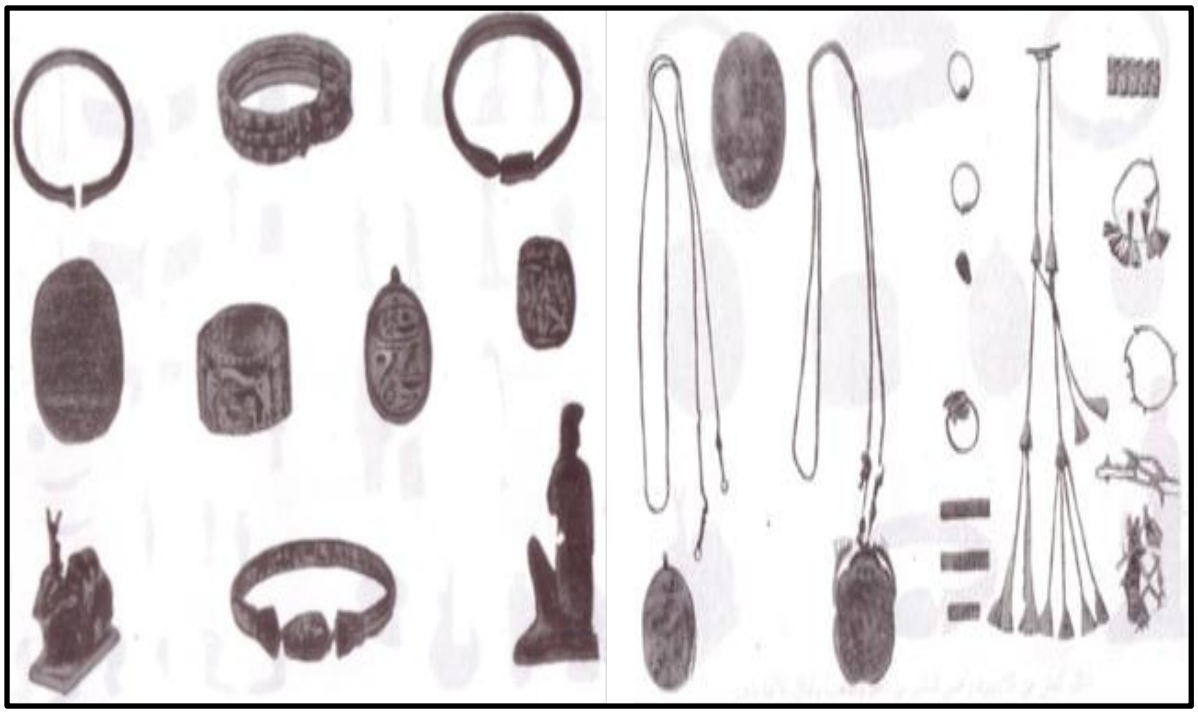

عقود وخواتم وجعارين وخرز وتمثال كبش وخمسة أساور من الحجر والذهب وتمثال الآلهة للكاهن الأكبر حرنخت

الصورة رقم 20: عن: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 599-601.

[1]- سليم حسن، المرجع نفسه، ص 196. للمزيد أنظر:

J.Yoyotte,bijoux dictionnaire de la civilisation égyptienne, Paris, 1959.

الصورة رقم 21: صدرية وسوار وقناع وصنادل ذهبية لشيشنق الثاني وطلسم من الرخام لأوسركون

عن: الموقع الالكتروني: www.pinterest.com ؛ http://www.histoire-fr.com

كما عثر في مقبرة "أوسركون الثاني" على عدة أواني خاصة به، وابنيه "حورنخت" و"تكلوت الثاني"، وتماثيل ذات طرز مختلفة بعضها ذو شعر مستعار وبعضها ذات طرز تقليدية[1]، بالإضافة إلى بعض الرقائق الذهبية التي لم تصلها أيادي اللصوص.

أما محتويات تابوت "حورنخت"، منها عدة عقود وقلائد فرطها اللصوص عند نهب ما في تابوته، ولذلك فهي ليست كاملة، وأحسن هذه العقود حفظا عقد مؤلف من دوائر صغيرة من الذهب منظومة في خيط، ينتهي طرفاه بأنبوبة كانت مستعملة لربطه وفي هذه السلاسل نفسها كان فيها سلاسل صغيرة، وثبتت زهيرة في طرف كل سلسلة وعند كل تقاطع، وهناك عقد آخر لم يبق منه إلا احدى عشرة زهيرة أصغر من زهيرات العقد السالف، وأنبوبة مركب فيها حلقات، أما الصدريات التي كانت تحلي صدر هذا الأمير فقد اختفت ولم يبق لنا منها إلا رأس كبش مصنوع من الذهب، و زهرة "بشنين" من الذهب، وبعض الأشياء كانت مرصعة وبعض القطع من الذهب خاصة بمجوهرات من هذا النوع تركها اللصوص وقت سرقة محتويات التابوت[2].

بالإضافة إلى الجعارين التي وجدت مع هذا الأمير يبلغ عددها ثلاثة وكلها سليمة، كما وجد مجموعة من تماثيل الآلهة الصغيرة الحجم عددها تسعة مصنوعة من الذهب أو من الذهب والفضة معا، وقد صيغت صياغة دقيقة، منها تمثال الإله "أوزير" محنطا، والإله "حور" واقفا وقاعدا، والآلهة "نفتيس" و"سخمت" و"حتحور" و"أوزير" جالسا القرفصاء، و"تحوت" حاملا عينا سليمة، والإله "سبك" يقدم إناءين، كما وجد له تماثيل أخرى منها إله برأس كبش من البرونز، وإله برأس أسد من القاشاني، وتمثالان للآلهة

[1]- سليمان بن السعدي، المرجع السابق، ص 312؛ P.Montet, le nécropole royale, p p 511-515.

[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص ص 255-256.

"سخمت" من الفضة؛ وكان يملك "حورنخت" خمسة أسورة اثنان في المعصم الأيمن وثلاثة في المعصم الأيسر، كما كان يملك مجموعة كاملة من غطاءات أصابع اليدين والقدمين، لكن لم يبق منها إلا 16 غطاءان بالإضافة إلى ثلاثة خواتم وجعران منفرد استعمل جزءا من خاتم آخر، ومشبك مؤلف من خمسة آلهة جالسة لكل منها رأس صقر يرتدي على رأسه قرص الشمس، ويقبض بيده على ريشة، كما وجدت "لحورنخت" وسادة من الحديد نقش على أحد وجهيها علامة الثبات وعلى الوجه الآخر علامة "نيت". ووجد في تابوت "شيشنق الثاني" وسادة تشبه وسادة "حورنخت" ،كما وجد لكل منهما قطعة لم يوجد مثليها في توابيت تانيس، وهو زوج من الأصابع صنع من لوحة من الذهب، وقد كان يستعمل في شعيرة فتح الفم، كما وجد مع "حورنخت" قطعتان حديديتان واحدة منها مستطيلة والأخرى تمثل نهاية التاج "آتف"، كما وجد مرآة من النحاس، وقد عثر عليها مسندة على جدار التابوت بالقرب من رأس المتوفي[1].

هذه هي الصورة العامة للمظاهر الحضارية للّيبيين بمصر بجوانبها الاجتماعية، الدينية، والفنية التي توصلنا إليها من خلال المعلومات القليلة التي بحوزتنا، فنظرا لنقص المادة التاريخية خلال هذه الفترة – لعوامل سياسية داخلية وخارجية بالإضافة للعامل الطبيعي الذي أتلف العديد من الآثار– لم نتمكن من تقديم صورة واضحة وكاملة لأهم التطورات التي طرأت على مختلف ميادين الحياة في مصر خلال هذه الفترة، إلا أنه يتبين من خلال هذه المعلومات التي بحوزتنا والآثار التي تعود إلى هذه المرحلة، أن الملوك الليبيين عملوا بجهد كبير في الحفاظ على المعالم الحضارية لمصر، وأعادوا لمصر مجدها ومكانتها خاصة في عهد الملك "شيشنق الأول" بعد قيامه بالحملة على فلسطين، فاستعاد مجد مصر وجلب معه ثروة عظيمة ساهمت في ازدهار الاقتصاد المصري في هذه الفترة، كما أعادت لمصر هيبتها مع الدول المجاورة كفينيقيا وسوريا وفلسطين وأخذ أمراؤها يتسابقون لنيل رضاه، كما تدل الآثار أيضا إلى تقدم الفن والعمران في العهد الليبي، خاصة تلك الآثار التي تخص الجانب الديني، فقد تركوا لنا عدة آثار منها معابد الكرنك وتانيس تدل على مدى جمالها والتماثيل المصنوعة بالمعادن الثمينة المختلفة التي زادتها بهاءا، إلا أنه منذ العهود الأخيرة من الحكم الليبي عرفت آثارهم نقص، وهذا نظرا للظروف السياسية التي طغت عليهم بعد الانقسام السياسي وتأسيس أسر حاكمة في وقت واحد ، ما أدى إلى أن تصبح مصر عرضة للأطماع الأجنبية، والتي بسبب الحروب دمرت العديد من المنشآت.

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 259-262.

الفصل الثالث:

علاقات ملوك الأسر الليبية بالشرق الأدنى القديم

أولا: مراكز القوى في الشرق الأدنى القديم للفترة من الألف الثانية إلى الألف الأولى ق.م

ثانيا: علاقات ملوك الأسر الليبية بالساحل الفينيقي

ثالثا: علاقات ملوك الأسر الليبية بفلسطين

رابعا: علاقات ملوك الأسر الليبية بالآشوريين

أولا: مراكز القوى في الشرق الأدنى القديم للفترة من الألف الثانية إلى الألف الأولى ق.م:

شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم أحداث سياسية حافلة تميزت بعدم الاستقرار، إذ أصبحت مدار صراع بين مراكز القوى الكبرى، وتخللتها فترات غلبت عليها التقلبات السياسية التي أدت إلى عدم الاستقرار السياسي والحضاري لعموم منطقة الشرق الأدنى القديم، ويبدو أن سبب تلك التقلبات يرجع إلى التغيرات الكبيرة التي حدثت في تركيبته السكانية، إذ لعبت الأقوام الجديدة دورا رياديا في تاريخه السياسي والحضاري عن طريق علاقاتها المتشابكة، فالأقوام والدول والممالك كانت تسعى وبفارغ الصبر بأن تتاح لها فرصة القضاء على الدول القائمة وتشكيل سلالاتها[1]. وتمثلت مراكز القوى في الشرق الأدنى القديم(أنظر الخريطة رقم 2 و3 و4) خلال الفترة من الألف الثانية إلى الألف الأولى ق.م فيما يلي:

1- العراق القديم: شهد العديد من التقلبات السياسية بني على اثرها وضع سياسي غير مستقر تمثل بسقوط الدولة الكاشية حوالي 1157 ق.م على يد العيلاميين[2]، وسقوط بابل الرابعة على اثر الضغط الآرامي[3]، وضعف الملوك والسلالات القائمة فيه، فضلا عن ما شهدته الساحة الآشورية البابلية من

---

[1]- أحمد مجيد راضي الشمري، التقلبات السياسية في الشرق الأدنى القديم للفترة 1200-911 ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة واسط-كلية التربية، 2016، ص ص 7-8.

[2]- إن الحديث عن **بلاد عيلام** و عن السلالات التي تعاقبت على الحكم فيها هو جزء و نموذج من الحديث عن تاريخ ايران بصورة عامة وعلاقته بتاريخ العراق القديم، إذ تعد عيلام احدى ممالك الشرق الأدنى القديم والتي تعود حضارتها إلى عصور موغلة في القدم ترجع إلى العصور الحجرية، هي تقع في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية من بلدان ايران، و تحاذي بلاد الرافدين من جهته الشرقية والجنوبية الشرقية، وتشكل امتدادا طبيعيا يمتد من الوسط الغربي لايران حتى الخليج العربي حاليا، إذ كان لهذا الموقع الجغرافي دور كبير في انعكاسها على واقع العلاقات السياسية بين الطرفين، إذ أن عيلام ومنذ فترة مبكرة جدا من تاريخها كانت تسعى جاهدة من أجل فرض هيمنتها على بلاد الرافدين، فقد قام العيلاميون بشن غزوات على بلاد سومر إبان فترات الضعف، وقاموا بنهب لجش، أما في العهد الأكادي فقد تعرضت بلاد عيلام لهجوم من قبل الملك "سرجون الأكادي" وتمكن من ضم بلاد عيلام لامبراطوريته، أما في عهد سلالة أور الثالثة فقد أضحت عيلام ترظخ تحت حكم أور نمو باعتبار أن سلالته منذ الوهلة الأولى أصبحت تمثل امبراطورية حقيقية، واستمرت هكذا إلى أن قام العيلاميون بهجوم مباغت على أور في عهد "أبي-سن" آخر ملوك سلالة أور الثالثة. استمر العيلاميون في سيطرتهم إلى أن رسمت عملية طردهم من بلاد الرافدين من قبل الأموريين، وبقوا هكذا إلى ق13 ق.م عندما أضحت بابل تحت سيطرتهم، ليتمكن بعدها الملك الآشوري "توكلتي ننورتا الأول" من تخليص بلاد بابل من السيطرة العيلامية . أنظر: عامر سليمان، بلاد عيلام و علاقتها بالعراق القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد 14، الموصل، 1981، ص ص 167-181 .

[3]- **الآراميون** هم الجماعة الكبرى الثالثة من الهجرات السامية في بلاد الشام، وكانوا قبل استيطانهم واستقرارهم في بلاد الشام من بين الجماعات البدوية التي كانت تجول في بوادي الجزيرة الشمالية، وكانت تتغلغل منها جماعات في البلدان المتحضرة المجاورة مثل سوريا والعراق، وقد استوطنوا أخيرا في جهات الفرات الأوسط منذ منتصف الالف الثاني ق.م، و هنا نمت لغتهم وقوميتهم وثقافتهم الخاصة بهم، وقد اقتبسوا من الأموريين والكنعانيين ومن الحضارات التي جاوروها ولاسيما حضارة وادي الرافدين والحثيين، ولكنهم حافظوا على لغتهم الخاصة بهم، وكان لها أثر عظيم في جميع آسيا الغربية. وما سهل عليهم التوطن في مواطنهم اضطراب الأحوال في القرن 16 ق.م في بلاد بابل على أثر غزو الحيثيين لها وقيام السلالة الكشية فيها، وذلك تدمير الحيثيين لمملكة ميتاني من بعد قرن ونصف القرن؛ وقد اتصل الآشوريون بالآراميين في العصر الآشوري الوسيط، ومن الآراميين فرع تغلغل إلى وادي الفرات الأسفل وعرف باسم "كلدو"(و منهم الكلدانيون الذين أسسوا الامبراطورية البابلية الأخيرة). وأهم المواطن التي انتشر فيها الآراميون من مقرهم في الفرات الأوسط في خلال القرنين 14و 13، كانت أراضي ما بين النهرين الشمالية و في شمالي سوريا ووسطها، وأخذوا يضغطون على جماعات الأموريين والحوريين والحيثيين في وادي العاصي وحلوا محلهم. ودارت بين الآشوريين والآراميين حروب طويلة منذ العهد الآشوري الوسيط إلى العهد الآشوري الحديث في زمن الإمبراطورية الآشورية الأولى (911-745 ق.م)، وانتقل النزاع إلى بلاد الشام حيث أسس الآراميون دويلات مهمة قاست من غزوات الآشوريين أشد الضغط، مما كان من الأسباب في عدم تمكن الآراميين من انشاء دولة كبرى في بلاد الشام. عن: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، ج 2، دار الوراق، بغداد، 2011،ص ص 301-303؛ فيليب حتى، المرجع السابق، ص ص 174-189.

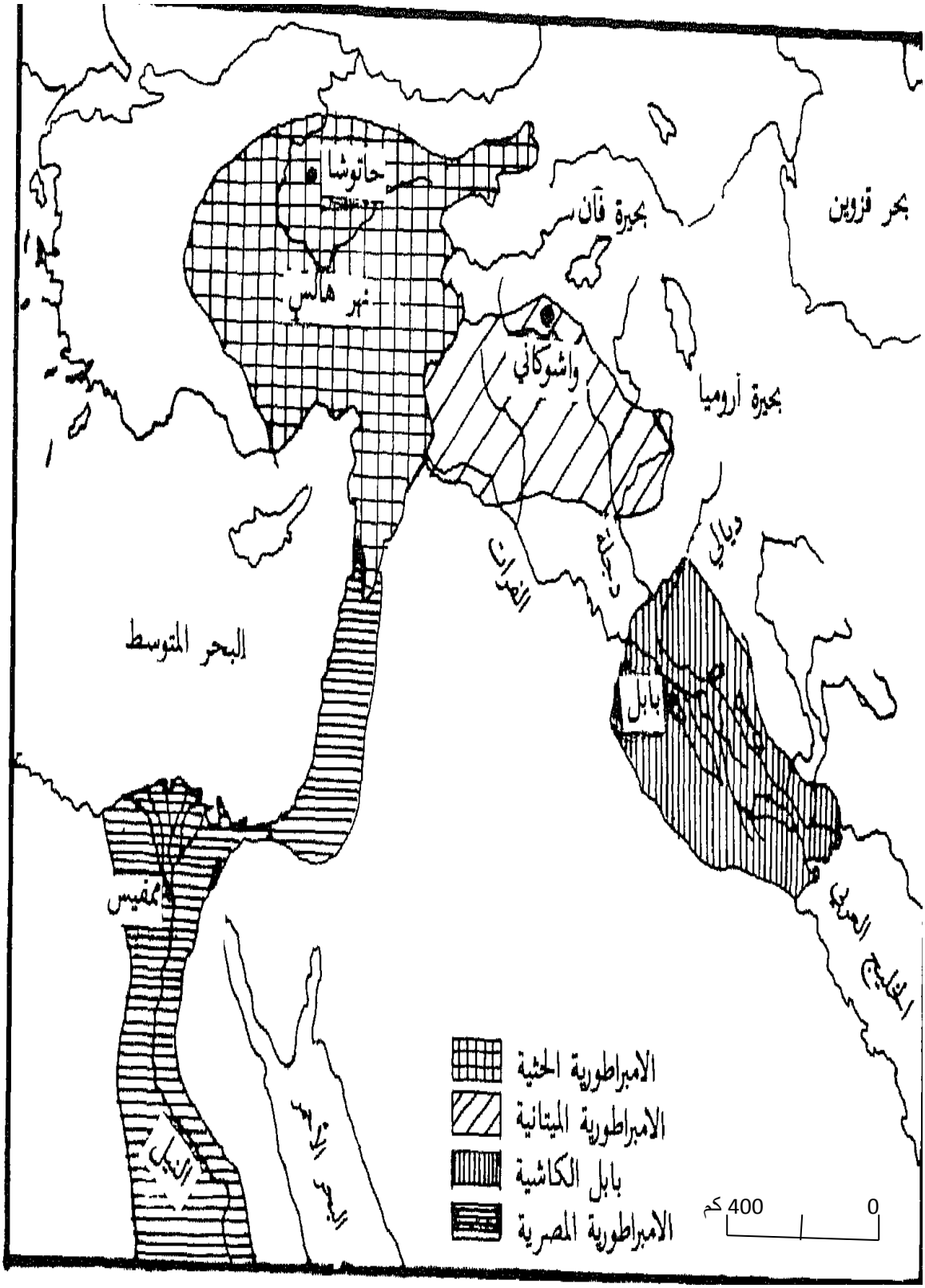

الخريطة رقم 2: خريطة الشرق الأدنى القديم في القرن 15 ق.م.

عن: محمد حرب فرزات.عيد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، درا طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994، ص 158.

الخريطة رقم3 : خريطة الحضارات التى ظهرت فى الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثاني والأول قبل الميلاد

عن الصفحة الالكترونية : كنوز مصر القديمة

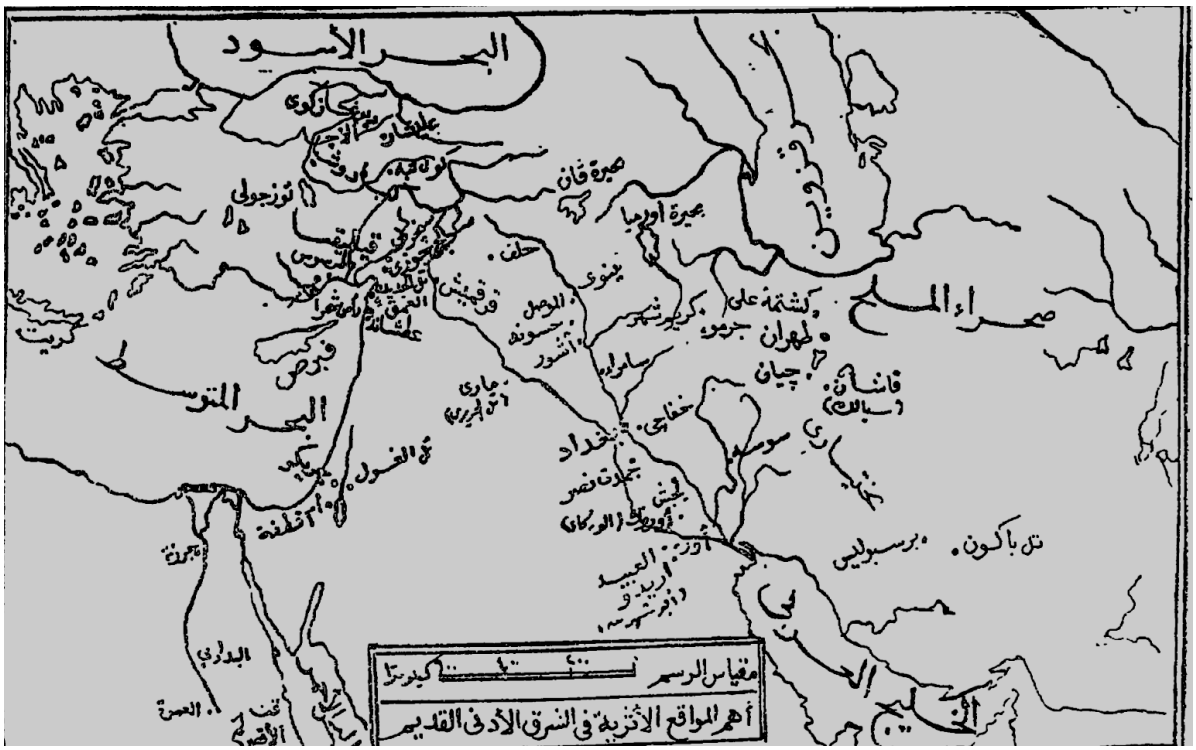

الخريطة رقم4: خريطة لأهم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى القديم

عن : أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى، ص 30.

مناوشات ونزاعات استمرت حتى وصول الضغط الآرامي ذروته في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، إذ كان يمثل الصحوة لكلا الطرفين ويعلنوا الوحدة ويرفعوا رايتهم الموحدة بوجه الغزو الآرامي الذي أكثر من عمليات السلب و النهب و التدمير؛ وبعد ذلك يبدأ عهد وهن السلالات الحاكمة في بابل ابتداء من السلالة الخامسة إلى السلالة الثامنة. أما آشور[1] فلم تختلف هي الأخرى عن بابل إذ قدر لها أن تستمر على تلك الحالة لحين بزوغ نجم الامبراطورية الآشورية على يد "ادد–نيراي–الثاني" الذي أخذ على عاتقه تخليص البلاد من الضعف والانكسار لتضم تحت سيطرتها بلاد بابل، وبذلك ينتهي العصر المظلم في العراق القديم[2] ليبدأ عصر الامبراطورية الآشورية الأولى التي قدر لها أن تتبوأ مركز الصدارة في عالم الشرق الأدنى القديم.

2– بلاد الشام: شهدت بلاد الشام وكغيرها من بلدان الشرق الأدنى القديم العديد من التقلبات السياسية عبر تاريخها الطويل والتي تمثلت في قدوم الهجرات الجزرية إليها وتأسيسهم الممالك السياسية فيها، ومن هذه الهجرات هجرة العبرانيين.

– **العبرانيون:** اختلف الباحثون حول اشتقاق كلمة العبرانيين، فجماعة منهم ترى أن لفظة "عبري" في العبرية جمعها (عبريم) مشتقة من الجذر الثلاثي "عبر" التي تعني قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادي، وباستيطانهم لأرض كنعان فقد واجهتهم مشكلة أساسية وهي قلة عددهم وضعفهم، وهذا بدوره لم يسمح لهم بتكوين جيوش كبرى على غرار الممالك المجاورة لهم، فقد كانت هناك قوتان حضاريتان تسيطران على الشرق الأدنى القديم، وهما القوة المصرية وقوة بلاد الرافدين، وكانت تنضم إليهما في بعض الأحيان قوى خارجية مثل الحيثيين وعند تراجع هذه القوى العظمى تكون الفرصة سانحة لظهور قوى محلية ، وفي هذا الإطار فقد كان المصريون وحكام بلاد الرافدين يسيطرون على العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم[3].

---

[1]- استوطن الآشوريون الجزء الشمالي الشرقي من العراق، حيث يخترقه دجلة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي والأراضي الكائنة إلى جانبيه من خط العرض السابع والثلاثين شمالا، أما في الجنوب فلا توجد حدود طبيعية من الغرب إلى الخابور والفرات؛ وهذه المنطقة لم تكن ثابتة الحدود على الدوام ومعترفا بها كوحدة جغرافية من جانب الدويلات الأخرى المعاصرة، وإنما غلبت عليها صفة التغير وعدم الاستقرار تبعا لقوة أو ضعف بلاد آشور والأقوام والدول المجاورة لها؛ مر الآشوريون عبر فترات تاريخهم بعدة أدوار تاريخية هي: عصور ما قبل التاريخ، دور سيطرة الدول البابلية إلى نهاية سلالة أور الثالثة حوالي (2500إلى 2000 ق.م)، العصر الآشوري القديم حوالي 2000إلى 1500 ق.م، العصر الآشوري الوسيط حوالي 1500 ق.م إلى 911 ق.م، العصر الآشوري الحديث 911 إلى 612 ق.م..**أنظر:** طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1-الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ط2، دار الوراق، بيروت ،2012، ص ص 517-521. للاستزادة أكثر أنظر: ايفا كانجيك-كير شباوم، تاريخ الآشوريين القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2008، ص ص 33-59؛ برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي-الاجتماعي الثقافي والسياسي،ط2،دارالفارابي ومكتبة السائح للنشر، لبنان،2014،ص ص 271-272؛ غيث خليل، العلاقات السياسية الآشورية في عهد الملك "آشور أوبلط الأول" 1365-1330 ق.م، مجلة جامعة تكريت العلوم الانسانية، المجلد 20،العدد 11، العراق، تشرين الثاني 2013،ص ص 662-663.

[2]- أحمد الشمري، المرجع السابق، ص ص 93-94.

[3]- سليمة لبحور، المملكة العبرانية في عهدي داود و سليمان في الفترة مابين (1004-922 ق.م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة-كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، 2010، ص ص 2 - 50؛ أحمد الشمري، المرجع السابق، ص 107.

ويستمر الوضع العبراني هكذا حتى بلوغ القرن الحادي عشر، ذلك القرن الذي شهد زوال وضعف العديد من الممالك المهمة في الشرق الأدنى القديم، وهذا ما سمح بدوره لأن يترك الأبواب مشرعة للممالك الصغيرة في النهوض وتكوين وإنشاء دويلاتها- فظهر الفلستيون(الفلسطينيون) على ساحل كنعان، وشكل العبرانيون دولتهم في المنطقة الداخلية وأسس الفينيقيون دويلاتهم في لبنان واستقر الآراميون في سوريا- وبالتالي فقد سمح هذا الفراغ السياسي الذي شهدته المنطقة على بزوغ دولة العبرانيين الذين دخلوا في حروب طاحنة مع الآراميين في عهد الملك "داوود" الذي أخذ يصارع مملكة "صوبا" التي منيت بانكسارات عديدة أمامهم، كما وقد أخضع "داود" مملكة دمشق أيضا ووضع فيها الثكنات العسكرية ليستمر هذا الوضع على ما هو عليه لحين وفاة الملك "سليمان[1]"، التي أدت وفاته إلى انقسام المملكة العبرانية إلى قسمين جنوبية عرفت بمملكة "يهوذا"، وشمالية عرفت "بمملكة اسرائيل".

بعد عودة مصر واسترجاع قوتها بعد الضعف الذي حل بها، ومع ظهور القوة الآشورية من جديد بعدما استرجعت هي الأخرى قوتها، ثم ظهور الدولة الفارسية التي استمرت حتى وصول الاسكندر الذي بسط نفوذه على معظم الشرق الأدنى القديم، وفي ظل هذه الظروف السياسية والعسكرية، حاول العبرانيون التكيف مع الوضع، إما بتكوين امبراطورية صغيرة كما فعل داوود وسليمان، كمحاولة منهما لملأ الفراغ الذي ظهر في فترة مؤقتة نتيجة انكماش الإمبراطوريات الكبرى، وإما بالتحالف مع بعض الدويلات الصغيرة في بلاد الشام كالآراميين، وذلك لمواجهة تدخل من طرف الامبراطوريات الكبرى، أو عن طريق الاعتماد على احدى القوى كما هو الحال بالنسبة للمملكتين الجنوبية والشمالية[2].

3- مصر:

أما بالنسبة "لمصر" فقد شهدت خلال تلك الفترة وضعا سياسيا مرتبكا تمثل في انهيار الإمبراطورية المصرية وتقوقع مصر على نفسها، فضلا عن ضعف الملوك، الأمر الذي أدّى إلى فسح المجال أمام الكهنة ليزداد نفوذهم ولتنتقل السلطة من أيدي الملوك إلى الكهنة، فضلا عن تحديد سلطة الملك، كل هذه الأمور أفضت إلى انقسام مصر إلى قسمين شمالي تمثل بزعامة سمندس وآخر جنوبي تمثل بزعامة حريحور[3]، ما جعل الأبواب مشرعة أمام الليبيين من التدخل في العرش المصري، وبالتالي السيطرة على مقاليد السلطة وتأسيسهم الأسرة الثانية والعشرين، وقد عقد العزم مؤسس الدولة الليبية في مصر "شيشنق الأول" على النهوض بمصر واسترجاع السيطرة على مناطق نفوذها بالشرق الأدنى القديم.

[1]- أحمد الشمري، المرجع السابق، ص 107.
[2]- سليمة لبحور، المرجع السابق، ص 52.
[3]- أحمد الشمري، المرجع السابق، ص 104-105.

ثانيا: علاقات الملوك الليبيين بالساحل الفينيقي:

1- في عهد الأسرة الثانية و العشرين:

تعتبر العلاقة بين مصر والساحل الفينيقي موغلة في القدم، وكانت العلاقات التجارية أساسها، حيث أن أقدم العلاقات التجارية كانت بين مصر وجبيل، والتي يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، واستمرت حتى عصر ازدهار التجارة الفينيقية خلال الألف الأولى قبل الميلاد، ورغم تعرض المدن الفينيقية إلى هيمنة القوى العظمى المحيطة بها، كخضوعها للمصريين والآشوريين والبابليين والفرس، إلا أن النشاط التجاري كان مستمرا لأنه لا يتعارض ومصالح تلك الدول المسيطرة[1]؛ وقد ازدادت هذه العلاقات اتساعا في عصر الدولة الحديثة، وفي نهاية الأخيرة وتحديدا بعد وفاة "رعمسيس الثالث" بدت مصر وفينيقيا مقبلتين على مرحلة مغايرة تماما من ذي قبل، فقد دخلت مصر عصرا انهارت فيه السلطة المركزية، وعمت الفوضى وساءت الأحوال الاقتصادية، وانتشرت السرقات، وهذا الأمر أدى إلى ضعضعة روابط فينيقيا مع مصر بدليل أن رسل رعمسيس التاسع احتجزوا في جبيل سبعة عشر عاما، وبدليل آخر هو نص رحلة إلى جبيل قام بها "ون آمون" في أواخر أيام الأسرة العشرين لجلب خشب الأرز لسفينة آمون، ونص الرحلة يدل على تلاشي نفوذ مصر بجبيل في ذلك العهد[2].

يؤكد ذلك الوهن والضعف وتلاشي نفوذ مصر السياسي ليس في جبيل وحدها بل ربما في فينيقيا كلها، إذ أعقب ذلك تخلص فينيقيا من وصاية المصريين وانفصلت عنها، لتدخل في عصر من الرواج الحق، حيث تدل الشواهد العديدة أنه بعد بضع سنوات تطورت الأوضاع في فينيقيا، ودخلت عصرا جديدا يعتبر عصر الرواج الحق (الربع الأول من الألف الأول ق.م)، فتوفر لها قرنين من السلام كانا العصر الذهبي بمعنى الكلمة في حياة فينيقيا السياسية، فقد بلغت تجارتها فيها أقصى ذروتها، وبلغ توسعها أقصى مداه لتؤسس وكالاتها التجارية ومستعمراتها الدائمة[3].

تمتعت مدن الساحل الفينيقي بالاستقلال، وبلغت من الأهمية الاقتصادية ما جعل بعضها وهم "جبيل" و"صيدا" و"صور"، أن تسيطر على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وانتقلت هيمنتها التجارية إلى مشارف المحيط الأطلسي، حيث قاموا بتأسيس مراكز تجارية فينيقية في مناطق عديدة من حوض البحر المتوسط، آنذاك في" قبرص" و"رودس" وفي مصر وشمال افريقيا وجنوب اسبانيا "شبه جزيرة ايبيريا، فقد كانت الوسيط في نقل مواد التجارة بين البلدان في إطار التبادل العالمي للبضائع، وكانت أيضا مهمة كمنتج للأنسجة المصبوغة باللون الأرجواني والأدوات الزجاجية والأعمال المعدنية، والحفر على الخشب

---

[1]- محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 116- 117.

[2]- محمد السيد عبد الحميد، الفينيقيون في مصر خلال الفترة من 948-715 ق.م، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 10، المجلس العربي للدراسات العليا و البحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية و المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2009، ص 242-243؛ ج.كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 2001، ص 67-68.

[3]- كونتنو، المرجع نفسه، ص 68-69؛ محمد السيد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 244.

والعاج، وبعض المنتجات الزراعية كالخمر وزيت الزيتون والتين، وتوجد شواهد على هذا الانتشار الكثيف للواردات الفينيقية في أماكن كثيرة من العالم القديم[1].

حكمت مصر في هذا الوقت من قبل الليبيين الذين حاولوا قدر استطاعتهم أن يعيدوا الوجه المشرف لمصر، وأن يعيدوا إليها هيبتها في فينيقيا ؛ حيث يعد "شيشنق الأول" فاتحة عصر جديد لمصر، استعاد فيه الزعماء الليبيون لأجيال عديدة قادمة قوة البلاد بعد أن وقعت في طي النسيان منذ عهد "رعمسيس الثالث"؛ وقد تسلم هذا الملك مقاليد الأمور في مصر وهي ضعيفة وخزانتها خاوية وممتلكاتها في الخارج لم تعد تذكر، وحكام الشرق من حولها طامعون ينافسون مصر، وخصوصا في مجال التجارة، وتانيس بعد أن كانت مركزا تجاريا هاما في منطقة البحر المتوسط، فقدت دورها بظهور منافسين جدد في ميدان التجارة وعلى رأسهم الملك "سليمان" الذي أنشأ ميناء في "عصيون جابر" على خليج العقبة، وبنى أسطولا ضخما زوده بمجموعة من خيرة البحارة، فاستطاع بذلك حرمان مصر من موارد التجارة في المنطقة[2]، لكن بعد أن نجح "شيشنق الأول" في إقرار الأمن في البلاد، وضمن وقوف كافة الأطراف إلى جانبه، وجد أنه ليس هناك من سبيل لإصلاح أحوال البلاد الاقتصادية إلا باسترداد بعض من السيطرة المصرية على منطقة الشرق الأدنى القديم.

بدأ "شيشنق الأول" سياسته الخارجية بالتوجه إلى "جبيل"، الأمر الذي ينم عن حسن التقدير لهذا الملك، وعن دراية بأوضاع مدن الساحل الفينيقي التي لم تغب عن ذهن الملك "سليمان" قط، والتي ربما بدأت تتذمر من محاولته جعلها تابعة لنفوذ مملكته، فكانت استجابتها سريعة للملك المصري، الذي كان لبلاده اليد العليا هناك لقرون طويلة، والتي انحسرت إلى حد كبير، فأصبح لتلك الأقاليم نوعا من الاستقلالية التي رأت تدعيمها بمحالفة ملك مصر المنهارة ضد منافسهما المشترك، وهو الملك "سليمان"، الذي كانت رغبته في السيطرة على تلك الأنحاء تنبع من كون فلسطين بلدا زراعيا خاليا من الصناعة، لذلك اتجه إلى التجارة، واضطر إلى إحضار الصناع من صور والنجارين من جبيل، للقيام بصناعة وبناء ما يحتاجه، هذا فضلا عن التحالف القوي الذي نشأ بين الملك سليمان وملك صور "أحيرام" الذي كان أقوى الأمراء الفينيقيين، مما وفر الحماية لطرق الاتصالات التجارية لسليمان مع المدن الفينيقية[3].

ولعل هذا التقارب القوي بين الملك سليمان وأحيرام (أنظر الخريطة رقم 5)، كان من أقوى العوامل التي سهلت على شيشنق الأول الإتجاه نحو فينيقيا أولا، لإيجاد قدر من الضغط على تجارة سليمان ، تتيح له فرصة الاقتراب ومن ثم الانقضاض كما حدث بعد تفكك مملكة سليمان، في عهد خليفته "رحبعام".

---

[1]- محمد السيد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 244.

[2]- عارف أحمد اسماعيل غالب، العلاقات التاريخية بين مصر القديمة وسورية في عهد الأسرات من 22-31 حوالي (945-332 ق.م)،رسالة دكتوراه في الآداب- قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية، جامعة الاسكندرية،2001، ص 94.

[3]- بيومي مهران، بلاد الشام، ص 284 ؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 95.

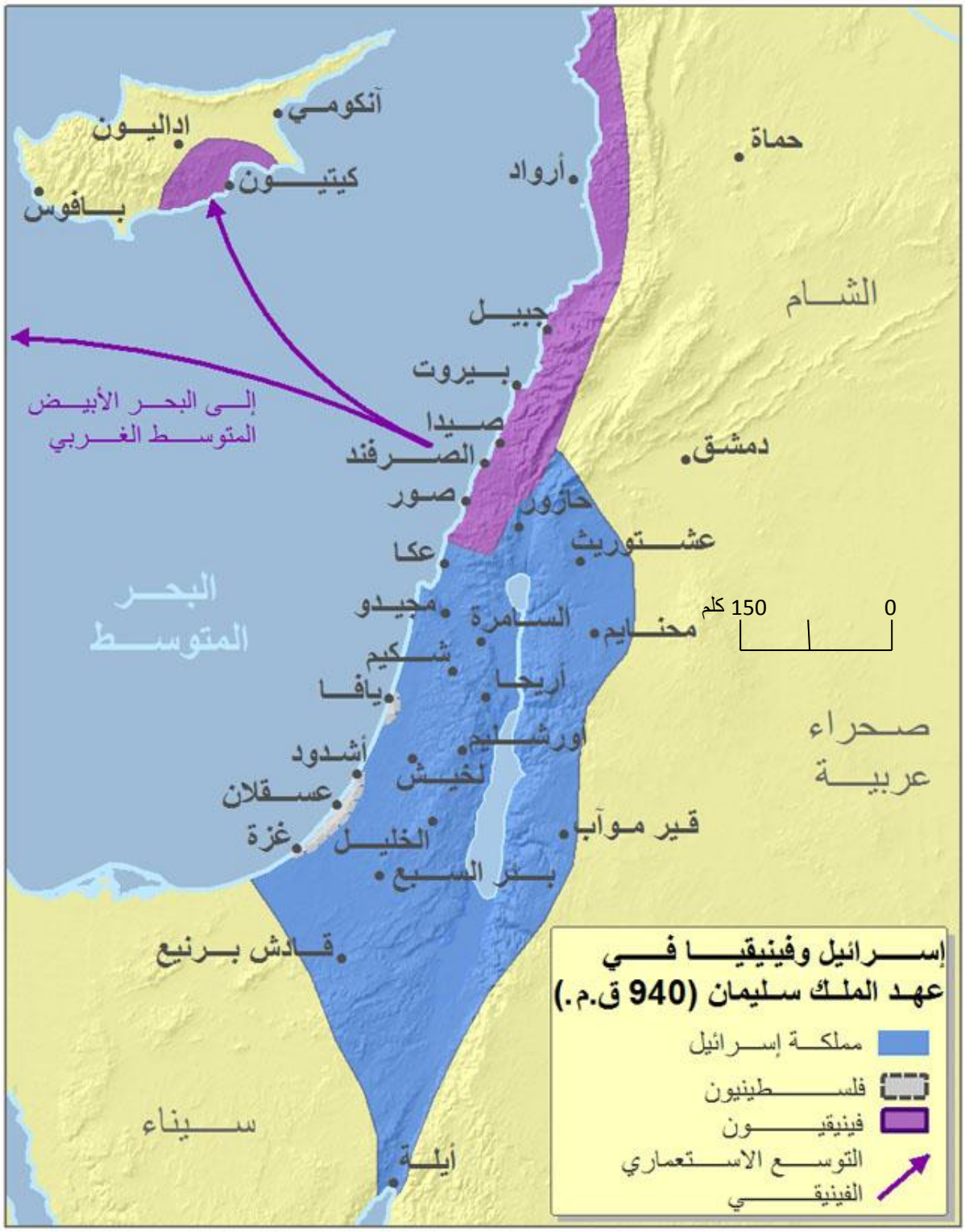

الخريطة رقم 5 : المملكة العبرانية و فينيقيا في عهد الملك سليمان

عن الموقع الإلكتروني: www. explorethemed.com

عمل "شيشنق الأول" على احياء الروابط القديمة مع جبيل المنفذ التقليدي لتجارة مصر، بإهداء تمثال جالس له إلى أمير جبيل "أبى بعل" الذي قدمه بدوره إلى معبد الآلهة "بعلت جبيل"[1]، ويشير هذا إلى وجود علاقات وثيقة ذات طابع اقتصادي (علاقات تجارية)، وسياسي أكثر منه عسكري بين مصر وجبيل.

ولعل ما يدل على نجاح ملك مصر في تحفيز أمير جبيل واستمالته وكذلك على حسن العلاقة بين الملك المصري "شيشنق الأول" وبين "أبى بعل"، هو أن هذا الأخير قد أحسن استقبال التمثال فسجل على قاعدته نصا يعكس هذا الموقف، حيث يقول:" التمثال الذي جلبه أبى بعل ملك جبيل ابن (يحي ملك) ملك جبيل من مصر من أجل سيدته "بعلت–جبيل" لكي تمنحه هذه المعبودة طول العمر، وتطيل مدة ملكه على جبيل"[2].

إن هذا التمثال الجالس يعد على درجة كبيرة من الأهمية، إذ يرى كثير من العلماء أنه دليل على تحالف أو معاهدة ذات طابع سياسي واقتصادي، كما رأينا سابقا، بينما يرى "مونتيه" ان هذا التمثال –إلى جانب ماسبق– يدل كذلك على تفاهم بخصوص حملة "شيشنق الأول" على فلسطين، أما "أحمد فخري" فيرى ان هذا التمثال هو كغيره من التماثيل اللاحقة، يدل على تسابق أمراء فينيقيا للحصول على رضى مصر، بعد نجاح "شيشنق الأول" في حملته على فلسطين، التي أدت إلى إعادة ميناء جبيل إلى دائرة النفوذ المصري، فكانوا يضعون تماثيل ولوحات باسم ملك مصر في معابدهم، فهو بذلك يرى أن هذا التمثال من نتائج حملة شيشنق الأول على فلسطين وليس مرتبطا بوقائع وارهاصات سبقتها[3].

في حين يرى "عارف غالب"[4]، أنه من المرجح استبعاد وجود تنسيق عسكري، كما يستبعد أن يكون هذا التمثال من نتائج حملة "شيشنق الأول" على فلسطين، وإنما يعد هذا الأمر بمثابة خطة مصرية هدفها الضغط على تجارة الملك "سليمان" كمقدمة للتقارب معه من موقع غير ضعيف، وذلك بعيدا كل البعد عن دراية أمير جبيل بالهدف الاستراتيجي المصري، بل ربما كانت استجابة "ابى بعل" بمثابة رسالة إلى "أحيرام" أمير "صور"، الذي بدأت شوكته تزداد قوة بتحالفه مع الملك "سليمان"، الأمر الذي ربما أثار حفيظة "أبى بعل" ورغبته في إعادة مكانة "جبيل" ذات الموقع الاستراتيجي، كما هو الأمر تماما بالنسبة لشيشنق الأول الذي استهدف إعادة الأمجاد المصرية في آسيا.

واصل "أوسركون الأول" سياسة والده في توثيق أواصر العلاقة مع "جبيل" والحفاظ على نفوذ مصر ومصالحها هناك، ويستدل على ذلك من إهدائه تمثال له لمعبودة جبيل[5].

---

[1]- نيقولا جريمال ، المرجع السابق، ص 419؛ René Dussaud,les inscriptions phéniciennes du tombeau d'Ahiram roi de Byblos, in Syria, tome 5 , fascicule 2, 1924, p p 145-147.

[2]- جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 92؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 96.

[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 419؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 315؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 97؛ P.Montet,les construction et le tombeau d'Osorkon II à Tanis, Paris, 1947 , p21

[4]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 97.

[5]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 185.

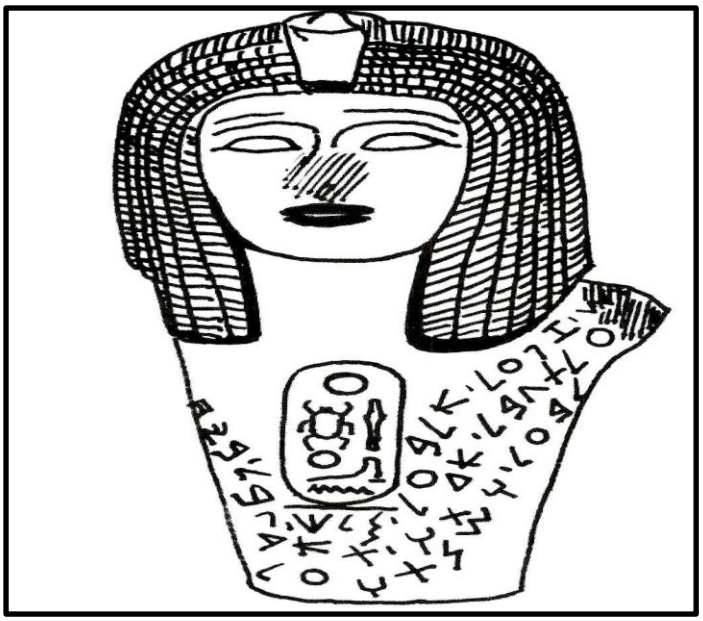

كما أن "إيلي بعل" أمير "جبيل" أقام تمثالا "لأوسركون الأول" في بعلت جبل، الذي عثر على نصفه العلوي في هذه المدينة، وكتب في منتصف التمثال بالأبجدية الفينيقية ما يلي: "التمثال الذي صنعه "أبي بعل" ملك بيبلوس بن يحي ملك، ملك بيبلوس لسيدته بعلت جبيل لكي تطيل في عمره وسنوات حكمه على بيبلوس"[1](أنظر الشكل رقم 5)

الشكل رقم 05: تمثال أوسركون الأول عليه نقش فينيقي لملك جبيل إيليبعل

نقلا عن: جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 379.

كانت علاقة جبيل بمصر في عهد "أوسركون الثاني" علاقة ود ومصافاة، فقد واصل سياسة التحالف وعلاقات الود التي سار عليها أسلافه؛ لما تولى مقاليد الأمور بمصر أرسل إلى حاكم "جبيل" ليضع تمثاله في معبد الآلهة "بعلات" آلهة تلك الجهة، وهذا التمثال يمثل الفرعون جالسا على مقعد مكعب ذي ظهر، وقد فقد رأس التمثال وجذعه وهشم القدمان والساقان، وطغراء الفرعون منقوشة على جانبي المقعد، هذا فضلا عن وجود سطر من النقوش على حافة القاعدة يتضمن أن هذا الفرعون هو محبوب الآلهة "إيزيس" العظيمة والأم الإلهية، ولا ننسى الدور الذي لعبته الآلهة "إيزيس" في أسطورة زوجها "أوزير"، فقد ذهبت إلى "بيبلوس" لتبحث عن جسمه وتعود به إلى مصر، وقد رجعت به متحولا إلى شجرة، ومن المحتمل أن تمثال "أوسركون" هذا كان منقوشا على صدره كتمثال "أوسركون الأول" الذي أرسل إلى الملك "إيلي بعل"، وقد أحاط خلف "إيلي بعل" هذا طغراء بنقش فينيقي[2]، لكن لسوء الحظ لم يعثر على أي نقش نذري أو اسم لملك جبيل المعاصر له على غرار أسلافه "شيشنق الأول" و"أوسركون الأول"[3].

بدأت مصر منذ عام 853 ق.م مرحلة جديدة في سياستها الخارجية قائمة على مساندة الممالك السورية والفلسطينية لتشكل السد الحصين الذي يحمي وادي النيل من أطماع آشور المتزايدة، إذ في عهد

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 419-420؛ جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 92؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 109.

[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 229-230.

[3]- محمد السيد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 246, للمزيد من التفاصيل أنظر:

P.Montet ,Byblos et l'Egypte,Paris,1928,p p 39-40.FIG 2 ; voir aussi J.Leclant,les relations entre l'Egypte et la Phénicie du voyage d'ounamon à l'expédition d'Alexandre, in the role of the role of the phoenicians in the interaction of mediterranean civilizations, papers presented to the archaeological symposium at the American university of Beirut, 1967, Beyrouth, 1968, p 12-13.

"أوسركون الثاني" اشتركت مصر بعدد رمزي من جنودها في موقعة "قرقر"(قرقارا) المشهورة في عام 853 ق.م، والتي كانت تتكون من حلف يظم اثني عشر ملكا من ملوك وأمراء فينيقيا وسوريا وفلسطين والأعراب ضد العاهل الآشوري "شلمنصر الثالث"؛ وأسهمت كل من "جبيل" و"مصر" بقوة عسكرية تتناسب وامكانيات كل منهما، فأرسلت الأولى خمسمائة مقاتل والأخرى ألف مقاتل، وربما خرج "شلمنصر الثالث" منتصرا من المعركة، ولكن القوات المتحالفة نجحت في صدّ تقدمه وأوقفته[1].

ورغم حالة البلبلة والفوضى السياسية التي عمت مصر والشرق الأدنى القديم، فإن الصلات بين فينيقيا ومصر رغم تأثرها السلبي بالحملات العسكرية، إلا أن تداعياتها السلمية لهذه الأخيرة كانت تعجل بعودتها أي أنها لم تنقطع، لكنها على أقل تقدير قد بدلت طبيعتها وحسب، فقد انقضى زمن تقديم الإتاوات والضرائب، واقتصر النشاط الاقتصادي الخارجي على مؤسسات تجارية وملاحية فينيقية كان لأصحابها وكالات ومكاتب في مصر السفلى، ففي ظل الاحتياج لبعضهما البعض على الصعيدين السياسي والاقتصادي[2]، يمكن القول باستمرارية العلاقات الاقتصادية لكونها الأساس في العلاقة.

وعلى الرغم من افتقادنا لأرشيف تجاري يتضمن السلع المتبادلة بين الجانبين، إلا أن الشواهد الأثرية والنصية تعد خير دليل على استمرار العلاقات الاقتصادية بين فينيقيا ومصر، وعلى وجود الفينيقيين في مصر في هذه الفترة، حيث عثرت البعثة الاثرية الاسبانية في "هيراقليوبوليس" على العديد من الواردات الفينيقية، الأمر الذي أعاد إلى الأذهان ما عثرت عليه البعثات الأجنبية من قبل في الكثير من المواقع المصرية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، والتي لم يكن ينظر لها بعين الاعتبار، والكثير من هذه الواردات يعود تاريخها إلى العصر الليبي، ومع استمرار عمليات التنقيب في العقود الأخيرة، ازدادت هذه الشواهد شيئا فشيئا، ويوما بعد يوم، مع الوضع في الاعتبار حالة التوافق والتطابق الزمني للأحداث[3] .

ومن هذه الشواهد :

– ظهور تماثيل ضخمة من البرونز في مصر يعود تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين.

– العثور على الكثير من أعمال الخزف الفينيقي المتنوعة في مصر، وقد قام على دراستها وتسجيلها وتقسيمها العديد من الباحثين وأهمهم الاسباني "بادرو "[4].

وعلى الجانب الآخر الفينيقي اكتشفت البعثات الأثرية العاملة هناك وفي المستعمرات الفينيقية[1] الكثير من الأدلة والبراهين منها :

---

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 422-423؛ محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص 230.

[2]- كارلهاينز برنهردت، لبنان القديم، ترجمة ميشيل كيلو، ط1، قدمس للنشر و التوزيع، سورية، 1999، ص 101؛ محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 246.

[3]- محمد عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 246-249.

[4]- للمزيد من التفاصيل أنظر: J.Padro, découverte de céramiques phéniciennes à Héracléopolis Magna (Egypte),Atti del II congresso internazionale di studi Fenici e. Punici . Roma,1987, III, Rome 1991, p p 1103-1108

– وجود الآثار المصرية بفينيقيا، وفي العديد من المناطق الواقعة شرق المراكز الفينيقية– وتعدّتها إلى آشور وتجاوزتها– مثل التماثيل، وأوعية من المرمر والجعارين ..إلخ، وقد وصلت هذه المواد إلى هذه المراكز وآشور عن طريق المدن الفينيقية، والسورية الفلسطينية، وأغلب هذه الآثار يرجع تاريخها للأسرة الثانية والعشرين.

– العثور على آثار مصرية في شبه جزيرة ايبيريا منها أوعية من المرمر وجعارين..إلخ، وقد ظهروا تحت أشكال ومحتويات فينيقية يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين[2]؛ والجدير بالذكر أن الآثار المعدنية التي عثر عليها في مصر، والحوض الشرقي والغربي للبحر المتوسط تبرهن على أهمية العلاقات والمعاملات التجارية في هذه الفترة، ومن المحتمل –جدا– أن مصر قد أصبحت العميل الأساسي للفينيقيين في هذا المجال، أي أنها تزود مصر بهذه المعادن.

كما عثرت البعثة الأثرية الاسبانية العاملة في "هيراقليوبوليس" على واردات فينيقية يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين الليبية، أهمها السيراميك، ويمكن تقسيمه إلى نوعين :أولا: جرار التخزين [3] ، ثانيا: أمفورات الاستعمال اليومي[4]، فقد أصبحت "هيراقليوبوليس" نقطة استراتيجية تتحكم في التبادل التجاري في عهد "شيشنق الأول" وخلفائه[5](أنظر الصورة رقم 22).

زادت وتنوعت الآثار الفينيقية التي اكتشفتها البعثة الاسبانية، فقد عثرت على جبانة مكونة من حجرات تحت الأرض، يرجع تاريخها إلى العصر الليبي، والتي ربما دفن بها بعض أفراد من العائلة المالكة للأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من القرن العاشر حتى القرن الثامن ق.م، وفي بعض منشآت هذه المجموعة الجنائزية عثر على مجموعة من الأواني الفينيقية والقبرصية؛ وينبغي الإشارة إلى أنه قد وجدت

---

[1]- في خلال هذه الفترة-منتصف القرن العاشر والقرن التاسع والثامن ق.م- امتدت تجارة الفينيقيين إلى معظم مناطق حوض البحر المتوسط،و توجد شواهد على تأسيس مراكز تجارية فينيقية على ساحل سوريا الشمالي، وفي آسيا الصغرى، وفي قبرص ورودس، وفي بلاد اليونان ومصر ومالطة، وفي شمال افريقيا وصقلية وسردينيا. عن: محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 251. للتطلع أكثر حول الموضوع أنظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982؛ J,Leclant,les relations entre l'Egypte et la Phénicie , p p 9-31.

[2]- ففي حوض المتوسط الغربي ذهب الفينيقيون إلى شبه جزيرة ايبيريا بحثا عن المعادن، وبصفة خاصة القصدير و البرونز والفضة، وتفيد مصادر هذا العصر أن الفينيقيين اشتروا البرونز والفضة من اسبانيا وباعوها في مصر، وذلك لحاجة مصر لهذه المعادن، كما أن مصر حتى الدولة الحديثة كانت تستخدم البرونز لكن بشكل غير منتظم، وأرجع "لوكاس" ذلك إلى صعوبة الحصول على القصدير، الأمر الذي أثر على تأخر استخدام تقنية المعادن، كما أن مفردات ذلك الوقت لم تشمل كلمات تدل على القصدير قبل الأسرة العشرين، ولم تميز بين النحاس والبرونز، أما في عصور الانتقال الثالث فقد استخدم بكثرة لصب التماثيل الصغيرة المصمتة أو الكبيرة المجوفة، ومما يعد دليلا على ذلك أنه منذ الألف الأول ق.م، ازدهرت الفنون القائمة على الأشغال المعدنية في الشرق الأدنى بعامة و مصر بخاصة. عن: محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 251-252؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق ، ص 430.

[3]- جرار التخزين أو الأمفورة هي عبارة عن جرة أو إناء فخاري ضيق العنق كان يستخدم لحفظ و تخزين و نقل الخمور و الزيوت و غيرها من المواد. عن: زياد السلامين، معجم المصطلحات الآثارية المصوّر (انجليزي عربي)، دار ناشري للنشر الالكتروني، 2016، ص 24.

[4]- يعرف هذا النوع من الواردات الفينيقية باسم أواني الحجاج أو المسافرين أو الأغراب أو زمزميات أو قوارير الحاج، و الغرض الأساسي منه هونقل مياه الشرب.عن: محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 254.

[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 418.

لهذه الأواني نظائر عثر عليها في مدينة "صور"، يرجع تاريخها إلى القرن التاسع والثامن ق.م، كما اكتشفت أيضا في مدينة صور مجموعة من الأمفورات شبيهة جدا بالأمفورات الفينيقية التي عثر عليها في "هيراقليوبوليس" ويرجع تاريخها إلى الفترة السابقة ذاتها[1].

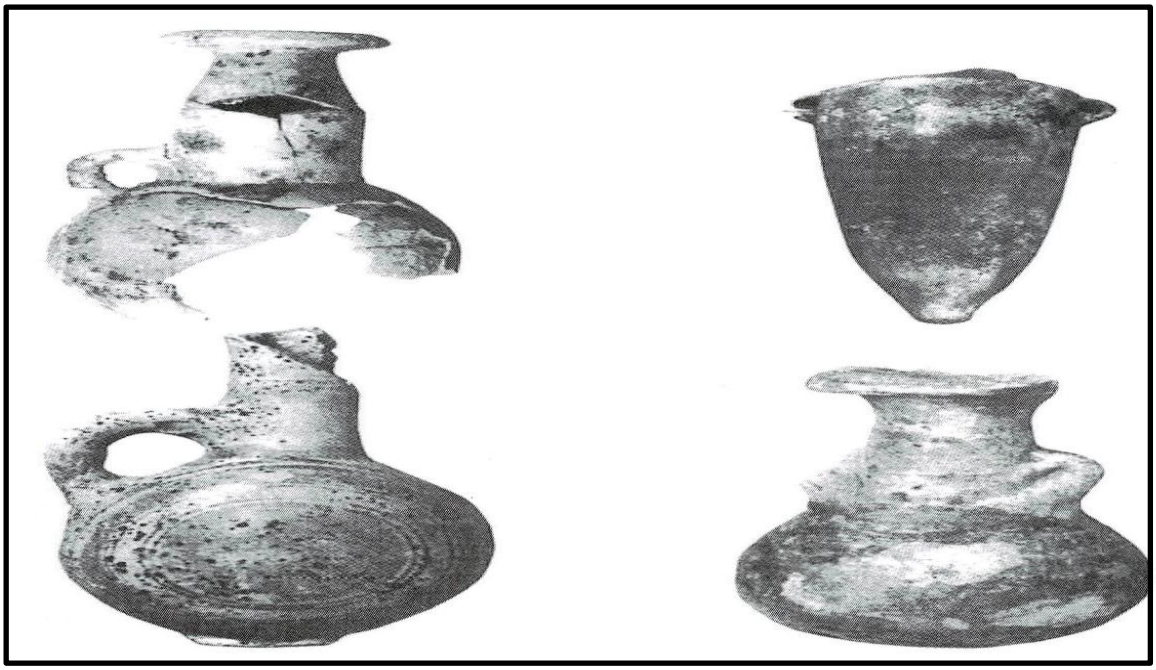

الصورة رقم 22: أواني خزفية فينيقية من هيراقليوبوليس.

نقلا عن: جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 382.

كما عثر على مجموعة من المنازل، أرجعت البعثة تاريخه إلى العصر الليبي، وفي أحد المنازل عثر على ست أمفورات فينيقية، وخمس أوان، بعض منها فينيقي الأصل والأخرى مقلدة، بالإضافة إلى ذلك تم العثور على عناصر زخرفية من أصل فينيقي، حوالي احدى عشرة أمفورة على هيئة قذيفة مدفع بيضاوية الشكل، وثلاثة عشر إناء من أواني الحجاج؛ وهكذا فإن اكتشاف الخزف(السيراميك) الفينيقي في مكان مثل "هيراقليوبوليس" من القرن التاسع والثامن ق.م، لدليل واضح على استمرارية العلاقات التجارية بين مصر وفينيقيا في أثناء العصر الليبي، ويرجح أن معظم اللقى الأثرية عثر عليها في هيراقليوبوليس كانت تستخدم لتجارة النبيذ أو لنقل زيت الزيتون المستوردة من فينيقيا[2].

ولم تكن "هيراقليوبوليس" المكان الوحيد الذي عثر فيه على الخزف الفينيقي في مصر، بل عثر عليه في أماكن أخرى كثيرة، وشواهد ذلك سجلات بعثات التنقيب والحفائر الأثرية التي قامت بالعمل في المواقع المختلفة في مصر، وقد اتضح من تقارير الأبحاث أن الخزف الفينيقي قد انتشر على الخريطة من الشمال إلى الجنوب، فقد عثر على العديد من الأواني الفينيقية في الكثير من المواقع المصرية في مصر العليا والسفلى، وعدد كبير منها يرجع تاريخه إلى الأسرة الثانية والعشرين، كما عثر بتانيس على

[1]- للتطلع أكثر أنظر: . P.M.Bikai, the pottery of Tyre, warminster,1978,p 6 ,PL.V.XXI

[2]- محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 255-258؛ كارلهابينز برنهردت، المرجع السابق، ص 76.

بقايا من إناء (زمزمية حاج)، وعثر على أمفورات ذات بدن اسطواني منتفخ من الوسط، وينتهي بقاعدة مدببة ولها مقبضان بارزان يصلا بين أعلى البدن وبدايته[1]؛ كما عثر بمصر العليا "بهيرموبوليس" على أمفورات وأواني، و"بالطارف" عثر على أمفورات في جبانة الأسرة الثانية والعشرين، و بالدير البحري عثر على أمفورات، وبالقرنة أيضا عثر عليها أثناء التنقيبات في مخازن معابد الملك "سيتي الاول" يرجع تاريخها للأسرة الثانية والعشرين، وبالفنتين عثر على أمفورات تعود لعهد الملك "شيشنق الرابع"[2].

2- في عهد الأسرة الثالثة و العشرين:

تواصلت العلاقات السلمية بين مصر وفينيقيا، خاصة العلاقات التجارية، رغم مرحلة الانقسام والفوضى التي تعرضت لها مصر في هذه الفترة، فكما رأينا أن البلاد انقسمت على نفسها اثر الثورات المتتالية أثناء فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين، فضعفت السلطة وقويت شوكة حكام الأقاليم، فكانت الفرصة مواتية أمام "بادي باست" لتكوين أسرة حاكمة جديدة هي الأسرة الثالثة والعشرين، وبالتالي أصبحت البلاد تحكم من قبل أسرتين في وقت واحد.

ومع ذلك، فالعلاقات السلمية لم تنقطع بين مصر وفينيقيا، بل استمرت في ظل هذه الأوضاع، والدليل على ذلك ما عثرت عليه البعثة الأثرية الاسبانية من واردات فينيقية بمصر، خاصة المعادن من برونز وفضة، فازدهرت الفنون القائمة على الأشغال المعدنية، وهذا الازدهار الذي شهدته مصر يعتبر الشاهد الفني الأساسي الأول على الوجود الفينيقي في مصر، وبخاصة إذا علمنا أن عهد الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين هو العهد الذهبي لازدهار صناعة التماثيل البرونزية الممشوقة القوام، ويمكن الاستشهاد ببعض النماذج المعروفة مثل تمثال الملك "بادي بست الأول"- مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين- الموجود الآن في مجموعة Calouste Gulbenkian في لشبونة، وعثر على درع من البرونز لنفس الملك، كما عثر على عتب لباب مصنوع من البرونز يرجع تاريخه للملك "أيوبوت الأول[3].

بالإضافة إلى اكتشاف واردات فينيقية يرجع تاريخها إلى ذات الفترة منها أمفورات وأواني خزفية، عثر عليها في العديد من المواقع المصرية، وهذا دليل على استمرارية العلاقات التجارية بين مصر وفينيقيا في عهد الأسرة الثالثة والعشرين؛ فقد عثر بمصر السفلى "بالبلوزيوم" على مجموعة من الأمفورات الفينيقية ذات بدن أسطواني الشكل، ولونها سائل إلى الاصفرار، كما عثر بممفيس على أمفورا فينيقية ذات بدن قمعي الشكل وقاعدتها مخروطية، وفي "سقارة" عثر على أمفورة ذات مقبضين وبدن أسطواني الشكل؛ أما بمصر العليا فقد عثر "بتل العمارنة على أمفورة فينيقية ذات فوهة ضيقة على هيئة قذيفة مدفع، وفي "مطمير" عثر على إناء من أواني الصب، ذو مقبض واحد، وبدن دائري، ويرتكز على قاعدة دائرية؛ وما

[1]- محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 258-259.
[2]- محمد عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص 258-262.
[3]- جونتر فيتمان، المرجع السابق، ص 96؛ محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 252-253.

يدل كذلك على المبادلات التجارية بين مصر وفينيقيا في هذه الفترة، العثور على جعارين وقطعة من إناء مصري عليه نقش هيروغليفي وجرار وأمفورات مصرية بـ"صور" يرجع تاريخها إلى القرن الثامن ق.م[1].

إن وجود الآثار المصرية بفينيقيا، والعثور عليها في "شبه جزيرة ايبيريا"، ووصول الأواني الحجرية المصرية الكبيرة إلى المستعمرات الفينيقية الكثيرة المنتشرة على طول ساحل البحر المتوسط الغربي مثل "المونيكار" يؤكد على النشاط التجاري الكبير والمنتظم، ما بين فينيقيا ومصر خلال القرن التاسع والثامن ق.م[2].

كما أن الآثار الفينيقية التي عثر عليها في مصر، تدعم الوجود الفينيقي بها في هذه الفترة، حيث ذكر "هيرودوت" في كتابه الثاني":" تولى الحكم من بعده رجل من "ممفيس" يدعى بروتيوس، له في ممفيس حرم جميل جدا، حسن الزينة، يقع إلى الجنوب من معبد ""هيخايستوس، يقيم حول هذا الحرم فينيقيون من "صور" ويسمى هذا الحي كله معسكر الصوريين[3]* ". يفهم منه أن الفينيقيين قد استقروا في ممفيس واتخذوا حيا خاصا سمي معسكر الصوريين[4]، وهذا يعني أن الفينيقيين اكتفوا بمجرد وكالات تجارية وبشراء حق حرية التجارة.

وعليه تؤكد تاريخية العلاقات بين فينيقيا ومصر، وقدرتها المستمرة على تجديد نفسها، كما تؤكد ديمومة العلاقات بين الطرفين مهما كانت الظروف السائدة، حتى خلال هذه الفترة التي عرفت فوضى واضطرابات سياسية.

3- في عهد الأسرة الرابعة و العشرين :

عرفنا فيما سبق كيف انقسمت البلاد على نفسها، وفي ظل ازدواجية الملكية بين الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، وصلت مصر إلى درجة من الضعف الداخلي جعلت الأمراء المحليين في الأقاليم يشيرون إلى أنفسهم و كأنهم قد أصبحوا ملوكا، وفي أثناء هذا الاضطراب تمكن "تف نخت" من السيطرة على النصف الغربي من الدلتا وأسس الأسرة الرابعة والعشرين الليبية. وفي تلك الأثناء كان بعنخى قد تولى الملك في النوبة، فقام بالتقدم شمالا لوقف تقدم "تف نخت"، حيث تعاصرت في هذه المرحلة كل من الأسرتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين[5].

---

[1]- محمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 252-261.

[2]- جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 95.

[3]- محمد صقر، هيرودوت يتحدث عن مصر، المصدر السابق، ص 230-231.

*- اقتضت العلاقات السياسية و الاقتصادية بين مصر و جاراتها من دول الشرق أن يفد إلى مصر كثير من أمراء تلك البلاد، و كانت ممفيس، و هي يومئذ قاعدة مصر الحربية، مقر أولئك الوافدين، و وفد مع أولئك الأمراء تجار و عبيد و جواري، فنشأت لهم مع الزمن أحياء في تلك العاصمة كان أكثرها إلى جوار معبد بروتيوس. عن : هيرودوت، المصدر نفسه.

[4]- كونتنو، المرجع السابق، ص 95.

[5]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 189.

خاض "تف نخت" حروبا لتثبيت حكمه، وانقاذ البلاد من حالة الضياع، وإلى جانب ذلك واجه الملك النوبي "بعنخى" الذي قرر السيطرة على كامل التراب المصري في محاولة منه هو الآخر لتحقيق الوحدة و الاستقرار؛ وهكذا، فقد كان كل منهما بطلا وطنيا هاله ما وصل إليه أمر مصر من خراب وفوضى، فتقدم "بعنخى" من الجنوب وتقدم "تف نخت" من الشمال لإنقاذها، ولكن البطلان اصطدما ببعضهما البعض، على الرغم من أن "تف نخت" استطاع تجميع أغلب أمراء الدلتا بزعامته، إلا أنه فشل في مواجهة "بعنخى"، وقدم الولاء لبعنخى، إلا أنه لم يكن صادق في تقديم ولائه، فإنه لم يكد يطمئن إلى عودة بعنخى وجيوشه إلى نباتا حتى بدأ يوطد سلطانه واستمر في تلقيب نفسه بأنه حاكم القطرين وسيد الدلتا والصعيد[1].

وهكذا لم يكن متاحا لـ"تف نخت" – وحتى ابنه من بعده "باك ان رنف" (بوخوريس) الذي عرف بإصلاحاته– على ما يبدو القيام بدور كبير على الصعيد الخارجي، إلا أن المبادلات التجارية مع الساحل الفينيقي استمرت، صحيح ليس مثل السابق في العهد الذهبي للأسر الليبية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين عصر ازدهار الفن والنحت، لكن رغم ذلك بقيت العلاقات التجارية بين الطرفين، ففي أماكن متفرقة من البلاد، اكتشفت أوان فخارية خزفية فينيقية لهذه الفترة في كل من: ممفيس وسقارة بمصر السفلى، واللاهون وهيرموبوليس بمصر العليا وهيراقليوبوليس وغيرها، من أمفورات وأواني مختلفة الأشكال[2]. وهذا دليل على أن التجارة الفينيقية مع مصر لم تنقطع رغم الأحداث التي شهدتها مصر في هذه الفترة.

ان الآثار الفينيقية التي عثر عليها في مصر، أو بالعكس الآثار المصرية التي عثر عليها في الساحل الفينيقي وفي المستعمرات الفينيقية المنتشرة على طول ساحل البحر المتوسط خاصة في "شبه جزيرة ايبيريا" ،تدل على النشاط التجاري الكبير والمنتظم ما بين فينيقيا ومصر، خاصة خلال عهد الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، وديمومة العلاقات السلمية والودية بين الطرفين مهما كانت الظروف السائدة، حتى خلال الفوضى والانقسام السياسي التي عرفته مصر في هذه الفترة.

ثالثا: علاقات الملوك الليبيين بفلسطين :

1- في عهد الأسرة الثانية و العشرين:

قام الملك "داوود" بتوحيد الأسباط وتكوين المملكة العبرانية(أنظر الخريطة رقم 6)، وكان لابد له من شن الحرب على من قاوم سلطانه، فأرسل قائده "يوآب" ليؤدب "أدوم"، ففر أميرها "هدد" ملتجئ إلى

[1]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 322-323.
[2]- جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 100؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 135.

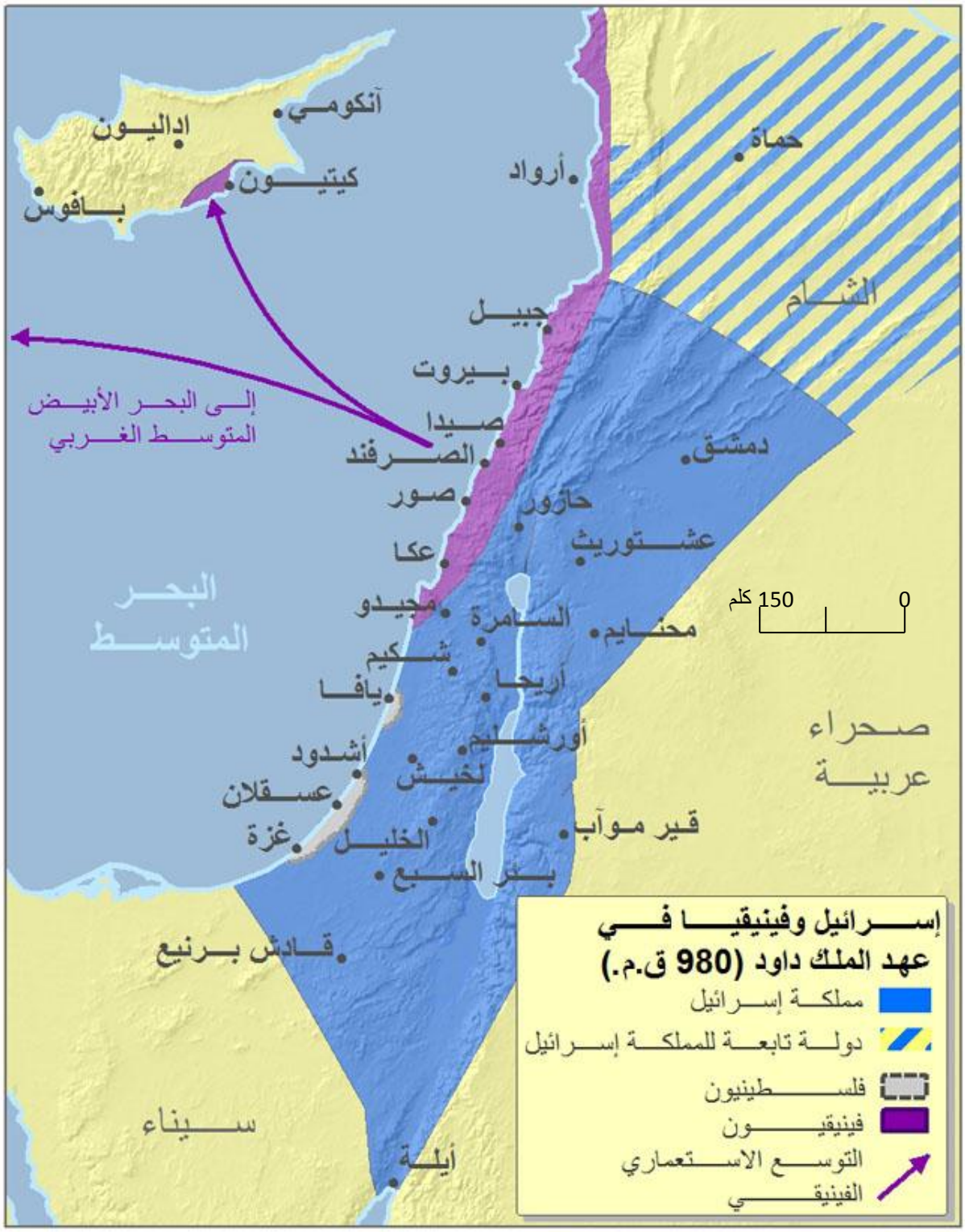

الخريطة رقم 6 : المملكة العبرانية في عهد الملك داوود

عن الموقع الإلكتروني: www. explorethemed.com

مصر، ومعه عدد من رجاله ليفر من المذبحة، ووجد كل الترحاب من ملك مصر الذي كان على الأرجح "بسوسنس" فأنزله في قصر خاص ورتب له المرتبات وأقطعه ورجاله أرضا ليعيشوا من خيراتها، بل زاد ملك مصر على ذلك بأن زوّجه من أميرة مصرية كانت أختا لزوجته. وبناء على رواية التوراة أيضا نعرف أن ملك مصر لم يكن على علاقة سيئة بملوك اسرائيل فإن "سليمان" ابن "داوود" خلف أباه على العرش، وكانت علاقته بالبلاط المصري على خير حالة، وكانت تجارته آمنة بفضل مصاهرته لملك مصر الذي أعطاه احدى بناته زوجة له، ومن قصة التوراة نعرف أن الملك المصري هاجم جنوبي "فلسطين"(كنعان) واستولى على مدينة "جزر" وأحرقها ثم أعطاه هدية أو مهرا لابنته عند زواجها[1].

حكم "سليمان" وقتا طويلا على عرش المملكة العبرانية، ومكنته صلته بمصر ومصاهرته لبيتها المالك من الحصول على المهندسين والفنانين الذين اشتركوا مع الفينيقيين في بناء هيكله الشهير في أورشليم، وجمع سليمان ثروة عظيمة من التجارة، وبخاصة تجارة الخيول، وظل طيلة حياته على صلته الودية كما كانت، ولكن هذه الصلة لم تمنع ملوك مصر من النظر إلى مصلحتهم الخاصة، إذ أن صلة سليمان بملك مصر لم تمنع "شيشنق الأول" من أن يرحب بعدو سليمان وهو "يربعام" الذي كان يرى نفسه أحق بمملكة اسرائيل منه، لأن "يربعام" كان من سبط "افراييم"، فاهتزت شرعية سلطة "سليمان" في أعقاب ثورة "يربعام" الذي وعده النبي "أخيا" بالتربع على عرش اسرائيل، واستضاف "شيشنق الأول" "يربعام" طوال حياة الملك سليمان، فلما مات "سليمان" عاد "يربعام" إلى فلسطين وحدث انشقاق كبير، فلم يتبع "رحبعام" ابن سليمان إلا سبطان من الأسباط الإثني عشر، وتبع "يربعام" عشرة منها[2].

انقسمت المملكة العبرانية إلى مملكتين مملكة يهوذا الجنوبية ومملكة إسرائيل الشمالية (أنظر الخريطة رقم 7)، لقد كانت المملكة الجنوبية يسكنها شعب رعوي يعيش بقطعانه في المرتفعات الصالحة لرعي هذه القطعان، أما مملكة إسرائيل الشمالية يسكنها شعب مزارع ويعيش في أرض خصبة تجود بمحاصيل مختلفة. كانت اسرائيل تقيم علاقات تجارية نشطة مع فينيقيا وسوريا، وقد أصبحت بحكم موقعها على مفترق الطرق المؤدية إلى آسيا وبلاد النهرين ومصر، بلدا تجاريا في الوقت الذي بقيت فيه يهوذا الواقعة في القسم الجبلي الأصعب منالا بلد الرعاة المتخلف، وهذا راجع إلى أن "اسرائيل" كانت متصلة جغرافيا

[1]- يشكك أغلب المؤرخين فيما ذهبت إليه التوراة لأن ذلك يعتبر عملا منافيا لما عرف عن الفراعنة من رفضهم لتزويج بناتهم خارج حدود بلادهم، ويبقى الأمر الأكثر إثارة للجدل بين الباحثين هو من هو الفرعون المقصود و المعاصر لعهد سليمان؟ فهناك من يقترح أن الملك "سي آمون"، و هناك من ذهب إلى أن الفرعون المقصود هو "بسوسنس الثاني"، وفريق ثالث رأى أن صهر سليمان إنما كان "شيشنق الأول" مؤسس الأسرة الثانية و العشرين؛ وذهب بعض المؤرخين إلى أن" سليمان "هو الذي أعطى الملك الفرعوني حصن جزر الكنعاني كمهر لابنة الفرعون و ليس كما تذكر التوراة، وهذا هو الأقرب إلى الواقع وإلى ما كان مألوفا في مجتمعات الشرق الأدنى القديم من أن الزوج هو الذي يقدم المهر لعروسه وليس العكس. عن : سليمة لبحور، المرجع السابق، ص 103.

[2]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 313-314؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 416-419؛ سفر الملوك الأول: الإصحاح 14، الآية 25.

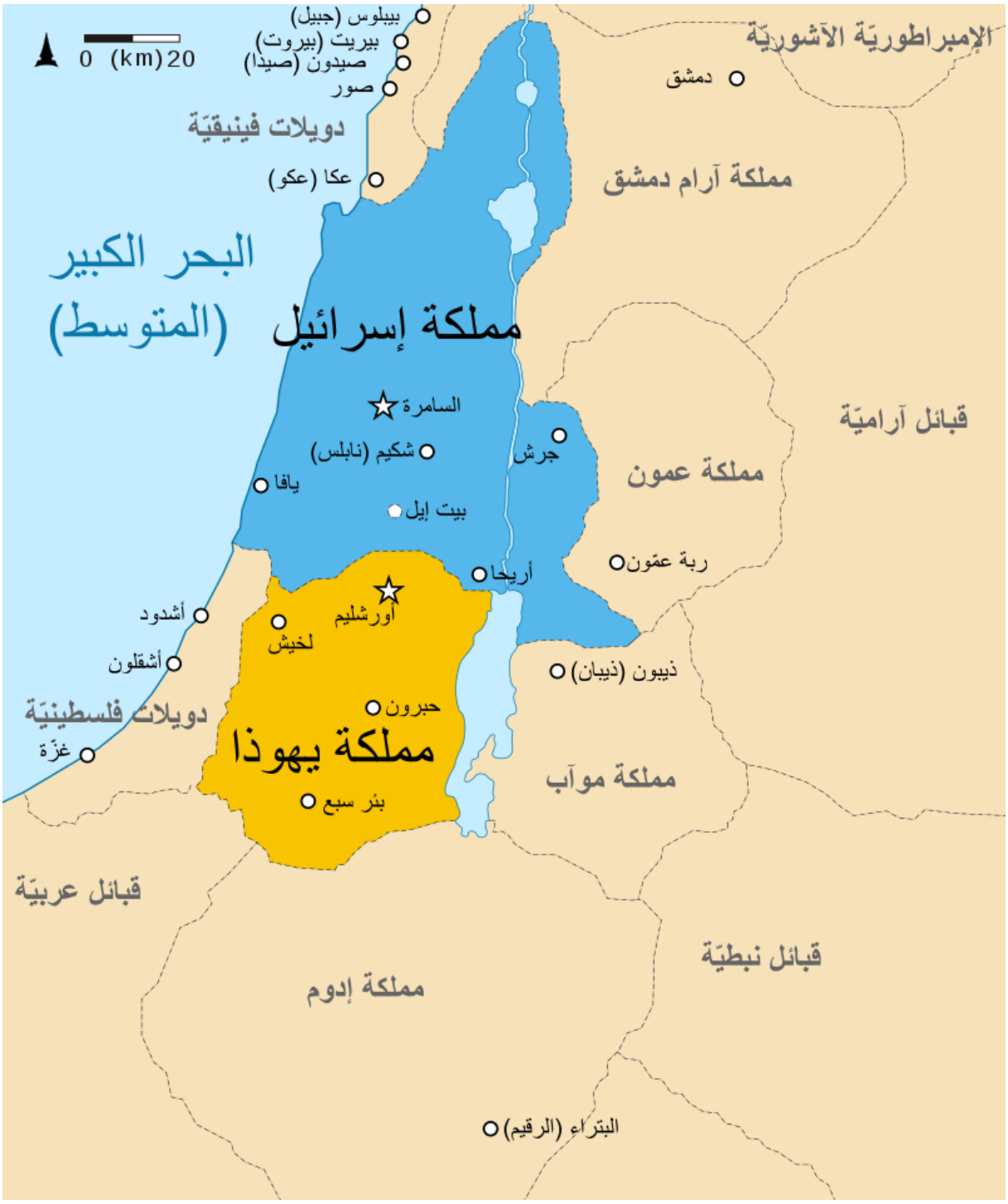

الخريطة رقم 7: المملكة العبرانية بعد انقسامها الى مملكتين "اسرائيل" و "يهوذا".

عن الموقع الالكتروني: ar.wikipedia.org

بفينيقيا مباشرة والأقطار الأخرى المتحضرة من ناحية الشمال كذلك، أما "يهوذا" فقد كانت بابا مغلقا بين اسرائيل– والتي كانت في حالة حرب معها– وبين ممالك عبر الأردن المحاربة من ناحية الشرق، والصحراء من ناحية الجنوب[1].

تولى بعد وفاة "سليمان" السلطة ابنه "رحبعام" الذي واجهته معارضة قوية من أطراف متعددة كانت تمثل المعارضة في عهد والده، إضافة إلى تذمر أهالي مملكته من أوضاعهم المعيشية القاسية، لذلك طلبوا منه أن يخفف عنهم عبء الضرائب وأعمال السخرة التي فرضها "سليمان"، ولكن ردّه عليهم كان قاسيا، كما تشير التوراة نفسها :" والآن فإن أبي حملكم نيرا ثقيلا وأنا أزيد على نيركم أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب[2]"؛ ونتيجة لهذه السياسة وبتحريض من يربعام انفصلت عشر قبائل تحت قيادته مكونة مملكة الشمال وعاصمتها السامرة، في حين ألف سبطين آخرين مملكة الجنوب وعاصمتهم أورشليم. والواقع أن الخلاف بين الطرفين لم يكن سياسيا فقط، فقد كان أهل الشمال قد اندمجوا مع الكنعانيين واعتنقوا ديانتهم، كما كانوا أكثر غنى وتحضر من أهل الجنوب[3].

I–حملة شيشنق الأول على فلسطين :

لقد أدرك "شيشنق الأول" أن المملكة العبرانية التي نشأت في غفلة عن أعين مصر، عندما كانت تفتقد السلطة السياسية القادرة، والتي حاولت سلب مصر نفوذها في الشام وتحالفها مع بعض الأمراء الرافضين للحكم المصري – فقد أقام سليمان تعاونا وثيقا مع "أحيرام" أمير صور، وتبادلا المنافع المشتركة، ودعم أحيرام سليمان في بناء الهيكل، وكذلك إقامة أسطول بحري، واشترك معه في تجارته البحرية في البحرين الأحمر والمتوسط[4]– فأدرك "شيشنق" أن كل ذلك لا يمكن وقفه إلا بالقضاء على هذا الكيان الدخيل على المنطقة.

يبدو أن السياسة المصرية كانت في ظاهرها تدل على المصافاة والود مع ملوك العبرانيين الأقوياء، إلا أنهم لم يضيعوا أي فرصة تسنح لهم يتمكنون فيها من اضعافهم، وأمعنوا في التدخل في شؤون "فلسطين" أملا في إعادة نفوذهم إليها، وعلى هذا نجد "شيشنق الأول" أخذ بنصيحة يربعام بإعداد العدة لمهاجمة فلسطين؛ وكان العبرانيون قد ضاقوا ذرعا من حكم "سليمان" الذي طعن في السن وأثقل كاهلهم بالضرائب، فلما مات انقسموا على أنفسهم وانتهز "شيشنق الأول" فرصة انقسامهم إلى مملكتين متنافستين، فتقدم بجيشه لاستعادة السيادة المصرية في فلسطين[5]، وهو ما يدل على أن سياسة شيشنق الخارجية في تعامله مع هذه القضية كانت موفقة إلى حد كبير، حيث اختار الطريقة والوقت المناسب لتنفيذ مشروعه.

---

[1]- محمد بيومي مهران، بنو اسرائيل- التاريخ منذ دخولهم فلسطين و حتى الشتات الروماني في عام 135 م، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999، ص 787-788.

[2]- سفر الملوك الثالث : الإصحاح 12، الآية 11.

[3]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 283؛ عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص172-173.

[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 282.

[5]- أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص 215.

1- مصادر الحملة :

اختلف العلماء والمختصون في وجهات النظر فيما يتعلق بحملة "شيشنق الأول" على فلسطين، ففريق منهم اعتمد على الكتاب المقدس وقام بفحصه فحصا مستفيضا، واعتبروه مصدرا لا غنى عنه، في حين اعتمد فريق آخر من المختصين على علم الآثار، بعدما ظهرت دلالات مستقلة عن الكتاب المقدس، ورغم قلة هذه الدلالات إلا أنها آخذة في التزايد، فكلما ظهر شيء منها كلما اتسعت شقة الخلافات وتعددت النظريات حول "شيشنق الأول" وحملته على مملكتي اسرائيل ويهوذا، وهذا أثر تأثيرا واضحا في تاريخ تلك الفترة، التي حيرت المؤرخين سواء أكانوا من مؤيدي العلوم التوراتية التي تعتمد على ميثولوجيا العهد القديم، أو من مؤيدي علوم الآثار التي تعتمد على النقوش ومخلفات تلك الفترة، أو من مؤيدي فكرة المطابقة بين التوراة وعلم الآثار. أدى ذلك إلى ظهور مدرستين متعاكستين متضادتين (الكرونولوجيا التقليدية) و (الكرونولوجيا الحديثة)، ورغم تعاكس وتضاد تلكما المدرستين إلا أن مؤيديهما يحاولون دائما التوفيق بين التوراة وعلم الآثار والاصرار على تمحيص الأخبار الواردة في المصدرين[1].

وعليه فهناك مصدرين أساسيين لحملة "شيشنق الأول" على فلسطين، أولهما الكتاب المقدس وثانيهما ما سجله "شيشنق الأول" على البوابة البوبسطية بوابة النصر في الجدار الجنوبي لبهو الأعمدة بالكرنك حول هذه الحملة.

و سنبين فيما يلي أخبار الحملة على ضوء ما جاء في المصادر التي ذكرتها:

أ- الكتاب المقدس:

جاء في سفر الملوك الأول كما يلي :"و لما كانت السنة الخامسة للملك رحبعام، صعد شيشاق ملك مصر على أورشليم فأخذ ما في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ كل تروس الذهب التي صنعها سليمان، فصنع الملك رحبعام مكانها تروسا من نحاس.."[2].

كما ذكرت الحملة في سفر أخبار الأيام الثاني كما يلي:" و لما استقر ملك رحبعام و تقوى، ترك رحبعام شريعة الرب، هو وكل اسرائيل معه، ولما كانت السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشاق ملك مصر على أورشليم، لأنهم خافوا الرب، في ألف ومئتي مركبة وستين ألف فارس، وكان عدد الشعب الذي جاء معه من مصر من اللوبيين والسكيين[3] والكوشيين لا يحصى. واستولى على المدن المحصنة التي في يهوذا ووصل إلى أورشليم، فأقبل شمعيا النبيّ إلى رحبعام ورؤساء يهوذا الذين اجتمعوا في "أورشليم"، من وجه شيشاق، وقال لهم: "هكذا قال الرب: أنتم تركتموني وأنا أيضا تركتكم في يد شيشاق". فاتضع رؤساء اسرائيل والملك و قالوا: "يا رب". فلما رأى الرب أنهم قد اتضعوا، كانت كلمة الرب إلى شمعيا قائلا: "إنهم قد اتضعوا فلا أهلكهم، بل أوتيهم النجاة عن قريب، ولا ينصب حنقي على أورشليم عن يد شيشاق، لكنهم

[1]- عبد العزيز الصويعي ، المرجع السابق، ص 174-175.
[2]- سفر الملوك الأول 14 / 25-27.
[3]- السكيين أو السوقيين هم قبائل من شرق الدلتا. أنظر:رمضان عبده ،تاريخ مصر القديمة ،ج2، ص 353.

يكونون عبيدا له ليميزوا بين عبوديتي وعبودية ممالك البلاد". فصعد شيشاق ملك مصر على أورشليم وأخذ ما في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ تروس الذهب التي صنعها سليمان. فصنع الملك رحبعام مكانها تروسا من نحاس..."[1]

يمكن أن نلاحظ أن تفسير التوراة لهذه الهزيمة بأنها غضب من الرب، وأن اله بني اسرائيل يأمرهم بالاستسلام، وأن يكونوا عبيدا لهذا الجيش الفاتح، ولا نظن أن عاقل يمكن أن يقول بأن أي اله أو دين يأمر أتباعه بالاستسلام وتفضيل العبودية على الموت، كما أن أحداث الحملة تنتهي كما توردها التوراة بسقوط أورشليم واستسلام مملكة يهوذا دون أن تشير إلى أية أحداث تتعلق بالمملكة الشمالية، مما يوحي بأن حملة شيشنق قد اقتصرت على الجنوب فقط، وهو ما رفضه معظم الباحثين، ويفسر "حسين عامر" ذلك على أن كتبة التوراة رغبوا في الانتقاص من انتصار "شيشنق" بتصويره انتصار على مملكة الجنوب الضعيفة، أو لأن هؤلاء الكتبة كانوا من مملكة الجنوب فأرادوا أن يكون لهم وحدهم فخر مواجهة عدو بني اسرائيل الذي صرحت به التوراة، وهم المصريون بالدرجة الأولى، وبقية شعوب المنطقة بالدرجة الثانية، باعتبارهم محتلين لأرض اسرائيل[2].

ب – نقوش شيشنق الأول على البوابة البوبسطية:

بعد أن عاد شيشنق الأول منتصرا إلى مصر، سجل بالنقوش تفاصيل حملته على فلسطين على الجدران الجنوبية الخارجية لمعبد آمون بالكرنك[3](أنظر الصورة رقم 23).

الصورة رقم 23: نقوش شيشنق الأول على الجدار الخارجي الجنوبي في الكرنك لتمجيد حملته على فلسطين

عن الموقع الالكتروني: www.mondedelabible.com

[1]- سفر أخبار الأيام الثاني 12/ 1-10.

[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 285-286.

[3]- معاوية ابراهيم، فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، القسم الثاني – الدراسات التاريخية، ط1، أبجد غرافيكس، بيروت، 1990، ص 121؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 112؛ the epigraphic survey,the bubastite portal,reliefs and inscriptions at Karnak,vol III,the university of Chicago,oriental institute publications,Chicago, p VII.

ولكي يصبح من السهل الاقتراب من هذه النقوش على الجدران شيد الملك بوابة رئيسية بالكرنك تقع بين الصرح الثاني ومعبد رعمسيس الثالث، أطلق عليها اسم البوابة البوبسطية، التي يمر من أسفلها طريق مرصوف يؤدي إلى هذه النقوش[1].

لاحظ الباحثون أن هذه النقوش قد احتوت على ذكر أكثر من 156 مدينة أخضعها شيشنق الأول في فلسطين، وقد رمز لكل مدينة بأسير يحمل اسم مدينته، ورغم أنه لم يبق من أسماء هذه المدن التي ذكرت في القائمة سوى 151 اسما[2]، إلا أنها تشير إلى مدى اتساع حملة شيشنق الأول على المنطقة، في حين تهشم الجزء الذي يحوي بقية الأسماء، ومما لاحظه الباحثون أن قائمة الأسماء تشمل خمسين مدينة ذكرت لأول مرة، ولم تظهر في قوائم الملوك السابقين[3]؛ وهذه المدن واقعة إما في مملكة يهوذا وإما في مملكة اسرائيل، ومن الملاحظ أن اسم أورشليم لم يظهر فيما تبقى من أسماء المدن المهزومة ويحتمل جدا أن يكون قد كتب في الأجزاء المفقودة الآن من القائمة[4]، كما نجد أسماء عديدة معروفة في الكتاب المقدس، من بينها "حقل ابراهيم" الذي يمثل أول ذكر تاريخي وأقدم عبارة ورد بها اسم ابراهيم عليه السلام؛ وذكر شيشنق الأول أنه بلغ أرض "ميتاني" لكن ذلك لابد أن يكون من قبيل الغلو والفخر فقط[5]، والسبب في ذلك أن مملكة ميتاني انعدمت من الوجود فلم يعد لها أثر وقتئذ.

لقد حاول بعض الباحثين التشكيك في صحة المعلومات التي أوردها شيشنق الأول عن هذه الحملة، ففيه من يحاول التقليل من أهميتها باعتبارها انتصارا على عدو مرهق ضعيف، وإن كان يعترف بأن ذلك الضعف ناشئ عن سياسة شيشنق نفسها[6]؛ بينما يشير آخر[7] إلى أنه لا يمكن تحديد ما إذا كانت حملة عسكرية شاملة أو هي مجرد حملة للسلب والنهب.

كما حاولوا التشكيك في مدى هذه الحملة، معتمدين على التوراة التي تتوقف في سرد حوادثها على سقوط أورشليم أي أنها لم تشمل المملكة الشمالية ، وبالرغم أن نص التوراة جاء صريحا واضحا فإن هناك من يرى بناء على ما جاء في قائمة المدن التي دوّنها شيشنق الأول تخليدا لحملته ، أنه لم يذهب بالفعل إلى أورشليم، ولكن ربما أرسل رحبعام إليه الذهب ليصفح عن المدينة[8]، إلا أن معظم الباحثين الآن يتفقون من خلال دراسة نقوش شيشنق الأول أنها كانت حملة واسعة شملت المملكتين وأجزاء من الشام،

---

[1]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 234.
[2]- أورد سليم حسن أسماء هذه المدن بالتفصيل. للمزيد أنظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص ص 124-126.
[3]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 117؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص 286.
[4]- زكية طبوزادة، المرجع السابق، ص 188؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 361.
[5]- Breasted, a history of Egypt, p 530.
[6]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 287.
[7]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 361.
[8]- John Rogerson.Philip Davies, the old testament world,Cambridge university press, New york, 1989, p 139.؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 361.

وفي هذا الصدد يعترف "جاردنر"[1] الذي شكك في أهمية الحملة بأن ما يذكره شيشنق الأول يبدو صحيحا من خلال ما اكتشف من آثار، وهو يشير بذلك إلى ما عثرت عليه التنقيبات الأثرية من آثار منقولة وأخرى ثابتة ذات علاقة مباشرة بهذه الحملة، ففي "مجدو" كشف عن نص على صخرة يبلغ ارتفاعها في الأصل عشرة أقدام، والتي تم اكتشاف الركن العلوي منها فقط، والذي يحمل خراطيش الملك شيشنق الأول يخلد ذكرى وصوله إلى شمال فلسطين[2]، كذلك يعزى لشيشنق الأول تدمير مدينة "تل بيت مرسيم" من الطبقة(B) وقد كان تدميرا عنيفا، حتى اقتلعت المدينة القديمة تماما من جذورها، كما ينسب إلى هذا الملك تدمير مدينة "بيت شمس"[3]، حيث وجدت مباني الطبقة الثانية (أ) مغطاة بطبقة من الرماد نتيجة حريق هائل، وعلى أية حال فإن حملة شيشنق الأول تركت أثرا كبيرا في عدة مدن مثل شكيم وغيرها[4]. وهو ما يؤكده "برستد"[5] بقوله أن قرائن الأحوال تدل على أن حملة شيشنق الأول كانت حملة موجهة إلى المملكتين وليس مملكة يهوذا وحدها.

وتشير نقوش شيشنق الأول إلى أن حملته العسكرية قد تجاوزت المملكتين اليهوديتين لتشمل أجزاء أخرى من الشام، خاصة صور التي كانت تحت حكم "حيرام" والذي كان حليفا لسليمان وخلفائه، بل أنه يذهب إلى أن الحملة وصلت إلى مملكة الميتانيين ، وإن كان ذلك قد يبدو بعيد الاحتمال، نظرا لتلاشي تلك المملكة في عهده، وربما كان الأمر يتعلق بالأراضي التي كانت تابعة لها فيما مضى وليس تجاه تلك المملكة نفسها[6].

ومما سبق يتبين أن نقوش شيشنق الأول قدمت لنا تفاصيل تاريخية كاملة للأحداث ومداها الجغرافي، حيث تظهر أنها لم تكن حملة عسكرية محدودة انتهت عند أسوار أورشليم، بل حرب شاملة واسعة المدى شملت فلسطين كلها وأجزاء من الشام، وقدمت تفصيلا بأسماء المدن والقرى والشعوب التي أخضعتها الحملة، بينما ينعدم ذلك تماما في الكتاب المقدس، فيما عدا اشارتها إلى بعض المدن الحصينة التي سقطت بيد شيشنق في طريقه نحو أورشليم[7]، وقد وافق بعض المشككين الكتاب المقدس في ذلك، وادعوا أن المدن التي أوردتها نصوص شيشنق تحتوي أسماء مدن وردت من قبل في نصوص فراعنة سابقين، ويجب أن تكون بالتالي منقولة عن هذه النصوص، وكأنه كان يجب أن تتغير أسماء المدن حتى تكون

---

[1]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 361.

[2]- J.Yoyotte, pharaons guerriers libyens et grands pretres, la troisieme periode intermediare, in Tanis,l'or des pharaons, galeries nationales du grand palais,Paris,1987, p 66.

[3]- بيت شمس: مدينة واقعة في تخم أرض يهوذا الشمالي، و كانت تخص بني هارون. عن: جورج بوست عفي عنه، قاموس الكتاب المقدس، المجلد الأول، المطبعة الأمريكانية، بيروت، 1894، ص 366.

[4]- محمد بيومي مهران، بنو اسرائيل، ج2، ص 852-853.

[5]- Breasted, a history of Egypt, p 530؛ و كذلك أنظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 115-116.

[6]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 288.

[7]- حسين عامر، المرجع نفسه، ص 290.

نصوص شيشنق الأول صحيحة، رغم التأكيد على أن أكثر من خمسين مدينة لم تذكر من قبل في نصوص مصرية سابقة[1].

2- أسباب الحملة:

لقد كان لشيشنق الأول أكثر من سبب لغزو فلسطين، إذ لم تكن حملته مجرد نزهة في ربوع الشرق الأدنى القديم، وإنما كانت لها أسباب وأهداف لا تخلو من الإعداد المسبق والترتيب المنظم. وقد تنوعت تلك الأسباب بحسب تنوع رؤى العلماء وتحليلهم للنصوص والنقوش الخاصة بها؛ ومن هذه الآراء نذكر:

يرى فريق منهم أن تولي شيشنق الأول الملك يعد بداية عصر انعاش للروح الحربية والسياسية في تاريخ مصر الحربي والسياسي مما أعاد لها بعض مجدها السالف، فقد كان جنديا صاحب مطامح واسعة المدى وبخاصة أنه كان ينظر وراءه إلى سلسلة طويلة من القواد الشجعان من الجنود الليبيين الذين أعدوا أنفسهم لحماية أهم الحصون القائمة في مصر، وكان هذا الفرعون يتوق لنيل السيطرة الحربية لتمكين نسله على العرش الذي كسبه حديثا بقوته ومضاء عزيمته[2]، فبعد أن نجح شيشنق الأول في اقرار الأمن في البلاد وبعد أن ضمن وقوف كافة الأطراف إلى جانبه، وجد أنه ليس هناك من سبيل للإصلاح أحوال البلاد الاقتصادية إلا باسترداد بعض ممتلكات مصر في منطقة الشرق الأدنى القديم، وبذلك يستعيد السيطرة على بلاد الشام والطرق التجارية التي تمر فيها[3].

وفيه من يرى[4] أنها إما محاولة لإحياء الأمجاد المصرية القديمة، أو هي خطة لتدعيم مركز يربعام، أو أو هي غارة سلب ونهب وليس أكثر من ذلك.

في حين يرى فريق آخر أن شيشنق الأول كان يريد احياء الأمجاد المصرية القديمة، وهي كذلك خطة لتدعيم مركز يربعام، والرغبة في استعادة سوريا وفلسطين إلى نفوذ الامبراطورية المصرية من جديد؛ فقد بدأت منذ أيام الأسرة الحادية والعشرين، وذلك حين آوت مصر الفارين من داود ولكنها في عهد ابنه سليمان كانت أكثر حسما، فهي تطلق سراح ابن ملك أدوم، وهي تأوي يربعام الذي فرّ من وجه سليمان، ثم هي مرة ثالثة تحاول ألا تصل الأمور معه إلى حد الاشتباك المسلح، فتحتل جيوشها مدينة جازر ثم تقدمها مهرا لابنة الفرعون وزوجة سليمان[5].

وبموت سليمان عاد يربعام إلى فلسطين ليقود الثورة ضد رحبعام، وحين يتم له الاستقلال باسرائيل، تقف مصر من ورائه تعضده وتسانده، ولكن يربعام رجل مصر في فلسطين لم يجد الأمور تسير كما يحب و يهوى، فربما اعترضته عقبات كثيرة، و ربما تعرض لغزو من رحبعام، ومن ثم استنجد – فيما

---

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 290.
[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9،ص ص 129-132.
[3]- معاوية ابراهيم، المرجع السابق، ص 121.
[4]- أنظر: آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 361؛ أبو المحاسن عصفور، علاقات مصر بالشرق الأدنى، ص 141.
[5]- بيومي مهران، بنو اسرائيل، ج2، ص 854.

يرى "سيسل روث"، و"أودلف لودز"، و"هول"[1]– بشيشنق الأول، الذي اغتنم الفرصة ليقوم بحملته التي أراد بها– إلى جانب مساعدة يربعام– إعادة سورية و فلسطين إلى نفوذ الامبراطورية المصرية[2].

كما يرى "جيمس برستد"[3] أنه لما انقسمت المملكة العبرانية في عهد رحبعام الذي خلف أباه سليمان، رأى شيشنق الأول أن الوقت حان لبسط نفوذه على فلسطين كلها، وفي ذلك الوقت التجأ يربعام العدو الشمالي لرحبعام إلى شيشنق الأول طالبا حمايته، فتوجه شيشنق الأول إلى فلسطين و غزاها.

ويذكر رأي آخر أن شيشنق الأول كان يريد الاستحواذ على الدروع الذهبية من معبد سليمان والبقية الباقية من خزائن كهنوت يهوه ليضمن بذلك الثراء لآمون، الذي لم يكن في ذلك الوقت على ميسرة كالتي كانت في الماضي القريب[4].

في حين فيه من يعترض على هذا الرأي، ويرى أن بني اسرائيل قد بالغوا في مسألة السلب الذي تعرضت له أورشليم من قبل شيشنق الأول؛ صحيح أن واقع الحال الذي ساد في مصر على عهد آخر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين يشير إلى وضع اقتصادي متردد، حيث تعددت الزعامات وانقسم الحكم إلى سلطتين مدنية في تانيس ودينية في طيبة، مما دعا شيشنق الأول منذ توليه الحكم إلى أن نظم شؤونه في مصر وأصلح الأحوال لإرضاء الناس ورفع الظلم عنهم، وانتهى من تصفية معاقل الكهنة وإعداد الجيوش. وهذا يعني اجمالا اهتمام شيشنق الأول بإصلاحات اقتصادية، بعدما كان الكهنة يسيطرون على معظم ثروات مصر ويحرمون رعاياهم منها، بل ويحرمون منها الملوك أيضا[5]؛ فكانت حركة من شيشنق الأول ليظهر أمام هؤلاء الكهنة والإله آمون بمظهر الفراعنة العظماء الذين أغرقوا خزائن معبد آمون بالكنوز ويثبت جدارته بعرش مصر واسترجاع هيبتها، ويشهد التاريخ للفرعون شيشنق الأول بأنه استخدم هذا الكنز في بعث عجلة البناء والتعمير، ويعتبر الأول منذ عهد رعمسيس الثالث (منذ حوالي قرنين من الزمن) الذي فكر في توسيع معبد آمون بالكرنك، وهذا الكنز مهما كان كبيرا كان بإمكان شيشنق الأول أن يقسمه بين جنوده وقادته كغنيمة حرب، أو ينفقه في سنة أو سنتين؛ وأغلب الظن أن انتعاش اقتصاد مصر بعد حملة شيشنق الأول على فلسطين يرجع أساسا إلى أن هذا الفرعون قد نجح في تحويل طريق التجارة من المملكة العبرانية إلى موانئ مصر، وأن مدن فلسطين وسوريا تسابقت لتقديم قروض الولاء والطاعة والتعهد بدفع ضريبة سنوية، وبهذا ضمان مصدر رزق دائم لمصر، تجنيه من جمركة السلع التي تعبر مدن الدلتا باتجاه سوريا ومنها إلى مواقع كثيرة من العالم القديم[6].

---

[1]- للتطلع أكثر أنظر: Cecil Roth,a short history of the Jewish people, London,1969,p 31 ; A.Lods,Israel from its beginnings to the middle of the eighth century, London, 1962, p p 374-375 ; H.R.Hall, the ancient history of the Near East, London, 1963, p p 436-437.

[2]- بيومي مهران ، بنو اسرائيل، ج2، ص 854.

[3]- Breasted, a history of Egypt, p 529.

[4]- H.R.Hall, op-cit, p 439.

[5]- عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 177.

[6]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 227-228؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 315.

مما تقدم يتضح لنا أن معظم هذه الأسباب كلها دفعت بشيشنق الأول لاتخاذ قرار غزوه لفلسطين وإن كان فيه من بالغ في رأيه.

3- تاريخ الحملة:

اختلف المؤرخون والعلماء حول تاريخ هذه الحملة، فهناك من يراها وقعت في السنوات الأخيرة من حكم شيشنق الأول[1]، ومنهم من يراها في عام 931 ق.م[2]، وفيه من يراها في عام 930 ق.م[3]، ويرى آخرون أنها في عام 926 ق.م[4]، وهناك من يرى أنها وقعت بعد وفاة سليمان، الذي توفي حوالي سنة 922 ق.م[5]، وبما أن هذه الحملة قد حدثت بعد وفاة سليمان فلابد أن تؤرخ بتاريخ لاحق لوفاته أي بعد عام 922 ق.م[6].كما يوجد رأي آخر يعتقد أنها حدثت في العام الحادي والعشرين قبل افتتاح الأعمال في الكرنك، ويورد لذلك عدة قرائن: فلأنه يصعب تصور أكثر من عام واحد بين الحملة وتخليدها، وبالتالي يمكن وضعها في العام العشرين ومع منتصف القرن العاشر قبل الميلاد، فلابد أن الشهر الثاني "شومو" سوف يقع في حوالي شهر يناير، وإذا كان شيشنق قد غزا فلسطين في الربيع- وهي الفترة الشائعة للحروب الفلسطينية- فلابد أنه فعل ذلك على الأكثر في الربيع السابق، أي حوالي تسعة أشهر قبل شهر "شومو" من العام الحادي والعشرين، وبالتالي كانت الحملة في عامه العشرين، كما أنه بالعودة إلى عام تولي رحبعام العرش في يهوذا في عام 930/931 ق.م، ووضع عامه الخامس في عام 925/926 ق.م، فعلى أساس هذه التواريخ للعام الخامس لرحبعام، وخاصة الأخير منها الذي يمتد من خريف عام 926 ق.م إلى خريف عام 925 ق.م، فإن المقترح أن الحملة قد حدثت في العام 20/21 من حكم شيشنق الأول، أي في ربيع 925 ق.م[7].

4- مسار الحملة و المدن التي وصلتها:

اختلف المؤرخون وعلماء المصريات حول طريق حملة شيشنق الأول والمسار والأسلوب الذي اتبعه في توجهها.

ففيه من يرى أن شيشنق الأول اتجه بداية نحو البحيرات المرّة في مواجهة العدو هناك، ثم اتجه إلى يهوذا مارا بغزة، وتوغل مسافات طويلة في النقب، حيث احتل المدن الرئيسية قبل الوصول إلى أسوار أورشليم، و بعد الإطاحة بمملكة يهوذا التفت شيشنق الأول إلى مملكة اسرائيل للضغط على يربعام، الذي

---

[1]- بيومي مهران، بنو اسرائل، ج2، ص 853؛ John Bright, a history of Israel, Philadelphia, 1969,p 213.

[2]- الن جاردنر، المرجع السابق، ص 361.

[3]- سليم حسن، مصر القديمة،ج9،ص 132؛عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 391.

[4]- Breasted,a history of Egypt,p 529 ; Kathleen.M.Kenyon,archaeology in the holy land, London,1970, p 272.

[5]- هناك اختلاف حول تاريخ وفاة سليمان ، حيث فيه من يرى أنه توفي سنة 930 ق.م ، و بالتالي فسنة حملة شيشنق الأول الأول كانت إما سنة 926 ق.م أو 925 ق.م، لأن البعض يرى أن شيشنق الأول توفي بعد انجاز حملته تلك بسنة واحدة. أنظر: عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 182.

[6]- بيومي مهران، المرجع السابق، ص 853.

[7]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 107؛ عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 182.

كان قد التجأ إليه أثناء ثورته على الملك سليمان– وجعله يفر إلى نهر الأردن، إلى أن وقع في قبضته هناك؛ وأخيرا توقف شيشنق الأول في "مجدو" التي أحرز فيها نصرا باهرا، ثم عاد في اتجاه الجنوب عبر جبل الكرمل، ثم اتجه–في طريق عودته إلى مصر– عبر عسقلان وغزة[1].

في حين يرى بعض الباحثين[2]، أن "شيشنق الأول" قام بحملة رئيسية عبر الطريق الساحلي، حيث ذهب شمالا من غزة على طول الطريق الساحلي إلى "مجدو" التي ربما استخدمها كقاعدة لحملاته، ثم أرسل حملات فرعية إلى مناطق مختلفة لتحقيق أهداف عديدة، وفيه من يرى أن قائمة المدن التي طالها شيشنق الأول قد رتبت على هيئة خط سير المحراث من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين.

أما "كيتشن"، فقد خرج بوجهة نظر جديدة تكاد تكون أدق وأقرب التصورات المتعلقة بحملة "شيشنق الأول" على فلسطين، لأنها توافقت مع السياق نفسه الذي اتبعه الفراعنة قبل ذلك في حروبهم في الجهات السورية من حيث وجود حملة رئيسية، وحملات فرعية مساندة، وكذلك مع سياق رواية التوراة، وهذا هو جوهر انتقاد كيتشن لتصورات بعض من سبقوه، وهو كذلك منطلقه لبناء تصوره الجديد، فعندما لاحظ كيتشن أن بعض المدن بعيدة عن خط سير الجيش الرئيسي الذي قاده "شيشنق الأول" بنفسه بحيث يستحيل أن يكون هذا الملك قد أخضعها بنفسه، افترض أن الفرعون أرسل إلى هذه المدن البعيدة قوات فرعية أو تحريدات. إذ كان تصور "كيتشن"[3] لمسار حملة شيشنق الأول على فلسطين كما يلي:

سارت الحملة من غزة إلى ربوتي، ثم أرسل قوة كبيرة نوعا ما إلى النقب عبر برزا و شاروهين، والتي سارت على طول طرق متوازية لكي تضرب نقاط عسكرية يهودية في جنوب يهوذا وجميع أنحاء النقب، ومن ربوتي ذهب شيشنق الأول بجيشه عبر عجلون وبيت حورون إلى جيبون، ولابد أنه حصل على خضوع رحبعام الذي قدم جزية لإنقاذ أورشليم من الخراب والدمار كما جاء في التوراة، بعد ذلك زحف شيشنق الأول شمالا إلى إسرائيل عبر زيماريم إلى تيرزة، وعند هذه النقطة استمر شيشنق الأول شمالا إلى سهل جزريل، وجعل مقره في مجدو، وعندما غادر تيرزة ذاهبا إلى الشمال، أرسل حملة فرعية عبر وادي رفح وعبرت الأردن لكي تتعقب يربعام في بينوئيل وماهاريم، والمرجح أن حملة شرق فلسطين قد عادت شمالا إلى وادي الأردن عبر بيت شان عبر جزريل إلى مجدو، وانضمت إلى شيشنق الأول حملات أقل إلى الساحل الشمالي الغربي وإلى الجليل، ومن مجدو أرسل شيشنق الأول حملات أقل إلى الساحل الشمالي الغربي وإلى الجليل، ومن مجدو أيضا لاشك أن شيشنق اتجه بقواته إلى عارونا ويحم وسوكو، وسحق كل مقاومة في المدن على طول طريقهم ناحية الجنوب؛ بعد ذلك، في جنوب غرب

[1]- عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 184؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 419؛ معاوية ابراهيم،المرجع السابق،ص 121.

[2]- للمزيد من التفاصيل حول آرائهم و تصوراتهم أنظر: Siegfried Herrmann,operationen pharao Schoschenks I,in ostlichen Ephraim,in ZDPV, 80 ,1964,p p 72-77 ;M.Noth,in ZDPV,61,1938,p p 283-298 ;Mazar, in VTS, 4, 1957, p p 57-66 .

[3]- أنظر: K.A.Kitchen, the third intermediate period, p p 442-447

فلسطين لابد أنها انضمت إلى شيشنق وجيشه الرئيسي حملاته في النقب وعادت الحملة ككل إلى الأراضي الأم عبر رفح والطريق الساحلي لسيناء لإحياء ذكرى انتصارهم في تانيس[1].

5- نتائج الحملة:

حققت حملة شيشنق الأول على فلسطين نتائج هامة استفادت منها مصر، فقد غيّرت مجريات الأحداث في المنطقة، و بقيت آثارها ماثلة إلى اليوم، ومن أهم تلك النتائج:

- أعادت هذه الحملة لمصر هيبتها ومكانتها ومجدها القديم الذي شهدته زمن الامبراطورية[2]، بعد أن تضاءلت في عصر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين، حتى تسابق الولاة في كل حدب وصوب خاصة فينيقيا إلى كسب رضا الفرعون الجديد، فكانوا يضعون في معابدهم تماثيل ولوحات باسم شيشنق الأول[3]، كما كانت تربطهم مع مصر روابط ذات أهمية استراتيجية، وظلت هذه الصلة الطيبة وقتا طويلا بعد شيشنق الأول.

- سهولة الوصول إلى جبال فينيقيا موطن أخشاب الأرز الجيدة، التي تصنع منها السفن التجارية و الحربية، وربما كان ذلك من بين الأغراض الكامنة وراء اصرار شيشنق الأول على تأمين الطريق إلى الشام. وبهذا التوسع الجغرافي تمكن شيشنق الأول من تأسيس امبراطوريته التي امتدت من الصحراء الغربية غربا إلى بلاد الشام شرقا ومن البحر المتوسط شمالا إلى بلاد النوبة جنوبا، وكانت عاصمته بوباسطة شرقي الدلتا[4]، وحررت بذلك ممالك الشام من الخطر اليهودي، وعادت هذه الأقاليم تقدم الضريبة لمصر كما كانت في السابق.

- تحسين اقتصاد الدولة من خلال الأموال والغنائم التي جلبها من فلسطين، والتي تمثلت في الكنوز التي جمعها العبرانيون طيلة حروبهم وغزوهم للمناطق التي تعرضت لعدوانهم، فقد أحسن شيشنق الأول استخدام هذه الغنائم في مشروعاته العمرانية وكانت من أهمها قاعته العظيمة في الكرنك والبيلون الذي بناه أمام هذه القاعة وهو أعظم بيلون في مصر على الاطلاق[5]، وبهذا فعاد البناؤون والمهندسون إلى العمل، ودبّت الحياة من جديد في المحاجر بعد عصر طويل من الخمول، ففتحت أبواب العمل وقضي على البطالة و الركود الاقتصادي[6]، بالإضافة إلى انتعاش التجارة بين وادي النيل والشام التي تمثل جزءا مهما من اقتصاد الدولة، وتأمين التجارة البحرية، خاصة عبر البحر الأحمر الذي سيطر عليه العبرانيون لفترة من الزمن، من خلال أسطولهم الذي بنوه بمساعدة "حيرام" ملك صور، واتخذ من عصيون جابر

---

[1]- نقلا عن عارف غالب، المرجع السابق، ص 100-101؛ Breasted,A.R.E,vol IV, para 709-717,p p 348-354.

[2]- Breasted, a historu of Egypt, p 530.

[3]-أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 315؛عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق،ص181؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 361.

[4]- Breasted, op-cit, p 530-531؛ عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 181.

[5]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 291؛سليم حسن، مصر القديمة،ج9،ص133؛Breasted,a history of Egypt,p531؛ أحمد فخري، المرجع السابق، ص 315.

[6]- عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 180.

قاعدة له، كما أعاد الاستقرار للمناطق الشرقية، خاصة سيناء الغنية بمناجمها ومحاجرها وإعادة استغلالها[1].

وعليه فمن خلال الكتاب المقدس والنقوش والآثار التي خلفها شيشنق الأول، تمكنا من معرفة نوع العلاقات التي كانت سائدة آنذاك بين مصر وفلسطين في فترة حكم الملك الليبي شيشنق الأول.

اتبع أوسركون الأول بعد توليه الحكم سياسة أبيه شيشنق الأول سواء من حيث السياسة الداخلية أو الخارجية، بعدما ورث عنه مملكة موحدة مزدهرة، وفيما يتصل بالسياسة الخارجية فقد استمر في توثيق أواصر العلاقات الودية مع دول الجوار والحفاظ على نفوذ مصر هناك؛ فكما رأينا سالفا عادت مصر تفرض سيطرتها على فلسطين بعد نجاح حملة شيشنق الأول على مملكتي العبرانيين، واصل أوسركون الأول فرض سيادته عليها، إلا أنه بعدما تولى السلطة في مملكة يهوذا "آسا" ابن آبيا ابن رحبعام"، بدأ يتخذ سياسة عدائية تجاه مصر، ويحاول أن يتخلص من التبعية لها، فقام بإنشاء مدن محصنة بالأسوار والأبراج العالية، حيث جاء في الكتاب المقدس:" فقال لبني يهوذا: "لنبن هذه المدن ونحصنها بأسوار وأبراج وأبواب ومغاليق، مادامت الأرض أمامنا، فكما أننا التمسنا الرب إلهنا، كذلك التمسنا هو فأراحنا من كل جهة"[2]، ثم قام في خطوة تمثل تحديا للسيادة المصرية بتحطيم تماثيل الآلهة المصرية، كما بدأ بإعداد جيش كبير للانتقام من الذين هزموا جده. حيث جاء في الكتاب المقدس:" وكان لآسا جيش يحمل التروس والرماح، يبلغ عدده ثلاث مئة ألف من يهوذا ومئتين وثمانين ألفا من بنيامين، ممن يحملون التروس ويشدون القسي، كلهم أبطال بأس"[3].

رغم المبالغة التوراتية في الأرقام التي توردها، إلا أن حديثها يؤكد نيته للهجوم على مصر، أو على المناطق التابعة لها، وهو الأمر الذي أجبر فرعون مصر في تلك الفترة لإعداد جيوشه للقضاء على الخطر في مهده[4]، حيث تذكر التوراة:" فخرج عليهم زارح الكوشي بألف ألف من الجيش وثلاث مئة مركبة ووصل إلى مريشة، فخرج آسا عليه واصطفا للقتال في وادي صفاته عند مريشة، ودعا "آسا' الرب إلهه وقال: "لا فرق لديك أن تنصر الكثيرين أو من لا قوة لهم، فانصرنا أيها الرب إلهنا لأننا عليك نعتمد و باسمك أتينا، يا رب أنت الهنا، لا يقوى عليك بشر". فضرب الرب الكوشيين أمام آسا، فانهزم الكوشيون، وطاردهم آسا والشعب الذي معه إلى جرار، فسقط الكوشيون حتى لم يبق منهم حي، لأنهم انكسروا أمام الرب وأمام جيشه، فأخذوا غنيمة عظيمة جدا، وضربوا جميع المدن المحيطة بجرار، لأن رعب الرب حلّ على الجميع، ونهبوا جميع المدن، وقد كان فيها غنائم كثيرة، وضربوا أيضا حظائر الماشية، وأخذوا كثيرا من الغنم والإبل، ثم رجعوا إلى أورشليم"[5].

---

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 292.
[2]- سفر أخبار الأيام الثاني 14 /6.
[3]- سفر أخبار الأيام الثاني 14/7.
[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 292-293.
[5]- سفر أخبار الأيام الثاني 14/8-14.

استنتج الباحثون أن ما ذكر في التوراة بخصوص هذه الحملة، لابد أن يتعلق بأحد فراعنة الأسرة الثانية والعشرين، ورغم وصف التوراة للخصم بأنه زارح الكوشي، إلا أن ذلك يبدو مستحيلا، حيث أنه من غير المعقول أن يأتي جيش من كوش ويعبر مصر ثم يتجه نحو فلسطين، والرأي المقبول كما يراه البعض أنه "أوسركون الأول"–الذي كان في سن متقدمة في تلك الفترة– أرسل قائدا من أصل كوشي لقيادة حملة إلى فلسطين لتأديب العصاة، ومحاكاة للأعمال البطولية لوالده شيشنق الأول، ولجلب غنائم جديدة وتدمير البنية العسكرية للملك آسا، ومما يدل على ذلك أن تركيبة الجيش كما توردها التوراة تتطابق مع جيش شيشنق الأول الذي غزا المملكة العبرانية قبل ذلك، حيث تقول أن الجيش كان مكونا من الكوشيين و الليبيين:"ألم يكن الكوشيون واللوبيون جيشا كثيرا بمركبات وخيل كثيرة جدا؟ فيما أنك اعتمدت على الرب أسلمهم إلى يدك.."[1].

إلا أنه فيه من المؤرخين وعلماء المصريات من يعتقد أن الملك "أوسركون الثاني" هو الذي أرسل أحد قادته الكوشيين لقيادة الحملة على فلسطين وأن الملك "آسا" كان معاصرا للملك "أوسركون الثاني"[2]، كما ظن بعض المؤرخين أن "أوسركون الثاني" و "زراح" هما شخص واحد[3]؛ ولكن الاسمين ليس بينهما وجه شبه قط، ومع ذلك يقول سليم حسن[4] من الممكن أن المؤرخ الذي كتب هذا الحادث قد خلط اسم الفرعون باسم الكوشي.

لكن على الرغم من ذلك، فهذه الآراء مشكوك في صحتها، حيث أن المؤرخين وعلماء المصريات اتفقوا على أن الحملة حدثت سنة 897 ق.م أي في العام الثامن والعشرين من حكم "أوسركون الأول" المقابل للعام الرابع عشر من حكم الملك "آسا"، إذ يرى جريمال[5] أن أوسركون الأول أرسل "زارح" على رأس هذه الحملة، ويعتبر تاريخها نهاية للسياسة الخارجية التي رسمتها مصر لنفسها والتي لن تعود إليها إلا في عهد "أوسركون الثاني".

فالملك "أوسركون الأول" هو الذي عاصر ملك يهوذا "آسا"– وكان رجلا مسنا حينها– وليس أوسركون الثاني، كما لم يرد ذكر ل "زارح" و لا لهذه الحملة في أي مصدر آخر يمكننا من المقارنة والتأكد من صحة ما جيء في التوراة، كما لا نغفل عن الأرقام المبالغ فيها التي أوردها مؤلفوا التوراة حول عدد الجند وفشل زارح في مهمته، وتمكن آسا ملك يهوذا من التغلب على جيش مصر، فلا يعقل أن ينهزم هذا العدد الهائل من الجنود أمام دويلة صغيرة مثل يهوذا وبثلاث مئة مركبة فقط.

---

[1]- سفر أخبار الأيام الثاني 8/16.

[2]- P.Montet, les constructions et le tombeau d'Osorkon II a Tanis,bulletin de la société française d'égyptologie,Paris,1947,p 22؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 230.

[3]- Edouard Naville, festival-hall of Osorkon II, in the great temple of Bubastis, London, 1892, p p 4-25.

[4]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 231.

[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 419.

لم يكن هناك أي نشاط خارجي يذكر بعد وفاة "أوسركون الأول" و ولي عهده ابنه "شيشنق الثاني"، وأخاه "تكلوت الأول" الذي تولى العرش بعد وفاة والده، ثم خلفه ابنه "أوسركون الثاني" بعد وفاته، مواجها وضعا داخليا مختلا وظروفا دولية متنامية الخطورة، خاصة بعد تولي آشور ناصربال الثاني عرش آشور، والذي أخذ يوسع حدود الامبراطورية دون كلل، حيث استولى على شمال بلاد النهرين وعلى الفرات الأوسط، ثم استمر في زحفه حتى وصل سوريا ونهر العاصي وساحل أمورو، وفي عام 858ق.م خلفه ابنه شالمنصر الثالث واستمر حكمه حتى عام 824 ق.م فهو معاصر لكل من أوسركون الثاني وتكلوت الثاني[1].

سار "أوسركون الثاني" على نهج من سبقوه فيما يتعلق بتوطيد العلاقة بدول الجوار، ففي فلسطين استغل المخاوف المشتركة من الآشوريين، وبدأ بإقامة علاقات دبلوماسية مع فلسطين مغيرا بذلك سياسة أسلافه القائمة على الحملات العسكرية، وقد عبر عن هذا التقارب بإرساله بعثة مصرية إلى "أحاب" ملك إسرائيل محملة بالهدايا، والتي عثر على احداها في السامرة، وهي عبارة عن آنية من المرمر عليها اسم الفرعون أوسركون الثاني، كما ترك آثارا كثيرة في "بيثوم" الواقعة على الطريق الذاهبة من مصر إلى فلسطين[2]، وهو نفس الأمر الذي نلاحظه مع معظم فراعنة مصر الذين كانت لهم حملات عسكرية في فلسطين.

خاض شالمنصر الثالث حروبا عديدة للاستيلاء على الممالك السورية، ولم تكن هذه الممالك قادرة على مقاومته منفردة، فشكلت حلفا يضم اثني عشر ملكا من ملوك وأمراء سوريا وفلسطين وفينيقيا والأعراب ومصر، بزعامة ملك دمشق "هدد عزر"، ومن بين هؤلاء المتحالفين معه "أحاب" ملك اسرائيل الذي قدم 200 مركبة و 10000 جندي، و"جنديبو العربي"[3]، الذي جاء على رأس 1000 راكب جمل، وملك حماة، واشتركت جبيل ب 500 جندي بالإضافة إلى قوة تمثل الفرعون أوسركون الثاني قوامها 1000 جندي، وقد اصطدم هذا الحلف مع الملك الآشوري عند موقعة "قرقر" على نهر العاصي سنة 853 ق.م[4].

خرج شالمنصر الثالث منتصرا من المعركة ولكن القوات المتحالفة نجحت في صدّ تقدمه وأوقفته، وبدأت مصر مرحلة جديدة في سياستها الخارجية قائمة على مساندة الممالك السورية والفلسطينية لتشكل منها السدّ الحصين الأخير الذي يحمي وادي النيل من أطماع آشور المتزايدة[5].

---

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 422-423؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 112.

[2]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9،ص 231؛عارف غالب،المرجع السابق،ص 112؛حسين عامر،المرجع السابق،ص 294.

[3]- ورد في أخبار هذه المعركة ذكر اسم العرب لأول مرة في أخبار ملوك العراق القديم، حيث كان من بين الأمراء المتحالفين "جنديبو العربي". عن: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ص 554-555.

[4]- جريمال،المرجع السابق،ص 423؛عارف غالب،المرجع السابق، ص 113؛بيومي مهران،المدن الفينيقية،ص 230.

[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 423.

وفيه من يرى استحالة قيام "أوسركون الثاني" بالمشاركة بألف جندي في هذه المعركة معيدا ذلك إلى ضعف داخلي، ولأن سيطرته على فلسطين لم تكن بالشكل المطلوب[1]،إلا أنه من المرجح أن النشاط الدبلوماسي مع أحاب المشار إليه سابقا، إلى جانب الخطر الجديد، يقتضي مثل هذه المشاركة وخاصة أنه تأكد أن "أحاب" ملك إسرائيل، قد حكم خلال الفترة بين (874–853 ق.م) أو (869–850) وكلا التاريخين يقعان في فترة حكم أوسركون الثاني، وبالتالي لابد من مشاركة الحليفين معا، لأنه لا يمكن أن يتجرأ أحاب على ارسال تلك القوة المذكورة وهو مهدد من مصر، إلا إذا كان هناك تحالف وتفاهم مسبق لصد العدو المشترك[2].

وفي عهد "تكلوت الثاني" بدأت تظهر بوادر التشتت، حيث ازدادت قوة الأمراء والإقطاعيين فأصبحت الدولة تعاني من الانقسامات من طرف أبنائها بمختلف مراتبهم، الملوك ،الكهنة، قادة الجيش، ومن سوء حظ الليبيين وهم في هذا الوضع الداخلي الحرج الذي تزامن مع بداية التوسع الآشوري في منطقة الشرق الأدنى فقد استمر الملك الآشوري شالمنصر الثالث في حملاته على المنطقة بهدف اخضاع فلسطين وسوريا وفينيقيا، حيث تمكن عام 842 ق.م من القضاء على الممالك الرئيسية التي كانت في الحلف السوري في معركة قرقر، وإن لم يحتل دمشق نفسها، واستطاع إرغام المدن الفينيقية خاصة صور وصيدا على دفع الجزية له[3]، ودفع "ياهو" الجزية للآشوريين منذ أن تربع على عرش اسرائيل عام 841 ق.م[4].

وأمام هذه التطورات، وجد "تكلوت الثاني" نفسه قانعا بالاشتراك مع جيرانه في دفع و تلاقي الهجمات الآشورية، بدفع الضريبة، فقد ذكر الملك الآشوري أنه تلقى الضريبة من أرض مصر، وكانت عبارة عن جمال وفرس النهر وظبي وأفيال وقرود؛ وهذا راجع للاضطرابات الداخلية الشديدة التي اتخذت شكل الثورة في العام الخامس عشر من حكم "تكلوت الثاني"، واستمرت حتى العام الرابع والعشرين وشملت البلاد شمالا وجنوبا، والتي ربما كانت من بين أهم أسباب ارسال الفرعون الجزية إلى البلاط الآشوري، هذا فضلا عن أن الموقف الداخلي المتدهور قد عاصرته حملة آشورية على فلسطين وسوريا سنة 842 ق.م، وتبعتها حملة أخرى سنة 839 ق.م[5]، خاصة وأن الحلفاء الذين سبق لمصر أن جعلتهم حاجزا يحول بينها وبين الآشوريين قد سارعوا إلى استرضاء شالمنصر الثالث بدلا من مقاومته.

إلا أن نيقولا جريمال يرى أن آشور ادعت أن مصر قدمت لها قروض الولاء، وفي الحقيقة أن شالمنصر الثالث فشل في ترجمة ما أحرزه من تقدم إلى واقع ملموس، حيث في قرب نهاية عهده تفجرت الاضطرابات والقلاقل لتتحول إلى حرب أهلية حقيقية، مما اضطر آشور إلى رفع يدها عن مناطق

---

[1]- للمزيد من التفاصيل أنظر: E.A.Walis.Budge,a history of Egypt from the end of the neolithic period to the death of Cleopatra VII.B.C.30,vol VI :Egypt under the priest-kings and Tanites and Nubians, London,1902, p 86-87.

[2]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 115.

[3]- محمد بيومي مهران، مصر و الشرق الأدنى القديم-تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص 376-377؛ A.Lods,Israel from its beginnings to the middle of the eighth century,London,1962,p 377.

[4]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 423.

[5]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 115-116.

فلسطين وسوريا والابتعاد عنها زهاء قرن من الزمن[1]. وهذا ما تؤكده فترة حكم "شيشنق الثالث" خليفة "تكلوت الثاني"، وابنه "بامي"، التي كانت خالية من أي تهديد آشوري على فلسطين وسوريا، وهذا راجع للاضطرابات الداخلية والخارجية التي تعرضت لها آشور في هذه الفترة.

أما في عهد "أوسركون الرابع"، فقد ناب هذا الأخير عن مصر في الأحداث الخطيرة التي بدأ التحضير لها في سوريا وفلسطين، فكان من نصيبه أن يضطلع بهذه المهمة الشاقة؛ كانت آشور قد تخلصت منذ فترة طويلة من الصراعات الداخلية المريرة عندما قام "تجلات بلازر الثالث" بانتزاع السلطة من يدي آشور نيراري الخامس عام 745 ق.م، واشتد التنافس بين آشور ومملكة "أورارتو" المجاورة ؛ ودخلت القوتان في سباق مع الزمن من أجل وضع اليد على شمال سوريا وضم الملك الآشوري شمال غرب سوريا وأخضع فينيقيا وحظر عليها إقامة أي علاقات تجارية مع فلسطين ومع مصر[2].

حيث بدأ "تجلات بلازر الثالث يتجه نحو بلاد الشام ، وأقام معسكره الرئيسي فيما بين عامي 743-741 ق.م في أرباد- وتقع في مكان تل أرفاد الحالية شمالي حلب- ومن هناك أرسل حملة إلى دمشق، ثم فرض الضريبة على المدن الفينيقية، وطبقا لما جاء في المسلة السوداء فقد خضع له كذلك "مناحيم" ملك اسرائيل، وطبقا لرواية التوراة فقد أحنى له رأسه، وخفض له جناح الذل وابتاع رضاه بالمال الذي فرضه على بني قومه من أصحاب الأملاك وقدمه للعاهل الآشوري على هيئة أوان من ذهب وفضة ورصاص[3].

على أن دمشق سرعان ما بدأت في إعلان الثورة في عام 739ق.م، بل وبدأت تقوم بدور قيادي وذلك عندما تكونت كتلة سياسية بزعامة "رصين" ملك دمشق، ومن ورائه كل تحالف الممالك الآرامية ضد الآشوريين، وسرعان ما انضم إلى "رصين" الفينيقيون والمدن الفلسطينية والدويلات العربية في شمال غرب بلاد العرب، فضلا عن دولتي آدوم واسرائيل، ولم يبق خارج الحلف سوى "آحاز" ملك يهوذا، ومن ثم فقد هوجمت "أورشليم" بقوات دمشق والسامرة بغية ازاحة "آحاز" عن عرشه وتتويج أحد الآراميين في مكانه، ليضم يهوذا إلى الحلف القائم ضد ملك آشور[4].

قرر "آحاز" أن يستدعي قوات آشور لحمايته، كما أرسل الهدايا من خزائن المعبد والقصر لتجلات بلازر، سائلا إياه أن ينقذه من ملكي دمشق والسامرة، على شريطة أن يكون له عبدا وابنا؛ أنقذ التدخل السريع "آحاز" من موقفه الصعب قبل أن تسقط أورشليم في أيدي المهاجمين من الاسرائيليين والآراميين، وإن كان "تجلات بلازر" بالتأكيد ما كان في حاجة إلى توسلات "آحاز" ملك يهوذا، ليقوم بحملته ضد

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 423.
[2]- نيقولا جريمال، المرجع نفسه، ص 442.
[3]- بيومي مهران، بنو اسرائيل، ج2، ص 836؛ سفر الملوك الثاني، 15/17-22؛ بيومي مهران، تاريخ العراق،ص383.
[4]- سفر الملوك الثاني،16/5؛ سفر أشعيا 7/1-3؛ بيومي مهران، المرجع السابق، ص 384.

فلسطين وسوريا، فقد كان هدفه في هذه الفترة الإخضاع التام لفلسطين وسوريا، ومنذ عام 738 ق.م أصبحت حماة من أملاكه، وكان يرنو بناظريه نحو "دمشق" بادئ ذي بدء ثم اسرائيل فيما بعد[1].

وفي عام 733 ق.م، تقابل الملك الآشوري مع ملك دمشق، فهرب "رصين" إلى عاصمته دمشق، ومن ثم فقد قام "تجلات بلازر الثالث" بمحاصرة العاصمة الآرامية دمشق واتلاف ما حولها من حدائق ومدن، هذا فضلا عن الإغارة على حلفاء الآراميين و الانتصار عليهم، مما جعل دمشق تصبح في عزلة تامة؛ وتشير حوليات العاهل الآشوري أنه قد استولى على كل مدن اسرائيل ما عدا السامرة، فقد ترك لملك اسرائيل "فقح" جبل افراييم والمدينة الملكية السامرة، أما بقية المناطق الاسرائيلية فقد أدمجت في نسق الولايات الآشورية[2]، و بالتالي فإن الممالك الصغيرة في فلسطين و سوريا، والتي كانت على مدى قرنين من الزمان قبل ذلك قادرة على حفظ كيانها دون تدخل من الخارج، وجدت الآن نفسها أمام آشور المتجددة الطامعة الطاغية.

خلع تجلات بلازر ملك اسرائيل "فقح" وأحل محله "هوشع" سنة 732 ق.م، وتذكر التوراة[3] أن "فقح" فقد عرشه وحياته في مؤامرة على رأسها "هوشع بن أيلة".

ومصادرنا عن هذه الأحداث وعن غيرها من الأحداث التي تقع في نصف القرن التالي مستقاة من التوراة، ومن الكتابات المسمارية، ولا تشير النصوص المصرية إلى آشور، وإن تعرضت في النهاية "طيبة" نفسها لتصبح فريسة مؤقتة لتلك القوة الآسيوية البعيدة، ومع ذلك فقد كان من الواضح بالنسبة إلى مصر أن الحكام الصغار في فلسطين كانوا يلتمسون عونها ومساعدتها ضد الغزاة الشماليين[4].

وما يوضح ذلك أنه قامت ثورة ضد آشور في كل الممالك الصغيرة في فلسطين، وفي شرق الأردن والتي تزعمها حكام عسقلان وغزة، ولكن "تجلات بلازر الثالث" تغلب على هذه الثورة وقتل أمير عسقلان، أما أمير غزة فقد نجا من القتل ويقول عنه الملك الآشوري: "أما هانو(حنانو) ملك غزة، فقد طار أمام جنودي و فر بعيدا إلى مصر". ولعل في اختيار "هانو" من مصر ملاذا له ما يوحي بتحريض وتشجيع مصري على الثورة و دعمها لها، لمحاولة صد الآشوريين عنها في هذه الظروف غير المستقرة[5].

أما في عهد الملك الآشوري "شلمنصر الخامس(727–722 ق.م) الذي خلف "تجلات بلازر الثالث" في الحكم، فقد تجدد تهديد الممالك الفلسطينية، وكان على "أوسركون الرابع" أن يواجه أول تحدي خطير للنشاط المصري في غرب آسيا، حيث تشير التوراة إلى أن "هوشع" ملك اسرائيل كان قد أرسل رسلا إلى

[1]- بيومي مهران، بنو اسرائيل، ج2، ص 838-839؛ سفر الملوك الثاني، 7/16-8.
[2]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 372؛ بيومي مهران، تاريخ العراق، ص 385.
[3]- سفر الملوك الثاني، 29/15-30.
[4]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 372-373.
[5]- عارف غالب، المرجع السابق، ص118؛آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 373.

"سو" ملك مصر طلب منه المساعدة ضد شلمنصر الخامس الذي هب لقمع ثورة بني اسرائيل ، ثم اتجه جنوبا لمحاصرة هوشع ملك اسرائيل الذي لم يقدم هدية إلى ملك آشور كما كان يفعل من قبل كل سنة[1].

حيث جاء في التوراة كما يلي:" وفي السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا، ملك هوشع بن إيلة في السامرة على اسرائيل تسع سنوات، وصنع الشر في عيني الرب ولكن لا كملوك اسرائيل الذين كانوا قبله. وصعد عليه شلمناسر ملك آشور، فكان هوشع عبدا له، وكان يؤدي إليه جزية، وعلم ملك آشور أن هوشع متآمر عليه، وقد أرسل رسلا إلى "سوا" ملك مصر؛ ولم يؤد الجزية إلى ملك آشور كما كان يفعل كل سنة، فقبض عليه ملك آشور وجعله مقيدا في السجن؛ وصعد ملك آشور على تلك الأرض كلها، وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنوات، وفي السنة التاسعة لهوشع استولى ملك آشور على السامرة، وجلا اسرائيل إلى آشور وأسكنهم في حلاح وعلى الخابور، نهر جوزان، وفي مدن ميديا، وكان ذلك لأن بني اسرائيل قد خطئوا إلى الرب الههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر، وعبدوا آلهة أخرى وساروا بحسب ممارسات الأمم التي طردها الرب من وجه بني اسرائيل[2].

من المعروف تاريخيا أنه ليس هناك ملك في هذه الفترة من تاريخ مصر يحمل اسم "سوا"، لذلك فقد دار خلاف كبير بين الباحثين حول تحديد اسم الفرعون المتطابق مع "سوا" المذكور في النص التوراتي، فمنهم من قارن هذا الـ"سوا" ب"سيبه" الذي تشير إليه حوليات العاهل الآشوري "سرجون الثاني"(722-705ق.م) بأنه خرج من "ربيحو"(وهي رفح المصرية على مقربة من حدود فلسطين) مع "هانو" ملك غزة، لكي يقوما بمعركة حاسمة، وكان "هانو" قد هرب في عهد "تجلات بلازر الثالث" أمام جيشه متجها إلى مصر، ثم يحدثنا "سرجون الثاني" عن "سيبه" بقوله أنه أصبح "كراع سرق منه قطيعه فهرب وحيدا واختفى، أما "هانو" فقد قبضت عليه وجيء به مقيدا إلى مدينة آشور؛ ثم دمرت ربيحو وحولتها إلى أنقاض وحرقتها". ويرى آلن جاردنر أنه ليس من الممكن أن يكون "سوا" أو "سيبه" من الناحيتين اللغوية والتاريخية الملك الاثيوبي "شبكو"، ومن ثم فهذه أسماء قواد في أغلب الأمر[3]؛ وذلك لأن الاسم "سوا" لا يمكن أن يكون "شبكو" نفسه لم يحكم مصر إلا في حوالي 715 ق.م، وأن طلب المساعدة إنما تم قبل ذلك بعقد من الزمان في حوالي عام 725ق.م[4].

في حين يرى هنري برستد أنه كان حاكما لولاية "موصرو" والتي تقع في شمال بلاد العرب، وتحمل اسما مشابها لاسم مصر[5].

---

[1]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 373؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 119.

[2]- سفر الملوك الثاني، 1/17-8.

[3]- آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 373. و كذلك أنظر: A.Leo Oppenheim,Babylonian and Assyrian,historical texts,ANET,1966,p 283.

[4]- بيومي مهران، بنو اسرائيل،ج2، ص 841.

[5]- Breasted, a history of Egypt, p 549.

بينما يرى "كيتشن" أن طلب "هوشع" ملك اسرائيل في عام 725ق.م، مساعدة "سوا" ملك مصر – طبقا لرواية سفر الملوك الثاني– انما تقع في عهد "أوسركون الرابع"(حوالي 730–715ق.م) ملك تانيس وبوباسطه من الأسرة الثانية والعشرين و"أيوبوت الثاني" ملك ليونتوبوليس من الأسرة الثالثة والعشرين، و"تف نخت" ملك سايس من الأسرة الرابعة والعشرين، وأن كل الأسس التاريخية والجغرافية والنصية والسياسية تجعل من "أوسركون الرابع" أفضل المرشحين لأن يكون "سوا"[1]. و ذلك للاعتبارات التالية:

يدل اسم "سوا" على أنه ليس هو "سيبه" و "تورتان مصر"(قائد جيش مصر)، الذي ذكرته حوليات سرجون الثاني ملك آشور في عام 720ق.م، فقائد الجيش ليس هو الفرعون، فضلا عن أن اسم هذا القائد انما يقرأ Ree وليس سيبه Sibie، فإن النص العبري لن يقرأ "وزير مصر" كما اقترح البعض.

يعارض "كيتشن"[2] كذلك في أن يكون "سوا" هو "أيوبوت الثاني"، وأما "تف نخت" فهناك من يقترحه على أساس أن فترة حكمه كملك حوالي (727/728–720 ق.م) تتناسب والحادث موضوع المناقشة.

كما أن هناك من يقترح أن يقرأ نص سفر الملوك الثاني[3]:" أن هوشع قد أرسل رسلا إلى سايس إلى ملك مصر"، ومعنى هذا أنه ترك الملك "تف نخت" دون أن يسميه، وأن "تف نخت" كان أقوى من كل من "أوسركون الرابع" و"أيوبوت الثاني"، ورغم ذلك فإن مملكة "تف نخت" تقع في غرب الدلتا، فضلا عن أنها ليست أكبر بكثير من المساحة التي كان يحكمها "أوسركون الرابع" كوريث للأسرة الثانية والعشرين.

بالإضافة إلى ذلك نجد من الناحية الجغرافية أن "سايس" بعيدة جدا بدرجة لا تسمح لـ"تف نخت" بتقديم العون لملك اسرائيل، بينما "أوسركون الرابع" بشرق الدلتا كان مجاورا بشكل مباشر لفلسطين لكي يقدم المساعدة لها. وكذلك أن قراءة "سوا" في النص التوراتي على أنها "سايس" تتطلب تنقيحا في النص لا مبرر له، بل ليست هناك حاجة إلى ذلك مطلقا، ذلك لأن "سوا" اسم شخص و"سايس" اسم مكان.

كما أن هناك تحالفا قائما منذ عهد "أوسركون الثاني" و "تكلوت الثاني" بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين والعبرانيين، ولم تكن مملكة "سايس" معروفة حتى تلك اللحظة في البلاط الاسرائيلي، قد دفع هوشع لطلب العون من "أوسركون الرابع"[4].

حكم "أوسركون الرابع" تانيس كفرعون كبير وبالتحديد عندما أدان الرسل العبرانيين مبعوثي حكامهم الذين يتعاملون مع مصر؛ ولا تسجل الحوليات العبرية أية مساعدة قدمها "أوسركون الرابع"، ربما ذلك يعود لاقتصاده الضعيف أو أنه تأخر بالمساهمة بجيش كما فعل أوسركون الثاني في قرقر؛ ونضيف إلى ذلك، أن انقسام البلاد بين ثلاثة ملوك تجعل من غير الممكن حشد الطاقات لمواجهة التهديد الخارجي أو

[1]- نقلا عن: بيومي مهران، بنو اسرائيل،ج3،ص 233.
[2]- للاستزادة أكثر أنظر: K.A.Kitchen, op-cit, p 373.
[3]- سفر الملوك الثاني، 17/ 4.
[4]- بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 233-235.

مد يد العون للحلفاء، خاصة وأن الاتجاه نحو الخارج يحتاج إلى تظافر الجهود وتماسك الجبهة الداخلية وإلا كانت النتائج عكسية[1].

لم يكن ليرضي مصر امتداد النفوذ الآشوري إلى حدودها الشرقية لذا أخذت تدبر الفتن وتثير القلاقل ضد الآشوريين في فلسطين، وقد ذكرت التوراة والحوليات الآشورية في عهد سرجون الثاني هذه المساعدة[2]، حيث قامت المدن الفلسطينية والسورية بحركات تمرد وتهديد للحدود الآشورية، فقد تم تشكيل حلف سوري–فلسطيني تزعمه حاكم حماة المدعو "ايلو–بعدي" والذي كان يتلقى الدعم والتأييد من مصر، إلا أن سرجون الثاني أرسل حملة ضخمة للتصدي لهذه الثورة، وأراد الاستيلاء على فلسطين وسوريا وفينيقيا[3] و بذلك لينتزع من الدولة المصرية أهم مصادر مواردها الاقتصادية واتصالاتها البرية والبحرية.

رأى "أوسركون الرابع" ضرورة الاستفادة من "هانو" ملك غزة الذي سبق له الفرار إلى مصر في عهد "تجلات بلازر الثالث" ولقى الحماية والترحيب منها، فكلّف قائده "سيبئة" بتمثيل الجانب المصري في جيش دفاعي يشترك فيه "هانو" وأنصاره، وبهذا الصدد يذكر النص الآشوري: أن الحليفين عسكرا خارج مدينة "رفح" لمواجهة جيشه، وأنه هزمهم وفر القائد "سيبئة"، وأسر "هانو" ملك غزة، وتلقى الجزية من فرعون ملك مصر. ويرى العديد من الباحثين[4] مبالغة آشورية في هذا النص الذي ربما يعود إلى أواخر العام الأول من حكم "سرجون الثاني"، بل من المرجح أن المعركة لم تحدث أصلا، وربما حدث بعض الاحتكاك أسفر عن انسحاب الجيش الآشوري، ولم يحصل أن انهزم الجيش المصري عند "رفح" من المرة الأولى، ولعل سبب هذا الانسحاب هو حدوث اضطراب معين في المناطق التي يسيطر عليها الآشوريون، وهو ما يشير إليه بوضوح نص من العام الثاني لحكم "سرجون الثاني" أي حوالي عام 719ق.م، حيث جاء فيه:" إنه في ثاني سنوات حكمه، حنثت بالقسم المدن التي أخضعها وشكلت حلفا بزعامة "إيلو بعدي" ملك حماة، وضم مدن أرباد ودمشق والسامرة وثاروا ضده وقدموا بجيش واسع إلى مدينة قرقر؛ ثم يشير إلى "هانو" ملك غزة الذي اتفق مع فرعون على التحالف، فكلف الفرعون قائده سيبئة لمساعدة "هانو"، وخرجا الحليفان معا للنزال، فأنزل بهم الهزيمة و فر "سيبئة" وحيدا واختفى كراعي سرق منه قطيعه، أما "هانو" فقد أسره شخصيا واصطحبه مقيدا إلى آشور، وقد دمر مدينة "رفح"، واقتلع أسوارها وأحرقها وأسر من سكانها 9033 مع ممتلكاتهم الوفيرة"[5].

يرى الباحث "عارف غالب"[6] أن هذا النص يعد على جانب كبير من الأهمية، فهو يكشف لنا حقائق كثيرة أهمها:

---

[1]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 120-121.
[2]- سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1949، ص 224.
[3]- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج1، ص 564-565.
[4]- أنظر:Budge,op-cit, p125 ;K.A.Kitchen,op cit ,p 375،عارف غالب،المرجع السابق،ص 122.
[5]- عارف غالب،المرجع نفسه،ص 123؛نيقولا جريمال، المرجع السابق،ص 444؛A.L.Oppenheim,op-cit,p 285
[6]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 123-124.

– استمرار التحالف بين أوسركون الرابع وبين هانو ملك غزة، وهو الذي وصل إلى مصر هاربا من قوات "تجلات بلازر الثالث"، ولقى من مصر الترحيب والحماية.

– محاولة "أوسركون الرابع" التحالف مع ممالك فلسطين وسوريا بتحريضها على الثورة من جانبها وقيام قوات مصرية بالتحرش من الجانب الآخر، بزعامة سيبئة ومعه حليفه هانو.

– يبين النص عدم حدوث مواجهة في العام الأول من حكم "سرجون الثاني" بين القوات الآشورية من جهة، والقوات المصرية وحليفها هانو من جهة أخرى، ويفسر سبب انسحاب الجيش الآشوري وهو القضاء على الثورات التي اندلعت في المناطق التي سبق له السيطرة عليها بما في ذلك السامرة، التي يبدو أن فصيلا من أهلها انضموا إلى الحلف، ومثلوا جيبا للمقاومة.

– عاد "سرجون الثاني" بعد تأمين خليفته واستعادة السيطرة على المناطق الثائرة، واشتبك بالفعل مع الطرف الآخر للحلف عند مدينة "رفح"، وكانت النتيجة هزيمة القوات المصرية وفرار القائد سيبئة إلى داخل بلاده، وبالتالي عجز القوات الآشورية عن مواصلة التوغل داخل الأراضي المصرية والاكتفاء بتدمير مدينة رفح وسبي عدد كبير من سكانها، أما هانو فكان مصيره الأسر، واصطحبه "سرجون الثاني" مكبلا إلى آشور.

– أثبت النص أن السياسة الخارجية لمصر، رغم انقساماتها الداخلية مازالت طموحة، وأنها لم تتخلى عن نظرتها لسوريا و فلسطين كعمق استراتيجي لمصر.

تدخلت آشور في فلسطين والأردن من جديد حوالي عام 716ق.م، واستطاعت الوصول إلى العريش في هذه المرة، بحيث لم يعد يفصلها عن حدود مصر الشرقية سوى "سيللا"، واختار "أوسركون الرابع" أن ينهج نهجا دبلوماسيا، فقدم إلى سرجون الثاني هدية تمثلت في "اثنا عشر جوادا من خيرة جياد مصر التي لا يوجد مثيل لها في أرجاء البلاد"[1].

لتعتبر هذه الآثار آخر بقايا ملوك الأسرة الثانية والعشرين في منطقة الشرق الأدنى وفي فلسطين بالتحديد، لتحل محلها الأسرة الثالثة والعشرين التي ستعرف علاقاتها بالمنطقة مسار آخر.

2)– في عهد الأسرة الثالثة و العشرين:

زادت مقومات الفوضى والاضطرابات إبان حكم ملوك الأسرة الثانية والعشرين الأواخر، خاصة أثناء حكم الملوك "شيشنق الثالث"، بامي، شيشنق الخامس" و "أوسركون الرابع"، حيث بدأ الانقسام يسود مصر أكثر فأكثر، خاصة في الدلتا، وهكذا تأسست أو قامت الأسرة الثالثة والعشرون قبل أن تنتهي الأسرة الثانية والعشرين، وعلى الرغم من أن هؤلاء الملوك لم يظهروا العداء لبعضهم بعض إلا أن هذه التجزئة للسلطة كانت ذات نتائج خطيرة بالنسبة لوحدة مصر السياسية التي وجدت نفسها في حالة من التمزق

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 444.

والانهيار، وكان من الصعب في مثل هذه الظروف تكوين جيش وطني قوي للدفاع عن البلاد وأيضا غدت عاجزة عن تنفيذ المشروعات الاقتصادية الهامة والضرورية لرخاء البلاد[1].

أسس "بادي باست" الأسرة الثالثة والعشرين، وبهذا انقسمت البلاد إلى قسمين جنوبا وشمالا، فهذه الاضطرابات الداخلية نتج عنها عجز اقتصادي بسبب انعدام السلطة المركزية، كما لم يكن للملوك الأوائل للأسرة الثالثة والعشرين دور كبير على الصعيد الخارجي، وربما هذا راجع إلى معاصرة الأسرتين لبعضهما البعض لفترة ما، حيث كان لملوك الأسرة الثانية والعشرين اليد الطولى في مصر وعلاقاتها الخارجية بدول الجوار حتى نهاية عهدها بآخر ملوكها "أوسركون الرابع".

ركز ملوك مصر جهودهم في هذه الفترة نحو الشرق، بعد تدخل الآشوريين في فلسطين وسوريا تحت قيادة "تجلات بلازر الثالث"، وشعروا بضرورة خوض الصراع ضد هذه الدولة المعتدية وأن يضعوا حدا لأطماعها[2].

فلقد بدأت آشور ترى –منذ عهد تجلات بلازر الثالث– أن امتلاكها لبلاد فلسطين وسوريا إنما هو الشرط الأساسي لنجاح امبراطوريتها، فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين من الآشوريين، بسبب ثروة فلسطين وسوريا من أخشاب نادرة في الشرق الأدنى القديم، وبسبب ثروتها المعدنية وساحلها الطويل على البحر المتوسط، وتجارتها الغنية فحسب، ولكنه كان كذلك– وفي نفس الوقت– المدخل إلى جنوب شرقي آسيا الصغرى من ناحية، ومصر من ناحية أخرى؛ ومن ثم فقد اتخذ "تجلات بلازر الثالث" الخطوات الجادة مباشرة لضم الأجزاء الأساسية من فلسطين وسوريا إلى الإمبراطورية الآشورية، وتثبيت سيادة آشور على فلسطين وسوريا[3].

ولذلك يرجح أن كل ملك عمل على تحسين وضعه الاقتصادي بإحياء الجانب التجاري مع دول الجوار خارج القطر، وهذا التوجه هو ما فعله "شيشنق الرابع" عندما تولى الحكم بعد الملك "أيوبوت الثاني"، الذي يبدو أنه أقام علاقات تجارية مع فلسطين، سواء كان ذلك ذا طبيعة رسمية منظمة أم أنه لا يتعدى النشاط الشخصي؛ وما يدل على ذلك أنه عثر لهذا الفرعون على جعارين تحمل اسمه في أماكن متفرقة من فلسطين، ففي "عطاروت" عثر على جعران من حجر الأستيت المزجج بلون أصفر عليه كتابة اسم الفرعون "شيشنق الرابع"، وفي "تل العجول" بالقرب من "غزة" عثر على جعران من حجر الأستيت المزجج باللون الرمادي عليه كتابة تعني "شيشنق الرابع"[4]، كذلك عثر على جعران آخر في نفس الموقع عليه كتابة اسم الملك نفسه؛ وفي "عين شمس" عثر على جعرانين يشيران إلى اسم "شيشنق الرابع".

---

[1]- رمضان عبده، تاريخ مصر، ج 2، ص 366.
[2]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 245.
[3]- بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، ص 383.
[4]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 129-130.

تدهورت الأوضاع الداخلية بمصر أكثر فأكثر حيث قامت أسرة جديدة تحكم ككيان ثالث وهي الأسرة الرابعة والعشرين، فلم يمكن ذلك ملوك الأسرة الثالثة والعشرين من أن يكون لهم دور خارجي كبير على الصعيدين السياسي والعسكري في علاقاتهم بفلسطين وبباقي دول الجوار، وهو ما اضطلع به ملوك الأسرة الثانية والعشرين.

3- في عهد الأسرة الرابعة و العشرين:

عرفنا فيما سبق كيف انقسمت البلاد على نفسها إلى كيانات كبيرة وصغيرة، وأصبحت في حالة من التفكك والانهيار، حيث أن الأمراء المحليين أسبغوا على أنفسهم ألقابا ملكية تعكس مقدار الفوضى التي حلت بالبلاد؛ فقد كان الوضع كالآتي: كان نمرود يحكم في "هرموبوليس" و "بن نف دي باست" في "هيراقليوبوليس"، و أوسركون من سلالة بادي باست في "بوباسته"، و أيوبوت في "ليونتوبوليس"[1]، وكان بعض منهم يحمل لقب أمير، وكان هناك أيضا أربعة حكام يحملون لقب رؤساء الما، أما في الغرب فكان حاكم سايس "تف نخت" يحمل لقب الرئيس العظيم للغرب، أما في بلاد النوبة العليا (كوش) فقد تكونت مملكة متحدة قوية.

تمكن "تف نخت" من السيطرة على النصف الغربي من الدلتا وأسس الأسرة الرابعة والعشرين، في حين حكم "بعنخى" من الأسرة الخامسة والعشرين في الجنوب في كوش، وظلت الأسرة الرابعة والعشرون تعاصر أسرة بعنخى الخامسة والعشرين لبعض الوقت. وقد قام صراع بينهما دون أن تنجح احداهما في لم شمل مصر كلها تحت رايتها، وان حاولت كل منهما أن تعمل باسم مصر من ناحيتهما. حيث يرى بعض الباحثين أن "تف نخت" على الرغم من متاعب أسرته الداخلية التفت إلى مساعدة فلسطين، وكان قد سعى إلى التحالف معها "هوشع" ملك السامرة عاصمة العبرانيين الشمالية، فقبلت تحالفه، وترتب على مساعدتها له أن صمدت عاصمته ثلاث سنوات أمام حصار الآشوريين لها خلال عهد الملك "شلمنصر الخامس"، وإن كانت هذه العاصمة ما لبثت حتى انهارت بعد أن تغيرت مقادير آشور بولاية ملكها "سرجون الثاني"، ففتحها في العام الأول من حكمه، وقضى على استقلالها و شرد آلافا من أهلها[2] – وهو ما لم نوافق عليه الباحثين وكنا فسرنا ذلك فيما سبق وبينا أن الملك الذي ساعد "هوشع" هو "أوسركون" بشهادة عدة مختصين وباحثين في الموضوع– وبالتالي فلم يكن بمقدور "تف نخت" القيام بدور كبير على الصعيد الخارجي وحماية فلسطين من الخطر الآشوري، بل انشغل أكثر بالأوضاع الداخلية المتردية وانقاذ البلاد من التفكك والانهيار لتحقيق الوحدة والاستقرار.

أعقب "تف نخت" ابنه "باك ان رنف" (بوخوريس) على ما امتد سلطانه إليه من الدلتا ومصر الوسطى، ومن سوء الحظ لم تكن فيه نصوص مصرية كافية تصور جهود "باك ان رنف" الداخلية، ولكن

[1]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 246.
[2]- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص 418؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 443.

الروايات الشعبية احتفظت له ولأبيه بذكريات طيبة، ربما لحرصهما على اجتذاب الأنصار وارضاء الناس في عهد احتدم التنافس فيه بينهما و بين أضرابهما من بقية الملوك الليبيين من ناحية، وبينهما و بين بعنخى من ناحية أخرى، ويفهم مما سجله المؤرخون الكلاسيكيون عن هذه الروايات أنها اعتبرتهما من أعدل الملوك[1].

أما على الصعيد الخارجي وعلاقاته مع فلسطين، فيرى بعض الباحثين[2] أنه قد أشعل ثورة في فلسطين ضد الآشوريين وأنه ساعد على هذا التمرد بواسطة ارسال قوة مصرية، ولكنها هزمت على الفور بواسطة الجيش الآشوري، كما يرى" دوماس" أن "باك ان رنف" قد أرسل إلى الملك "سرجون الثاني" ملك آشور الهدايا لأن آشور بدأت تهدد مصر بعد استيلائها على السامرة، ولكنه لم يستطع القيام بهجوم مضاد لأنه كان مهددا من القبائل الكوشية في الجنوب[3].

كان عام 716ق.م عاما انتقاليا في سياسة مصر الخارجية، فقد توفي بعنخى في هذه السنة واعتلى "شاباكا" عرش البلاد وقرر أن يباشر شخصيا شؤون الحكم في وادي النيل، فوصل إلى "منف" عام 715ق.م ووجد على عرشها "باك ان رنف"، فوجد أن الفرصة مواتية لكي يعلن نفسه ملكا ويوحد مصر ومملكة الجنوب في مملكة واحدة كبيرة، ويبدو أن "باك ان رنف" حاول التصدي لغزو "شاباكا" للدلتا ولكنه لقي حتفه[4].

أمن "شاباكا" سيطرته على الواحات والصحراء الغربية، وأقام حاكما في "سايس"، كما فرض هيمنته الكاملة على شؤون الشمال، أما على الصعيد الخارجي وفي فلسطين بالتحديد فقد استولى "امعني" على السلطة في مدينة "أشدود" الفلسطينية الواقعة شمالي "عسقلان" وثار على آشور، فأرسل "سرجون الثاني" قواته لاستعادة المدينة، ونجح "امعني" في الهروب ولجأ عند حلفائه المصريين، إذ تروي المصادر الآشورية أن فرعون مصر–التي أصبحت تابعة لكوش– قد سلم المتمرد مكبلا في السلاسل والأصفاد والأربطة الحديدية. ومن المؤكد يقول "جريمال"[5] أن الفرعون المقصود هو "شباكا" الذي كان يسعى إلى تجنب المجازفة بالدخول في مواجهة مع "سرجون الثاني"، وإن ظل غير راض عن سقوط آخر مدينة تشكل حاجزا بينهما، بل وربما توصل "شباكا" إلى ابرام اتفاق دبلوماسي مع آشور، ولربما عقد معها معاهدة.

ومما سبق يتبين أن العلاقات بين مصر و فلسطين في فترة حكم الملوك الليبيين عادت إلى ما كانت عليه في عصر الفراعنة العظماء في عهد الامبراطورية المصرية، حيث عادت تفرض سيطرتها على مدن

[1]- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ، ص 418-419.
[2]- أنظر: أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 323؛ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 418-419.
[3]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 251.
[4]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 444؛ رمضان عبده، تاريخ مصر، ج2، ص 383.
[5]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 444-445.

فلسطين وأصبحت هذه المدن تدفع الضريبة، خاصة في عهد الأسرة الثانية والعشرين، إلا أنه في عهد الأسرة الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين اكتفت مصر بمساندة المدن الفلسطينية وهذا بعد ظهور الخطر الآشوري، وتحريضها لمحاربة الآشوريين .

رابعا: علاقات الملوك الليبيين بالآشوريين:

شهدت العلاقات المصرية الآشورية خلال فترة العصر الآشوري الحديث(911 إلى 612 ق.م)بالنسبة إلى آشور، وفترة الانتقال الثالثة بالنسبة لمصر تطورا متباينا بسبب ما طرأ من تغيرات وأحداث سياسية لبلدان الشرق الأدنى القديم، وتمثل هذا في تغير الأحداث السياسية في تلك المرحلة.

أصبحت الدولة الآشورية في العصر الآشوري الحديث في مركز الصدارة بين دول وممالك الشرق الأدنى القديم، سواء من حيث الازدهار الحضاري والاقتصادي أو القوة العسكرية التي برز تأثيرها على الدور السياسي الذي لعبته في المنطقة بأسرها (أنظر الخريطة رقم 8)، وبسبب تغاير طبيعة الأحداث التاريخية وتطور الدولة الآشورية في هذا العصر، فقد دأب الباحثون على تقسيمه إلى دورين متميزين قامت في كل منهما امبراطورية كبرى، هما الامبراطورية الآشورية الأولى حوالي 911-744 ق.م، التي وضع أسسها "أدد نيراري الثاني" 911-891 ق.م وحكم فيها تسعة ملوك من أشهرهم : الملك "توكلتي ننورتا الثاني" حوالي 890-884 ق.م، والملك "آشور ناصر بال الثاني" 883-859 ق.م، والملك "شلمنصر الثالث" 858-824 ق.م، فقد تميز حكم هؤلاء الملوك بأمن الامبراطورية واستقرارها وحما وفرض سيادتها على كثير من منافذ الطرق التجارية كذلك ارسال العديد من الحملات إلى مملكة أورارتو.
بعد حكم هؤلاء الملوك بدأ التدهور والانحطاط السياسي نتيجة مجيء الملوك الضعفاء وارتقائهم العرش من هؤلاء الملوك "أدد نراري الثالث" 871-772 ق.م، و "آشور دان الثالث" 771-754 ق.م؛ وفي نهاية حكمه اندلعت ثورة عارمة اغتيل على اثره آشور دان الثالث ونصب بدلا منه "تجلات بليزر الثالث" 754-727 ق.م، الذي يعد عهده بداية عهد الامبراطورية الجديدة[1]، فيما شغلت الامبراطورية الآشورية الثانية البقية من التاريخ الآشوري أي من حوالي عام 744 إلى 612 ق.م، وأشهر من حكم فيها ملوك السلالة السرجونية؛ لقد هيأت الظروف الدولية الجديدة المحيطة بالدولة الآشورية في هذا العصر جوا مناسبا لها لتحتل المكانة المهيبة التي وصلت إليها مستغلة ضعف الدول والممالك المجاورة لها، فضلا

[1]- ذيار صديق رمضان، دور المعبود آشور في الحملات العسكرية الآشورية 911-612 ق.م، مجلة التربية و العلم، المجلد 18، العدد 4، العراق، 2011، ص 230-231.

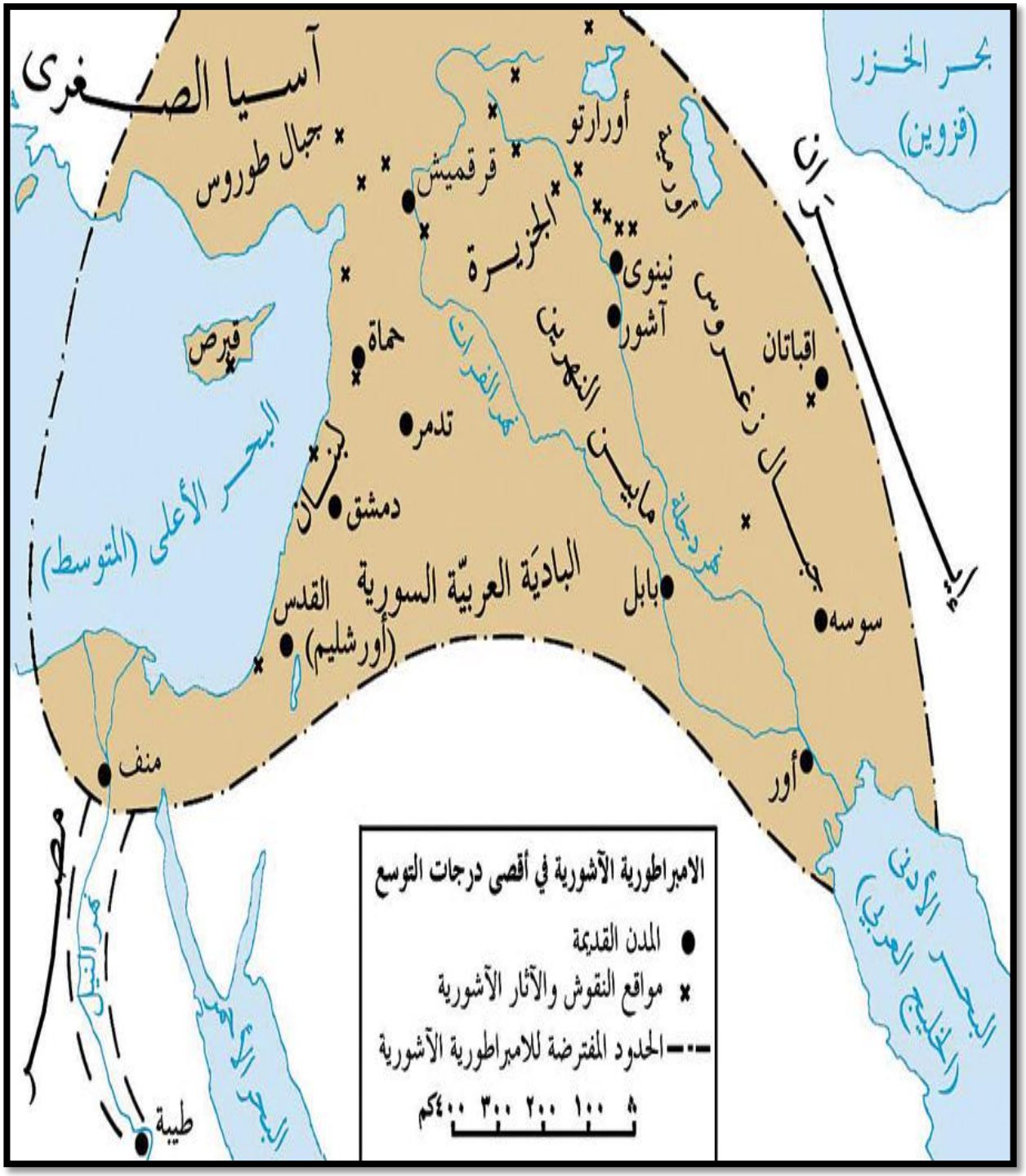

الخريطة رقم 8: خريطة الامبراطورية الآشورية في أقصى درجات التوسع

عن الموقع الالكتروني:www.lebarmy.gov.lb

عن العوامل الداخلية التي أثرت تأثيرا كبيرا في انبعاث قوة الدولة[1]، خاصة الملوك الآشوريين الذين كانوا على مستوى عال من المسؤولية إلى جانب المؤسسة العسكرية الآشورية التي كانت في قمة عصرها الذهبي[2]؛ ومع ذلك انتابت بلاد آشور فترات من الضعف والانتكاس السياسي كادت تقضي عليها لولا ثبات الملوك الآشوريين ووقوفهم بكل عزيمة وقوة بوجه التحديات التي واجهتهم.

كانت تربط دول الشرق الأدنى القديم علاقات سياسية متشابكة آنذاك، فالدولة الحثية والميتانية والمملكة المصرية في العصر الآشوري كانت تتقاسم السيطرة والنفوذ على البلدان ولا سيما سوريا التي كانت مسرحا للصراع السياسي وهدفا لتلك القوى، إلا أن موازين القوى تغيرت في العصر الآشوري الحديث نتيجة لانهيار تلك الممالك والدول مما فسح المجال أمام الدولة الآشورية لتأخذ دورها على المسرح السياسي[3]؛ لكن هذا لا يعني أن الدولة الآشورية انفردت في بداية عصرها الحديث بالقوة والزعامة، بل إن زوال القوى القديمة كانت نتيجة لظهور قوى أخرى جديدة أشد خطرا وأكثر تأثيرا ولا سيما على الدولة الآشورية؛ ففي الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية كانت تهديدات الأقوام أو القبائل الجبلية على أشدها وكانت تتحين الفرص للانقضاض على مدن الحضارة الآشورية كلما سنحت لها الفرص، مثل تهديدات "أورارتو" في أرمينيا، فضلا عن تمرد القبائل الميدية، أما المنطقة الجنوبية فقد شكلت هي الأخرى منفذا سهلا للتدخلات العيلامية وقيامها بتقديم المساعدات المادية والعسكرية لزعماء القبائل الآرمية الذين استقروا في جنوب العراق[4].

يقابل العصر الآشوري الحديث في مصر الفترة الانتقالية الثالثة من الأسرة الثانية والعشرين الليبية حتى الأسرة السادسة والعشرين، ومصر في هذه الفترة لم تعزل نفسها عن الأوضاع الدولية التي تمر بها دول الشرق الأدنى القديم، فلقد كانت تحرض الدويلات الآرامية للتخلص من الحكم الآشوري ولم تتوقف عند هذا الحد بل تعدته إلى ارسال الجيوش في بعض الأحيان لمساعدة هذه الدويلات في حربها ضد الآشوريين، وذلك لرغبة مصر في استعادة مصالحها التجارية في بلاد الشام، ويمكن القول أن القبائل الآرامية التي كانت تشكل تهديدا على أمن بلاد آشور وسلامتها قد قل خطرها بسبب تبلورها منذ مطلع الألف الأول ق.م في كيانات سياسية على شكل عدد من الدويلات والممالك الصغيرة التي انتشرت في بلاد سوريا و أعالي ما بين النهرين، والتي من أهمها في بلاد الشام هي مملكة دمشق التي تأسست في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد وأصبحت من القوة بحيث أنها تمكنت من فرض سيطرتها على الممالك الآرامية المجاورة لها، واتسعت حدودها وامتدت من جهة الشرق إلى الفرات وإلى اليرموك من جهة

[1]- هديب حياوي غزالة و رشا ثامر المهنا، مجد الدولة الآشورية في العصر الحديث 911-612 ق.م العوامل، الجهود الملكية، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد الحادي عشر، العدد 4، العراق، 2008، ص 179.

[2]- سعد عبود سمار و علي جبار عزيز، الجندي في المملكة الآشورية الحديثة 911-612 ق.م بين الضغط النفسي و الانتماء العرقي، مجلة كلية التربية واسط، العدد العاشر، العراق، 2011، ص 209.

[3]- هديب حياوي غزالة و رشا ثامر، المرجع السابق، ص 179.

[4]- دعاء محسن علي الصكر، العلاقات بين بلاد النهرين و مصر القديمة خلال مدة العصر الآشوري الحديث(911-612 ق.م)، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد 13، العدد 24، العراق، 2014، ص 117- 118.

الغرب على حساب الدولة العبرانية، كما أنها تاخمت أملاك الدولة الآشورية من جهة الشمال؛ إلا أن الآراميين لم يتمكنوا من تأسيس دولة سياسية موحدة ولعل السبب في ذلك يعود إلى قوة الآشوريين في عصرهم الحديث من الشرق وقوة المدن الفينيقية من الغرب، كما أن تلك الدويلات كانت في نزاع مستمر مع دولة يهوذا[1]. وبذلك أسهم انقسام الممالك الآرامية وحروبها المستمرة في فسح المجال أمام بلاد آشور في التوسع و السيطرة خاصة وأن المنافس الآخر لبلاد آشور "بلاد بابل" التي كانت تعاني من الأوضاع المضطربة، فضلا عن ذلك فإن الميديين والفرس في ايران كانوا في بداية تبلور قوتهم السياسية ويعدون منافسين غير خطيرين في هذه المرحلة على بلاد آشور ومصر.

1- في عهد الأسرة الثانية والعشرين :

أي مرحلة من العلاقات لم تبدأ إلا بعد أن مرت بمرحلة من التوقف بين دول الشرق الأدنى القديم ، استمرت من أواخر القرن الثالث عشر إلى أوساط القرن الثامن والسبب في ذلك أن بعض الدول زالت من الوجود مثل دولة الميتانيين والحيثيين والكيشيين أما مصر وبلاد النهرين فقد أصابها نوع من التفكك والانكماش، إذ لم يحصل اتصال بين الحضارتين إلا في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد حيث بدأت مرحلة جديدة من العلاقات منها الدبلوماسية ومنها التنافس السياسي ومنها الصراع المسلح، أما عن مسيرة العلاقات بين مصر والدولة الآشورية فقد بدأت عام 853 ق.م في معركة قرقر، فقد بدأت مصر تتدخل عسكريا وبصورة غير مباشرة، وذلك بمساعدة وتحريض الدويلات السورية والفلسطينية لكي تستمر في مناورتها للدولة الآشورية محاولة من مصر إبعاد شبح الحرب عنها ، ففي سنة 858 ق.م رأت الدويلات السورية في انتصار شلمنصر الثالث في شمال سوريا والدويلات الآرامية تهديدا لمصالحها فتحالفت لمنع زحف الملك الآشوري جنوبا، ومصر كانت تساند هذا الحلف[2]، حيث قدم الملك "أوسركون الثاني" قوة قوامها 1000 جندي، وهذا ما بينته حوليات الملك الآشوري "شلمنصر الثالث" حيث قدمت تفاصيل عن هذه المعركة ، كما جاء في النص التالي الذي عثر عليه في مدينة كلخو (النمرود) مسطورا على مسلة من المرمر عرفت بالمسلة السوداء ، والموجود حاليا في المتحف البريطاني كما يلي:"... خرجت من نينوى وعبرت نهر دجلة متقدما نحو مدن البليخ ،ثم عبرت الفرات إلى قرقميش وأخذت من حاكمها الجزية، واتجهت بعد ذلك إلى حلمان (حلب) وقدمت القرابين لإلهها "أدد" ، ومن حلب توجهت إلى مدن أرخوليني ملك حماة ثم تحركت إلى قرقر التي دمرتها وأحرقتها بالنار ..... وكنت قد واجهت فيها 120 عربة و 120 فارس و20000 جندي لحدود عزر ملك آرام (دمشق) و 700فارس و10000 جندي لاخوليني ملك حماة و 200 عربة و 10000 جندي لآحاب ملك اسرائيل و 500 من جبيل، و 1000 من مصر و 1000 جمل لجندبو العربي .....ولكن بالقوة الجبارة التي منحني إياها الإله آشور دحرتهم

[1]- هديب حياوي و رشا ثامر، المرجع السابق، ص 180.
[2]- دعاء محسن، المرجع السابق، ص 121؛ جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 50.

وقتلت من محاربيهم أربعة عشر ألفا نثرت جثثهم بعيدا وجعلت دمائهم تسيل في الوديان ومددت أجسادهم جسرا على نهر العاصي وغنمت معهم عرباتهم وخيالاتهم وخيولهم"[1] .

لقد شكلت معركة "قرقر" تحولا مهما في الصراع الآشوري ضد الممالك السورية ، فلأول مرة نرى تحالفا بهذا العدد يتّحد للتصدي للغازي الآشوري ، وعلى الرغم من المعلومات التي قدّمها شلمنصر الثالث عن خسائر تحالف الممالك السورية، والغنائم التي حصل عليها ، إلا أنه فيه من يرى[2] أنه لم يحقق انتصارا ولم يكن قادرا على هزيمة تحالف الممالك السورية، ودليل ذلك أنه أنهى تقريره دون ذكر أي شيء عن احتلالات جديدة للمدن ، ولم يتابع زحفه نحو الجنوب ، وبالتالي نصل لنتيجة مفادها أن تحالف الممالك السورية تمكن ولأول مرة من التصدي للتوغل الآشوري في العمق السوري.

إن مشاركة مصر في هذه المعركة قد لفت انتباه الآشوريين إلى الدور الذي تقوم به، وأنها تقف وراء تحالف دويلات سوريا وفلسطين مستخدمة إياها كحاجز يحول دون توغل الآشوريين داخل حدودها ، ومن ثم فقد عملت على أن تشارك في مقاومة الآشوريين بقواتها أحيانا أخرى[3] .

استمر الملك الأشوري "شلمنصر الثالث" في حملاته على سوريا لتحقيق السيطرة عليها، فقام بحملتين بعد معركة قرقر الأولى، وذلك في حوالي عامي 842 و 839 ق.م، الأمر الذي جعل "ياهو" ملك إسرائيل منذ أن تربع على عرش إسرائيل عام 841 أن يدفع الضريبة للآشوريين، وكذلك فعلت دول الساحل الفينيقي ولا سيما مملكتي صيدا وصور، كما حاول شلمنصر الثالث إخضاع مملكة دمشق مستغلا الظروف التي طرأت في سوريا ، أهمها إعلان ارخوليني حاكم حماة تبعيته لآشور، الأمر الذي أدى إلى انحلال التحالف السوري الذي وقف في وجه الغازي الآشوري، إلا أن دمشق[4].

أمام هذه التطورات وجد " تكلوت الثاني" نفسه قانعا بالاشتراك مع جيرانه في دفع وتلاقي الهجمات الآشورية بدفع الجزية، فقد ذكر الملك الآشوري أنه تلقى الجزية من أرض مصر، وكانت عبارة عن جمال ذات سنامين وفرس النهر، ووحيد القرن، وظبي، وأفيال وقرود، يضاف إلى ذلك الاضطرابات الداخلية الشديدة التي اتخذت شكل الثورة في العام الخامس عشر من حكم "تكلوت الثاني"، واستمرت حتى العام الرابع و العشرين وشملت البلاد شمالا وجنوبا، والتي ربما كانت من بين أهم أسباب إرسال الفرعون الجزية إلى البلاط الآشوري، هذا فضلا عن أن الموقف الداخلي المتدهور قد عاصرته حملة آشورية على سوريا سنة 842 ق.م، وتبعتها أخرى سنة 839 ق.م، خاصة وأن الحلفاء الذين سبق لمصر أن جعلتهم

[1]- طعمة وهيب خزعل، الحملات العسكرية الآشورية اتجاه المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء الحوليات الآشورية، مجلة سر من رأى، المجلد 9، العدد 34، السنة التاسعة، العراق، تموز 2013، ص 230.

[2]- عباس فرج، حملات الملك الآشوري شلمنصر الثالث 858-824 ق.م على سورية و محاولات السيطرة عليها، مجلة المعرفة، العدد 638، سوريا، تشرين الثاني 2016، ص 58؛ بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، ص 375.

[3]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 114.

[4]- عباس فرج، المرجع السابق، ص ص 59-61.

حاجزا يحول بينها و بين الآشوريين قد سارعوا إلى استرضاء شلمنصر الثالث بدلا من مقاومته[1]؛ إلا أن "نيقولا جريمال"[2] يعتبر تقديم مصر الضريبة وفروض الولاء لآشور مجرد ادّعاء من قبل الأشوريين.

سعى الملك الاشوري "شلمنصر الثالث" من وراء حملاته إلى سوريا تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، حيث تتجلى المكاسب السياسية في توسيع حدود الإمبراطورية الاشورية والوصول إلى البحر المتوسط ، بينما تتجلى المكاسب الاقتصادية في الحصول على الضريبة والغنائم من ذهب وفضة وقصدير وبرونز ونحاس وحديد وخراف من الممالك السورية، والأخشاب من جبال الأمانوس التي استخدمها في مشاريعه العمرانية، لكن طموحه اصطدم بمقاومة هذه الممالك وبتحريض ومساعدة مصر لهم ، هذا ما أدى إلى إفشال مشروع الملك شلمنصر الثالث في إخضاع سوريا بشكل كامل لإمبراطوريته[3]، وقرب نهاية عهده تفجرت الاضطرابات والقلاقل لتتحول إلى حرب أهلية حقيقية مما اضطر آشور إلى رفع يدها عن مناطق سوريا وفلسطين والابتعاد عنها زهاء قرن من الزمن.

بدأ التدهور والانحطاط السياسي يعم في بلاد آشور نتيجة مجيء ملوك ضعفاء بالإضافة إلى الصراعات الداخلية، ففي نهاية حكم الملك "آشور دان الثالث" و"آشور نيراري الخامس" اندلعت ثورة عارمة اغتيل الملك على إثرها ونصب بدلا منه "تجلات بليزر الثالث"[4] .

امتازت الفترة من 825 الى 750 ق.م بضعف القبضة الآشورية على غرب آسيا فضعف الدافع للغزو، ولذلك نجد أن فترة الحكم الطويلة لشيشناق الثالث خليفة تلكوت الثاني، والفترة القصيرة لبامي كانت خالية بالفعل من أي تهديد من غرب آسيا .

كان لمجيء الملك تجلات بليزر الثالث حوالي (745- 727 ق.م) على العرش الآشوري إيذانا بانتهاء فترة الاضطراب والتدهور التي عمت بلاد آشور عقب مقتل الملك الآشوري "آشور نيراري الخامس" (754- 745 ق.م) وبداية عهد جديد عرفت بالامبراطورية الآشورية الثانية (744-612 ق.م)، وكانت لرغبة مصر في الانتقام من الدولة الآشورية نتيجة تأمين الملك الآشوري تجلات بليزر أهم مصادر مواردها الاقتصادية واتصالاتها البرية والبحرية في سوريا وفلسطين، إذ تمكن تجلات بليزر الثالث من شن غارته على غرب آسيا فأخضع سوريا وفلسطين ووصل جنوده إلى حدود مصر[5] .

وقد شكلت مناطق غرب آسيا دوما عمقا استراتيجيا للأمن القومي المصري حيث تعرضت مصر لخطر غير مباشر في عهد هذا الملك، الذي رأى أن امتلاك آشور لسوريا وفلسطين هو الشرط الأساسي لنجاح إمبراطوريتها ، وذلك عائد ليس لأخشابها وثرواتها المعدنية وساحلها الطويل على البحر المتوسط وتجارتها الغنية فحسب، ولكن أهميتها تزداد لكونها المدخل إلى جنوب شرق آسيا الصغرى من ناحية ،

[1]- عارف غالب ، المرجع السابق، ص 115-116.
[2]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 423.
[3]- عباس فرج، المرجع السابق، ص 61؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 423.
[4]- ذيار صديق رمضان، المرجع السابق، ص 230-231؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج1، ص 556.
[5]- دعاء محسن علي، المرجع السابق، ص 123-124.

ومصر من ناحية أخرى، ولذلك حدّ في السيطرة على سوريا وفلسطين وتثبيت السيادة الآشورية عليهما، وتذكر التوراة أخبار حملات هذا الملك على إسرائيل وتدمير مدنها، وقد جاء في الحوليات الخاصة بهذا الملك ما يؤيد هذه الحملات التي جاءت نتيجة للثورات التي عمت سوريا القديمة في عهد هذا الملك، فقد ثارت صور وصيدا بعد أن حرمتا من منافذهما التجارية مع مصر، كما أقامت غزة وعسقلان تحالفا ضد فلسطين والأردن ولكن الآشوريين سحقوه عام 734ق.م[1]، وكانت مصر في كل مرة تحرض وتشجع وتدعم هذه الثورات لمحاولة صد الآشوريين عنها في هذه الظروف الغير مستقرة، وقع على كاهل "أوسكرون الرابع" آخر ممثلي الأسرة الثانية والعشرين، أن ينوب عن مصر في الأحداث الخطيرة التي بدأ التحضير لها في سوريا وفلسطين، فكان من نصيبه بعد أن فقد السيطرة على ربوع مصر منذ وقت بعيد أن يضطلع بهذه المهمة الشاقة ،إلا أن هذه المناطق سقطت في أيدي القوات الآشورية.

تمكن "تجلات بليزر" من اسقاط دمشق عام 732 ق.م، ومن ثم قام الآشوريين بغزو مملكة اسرائيل حيث سيطروا على كل أراضي الجليل وشرق الأردن، وثم سبي قبائل " نفتالي " وسكان مدن شرق الأردن إلى بلاد آشور، ولم يبق من مملكة اسرائيل سوى المنطقة الجبلية المحيطة بالعاصمة السامرة فقط، وهذا ما تبيّنه مسلة آشورية نقش عليها حملة الملك تجلات بليزر الثالث على بلاد آرام سوريا ومملكة اسرائيل جاء فيها: "قمت بضم جميع مدن بيت عمري في حملاتي السابقة، ولم أترك سوى مدينة السامرة.... وأخذت نفتالي بأسرها وضممتها إلى آشور، وعهدت إلى رجالي بأن يكونوا حكاما عليها، وجميع سكان أرض عمري وممتلكاتهم حملت إلى آشور"[2].

عيّن "تجلات بليزر الثالث" "هوشع" ملكا على السامرة بصفته تابعا له ، ولكن خضوعه كان ظاهريا فقط[3] ،كما قام بتعيين شيخ من قبيلة " ايديبعلو" كنائب له على الحدود المصرية، وأطلق عليه لقب "قيبو" أي والي، وضم إليه خمسة وعشرين موضعا من عسقلان، يشكل بداية حقيقية لاقتراب الخطر الآشوري من مصر، بل ويمهد لجولات من الصراع المباشر معها، بل إن اسناد مهمة إدارة جنوب فلسطين إلى قبيلة " ايديبعلو العربية، يعطي الآشوريين السيطرة على الطرق التجارية بين شبه الجزيرة العربية ومدن الساحل الفلسطيني، دون الحاجة على إقامة الحاميات الآشورية هناك[4] .

اعتلى حكم الإمبراطورية الآشورية بعد الملك تجلات بليزر الثالث ابنه "شلمنصر الخامس"(726-722ق.م)، وفي عهده كان ملك اسرائيل وملك صور يهددان التجارة الآشورية وطرقها، إذ بعد حصول بلاد آشور على احتياجاتها من المواد الأولية والبضائع المصنعة على هيأة جزية أو غنيمة نظرا لامتداد الامبراطورية الآشورية لمساحات واسعة من هذه الفترة وسيطرتها على المناطق المجاورة ، ولقد صورت

[1]- بيومي مهران، العراق القديم، ص 383؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 442-443.
[2]- فرست مرعي، الصراع الآشوري المصري على نابلس، مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس، خزانة فلسطين التاريخية، نابلس، 2012، ص 103؛ برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 279.
[3]- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج1،ص 562؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 443.
[4]- عارف غالب، المرجع السابق، ص 118-119؛ جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 51.

على المنحوتات الجدارية مشاهد تسلم الملوك الضريبة والهدايا من الشعوب الخاضعة لهم ، ومشاهد أخرى تمثل حملاتهم العسكرية التي تبين حصولهم على الغنائم لكن هذا لا ينفي وجود تجارة خارجية في تلك الفترة ، كما كانت دوافع تنظيم الحركات المناوئة أو المناهضة من قبل مصر ضد النفوذ الآشوري في كل من فلسطين وجنوبي سوريا عهد الملك الآشوري تجلات بليزر، وحتى الملوك الذين جاءوا بعده لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى[1]، فقد شكلت الحملات العسكرية التي قادها تجلات بليزر الثالث على صعيد الجهة الغربية في السيطرة على الساحل الفلسطيني وسيطرة الآشوريين على الطرق التجارية وتدخلهم بالطرق المصرية من خلال وضع قيود على تصدير الخشب إلى مصر من لبنان تهديدا للمصالح التجارية لمصر.

ومن أجل ذلك حرض المصريون التمردات ضد الآشوريين، ففي سنة 726 ق.م رفض هوشع ملك السامرة بمعية ملك صور دفع الجزية لآشور فهاجمها "شلمنصر الخامس"، واستولى على مدينة صور وأخضع الملك "هوشع" وأجبره على دفع الجزية ، ولكن الأمر لم ينته بل حصل هوشع بعد مدة وجيزة على وعد من مصر بالمساعدة مما شجعه على الامتناع مرة أخرى عن دفع الجزية[2]، لذا فقد جهز "شلمنصر الخامس" حملة كبيرة حاصر فيها السامرة ثلاثة أعوام انتهت بسقوطها.

وردت تفاصيل هذه الحملة في التوراة كما يلي"... وصعد عليه شلمناصر ملك آشور ، فكان هوشع عبدا له، وكان يؤدي إليه جزية. وعلم ملك آشور أن هوشع متآمر عليه ، وقد أرسل رسلا إلى "سوا" ملك مصر، ولم يؤد الجزية إلى ملك آشور حسب كل سنة، فقبض عليه ملك آشور وجعله مقيدا في السجن، وصعد ملك آشور على كل الأرض، وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنوات.."[3].

والمعروف تاريخيا أنه لا يوجد في المصادر المصرية فرعون في هذه الفترة يحمل اسم " سوا "، ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول اسم " السوا "[4]، والذي من المفروض حسب الحجج المقدمة أن الملك المقصود في نص التوراة هو الملك "أوسكرون الرابع" من الأسرة الثانية والعشرين.

انتقل الحكم في بلاد آشور إلى" سرجون الثاني "(شروكين الثاني) حوالي (721-705 ق.م)[5] الذي قامت في بداية عهده ثورات في أنحاء كثيرة من الإمبراطورية رغبة في الانفصال عنها، ولذلك اضطر للقيام بحملات متتالية لإعادة الوحدة إلى الامبراطورية.

---

[1]- دعاء محسن، المرجع السابق، ص 126-127.

[2]- حسين سيد نور جلال الأعرجي، سياسة تجفيف منابع التمرد لدى الدولة الآشورية في الألف الأول قبل الميلاد "عيلام و مصر أنموذجا"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد السابع عشر، أيلول 2014، ص 189؛ ذيار رمضان، المرجع السابق،ص 231؛فرست مرعي،المرجع السابق،ص 103.

[3]- سفر الملوك الثاني، 3/17-5.

[4]- تطرقنا لهذا الخلاف بين المؤرخين حول اسم السوا" في المبحث الخاص بعلاقات الملوك الليبيين بفلسطين في عهد الأسرة الثانية و العشرين.

[5]- أبو المحاسن عصفور، علاقات مصر بالشرق الادنى، ص 143.

فمنذ بداية حكمه قامت انتفاضة سببها مسألة وراثة العرش وما أن توصل على قمعها ،حتى ثارت بابل ضده بقيادة "مردوخ بلادان" شيخ قبيلة "بيت ياكين" الذي نصب نفسه ملكا عليها ورفضت دفع الجزية لآشور، كما تحالف مع العيلاميين لتقوية مركزه السياسي والعسكري ، للتخلص من النير الآشوري وأعلن استقلال بلاده عن آشور، وعليه وجه "سرجون الثاني" جيشه نحو الجنوب ، وفي معركة قرب " دور ايلو"(الدير حاليا)عام 720ق.م، انسحب الملك الآشوري مؤجلا الرد على البابليين واتجه نحو الغرب لمواجهة خطر التدخل المصري في الشؤون السورية الفلسطينية مما جعله يتخلى لفترة عن تنفيذ مشروعه الطموح في اخضاع بابل[1].

شكل المصريون في عهد الفرعون "أوسركون الرابع" حلفا معاديا للدولة الآشورية في سوريا بسبب إدراكها خطورة التوسع الآشوري وأثره على المصالح الاقتصادية لمصر، فشكلت حلفا بزعامة "إيلو بعدي" حاكم حماة، و ضم هذا الحلف كلا من مدن "ارفاد" و"دمشق " و"السامرة "،فمنذ بداية تأسيس الإمبراطورية الآشورية الثانية ازدادت التدخلات المصرية في مناطق النفوذ الآشوري الحيوي ولا سيما في بلاد الشام ، ففي عام 720ق.م حدث تمرد جديد في مدينة قرقر وجهز "سرجون الثاني" حملة عسكرية على اثرها باتجاه هذه المدينة وسلكت هذه الحملة الطريق نفسه الذي سلكته حملة شلمنصر الثالث عام 853 ق.م[2].

نجح "سرجون الثاني" في سحق ثورات المدن السورية على مرحلتين في عامي 720 و 716ق.م، حيث قضي على التحالف بزعامة ملك حماة في معركة قرقر الثانية عام 720 ق.م، كما قاد من جديد حملة نحو الغرب، بعدما أعاد الفرعون أوسركون الرابع " تحريض ودعم الثورات ضد الآشوريين وهذا يظهر من خلال الثورة التي قامت في الساحل الفينيقي، والتي قام بها حاكم غزة "هانو" بدعم من أوسركون الرابع ،حيث كلف قائده "سيبئة" بتمثيل الجانب المصري في جيش دفاعي يشترك فيه "هانو" –الذي فر إلى مصر في عهد تجلات بليزر الثالث ولقي الترحيب والحماية منها– وأنصاره ؛ وصل الجيش الآشوري بقيادة سرجون الثاني حتى غزة وسحق الجيش المصري بقرب مدينة رافيا(رفح) ثم أحرقها، ونقل سكانها وعاد إلى السامرة[3] وسحق ثورة مدن: أشدود، و مؤاب، وعيدم بزعامة ملك يهوذا حزقيا[4].

---

[1]- طعمة وهيب خزعل، المملكة الآشورية من عصر القوة إلى الانهيار 722-610 ق.م، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، العراق، 2015، ص 337.

[2]- حسين سيد الأعرجي، المرجع السابق، ص 192؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج1، ص 565.

[3]- وقع جدل بين المؤرخين حول اسقاط مدينة السامرة، إما في عهد الملك "شلمنصر الخامس" أو في عهد الملك "سرجون الثاني" الذي خلفه. يرى "بيومي مهران" أنه إذا كانت السامرة قد سقطت في ربيع أو حتى خريف عام 722 ق.م، فقد بقيت شهور قليلة من هذه السنة حتى وفاة "شلمنصر" في ديسمبر من تلك السنة، و أن ذلك ربما قد جعل الأمر سهلا بالنسبة إلى سرجون الثاني –في نقوش كتبت في فترة من عهده-من أن ينسب إلى نفسه-تيها و تفاخرا- الأمر الذي قام به في الواقع "شلمنصر الخامس"، و أن نفي سكان السامرة انما قد بدأ به بالكاد على أيام "شلمنصر الخامس"، غير أن الانجاز الفعلي لهذا النفي ربما كان من عمل "سرجون الثاني"، هذا فضلا عن أن "سرجون ربما كان قد شارك في احتلال السامرة مع شلمنصر الخامس قبل اعتلائه العرش، كما أن التوراة تذهب إلى أن شلمنصر قد حاصر السامرة، و أنهم قد "أخذوها"، فربما تشير صيغة الجمع هنا إلى اشتراك سرجون الثاني مع شلمنصر الخامس في نهاية الحصار، و لكنها من ناحية أخرى قد تشير إلى الجيش الآشوري في صيغة الجمع كذلك. أنظر: بيومي مهران، تاريخ العراق، ص 394-395.

[4]- طعمة خزعل، المرجع السابق، ص 338؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 122.

وفي حوالي عام 716 ق.م عاد سرجون الثاني لمهاجمة فلسطين مرة أخرى ثم اتجه نحو مصر، وقد أخضع العرب المحليين ووضع شيخا تابعا له في "لابان" لتنظيم الأمور في نحل مصر ومنحه لقب "ناسيكو"، وهذا اللقب ظهر في العصر الآشوري الحديث ليدل على حاكم البدو وأشباههم ، ولذلك سارع أوسركون الرابع الذي سماه النص "شلكاني" بتقديم هدية إلى الملك الآشوري، وهي عبارة عن اثنا عشر جوادا من خيرة جياد مصر التي لا يوجد مثيل لها في أرجاء البلاد[1]. وبذلك نهج أوسركون الرابع نهجا دبلوماسيا لاسترضاء الملك الآشوري ومحاولة منه صد التوسع الآشوري عن مصر.

احتل "سرجون الثاني" المدن السورية ووصل حتى الحدود المصرية وأجبر سلطتها على فتح الأبواب أمام التجارة الآشورية، كما ورد في نص "لسرجون الثاني" بأنه أنشأ نقطة تجارية في العريش:" وخلط الآشوريين والمصريون معا من أجل التبادل التجاري"[2].

ارتبطت مصر بعلاقات تجارية مع الآشوريين في هذه الفترة وهذا ما أكدته تسجيلات الملوك لأعمالهم العسكرية، إذ أنها لم تكن لغرض الحرب وإنما لاستكشاف أسواق أو مواطن مصادر المواد الخام الأولية، فيدعي "سرجون الثاني" أن فتح بلاد مصر المغلقة هو ليمزج شعبها مع شعب آشور سويّة لتقوم وتزدهر التجارة ، حيث كانت مصدر للذهب والعاج. إذ ذكر سرجون في أحد نصوصه بهذا الخصوص:" لقد فتحت ميناء مصر المسدود، وجمعت الآشوريين والمصريين سوية وجعلتهم يتاجرون فيما بينهم ". يتضح من هذا النص أن الهدف الآشوري كان تحرير التجارة الآشورية التي كانت مرتكزا أساسيا في اقتصاد الدولة، واستمرت هذه العلاقات إلى ان بدأت السيطرة العسكرية عليها في زمن الملك الآشوري "اسرحدون" و إبنه "آشور بانيبال"[3]. (أنظر الشكل رقم 6).

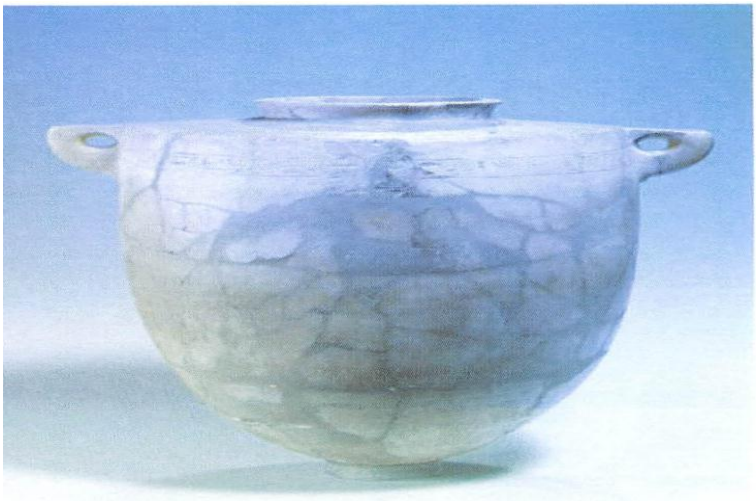

الشكل رقم 6: انية من الألباستر اكتشفت في آشور عليها خراطيش تكلوت الثالث و نقش مسماري
نقلا عن: جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 465.

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 444.
[2]- طعمة خزعل، المرجع السابق، ص 337؛ برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 280.
[3]- دعاء محسن الصكر، المرجع السابق، ص 127؛ جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 53.

2- في عهد الأسرة الثالثة و العشرين:

عرفنا فيما سبق أن الأوضاع الداخلية المتردية التي حلت بمصر، من خلال الثورات المتتالية وضعف سلطة الملوك وقويت شوكة حكام الأقاليم أدى إلى انقسام البلاد، وتأسيس "بادي باست" لأسرة جديدة هي الأسرة الثالثة والعشرين معاصرة للأسرة الثانية والعشرين؛ فتجزئة السلطة داخل القطر الواحد أدت إلى نتائج خطيرة بالنسبة لمصر التي وجدت نفسها في حالة من التمزق والانهيار، وكان من الصعب في مثل هذه الظروف تكوين جيش قوي للدفاع عن البلاد، وأيضا غدت عاجزة عن تنفيذ المشروعات الاقتصادية العامة الضرورية لرخاء البلاد[1].

أصبح الموقف العام غامضا للغاية، فمن ناحية كانت السلطة في الدلتا بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين ومؤسس الأسرة الثالثة والعشرين، ومن ناحية أخرى كانت هناك الأسرات التي اغتصبت السلطات المحلية في الأقاليم، وكان أغلب هؤلاء الحكام من أصل عسكري ليبي، وفي مصر الوسطى كان من المستحيل تحديد ما يخص كلا من ملوك الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، دون أن يؤدي ذلك إلى نوع من الصراع بينهما[2].

كان لتدهور الأوضاع الداخلية لمصر في هذه الفترة تداعياتها الواضحة على طبيعة العلاقات الخارجية المصرية مع دول الجوار، وما يدل على ذلك أن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين لم يقوموا بدور خارجي كبير سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو العسكري، واشتغلوا بالأمور الداخلية أكثر من الخارجية ولم يستطيعوا اثبات أنفسهم أمام ملوك الأسرة الثانية والعشرين الذين تحكموا في زمام الأمور، حيث رغم الضعف الذي تعرضت له مصر وانقساماتها الداخلية مازالت طموحة، وهذا ما تؤكده من خلال سياستها الخارجية اتجاه المناطق التي اعتبرتها دائما كعمق استراتيجي لمصر وهي فلسطين وسوريا وفينيقيا، فرغم الضغط والتوسع الكبير للإمبراطورية الآشورية إلا أن مصر استمرت في التدخل عن طريق إثارة الفتن وتحريض ودعم الثورات في تلك المناطق ضد الآشوريين.

3- في عهد الأسرة الرابعة و العشرين:

كما رأينا من قبل، زادت مقومات الفوضى والاضطرابات بعدما انقسمت مصر على نفسها، وتأسست الأسرة الثالثة والعشرون قبل أن تنتهي الأسرة الثانية والعشرين، ولم يتوقف هذا التفكك عند هذا الحد، فقد أسس "تف نخت" الأسرة الرابعة والعشرين في غرب الدلتا سايس، في حين حكم بعنخى من الأسرة الخامسة والعشرين في الجنوب في كوش.

حاول الملك "تف نخت" و"بعنخى" انقاذ البلاد من هذه الفوضى وتحقيق الوحدة والاستقرار، وبالتالي فكان اهتمام "تف نخت" بإصلاح الأوضاع الداخلية بالإضافة إلى اصطدامه ببعنخى الذي كان

[1]- رمضان عبده علي، تاريخ مصر، ج2، ص 366.
[2]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 244.

يريد هو الآخر السيطرة على مصر وانقاذها من هذه الحالة المتردية، وهكذا فلم يكن متاحا لتف نخت على ما يبدو القيام بدور على الصعيد الخارجي، وإن كان بعض الباحثين[1] قد جعله يضطلع بدور القوة التي تصدت للآشوريين خارج الحدود المصرية وداخلها.

كما أعطى بعض الباحثين[2] "لباك ان رنف" ابن "تف نخت" عند تولية السلطة دورا أكبر من دور أبيه في مواجهة الآشوريين، إذ بعد زوال المملكة الشمالية (اسرائيل) جعل من مملكة يهوذا على تماس مع الآشوريين وأكثر عرضة لنفوذهم العسكري من ذي قبل، ففي هذه المدة تنازعت إدارة سياسة هذه المملكة بين فريقين، الأول يميل إلى البقاء تحت السيادة الآشورية من أجل المحافظة على البلاد من الدمار الذي سوف يحل بها إن هي سارت بالمسار الذي سلكته مملكة السامرة، والثاني يتجه أصحابه إلى قيام علاقات طيبة مع مصر ورفض الخضوع للسيادة الآشورية، وعلى هذا الأساس فقد بدأ "حزقيا" عهده بموالاة آشور والخضوع لها، الأمر الذي ضمن له مدة من الهدوء النسبي، ولكنه اتخذ بعد ذلك منحنى سياسي مغاير، إذ أخذ يميل إلى الاستقلال وناصب آشور العداء.

ففي عام 711 ق.م حدث تمرد في فلسطين ومنطقة البحر المتوسط تمخض عنه تكوين حلف مناهض لآشور بقيادة "أياماتي" ملك "اشدود"، وقد انظم حزقيا بن أحاز ملك يهوذا إلى هذا الحلف وكان من دوافع تشكيل هذا الحلف التحريض الذي كان يتلقاه ملوك هذه المنطقة من فرعون مصر "باك ان رنف" (بوخوريس)، بالإضافة إلى تردي الأوضاع السياسية في الامبراطورية الآشورية نتيجة للتمردات في بابل خلال هذه المدة، عند ذاك أرسل "سرجون" حملته باتجاه فلسطين، استطاع من خلالها هزم أعضاء ذلك الحلف وإعادة تبعية الأرض والسكان إلى سلطة الامبراطورية الآشورية[3]، وعلى اثر ذلك فقد هدأت الأوضاع السياسية في فلسطين طوال فترة حكم هذا الملك.

---

[1]- أنظر : عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ، ص 418؛ نيقولا جريمال،المرجع السابق،ص 443؛عارف غالب،المرجع السابق، ص 135.

[2]- حسين الأعرجي، المرجع السابق، ص 191-192؛ فرست مرعي، المرجع السابق، ص 104.

[3]- حسين الأعرجي، المرجع السابق، ص 191.

الفصل الرابع

علاقات ملوك الأسر الليبية ببلاد كوش و ليبيا الوطن الأم

أولا : علاقات الملوك الليبيين ببلاد كوش حتى تأسيس الأسرة الخامسة و العشرين في مصر.

ثانيا: علاقات الملوك الليبيين بملوك الأسرة الخامسة و العشرين الكوشية .

ثالثا: علاقات الملوك الليبيين بليبيا الوطن الأم و قرطاجة.

أولا : علاقات الملوك الليبيين ببلاد كوش حتى تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين في مصر.

1- لمحة عن علاقات مصر ببلاد النوبة قبل وصول الليبيين للحكم:

النوبة هي تلك البلاد القديمة التي بقيت آلافا من السنين من أهم مناطق القارة الافريقية، والتاريخ سطر على أرضها صفحات من فصوله الحية مسجلا بذلك كثيرا من الأحداث التاريخية، كان لهذه الأحداث تأثيرها الحاسم والكبير على تطور الحضارة؛ فبلاد النوبة كانت من أهم مناطق الصراع الرئيسية في العالم القديم، حيث كان الصراع مستمرا بين الأجناس المختلفة، البيضاء منها والسوداء، للوصول إلى السيادة في شمال افريقيا؛ والمصريين القدماء الذين كانوا يمثلون أرقى الحضارات حينئذ كانوا يتوغلون جنوبا لاستغلال مناجم الذهب و للتجارة في العاج والأخشاب ومنتجات أخرى[1].

من الثوابت التاريخية أن العلاقات بين جزئي الوادي شماله وجنوبه، أو ما يعرف حاليا بالسودان ومصر، تتجاوز علاقات الجوار أو المصالح المشتركة المرتبطة بوادي النيل، بل هي علاقات[2] وثيقة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت المنطقتين (أمة واحدة) من حيث السلالة والحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية، وعندما قامت الدولة المصرية كان لابد أن تسعى لجعل النوبة جزء لا يتجزأ من كيانها السياسي، وأن تحافظ عليه بكل الوسائل الممكنة فهي بمثابة البعد الاستراتيجي لمصر من ناحية الجنوب من هنا كان من الضروري على مصر استكشاف المنطقة واتباع كل الوسائل السلمية والعسكرية لضمان توازن علاقتها بمصر ولتأمين حدود مصر الجنوبية.

نشأت تلك العلاقات الوطيدة بين مصر وبلاد النوبة ، فقامت الرحلات التجارية من مصر تجاه النوبة، التي مثلت حلقة الوصل مع وسط افريقيا و شعوبها المختلفة ، ولعل خير مثال على ذلك رحلات "حرخوف" في عصر الأسرة السادسة من الدولة القديمة (أنظر الخريطة رقم 9) و التي لم تكن للتجارة فقط، بل أيضا للتوفيق بين القبائل المتنازعة ولم يشملها تحت سلطة الدولة، كما مثلت بلاد النوبة مصدر نشاط اقتصادي مهم للدولة المصرية، و خاصة في مجال تعدين الذهب الذي كان حاجة ضرورية لفراعنة مصر، كما كانت بلاد النوبة الحد الفاصل بين ثقافتين وحضارتين أي انها حدا ثقافيا وحضاريا لوادي النيل الشمالي، مما جعلها ذات أهمية قصوى في تاريخ الدولة المصرية، و قد أشارت المصادر المصرية

[1]- وولتر امري ،المرجع السابق ، ص 9.

[2]- للتطلع أكثر حول هذه العلاقات أنظر: الصادق القسيم فرحنا و عبده عثمان عطا المنان،العلاقات الكوشية قبل حكم الأسرة الخامسة و العشرين و أثرها على الفن المصري القديم، مجلة العلوم الانسانية، المجلد 18،العدد 3، 2017،ص ص 273-281.

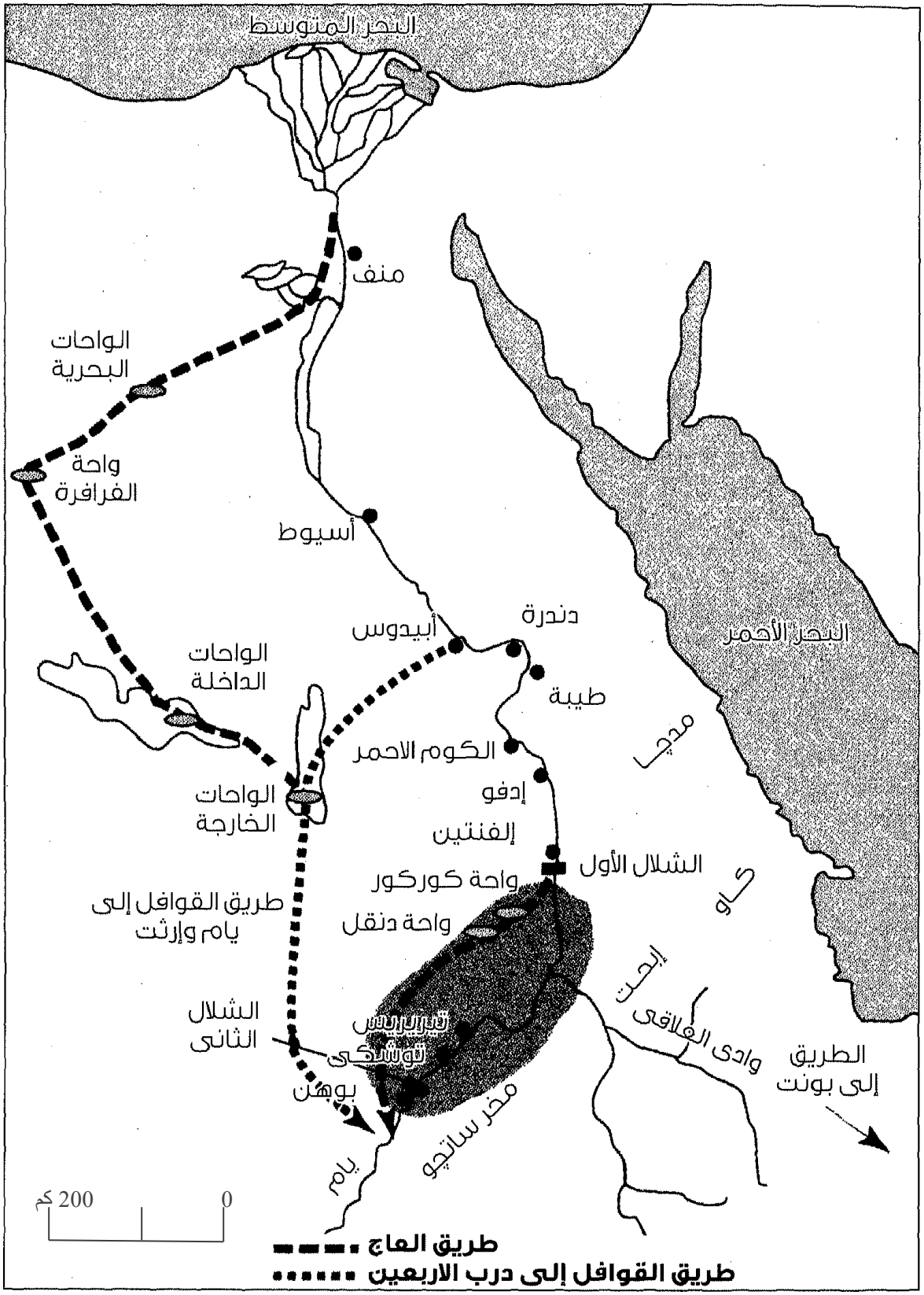

الخريطة رقم 9: النوبة في عهد الدولة القديمة

عن: كريستان نوبلكور، المرجع السابق، ص 15.

إلى العديد من قبائل النوبة مثل "أرثت و مجاي و واوات و بجا"[1]، والتي مثل بعضها جزء أساسي من جيوش مصر وشرطتها وحرس حدودها، ولقد تأثر تاريخ بلاد النوبة بأحداث التاريخ المصري صعودا ونزولا، فكانت تخضع للسلطة الحاكمة في أوقات قوتها وعنفوانها، وتثور عليها في أوقات ضعفها وتمزقها، شأنها في ذلك شأن الأقاليم الأخرى، ونظرا لبعدها عن مركز السلطة فقد تعددت ثوراتها بشكل ملفت للنظر، حتى أنه لا يكاد يخلو تاريخ ملك من ملوك مصر في جميع العصور التاريخية لمصر من –العصر العتيق إلى عهد الدولة الحديثة –(أنظر الشكل رقم 7) من ثورة في بلاد النوبة، وحملة عسكرية لهذا الملك أو ذاك لقمع هذه الثورة.

فالعلاقة بين مصر و بلاد النوبة وطيدة الصلة من خلال سلسلة إشارات مبكرة لهذه العلاقة ضاربة في القدم، وهي علاقة تبادل ونفوذ استخدم فيها المصريون الخط الاقتصادي الاجتماعي، وبمحاولاتهم المستمرة لإخضاع المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الجندل الأول، كان من نتائجها أن أصبحت بلاد النوبة أو على الأقل النوبة السفلى ضمن أقاليم مصر ومتممة لحدودها وتحت حمايتها.

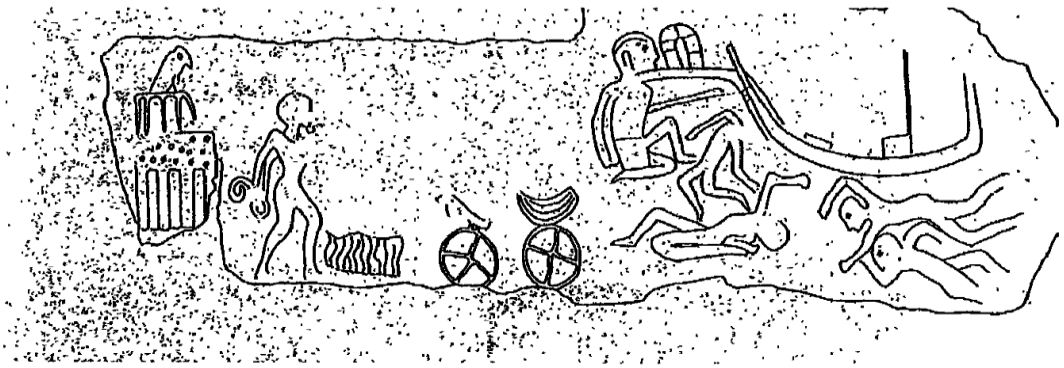

نقش للملك جر ببلاد النوبة

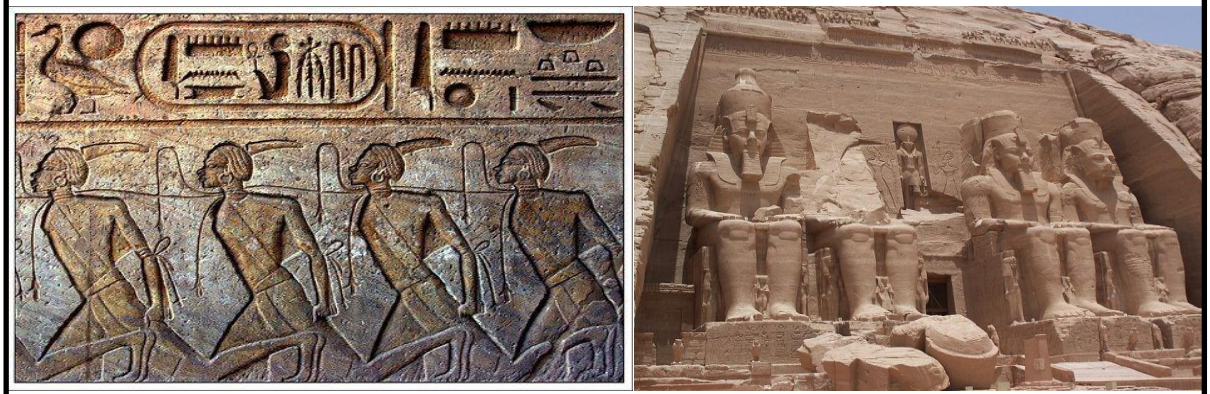

نقوش لمجموعة من الأسرى النوبيين بمعبد أبو سمبل الكبير الذي شيده رعمسيس الثاني ببلاد النوبة.

الشكل رقم 7: نقوش توضح السيطرة المصرية على بلاد النوبة من العصر العتيق إلى عهد الدولة الحديثة.
عن الموقع الالكتروني: godofmuseums.blogspot.com ؛ ar.wikipedia.org/ .

[1]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 295-296.للتطلع أكثر أنظر: سليم حسن، مصر القديمة،ج10،ص ص 1-451.

2: علاقات الملوك الليبيين ببلاد كوش:

كانت بلاد كوش[1] تابعة لمصر منذ عهد الدولة الوسطى، تموّن مصر بتبر الذهب وبضائع أخرى متنوعة، وذلك لغاية الأسرة العشرين، ثم انفصلت عنها اثر تمرد القائد "بانحسي" على الفرعون "رعمسيس الحادي عشر"، وبقيت "كوش" مستقلة عن مصر طيلة حكم الأسرة الحادية و العشرين، أي حوالي قرن ونصف قرن من الزمن، إلى أن جلس الفرعون "شيشنق الأول" على عرش مصر، الذي استعاد سيطرته عليها[2].

إن تولي "شيشنق الأول" عرش مصر يعد بداية عصر انعاش للروح الحربية والسياسية في تاريخ مصر الحربي والسياسي مما أعاد لها بعض مجدها السالف، وقد دلت الظواهر أن هذا الفرعون الجديد كان صاحب مطامح واسعة، فقد انتهز الفرصة لإعادة بعض ما كان لمصر من مجد وسلطان في بلاد النوبة.

يبدو أن الأمور كانت هادئة في بداية حكم الأسرة الثانية والعشرين، فلا نسمع عن أية حملات عسكرية موجهة ضد النوبة، والمعلوم أن الأسرة الليبية قد لجأت إلى فرض نفوذها على كهنة آمون بتعيين أبنائها على رأس الكهنة، وقد صار هؤلاء يمثلون سلطة نائب الملك في كوش، وهو منصب ممثل السلطة الفرعونية في إقليم النوبة (أنظر الخريطة رقم 10)، وقد ورد في نقوش "شيشنق الأول" ما يؤكد خضوع النوبة له حيث قال:" ولقد جعلت حدودك تصل إلى ما ترغب فيه، وجعلت أهل الجنوب يأتون طائعين لك وأهل الشمال يفدون لعظمة شهرتك"[3].

---

[1]- المقصود ببلاد أو مملكة كوش، هو ذلك الكيان السياسي و الحضاري الذي قام في الجزء الشمالي من السودان الحالية والحدود الجنوبية لمصر، في الفترة الممتدة من حوالي 850 ق.م إلى 350 م، و كتبت "كس و كاس و كاش"، لكن كما هو معروف أن استخدام الاسم "كوش" أقدم بكثير من هذا التاريخ إذ يرجع إلى عهد الدولة المصرية الوسطى عندما ظهر كمسمى لأحد الاقاليم السودانية في "لوح فلورنسا"، أما في وثائق الفترة التي تلتها التي تعرف بفترة الاضمحلال الثانية، فقد ارتبط الاسم كوش بمملكة كرمة 2500-1450 ق.م، إلا أن المؤرخين فضلوا عليه المسمى "كرمة"،و هكذا غلب الاسم الحديث "كرمة" على الاسم التاريخي "كوش". لم ينقطع اسم كوش من الوثائق التاريخية بعد سقوط مملكة كرمة في أيدي المصريين حوالي 1450 ق.م، بل استمر يرد في وثائق الدولة الحديثة حيث أطلقه المصريون على المنطقة الممتدة بين الشلالين الثالث و الخامس ما يعرف بالنوبة العليا، و ارتبط الاسم منذ ذلك الوقت بلقب الحاكم المصري المكلف بإدارة هذا الجزء من السودان القديم و هو نائب الملك في كوش، و بعد انهيار الدولة الحديثة، وجد لقب نائب الملك في كوش يحمله بعض وجهاء المصريين من أمرائهم على أيام الأسرتين الحادية و العشرين و الثانية و العشرين. و بعد ذلك التاريخ لم يظهر مسمى "كوش" في أي وثيقة مصرية حتى عهد الملك النبتي "أسبلتا" حوالي (593-568 ق.م)، وهو معاصر لملوك الأسرة السادسة و العشرين، كما ذكرت كوش في وثائق من خارج وادي النيل مثل: ورود اسم كوش مرتين في الكتاب المقدس (التوراة) مرتبطا باسم الملك "طهارقا"، كذلك وثائق آشورية من عهد الملك الاشوري (اسارحدون" أشارت إلى طهرقا ملك كوش. كما ظهر في الوثائق النبتية والمروية إذ احتفظ ملوك نبتة و مروي بالاسم كوش حتى الأيام الأخيرة من عمر مملكتهم.فأصبحت بلاد كوش تشمل النوبة العليا والسفلى معا.عن: الصادق القسم فرحنا حمدت الله الفضيل، السمات الكوشية في النحت الفرعوني لفترة حكم الأسرة الخامسة و العشرين، أطروحة دكتوراه في الفنون (النحت)، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا-كلية الدراسات العليا، 2016، ص 9-10.

[2]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 234.

[3]- breasted,ARE,vol IV,para 722, p 357 ؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 128؛ حسين عامر، المرجع السابق، ص296.

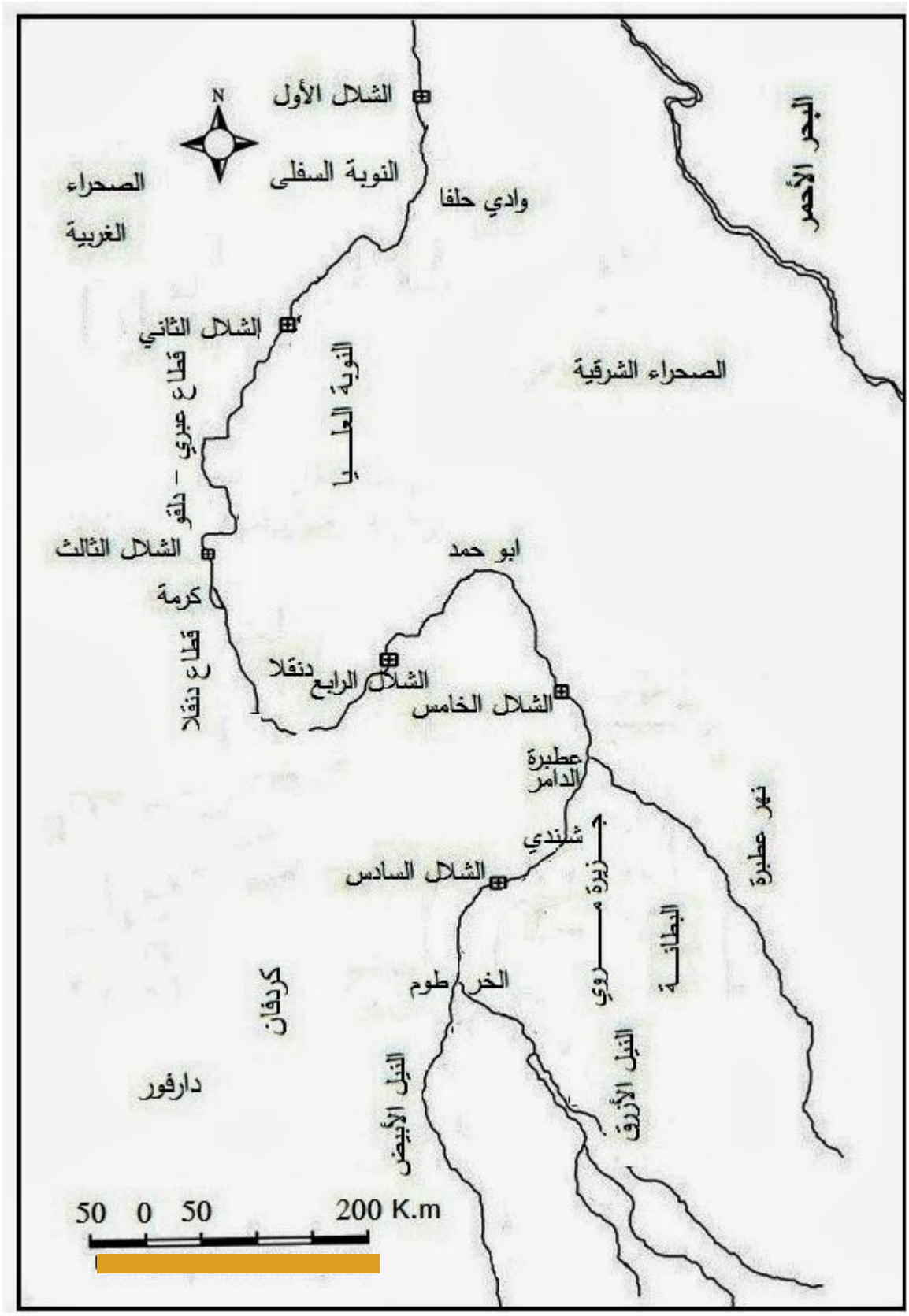

الخريطة رقم 10 : خريطة بلاد النوبة

عن الموقع الالكتروني: ahmed.kabushia sudanese archaeological .blogspot.com

تبيّن نقوش على جدران معبد الكرنك، شيشنق الأول يقدم ضريبة وخيرات بلاد النوبة للإله آمون، لأن المنظر يصوّر "شيشنق" يخاطب آمون ويضع أمامه ضريبة سوريا وبلاد النوبة[1].

كما ورد أن رئيس كهنة آمون في النصف الأخير لحكم "تكلوت الثاني" وهب إلى آمون ذهب النوبة، فيرجح ذلك أن إقليم الشلالات بالنوبة، استمر تحت النفوذ المصري حتى منتصف حكم الأسرة الثانية والعشرين، ولبعد النوبة عن مصر اتخذت منفى للعصاة، فقد قام "تكلوت الثاني بنفي ثوار طيبة إلى النوبة ثم عفا عنهم بناء على طلب آمون[2].

إن الحدث الأساسي في عهد الحكم الليبي، يتمثل في قيام أسرة حاكمة وطنية في بلاد النوبة، والتي عرفت باسم مملكة نباتا (بلاد كوش عاصمتها نباتا)[3] ، وهي المملكة التي استطاعت أن تسقط الحكم الليبي وتسيطر على مصر (أنظر الخريطة رقم 11) .

I- قيام مملكة نباتا و أصل ملوكها:

أ-مملكة نباتا[4]:

بعد نهاية الأسرة العشرين اختفى اسم "كوش" من النقوش المصرية ولم يعد لها أي ذكر، مما يدل على أن المصريين لم يكن لهم نفوذ على البلاد الواقعة جنوب الشلال الثاني؛ ويبدو أنه بنهاية الأسرة الثانية والعشرين أصبحت كوش دولة مستقلة فعليا عن مصر، ولكن نسبة لقلة النقوش المعاصرة لهذه الفترة فإن قيام مملكة نباتا قد أحاط به شيء من الغموض ، إذ لا يعرف إلا القليل عن الفترة ما بين نهاية المملكة المصرية الحديثة وبداية الأسرة الخامسة والعشرين[5]، هذا وقد اتفق كثير من المؤرخين على حقيقة ظهور مملكة متطورة في بلاد النوبة في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وإنها اتخذت من نباتا عاصمة لها.

---

[1]- سليم حسن، مصر القديمة، ج9،ص 128؛Breasted,ARE,vol IV,paras 719-723, p p 355-358.

[2]- breasted, a history of Egypt , p p 537-338.

[3]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 296.

[4]- نباتا أو نبتة: هو اسم قديم يرجع أقدم ذكر له إلى فترة الدولة الوسطى حيث ظهر في نقش أو مسلة تسمى نقش نوري، وهذا النقش يتحدث عن أصل الذهب الموجود بمعبد الأقصر وعن المناجم التي استخرج منها وذكر عدد من المناطق من بينها نبتة، لكن بعض المصادر المتأخرة حددت موقع نبتة في سفح جبل البرقل؛ صارت نبتة مهمة في فترة الدولة الحديثة عندما أصبحت المركز الرئيسي لعبادة الإله آمون، و قد ظهر اسم نبتة بوضوح في نقش الفرعون "أمنحوتب الثاني"، الذي وضح أن نبتة مدينة تقع عند سفح جبل البرقل، وبهذا يمكن أن تساوي اليوم بمدينة كريمة، ظلت نبتة منتعشة حتى خروج المصريين من بلاد النوبة في نهاية الدولة الحديثة، وبعد ذلك أصبحت مثل المدن الأخرى لا يعرف عن تاريخها شيء، ارتفع شأنها مرة أخرى في عهد الملك "بيي" الذي قام بعمل اضافات و توسيعات في معبد آمون القديم ، و بعد ذلك أصبحت مدينة نبتة عاصمة ملوك كوش ظلت لفترة مائتي عام، و في هذه الفترة بدأ الملوك يقيمون في عواصم متعددة من بينها نبتة، الكوة، تمبس، ارقو،و مروي.حتى بعد أن فقدت نبتة أهميتها السياسية كعاصمة للدولة استمرت تحتفظ بمكانتها الدينية. أنظر: الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 19؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص 413.

[5]- نعمات عمر عبد الجبار، مظاهر التمصير عند ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، مجلة آداب، العدد 30، السودان،2013، ص 276.

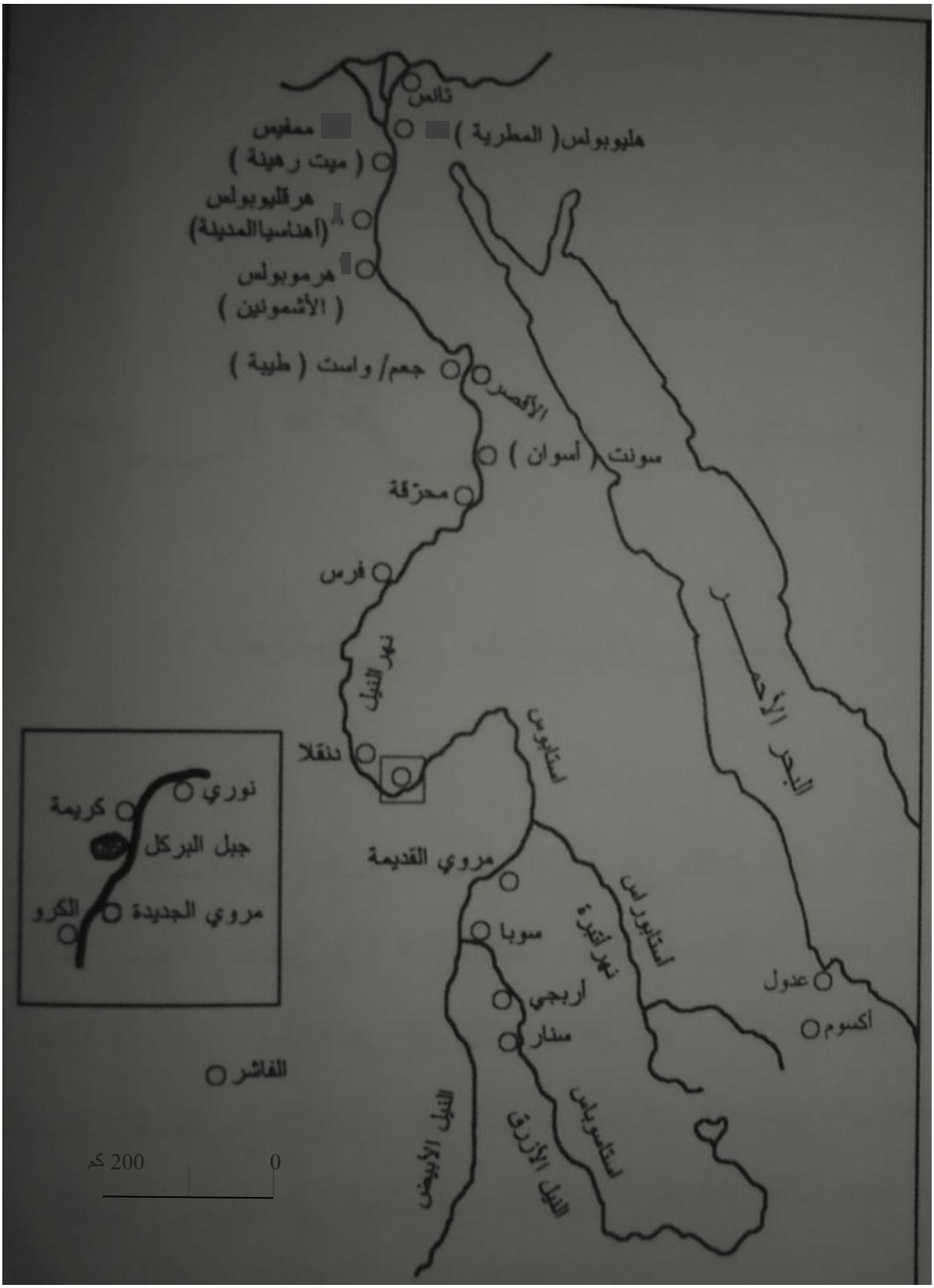

الخريطة رقم 11: خريطة توضح المواقع الأثرية الكوشية في السودان و مصر.

عن: الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 196.

انقطعت الصلة بين افريقيا وعالم البحر المتوسط لفترة امتدت إلى حوالي الثلاثة قرون، وخيم على بلاد النوبة صمت شامل بسبب ندرة المعلومات؛ لكن قبل نهاية القرن التاسع قبل الميلاد نلحظ صحوة حضارية، حيث أوضحت حفريات "رايزنر"[1] في "كورو" قرب "نباتا" إلى الشمال من الجندل الرابع وجود مقبرة ملكية بدأت بقبور عادية ثم تطورت في بنائها إلى مصاطب[2].

كان "رايزنر" أول من اكتشف مقابر الكرو، وقد قسمها إلى ستة أجيال، قدّر كل الأجيال بمائة وثمانين سنة، والجيل الواحد بثلاثين عاما، وقدر رقم المقابر التي عثر عليها على حسب الأقدم، وافترض "رايزنر" أن أوائل الملوك أصحاب المقابر الأولى يقابلون في حكمهم لكوش حكم كل من "شيشنق الأول"، "أوسركون الأول"، و "تكلوت الأول"، واعتبر أن الزعيم الذي أنشأ جبانة الكرو (أي الرجل المدفون في الكرمة رقم 1 في جبانة الكرو) وكان من أوائل الأمراء المنتشرة اماراتهم على طول النيل بين الشلالين الثالث والخامس، وأنه كان يسيطر على رقعة واسعة من المنطقة و كان يمتلك امكانيات اقتصادية، وربما حقق النجاح بالقوة العسكرية أو تكوين الأحلاف مع القبائل الأخرى أو التصاهر معها، وهو نواة المملكة النبتية وهي مرحلة التأسيس، قد تمت بأيدي كوشية، أما المرحلة اللاحقة هي إقامة النظم الإدارية والدينية، فيبدو أن النبتيين قد اشتقوها إلى حد كبير من عناصر مصرية ربما كانت موجودة أصلا في كوش، بعد فرارها من الأوضاع الأمنية في مصر فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين بعد تعيين الفرعون الليبي ابنه في منصب كاهن آمون الأعظم، فلم يقبل أهل طيبة ذلك التعيين وقاموا بثورة عارمة؛ من جانبها قامت الحكومة بطرد عدد كبير منهم بعد تعذيبهم، حيث وجدوا الحماية عند الملك النبتي المعاصر "لتكلوت"، وهو "بيي"(بعنخى 751–716 ق.م)، ومنذ ذلك الوقت بدأ المهاجرون المتدينون بديانة آمون، ونشأت علاقة جيدة بين الحكام النبتيين وبين رجالات الدين المصريين، حتى تم اقناعهم بتبني عبادة آمون بل وجعلوها دين الدولة الكوشية، وهذا بعد أن اقتنع الزعماء النبتيون بأن عبادة الإله آمون تعطى الملك وعن طريقه يحصلون على الشرعية اللازمة التي تخول لهم الحكم المطلق في كوش والمناطق الأخرى ، واستمر التأثير الطيبي على ملوك نبتة في الأجيال التالية حتى بلغ ذروته في عهد الملك "بعنخى" ، الذي استطاع كهنة آمون اقناعه بفكرة تحرير طيبة من الليبيين، وظل بعنخى يحاول حتى تمكن من تنفيذه في السنة العشرين والحادية والعشرين من حكمه[3].

لم يحدد بعد بصفة قاطعة متى تأسست مملكة نباتا، إلا أنه يعتبر "آلارا" الزعيم الأول المعروف لهذه المملكة، والذي لم تعرف كيفية وصوله للحكم وفترة حكمه ومقبرته، كما أنه عرف من نصوص متأخرة واستنادا على حقيقتين هما: زواج الأخوات في الأسرة المالكة والطاعة التي كان يهبها "آلارا" للإله آمون،

---

[1]- G.A.Reisner,note on the Harvard-Boston Excavations at El-Kurraw and Barkal temples in 1918-1919, JEA,vol VI, 1920.

[2]- ج.لكلان، امبراطورية كوش:نباتا ومروي، تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني حضارات افريقيا القديمة،جون أفريك/اليونسكو،باريس، 1985، ص281.

[3]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 20-21؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص 413-414.

من الممكن اعتبار أن مؤسس الأسرة الكوشية الحاكمة كان وريثا منحدرا من حكام كوش القدماء أي حكام كرمة، وربما ضعف مركز هذا البيت نتيجة للاحتلال المصري في زمن الدولة الحديثة، وبعد غيابها، ظهر من جديد وأعاد حكم أجداده، وربما يكون هذا المؤسس هو "آلارا" نفسه أو أي من أسلافه[1].

يعتبر كاشتا حوالي 806-751 ق.م هو أول ملوك دولة كوش أو مملكة نباتا المعروفين والذين وجدت أسماؤهم وآثارهم، وينتمي للجيل السادس للأسرة الكوشية اعتمادا على قائمة "رايزنر" للملوك ، وقبل "كاشتا" وجدت مقابر خمسة أجيال، فإذا كان كل جيل يمثل بحوالي ثلاثين عاما فإن الخمسة أجيال السابقة تغطي حوالي 150 سنة، وبناءا على هذا التسلسل يمكن تحديد فترة حكم صاحب المقبرة (KU.TUM1)، ويقع ما بين حوالي 956-926 ق.م [2]، ومن هذا التقدير يمكن أن نفترض أن تأسيس مملكة نباتا ربما بدأ بأحد هذين التاريخين أو قبله، ولكن في البداية لم تظهر كدولة قوية، وإنما ظهرت كذلك في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد.

1-الأسرة الخامسة و العشرون:

نتج الاسم من تقسيم التاريخ الفرعوني المصري إلى أسر من قبل المؤرخ المصري من طبقة الكهنة "مانيتون"، فقد خصص الأسرة الخامسة والعشرين للحكام الكوشيين الذين حكموا مصر، وهي الأسرة التي انحدرت منها سلسلة الملوك الذين وحّدوا مصر والسودان القديم، وعرفوا في التاريخ بالأسرة الخامسة والعشرين[3].

اختصر مانيتون عدد ملوك الأسرة إلى ثلاثة فقط هم شباكا(أو شبكو) حوالي 716-701ق.م، و شبتاكا(أو شبتكو) حوالي 701-690 ق.م،و طهارقا(أو ترهاقة)حوالي 690-664 ق.م، بينما لم يذكر باقي الملوك، حتى "بعنخى"(751-716ق.م) الذي أكمل غزو مصر وخلد أعماله في لوح النصر[4]، لم يرد اسمه ضمن ملوك هذه الأسرة، ويبدو أنه لم يحسبهم لأنهم لم يقيموا في مصر كما فعل هؤلاء الثلاثة.

وحتى إذا ذكر كل الملوك فإن فترة حكمهم لمصر لم تتجاوز المائة وخمسون عاما بكثير، وهذا يعني أن استخدام هذا الاسم يسقط أكثر من ألف ومائتي عام من عمر الدولة التي ربما استمرت لألف وثلاثمائة عام، ومما سبق عرضه فإن استخدام هذا الاسم يختزل كل عمر الدولة في 150 عاما فقط، ويسقط أخصب فترات تاريخ السودان القديم، وبناءا على ذلك يرى الباحث "السماني النصري "[5] أنه من

[1]- السماني النصري محمد أحمد، دولة كوش و الفتح السوداني لمصر، المجلة المركزية لجامعة الزعيم الأزهري، العدد الأول، السودان، يناير 2007، ص 32.
[2]- السماني النصري، المرجع نفسه.
[3]- ج.لكلان، المرجع السابق، ص 281.
[4]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 24.
[5]- السماني النصري، المرجع السابق، ص 29.

الأفضل ألا يتم التعامل مع هذا الاسم للدلالة على هذه الدولة أو الحضارة، ويستعاض عنها بعبارة فترة حكم الملوك السودانيين لمصر؛ أو أي تعبير آخر يدل على نفس المعنى.

2- ملوك الأسرة الخامسة و العشرين:

1- آلارا :(حوالي 780-760ق.م)

يعتبر "آلارا" الزعيم الأول لهذه الأسرة، وهو زعيم لا يعرف عنه شيء سوى اسمه الذي ورد ذكره في لوحة ابنته تابيري ، ولوحة الملك تهرقا" التي كتبت في السنة السادسة من حكمه ،اتفق بعض الباحثين على أن حكم "آلار" بدأ حوالي عام 780 ق.م، دام عشرين سنة ، وبذلك تم تحديد تاريخ نشأة هذه الأسرة عند نهاية القرن العاشر وبداية القرن التاسع[1] أي بعد حملة شيشنق الأول.

2- كاشتا:(حوالي 760 -751 ق.م)

كاشتا اسم سوداني يتكون من مفردات لها معنى في اللغة المروية وهي اللغة التي تحدثها النبتيون فهو مركب من جزئيين هما "كش"+ " تو" ومعناه الكوشي؛ ورث الحكم من الملك أو الزعيم القبلي آلارا وربما كان أخاً له؛ قام كاشتا (أنظر الشكل رقم 8) ببسط النفوذ الكوشي في الشمال حتى طيبة، وربما شجعه على ذلك تزايد القوة الحربية لهذه الدولة الناشئة وتردي الأوضاع السياسية في مصر، هذا بالإضافة إلى سيطرته على الطرق التجارية التي تربط بلاد كوش بمصر، وكذلك سيطرته على مناجم الذهب بالصحراء الشرقية ؛ يسمي كاشتا نفسه (ملك مصر العليا والسفلى وهو لقب فراعنة مصر، وذلك من النقش الذي وجد بالقرب من أسوان وفيه ، مهد لإبنه "بيي" فتح مصر بعد سنوات قليلة من وفاته وكذلك هو والد الأميرة الكوشية "اماني ريديس" التي أصبحت زوجة الإله آمون في طيبة وأصبحت تعرف بلقب(زوجة الإله) وبعد وفاته دفن في جبانة الكرو بالمقبرة ذات المصطبة(أو ذات الهرم في رأي آخر)[2].

[1]- نيقولا جريمال ، المرجع السابق ، ص433 ؛ الصادق فرحنا ، المرجع السابق ، ص 36 .
[2]- الصادق فرحنا، المرجع نفسه، ص 31-32.

الشكل رقم 8 : جزء من لوحة الملك كاشتا

عن: نعمات عبد الجبار، المرجع السابق، ص 229.

3- بعنخى: 751- 716 ق.م

وهو بيي بن كاشتا واسمه الصحيح بيي و إضافة الرمز عنخ ليس جزء من الاسم كما ورد في كثير من الآراء، وعندما جاء للحكم قرر أن يكمل مشوار والده؛ أكمل "بعنخى" احتلال مصر، وبانتصاره على قوات " تف نخت " وتسليم أمراء الدلتا له تأسست الأسرة الخامسة والعشرين، وقد سجل هذه الأحداث في لوحة من الجرانيت التي تعد أعظم سجل يتحدث عن التوسع الكوشي في الشمال ، كان متديناً بدين الاله آمون(أنظر الشكل رقم 9) وذلك ظهر في كثير من كتاباته مثل يوم وداعه لجيشه الغازي لمصر فقال له،"إذا قامت الحرب فاعلموا أن آمون هو الذي أرسلنا اليهم فإذا وصلتم مدينة طيبة اغتسلوا في مياه معابد آمون واسجدوا له"[1]، وله الكثير من الانجازات المعمارية والمنحوتات والفتوحات .توفى ودفن في الكرو بالمقبرة رقم 17 ، بالإضافة لمقابر الخيول التي كانت تظهر في نقوشه.

[1]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 31-32.

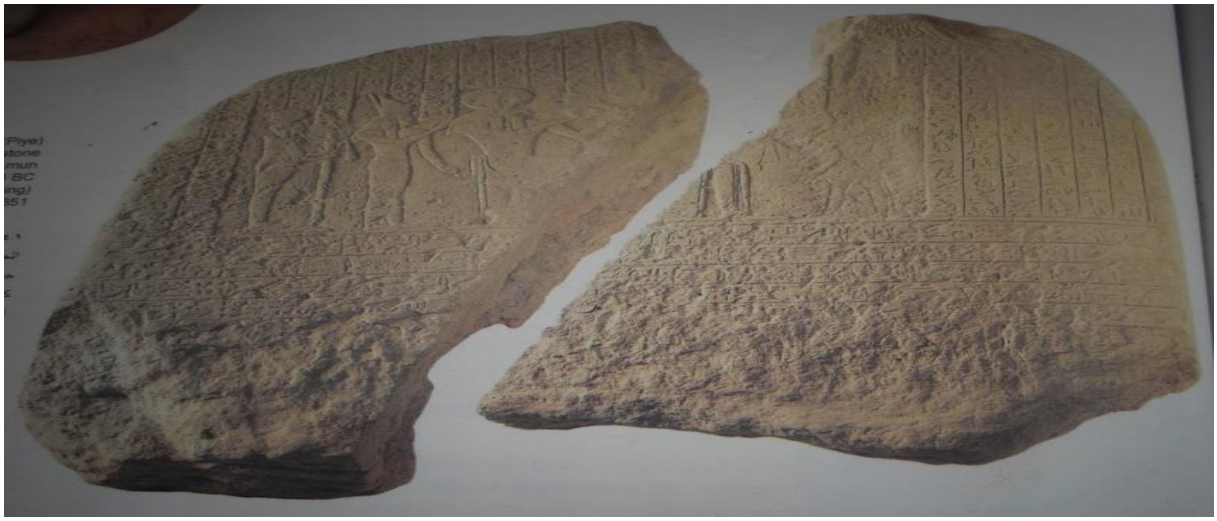

الشكل رقم 9 : لوحة جدارية للملك بعنخى في معبده بجبل البرقل

عن: الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 102.

4- شباكا (شباكو): 716 – 701 ق.م

لم يحكم الملك " شباكا " (أنظر الصورة رقم 24) الذي جاء للعرش بعد الملك بيي مصر من العاصمة الكوشية مثل بيي ، بل نقلها إلى طيبة، واستطاع بذلك توحيد وادي النيل تحت حكمه، وبهذه الطريقة تم لكوش احتلال مصر[1]، وصار حكام دولة كوش يعرفون في العالم القديم بملوك كوش ومصر.

امتد طموحه إلى آسيا التي برزت فيها آشور كقوة ضاربة استولت على مملكة إسرائيل وكانت تريد التهام الممالك الصغيرة حتى حدود مصر، أعمل شباكا الحنكة والدهاء فأقام الصلات الحسنة مع ملك الآشوريين" سنحريب" كما نعرف من لوحة طينية وجد عليها أسماء الملكين، ولكن أوعز للدويلات الصغيرة بالثورة على الآشوريين، ولأن شباكا الملك الكوشي الأول الذي جعل مصر مقرًا له، فإن الأجيال اللاحقة اعتقدت بأنه مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين المصرية؛ وربما توفى في مصر ونقل إلى كوش ودفن في هرمه رقم 15 في جبانة الأسرة بالقرب من نبتة أو نباتا في الكرو إلي جوار أسلافه[2].

[1]- نعمات عبد الجبار ، المرجع السابق ، ص 276 .
[2]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 33.

الصورة رقم 24: رأس تمثال للملك شباكا

عن الموقع الالكتروني: wikipedia.org.fr

5- شبتاكا(شبتكو):701-690 ق.م[1]

وما أن اعتلى العرش" شبتاكا" (أنظر الصورة رقم 25) أخ" لتهارقا" وأحد أبناء "بيي "وأصبح ملكاً وجد نفسه يواجه أزمة تمثلت في الغزو الآشوري القادم من شمال العراق للأراضي الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط؛ أحس" شبتاكا" بأن أرضه أصبحت مهددة، بالتالي ضم قواته مع قوة ملوك إسرائيل والأقاليم المحيطة بهدف محاولة وقف الزحف الآشوري بل أنه أرسل طالباً المزيد من القوات لجيشه من الوطن(كوش)[2]، ونصب أخاه طهارقا، قائداً للجيش حتى يساعده في إدارة المملكة وليخلفه على العرش وبذلك تعدى على القوانين الوراثية عند الكوشيين حينما حرم الأخ الأكبر لطهارقا من حقه في العرش، وما كان شبتاكا ليفعل ذلك لولا أنه عرف أن قوة آشور تحتاج لبطل صنديد فأبعد إخوته واختار طهارقا من بينهم واضعاً سلامة أرضه فوق سلامة تقاليده ، ورغم ذلك فأن جيش شبتاكا لم يتمكن من هزيمة الآشوريين، فان الغزاة اضطروا للتراجع عندما فتك بجنودهم مرض أدى إلى موت العديد منهم، وبذلك انقذت مصر؛ توفي شبتاكا بعد خمسة سنوات من توليه الحكم في مدينة منف العاصمة ودفن في كوش بالكرو في الهرم رقم 18 ، وقد كانت تلك الفترة فترة كافية تدرب فيها طهارقا على شؤون الملك والشؤون العسكرية [3].

[1]- أنظر: سليم حسن، مصر القديمة، تاريخ مصر و السودان من أول عهد "بيعنخى" حتى نهاية الأسرة الخامسة و العشرين و لمحة في تاريخ آشور، ج11، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 110-116.
[2]- مهاب درويش، تاريخ و آثار النوبة، مكتبة الاسكندرية، ص 11.
[3]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 33-34.

الصورة رقم 25: رأس تمثال الملك شبتاكا

عن: wikipedia.org.fr

6- طهارقا :690-664 ق.م

يعتبر "طهارقا" (أنظر الصورة رقم 26) من أعظم ملوك الأسرة الخامسة و العشرين الكوشية[1] ، وهو أحد أبناء بيي؛ طلب شبتاكا من طهارقا تولي قيادة الجيش وهو لازال في سن العشرين، كان طهارقا محارباً عظيماً وخاض غمار العديد من المعارك ضد الآشوريين .عندما توفى شبتاكا أصبح طهارقا ملكاً وتم تتويجه في مصر مع أنه لم يرى والدته "آبار" منذ أن كان صغيرا، لكنه أكد على ضرورة حضورها مراسم تتويجه[2].

تحصل الآثاريون على كثير من المعلومات في السودان ومصر، ومن النقوش الحجرية ومن كتابات أعدائه الآشوريين عنه ,وقد جاء ذكر اسمه في التوراة بلفظة "ترهاقة"، وقد سماه الإغريق "تاركوس" [3].

في عام 684 ق.م ارتفع منسوب النيل خلال الفيضان السنوي بصورة غير معهودة من قبل، وقد جلب ذلك محصولا انعكس ايجاباً علي ثراء المملكة، أمر طهارقا بتشييد العديد من المشروعات، وأعاد بناء العديد من المعابد، وحصل ذلك في السنوات الأولى من حكمه، أما السنوات الأخيرة قد شهدت كوارث ، في مقدمتها بدأ الآشوريون في شن الهجمات على مصر بصورة متكررة سنوياً في البداية حقق طهارقا

[1]- سليم حسن، مصر القديمة ، ج11 ، ص 117.
[2]- مهاب درويش، المرجع السابق، ص 11-12.
[3]- سليم حسن، المرجع السابق، ص 117.

انتصارا في المعارك[1] ، لكن سرعان ما تمكن الآشوريون من السيطرة على هجمات القوات الكوشية – المصرية، احتل الآشوريون ممفيس وأسرت قواتهم زوجة طهارقا وابنه.

تراجع طهارقا إلى نبتة حيث توفي هناك في سنة 664 ق.م ودفن في جبانة جديدة أنشأها في نوري بلغ ارتفاع هرمه 150 قدما وكان الأكبر من بين الأهرام التي شيدت في كوش[2].

الصورة رقم 26: رأس تمثال الملك طهارقا

عن الموقع الالكتروني: www.bubastis.be

7- تانوت أماني:

يسمى أيضا " تانوت أمون و تالتاماني" (أنظر الصورة رقم 27) ، لم يذكره المؤرخ "مانيتون" في قائمة أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين بل ختم ملوك هذه الأسرة بالملك "طهرقا" ، إلا أن اسم هذا الملك قد حفظ في الوثائق الآشورية باسم "تانداماني" و في رواية أخرى "أورداماني"، وهو أحد أبناء شبتاكا[3] .

بعد أن تراجعت آشور عن مصر قام "تانوت اماني" بغزو مصر مجددا كما فعل أسلافه من قبل ، وصف الغزو الذي سجل أحداثه في مسلته المنقوشة التي عثر عليها في" جبل البرقل "، توجد الآن في المتحف المصري بالقاهرة، يصف " تانوت أماني " في مسلته مراسم تتويجه التي تمت في "جبل البرقل"، ويكتب أيضاً عن حلم رآه، وفي ذلك الحلم يقول أنه رأى أفعتين ، وأقتنع بأن الأفعتين مثلتا أفعتي التاج

[1]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 34.
[2]- مهاب درويش، المرجع السابق، ص 12.
[3]- سليم حسن، مصر القديمة ، ج11 ، ص 270.

الملكي لكوش ومصر، واعتقد بأن حلمه يشير إلى أنه سيحكم كلا من كوش ومصر[1]، وقد نجح في تحقيق حلمه .

عندما علم الملك الآشوري "آشوربانيبال" بأن الكوشيين أعادوا سيطرتهم على مصر جن جنونه وأرسل على الفور جيشاً جرارا للانتقام ، تراجع" تانوت أماني" إلى كوش، حيث هاجم الآشوريون مدينة طيبة في جنوب مصر، وقتلوا العديد من الناس، ونهبوا أماكنها المقدس، وبعد ذلك لم تطأ أقدام الملوك الكوشيين مصر[2]؛ استمر تانوت أماني ملكاً في كوش حتى وفاته ودفن في جبانة الأسرة في الكرو.

الصورة رقم 27: رأس تمثال الملك تانوت اماني

عن الموقع الالكتروني: wikipedia.org.ar

ب- أصل ملوكها :

اختلف علماء الآثار والمؤرخين حول أصل الملوك الذين حكموا السودان القديم، وعرفوا بملوك مملكة نباتا أو دولة كوش، وحكموا مصر وعرفوا بالأسرة الخامسة والعشرين، ويعود ذلك الاختلاف إلى أن الآثار الكوشية لم تلق الاهتمام والبحث الكافي، وكان العلماء الأوائل الذين نقبوا عن الآثار السودانية يعتمدون

[1]- مهاب درويش، المرجع السابق، ص 12.
[2]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 35؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج11، ص 270.

في معرفة تاريخ كوش على ما ورد في السجلات المصرية، أو مقارنة ونسبة آثار هذه الدولة مع آثار دول أخرى معاصرة لها خاصة مصر.

من الناحية التاريخية نستطيع أن نقول، إن النبتيين هم سكان إقليم نباتا بصفة عامة، وتحديدا هم الأسرة التي أعطتنا حكام كوش في فترة سيادة مدينة نباتا؛ يمكن اعتبار التدهور السياسي الذي حدث في مصر في الفترة التي سبقت القرن الثامن قبل الميلاد وما نشأ عن ذلك من نقص في المواد المسجلة، مسؤولا عن الغموض الذي أحاط بأصل الأسرة الخامسة والعشرين، كما يعتبر البحث عن أصل هذه الأسرة من الأهمية بمكان خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن هذه الفترة تمثل جزءا مهما في تاريخ مصر والسودان القديم . وقد ظل موضوع أصل هذه الأسرة خاضعا للافتراضات نظرا لقلة المادة العلمية التي تم الحصول عليها عن طريق عمليات البحث والتنقيب في المواقع الأثرية التي ارتبطت تاريخيا بتاريخ هذه الأسرة مثل : الكرو، نوري، البرقل، و مروي؛ اعتمد الباحثون على الجبانات الملكية من أجل التعرف على أصل هذه الأسرة[1]، خاصة و أن هذه الجبانات أنشئت باعتبارها الدار الأبدية لهؤلاء الملوك، شأنها في ذلك شأن الجبانات التي عثر عليها في مصر، هذا في حين أن القصور وعلى قلتها، كانت مؤقتة فقط لفترة حياتهم.

لقد مر البحث في أصل ملوك مملكة ناباتا (كوش) بثلاثة مراحل زمنية ، الأولى سابقة لعصر التنقيبات في الكرو و نوري، واعتمد خلالها الباحثون على ما توفر من معلومات عن النبتيين من مصادر مصرية وآشورية تزامن مع فترة حكم النبتيين في مصر، والثانية جاءت اثر التنقيبات التي أجراها "جورج رايزنر" في جبانتي " نوري و الكرو"، خلال هتين المرحلتين هيمن على البحث نظريتان: الأولى تقول بأن ملوك الكرو و نوري ينحدرون من أصل مصري ، بينما ترى الثانية أنهم من أصل ليبي.

أما المرحلة الثالثة بدأت في بداية الستينات من القرن الماضي ومازالت مستمرة، وقد سادت فيها نظرية واحدة تدعو لنبذ النظرتين وتبني بدلا عنها نظرية أخرى وهي: النبتيون سودانيون من أصل محلي كانت لهم علاقات متنوعة ومتجددة مع كل من مصر وليبيا[2] .

[1]- الصادق فرحنا ، المرجع السابق ، ص 24-25 ؛ إبراهيم بكر ، المدخل إلى تاريخ السودان، ص 64 .
[2]- الصادق فرحنا ،المرجع السابق ، ص 25 ؛ إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص 64 .

1- النظرية الأولى :

أولى هذه النظريات وأقدمها هي تلك التي يتزعمها " جيمس هنري برستد "[1] ، والتي تنسب ملوك هذه الأسرة إلى أصل مصري ينحدر من كهنة الإله آمون في طيبة .

تقول هذه النظرية أنه عندما تولى الملك الليبي " شيشنق الأول " الحكم في مصر اضطرت طائفة من كهنة الإله آمون في طيبة إلى الفرار جنوبا والالتجاء إلى النوبة العليا حيث أقاموا في منطقة جبل البرقل الذي ورد ذكره في النقوش المصرية القديمة منذ عهد الملك "أمنحوتب الثاني" حوالي سنة 1447 ق.م تحت اسم "جو وعب" أي الجبل المقدس؛ وفي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد حوالي مائة عام من تاريخ فرارهم من مصر، ظهر هؤلاء اللاجئون في شكل ملوك أقوياء تمكنوا من اقصاء الليبيين من حكم مصر[2]، باعتبارهم دخلاء على مصر، وكوّنوا الأسرة الخامسة والعشرين.

تستند هذه النظرية في تحديد أصل هذه الأسرة على غلبة الطابع المصري على مخلفات هؤلاء الملوك و تأثرهم بالثقافة والديانة المصرية، فتذكر على سبيل المثال أن أحد ملوك هذه الأسرة " بعنخى ابن كاشتا " يحمل اسما مصريا صرفا وهو مطابق في نطقه وكتابته لاسم آخر حاكم مصري في بلاد كوش في عهد المملكة المصرية الحديثة وهو "بعنخى ابن حريحور". ومما دعم هذه النظرية أن مقابر هؤلاء الملوك لم تكن قد اكتشفت بعد فظنّ علماء التاريخ المصري القديم أنّ هؤلاء الملوك مدفونون في مصر شأنهم في ذلك شأن بقية حكام مصر[3].

يعتقد "أ. دريوتون" و "ج .فانديه" [4] أنه حتى لو كان اسم آخر حكام كوش المصريين مطابقا لاسم أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين فإن هذا لا يعني بالضرورة أن هؤلاء الملوك يرجع أصلهم إلى كهنة الإله آمون في طيبة، إلا أن تطابق الاسمين قاد هذين العالمين للاعتقاد بأن كلا من "بعنخى ابن حريحور" و"بعنخى ابن كاشتا" ينتميان لأصل واحد وهو الأصل المصري.

1- Breasted , A history of Egypt, p 538-539 .

2- علي أحمد قسم السيد ، آراء حول أصل الأسرة الخامسة و العشرين من حكام مصر القديمة ، مجلة الدراسات السودانية – معهد الدراسات الإفريقية و الآسيوية بجامعة الخرطوم ، المجلد 12 ، العدد 1 ، السودان ، 1992، ص95 .

3- وولتر امري ، المرجع السابق ، ص 217 – 218 .

4- E.Drioton & j . Vandier , L'Egypte, Paris , 1962 , p 558.

أثبتت الدراسات التي أجراها "لوكلان" [1] فيما يتعلق باسم " بعنخى " بن كاشتا، بأن الاسم في سلسلة الملوك الكوشين يجب أن يقرأ "بيي" وليس بعنخى ، حيث أن علامة رمز الحياة والتي تنطق في اللغة الهيروغليفية "عنخ " قد وضعت في واسطة هذا الاسم كمجرّد رمز دال على المعنى وليست كعلامة ثلاثية الصوت بمعنى عنخ" أي الحياة؛ أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية التي تدعم النظرية القائلة بأن أصل هؤلاء الملوك مصري، فقد استبعدت عند اكتشاف مقابر هذه الأسرة في قرية الكرو بالنوبة العليا ، وهي بلاد يعتبرها المصريون منذ عهد المملكة المصرية القديمة بأنها أجنبية وأطلقوا على سكانها اسم "نحسيو" وبالتالي لا يجوز لمصري – حسب المعتقدات الدينية المصرية – أن يدفن فيها وأحسن مثال على ذلك قصة "سبني" و "سنوحي"[2]، إذن فالدفن خارج أرض مصر لم يكن من عادات الفراعنة المصريين ، وبالتالي فإن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الذين تم العثور على قبورهم في الكرو بالنوبة العليا لم يكونوا مصريين.

2- النظرية الثانية :

وضع هذه النظرية "ج.أ.رايزنر" الذي يرى أن أصل ملوك هذه الأسرة ليبي، وقد اعتمد في افتراضه على أدلة تاريخية وأخرى أثرية .

فيما يتعلق بالدليل التاريخي يعتبر "رايزنر"[3] أنه في الوقت الذي كان فيه الليبيون الشماليون يتدفقون نحو الدلتا –من جهة الغرب– كان الليبيون الجنوبيون من قبائل التمحو وهم من يربطهم الباحثون بقوم حضارة المجموعة (ج)(أنظر الشكل رقم 10 و 11) يتدفقون نحو النيل، ومن هناك انساحوا جنوبا نحو بلاد كوش حيث أقاموا لهم– فيما بعد – مركز نفوذ بالقرب من نباتا؛ حيث قامت المقارنات المختلفة بين الآثار المكتشفة في بعض مناطق افريقيا الشمالية وبين تلك التي خلفها انسان النوبة في عصر حضارة المجموعة "ج"[4]، و تبين أن مخلفاتهم تتفق ومخلفات الليبيين القدماء ، حيث يذكر "بيتس" بعض الأدلة التي تثبت هذه الصلة والتي من بينها :

لا تختلف جماجم وشعور المجموعة "ج" ، عن جماجم جنس البحر المتوسط ، الذين منهم الليبيون القدماء بصفة عامة ، ومجموعة التمحو بصفة خاصة ، كما تصور الرسومات المنقوشة رجال المجموعة "ج" وهم يرتدون ملابس على شكل أشرطة تتقاطع على الصدر والريشة على الرأس ، وهي نفسها التي كانت تميز

[1]- ج.لكلان، المرجع السابق، ص 281-282(هامش رقم 3 ص 282).
[2]- علي قسم السيد ،المرجع السابق ، ص 96 -97 .
[3]- G.A. Reisner , Discovery of the tombs of the Egyptian XXV th Dynasty at EL Kurru in Dongola province,SNR,11,1919,p247 .
[4]- عبد المنعم أبو بكر ، المرجع السابق ، ص 476-477.

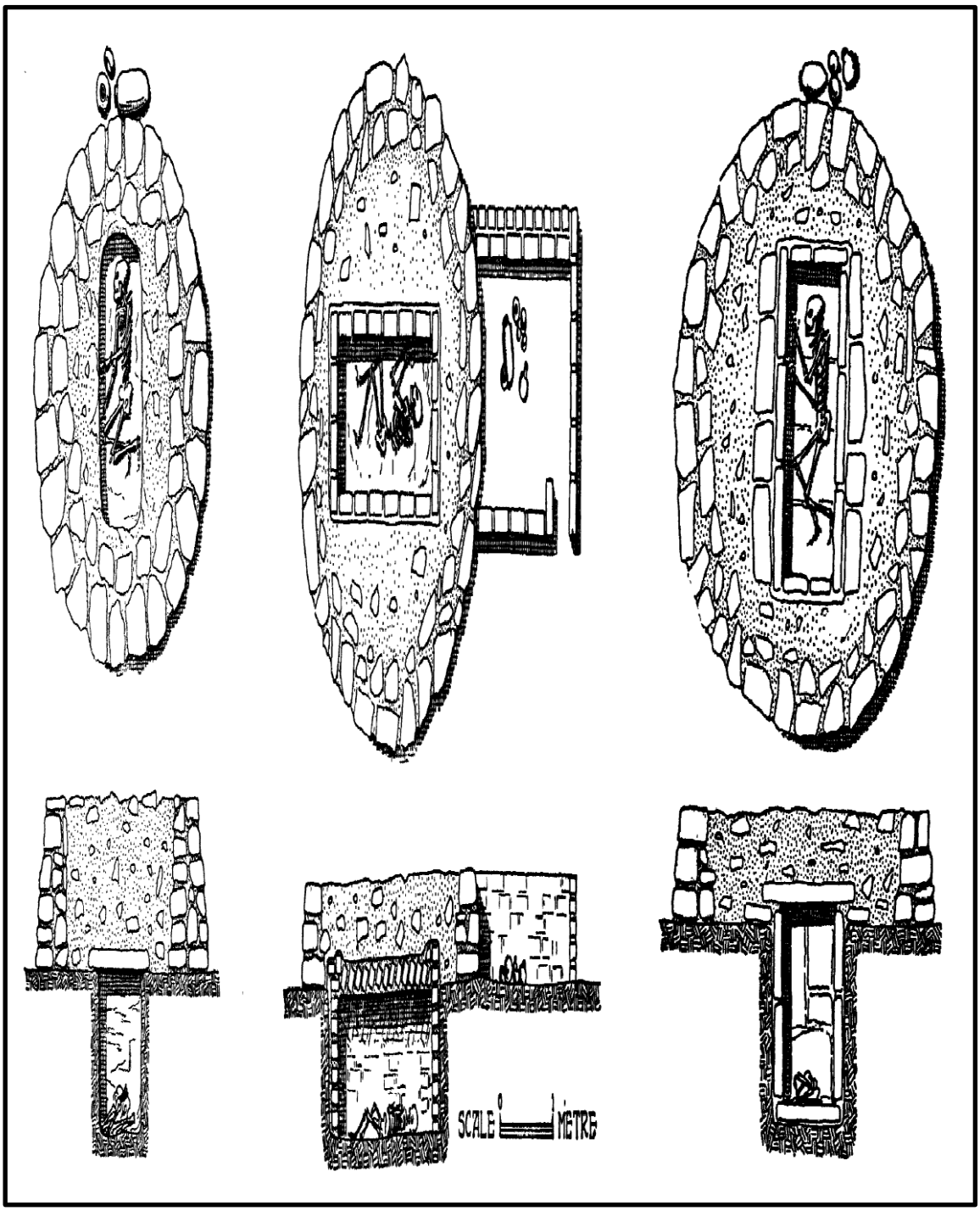

الشكل رقم 10: نماذج لمقابر حضارة المجموعة الثالثة

عن: وولتر امري، المرجع السابق، ص ص 139- 166.

الشكل رقم 11 : نماذج لفخار حضارة المجموعة الثالثة

عن: وولتر امري، المرجع السابق ، ص 140؛ الموقع الالكتروني: ahmed.kabushia sudanese archaeological .blogspot.com

الليبيين القدماء الذين تعرفنا عليهم من خلال الوثائق المصرية القديمة في فترة ما قبل الأسرات وبداية الأسرات، وهي سمات عرفت قبل ذلك لدى سكان الصحراء الكبرى، وقد اتبع أصحاب المجموعة "ج" طريقة للدفن ونمط لبناء المقابر الدائرية هي نفسها التي عرفت لدى سكان الصحراء الكبرى وشمال افريقيا والتي عرفت باسم "الرجم"، بالإضافة إلى استعمال رجال المجموعة "ج" سلاح السهم والقوس وهي من الأسلحة التي عرفت في الصحراء الكبرى قبل أن تعرف لدى أهل النوبة، وما يؤيد انتماء سكان المجموعة "ج" للتمحو ما عثر عليه من فخار وقبور في "وادي هوى"، الذي يقع جنوب غربي الشلال الثالث، ومن خلال المقارنة اتضح أن هذا الفخار يشبه فخار المجموعة "ج" ، وهذا الفخار وجد عن طريق هجرة التمحو من موطنهم الأصلي الذي يراه معظم الباحثين[1] بأنه منطقة الصحراء الكبرى قبل أن يحل بها الجفاف ، وبناء على كل ذلك يمكن الاستنتاج بأن "التمحو" و سكان المجموعة "ج"، وسكان وادي هوى كلهم جاءوا من الصحراء الكبرى بعد أن حل بها الجفاف.

وأثناء حكم الملك الليبي شيشنق الأول لمصر، أو ربما في فترة لاحقة، تمّ تأسيس مقبرة الكرو ، حيث دفن أول زعيم ليبي جنوبي في القبر الذي يحمل الرقم ku.tum1 و تقلد هذا الزعيم الليبي سلطان ابن الملك في كوش، وأصبح مثل بقية الزعماء الليبيين في وادي النيل خاضعا اسميا للملك الليبي في مصر[2].

أما الدليل الأثري فيستند أساسا على بعض رؤوس السهام التي تعرف باسم النوع الصحراوي ذات الأصل الليبي والتي عثر عليها في جبانة الكرو، ويستند الدليل الأثري كذلك على اللوح الحجري الذي يحمل اسم الملكة "تابيري" ابنة "آلارا" و زوجة "بعنخى" والتي لقبت حسب "رايزنر" بسيدة التمحو أي الليبيين الجنوبيين[3].

يعتبر "جريفث"[4] الذي قام بتحليل أسماء ملوك هذه الأسرة وبين أن أسمائهم تتفق في نهايتها مع الأسماء الليبية حيث أغلبها تنتهي بـ(قا) التي نجدها عند كل من تهرقا و شيشنق؛ و يشاطره في الرأي "رايزنر"

[1]- عبد الحليم دراز ، المرجع السابق ، ص 35-36؛ O.Bates, op-cit , p 245-252

[2] - نعمات عمر عبد الجبار ، مظاهر التمصير عند ملوك الأسرة الخامسة و العشرين ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الخرطوم ، 1989 ، ص 52 ؛العباس سيد أحمد محمد علي،عبد القادر محمود عبد الله ،أصل الاسرة الخامسة و العشرين كما تعكسه الجبانة الملكية السودانية في الكرو، مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا، العدد3، السودان،2010 ، ص 28 .

[3]- نقلا عن :علي قسم السيد، المرجع السابق، ص98-99؛ العباس علي،عبد القادر محمود، المرجع السابق،ص28.

[4]- F.L.Griffith, Oxford excavations in Nubia,LAAA,vol 10 ,London, p 56.

الذي يرى أن أسماء أفراد الأسرة الحاكمة في نباتا ليبية الأصل وأنها تشبه في بنائها غيرها من الأسماء الليبية[1].

كما عثر "رايزنر" على قطعة مكسورة من إناء من الألبستر في منطقة الحفائر في "نوري"(و هي احدى أماكن الدفن الملكية التي كانت تتبع العاصمة نباتا).قرأ رايزنر[2] ما يلي:" الرئيس الأعلى للجيش "باشد باست" المرحوم، ابن سيد الأرضين شيشنق مري آمون"؛ وعلى هذا الأساس يرى "رايزنر" أن "باشد–باست" هذا ابن الملك الليبي شيشنق الثاني أو شيشنق الثالث لابد وأنه هو نفسه والد "كاشتا" ملك نباتا، وبناء على ذلك أرجع رايزنر أصل البيت الحاكم في نباتا مباشرة إلى الأصل الليبي للبيت الحاكم في مصر في الفترة ما بين 950–715 ق.م.

ولقد قاد وجود بعض القطع الذهبية أو أدوات الزينة الذهبية بكميات كبيرة إلى جانب أواني الألبستر والأواني الخزفية مصرية الصنع ، برايزنر للاعتقاد بأن الزعيم الليبي تمكن من السيطرة على الطرق التجارية بين مصر وكوش، كما سيطر على مناجم الذهب، حيث أن هؤلاء الليبيين بسيطرتهم على النواحي الاقتصادية سعوا لمد مقاطعتهم شمالا حتى أن "كاشتا" حقق أخيرا السيطرة على طيبة[3].

تبنى الكثير من المهتمين بالدراسات المصرية القديمة الرأي القائل بالأصل الليبي، منهم "مكادم" و "سميث"و "نلسن" و "ادوارد"، و "جوتييه"؛ ولو أن هناك منهم من أثار بعض التحفظات[4].

إلا أنه فيه عديد من الباحثين من نقد هذه النظرية ولم يوافق رايزنر على فرضياته ومبرراته، منهم "ديكسون"[5] الذي اعتبر أن العثور على سهام ذات الطابع الليبي والتي بلغت حوالي 35 سهما لم تكن دليلا كافي، إذ عثر على نفس رؤوس السهام عددها 39 سهما ذات طابع محلي، أي أن عدد رؤوس السهام المحلية أكثر من عدد تلك ذات الطابع الليبي، كما أن هذه السهام كانت منتشرة في كثير من أرجاء وادي النيل منذ عصر ما قبل التاريخ، حيث عثر على نماذج لها في كل من الفيوم والبداري

[1]-نقلا عن : ابراهيم بكر، مدخل إلى تاريخ السودان القديم، ص 67.
[2]- G.A.Reisner, JEA, vol 6, p 54 ؛ ابراهيم بكر، المرجع السابق، ص 67-68.
[3]- نعمات عبد الجبار، المرجع السابق، ص 53.
[4]- ابراهيم بكر، المرجع السابق، ص 68.
[5]- D.M.Dixon, the origin of the kingdom of Kush, JEA, 50, 1984, p 126-127.

وحضارة الخرطوم[1]. فرؤوس السهام ربما تكون اثر العلاقات بين أهل النيل وأهل الصحراء الغربية، حيث أوضحت الاكتشافات أن هذا النوع من رؤوس السهام كان واسع الانتشار في منطقة غرب النيل[2].

أما بالنسبة للّوح الحجري الذي يحمل اسم الملكة "تابيري" فقد أشار "ديكسون"[3] أنه حدث خطأ عندما قرأها "ريزنر" "تابيري" بسيدة التمحو" (الليبيون الجنوبيون) أن القراءة الصحيحة "سيدة كبيرة أو عظيمة البلاد الأجنبية.

وبخصوص ما أكده "جرفت" و "رايزنر" بأن أسماء أفراد أسرة نباتا ليبية– كما شاطرهم في الرأي "ماكادم"– أن (قا) الموجود في اسم الملك الليبي "شيشنق" ما هو إلا صورة أخرى للمقطع (قا) الموجود في كثير من الأسماء الملكية لأسرة نباتا مثل "طهرقا، أمطالقا، وامانسطبارقا" و غيرها، بالإضافة إلى العثور على اسم "شيشنق" كتب مرة:"شاشاقا، واسم طهارقة ورد مكتوبا طهرقا و طهارقا. لكن "ديكسون"[4] والعديد من الباحثين لم يعتبروه دليل على الأصول الليبية لهذه الأسرة، معتبرين المقطع الأخير (قا) الذي ورد في العديد من أسماء الملوك والملكات في مملكة نباتا هو نفسه المقطع (قا) الذي استمر ظهوره فيما بعد في نهاية الأسماء المروية سواء الملكية منها أو الخاصة بالأفراد، والذي ترجموه على أنه مقابل لكلمة "المبجل" أو "المحترم". وعليه فلا يعتمد على ذلك التشابه النادر الحدوث في كتابة نهاية اسم الملك الليبي "شيشنق" و بين نهاية اسم الملك طهرقا، للبرهنة على أنّ الأسماء المروية الخاصة بملوك نباتا من أصل ليبي[5].

وبخصوص قطعة الالبستر التي عثر عليها "رايزنر" في "نوري"، والذي يتحدث عن "باشدباست" ابن "شيشنق"، الذي اتخذّه من مجرد وجوده في مدافن الأسرة الخامسة والعشرين في "نوري" دليلا على وجود علاقة قرابة بين الأسرة الليبية في شمال مصر وأسرة نباتا في شمال السودان القديم، ويرى بعض الباحثين[6] أنه من المحتمل أن تلك القطيعة جاءت إلى "نوري" من ضمن الغنائم التي أحضرها أحد ملوك نباتا من الشمال.

---

[1]- ابراهيم بكر، مدخل إلى تاريخ السودان، ص 68.

[2]- D.M.Dixon, op-cit, p 126.

[3]- Ibid.

[4]- Ibid , p 126-127

[5]- ابراهيم بكر، المرجع السابق، ص 69.

[6]- ابراهيم بكر، المرجع نفسه ، ص 70.

وبالتالي نجد ما قدمه "رايزنر" من أدلة وبراهين وفرضيات لم تقنع جميع الباحثين ولم يقبلوا افتراضه بالأصل الليبي لملوك "ناباتا" مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين، وهذا أدى إلى ظهور نظرية ثالثة تنسب أصل ملوك الأسرة إلى الأصل المحلي.

3- النظرية الثالثة:

النظرية التي تقول بالأصل المحلي لملوك "ناباتا" الكوشيين مؤسسي الأسرة الخامسة والعشرين، وهي أكثر النظريات شيوعا وقبولا ذلك لما يدعمها من دلائل تاريخية وعرقية وثقافية.

إن الأدلة الأثرية التي تدعم هذه النظرية يمكن ملاحظتها في مقابر الأسلاف بالكرو، سواء كان ذلك من خلال طريقة بناء هذه المقابر أو من طريقة الدفن التي اتبعت فيها[1]، فمن خلال دراسة القبور و اتجاهاتها وعادات الدفن التي وجدت بها والمخلفات والتماثيل والصور، فقد أكدت محلية أو افريقية هذه الأسرة.

عندما انتقد لأول مرة "دنهام" زميله "ريزنر" الذي يعمل معه كمساعد، ثم تلّي "دنهام" مجموعة من العلماء و على رأسهم "آركل"[2]، الذي عند تعرضه لهذا الموضوع في محاولة للتدليل على الأصل المحلي السوداني القديم، اعتبر عادة الدفن على سرير خشبي (عنقريب)، وعادة بناء القبر المستدير التي وردت في "الكرو" وفي "نوري"، أدلة على الأصل السوداني، حيث أن هاتين العادتين كانتا معروفتين في النوبة منذ عهد حضارة كرمة، ويضيف "آركل" إلى ذلك عادة زواج الأخ بأخته ثم يشير إلى مدى تدين عاهل الأسرة "آلارا"، يضاف إلى ذلك أيضا عادة التبني التي قال أنها طابع تلك الأسرة، وهو يعتبر كل هذه التقاليد من أصل محلي كوشي[3].

وهناك أيضا الفخار حيث وضح الشبه الشديد بين فخار الكرو وفخار المجموعات السودانية القديمة سواء من حيث الصناعة أو الأشكال أو الزخرفة؛ بالإضافة إلى عادة دفن الحيوانات (الخيول) في الكرو فلا شك أنها عادة سودانية[4].

---

[1]- علي أحمد قسم، المرجع السابق، ص 102؛عباس سيد،عبد القادر محمود، المرجع السابق، ص29؛Dixon,op-cit,p 129.

[2]- أنظر: A.J.Arkell,history of the Sudan from the earlist tmes to A.D, 1821, p p 119-121.

[3]- ابراهيم بكر، مدخل إلى تاريخ السودان، ص 70-71؛ Dixon,op-cit,p 129.

[4]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 29.

ودليل آخر على الأصل المحلي لملوك هذه الأسرة يتمثل في الدراسات العرقية التي أجراها "ماسبيرو" حول صور وتماثيل ملوكها، وأقدم هذه الأدلة تصوير للملك "كاشتا" وجد في جزيرة الفنتين، الذي لم يبق منه سوى الرأس، ويلاحظ في هذا التصوير أن الفنان الذي قام بنحته جعل "لكاشتا" أنفا أفطسا وفكا غائرا وشفاه غليظة، وهي من أبرز الملامح الافريقية الكوشية؛ ثم تتبع "ج.لكلان" دراسة "ماسبيرو" أكثر تفصيلا[1]، إذ سعى لإظهار هذه الملامح في تماثيل وتصاوير ملوك "ناباتا" الآخرين، فوجد أن التماثيل التي تصور الملك "شباكا" توضح له رأسا مستديرا ذو وجنات بارزة و فم غليظ و فك صغير كذلك في مشهد بمعبد "أوزيريس" بالكرنك يظهر وجه الملك شبتاكا بشكله الافريقي النوبي، أما الرسوم التي تصور "طهارقا" فإن الكثير منها يوضح الملامح الافريقية، ففي المعبد الذي بناه "طهارقا" في قصر ابريم جعل الفنان له بشرة بنية ضاربة للسواد، وربما يشير ذلك إلى أن الملوك الكوشيين كانوا فخورين بأصلهم، ويلاحظ أن كل التماثيل والتصاوير الخاصة بملوك كوش تحمل ملامح نوبية افريقية.

أما من ناحية الزينة والمظهر فنجد أن الملوك الكوشيين كانوا مميزين عن الملوك المصريين والليبيين الذين حكموا مصر، إذ أنهم كانوا دائما يلبسون نوعا خاصا من الطواقي نصف كروية الشكل عليها وصلة أو شريط من قماش يتدلى بجانب الصدغين، وعلى هذه الطاقية أيضا وصلة من قماش سميك نسبيا لتثبيت الطاقية على الرأس حتى لا تسقط فينكشف رأس الملك لأنّه ليس من التقاليد الملكية أن يظهر وهو حاسر الرأس حتى أمام أقرب الأقربين، وهذه الطاقية تعتبر رمز الملكية في مملكة نباتا؛ وكان من أهم مظاهر الزينة التي تميز الملوك الكوشيين عن غيرهم من الملوك هو وجود ثعباني الكوبرا الذين ينتصبان – جنبا لجنب– على مقدمة رأس الملك بعد أن لف كل منهما جسمه فوق هامة الملك تاركا الذنب متدليا خلف الرقبة، وإن وجود ثعباني الكوبرا على جبهة الملك الكوشي يعني الاتحاد بين مصر وبلاد كوش[2].

ومن الأدلة التي تؤيد الافتراض القائل بأن هذه الأسرة كانت من أصل محلي نوبي اللقب "كور" الذي أطلق على رأس الدولة والذي كان يعني الملك أو الزعيم، وربما استعمل هذا اللقب في فترة حضارة كرمة. وبعد فتح النبتيين مصر تأثروا بالحضارة المصرية وبخاصة فترة حكم الأسرة الخامسة والعشرين، لكن

[1]- نقلا عن :نعمات عبد الجبار، المرجع السابق، ص 58-59؛ السماني النصري، المرجع السابق، ص 38.
[2]- علي أحمد قسم، المرجع السابق، ص 105-106.

بالرغم من ذلك وجدنا في عادات الملوك النبتيين أشياء كثيرة تبعد عنهم بشدة شبهة الأصل المصري، مثل تزين الرجال بالحلي من أساور وأقراط وقلائد، وكذلك عادات الاستخلاف وطقوس التتويج النبتية[1].

وهناك دليل آخر على أصل هذه الأسرة وهو أنه وعلى الرغم من درجة التمصر التي بلغها حكام هذه الأسرة لدرجة أنهم أصبغوا على أنفسهم ألقابا مصرية صرفة بجانب اتخاذ الاسم الأول على النهج المصري، نجدهم قد احتفظوا بالاسم الثاني، وهو الاسم الحقيقي للملك قبل توليه الحكم نوبيا كوشيا صرفا[2].

كما أن هؤلاء الملوك الكوشيين بعد فقدانهم لمصر بعد صراع مع الآشوريين رجعوا إلى بلاد كوش واستقروا فيها كموطن أصلي، واستمر حكمهم حتى منتصف القرن الرابع الميلادي[3].

وعليه فإن صح أي من تلك النظريات فإن الأصل المحلي الكوشي لملوك الأسرة الخامسة والعشرين هو الأرجح، إلا أن هؤلاء الملوك تأثروا وتشربوا بالثقافة الليبية و المصرية التي انعكست آثارها على مخلفاتهم الأثرية.

ثانيا: علاقات الملوك الليبيين بملوك الأسرة الخامسة و العشرين الكوشية:

1- الأسباب التي مهدت لاحتلال الكوشيين لمصر :

نتيجة للارتباط الوثيق بين بلاد كوش ومصر فإن التداخل السياسي والثقافي بينهما كان أمرا عاديا، وكانت كل منهما حينما تدخل أراضي الأخرى تعتبر أنها تحقق بذلك وحدة الدولة ، وكان ذلك التداخل أوضح ما يكون بين النوبة السفلى ومصر العليا ، وكانت كلاهما على استعداد تام لاستغلال ثروات الأخرى كلما سنحت الفرصة لذلك[4]؛ وقد تأثرت الأحوال الداخلية في مصر بالسيطرة الليبية ،التي شهدت تدهورا واضمحلالا شمل معظم أراضيها ،وضعفت سلطاتها المركزية ،خاصة في مصر السفلى والتي انقسمت لعدة ممالك صغيرة ، ولم يستطيع أي من الحكام توحيد كل البلاد كحاكم مطلق، وعمت حالة من الفوضى والاضطراب.

---

[1]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 30؛ السماني النصري، المرجع السابق، ص 38.
[2]- علي أحمد قسم، المرجع السابق، ص 106؛ عباس سيد، عبد القادر محمود، المرجع السابق، ص 41.
[3]- السماني النصري، المرجع السابق، ص 38.
[4]- السماني النصري، المرجع نفسه، ص 40.

وفي هذا الوقت كانت كوش قد انتقلت من طور التأسيس إلى مرحلة القوة والانتشار بفضل الثراء الاقتصادي الذي تحقق لها، ونتيجة لهذا الشعور عظمت طموحات حكام كوش، واشتدت رغبتهم في فرض سيطرتهم على مصر وضمها لمملكتهم واستغلال ثرواتها، وكانوا ينتظرون اللحظة المناسبة للانقضاض على مصر وتولي دورهم في تاريخ البلدين. ويبدو أن حكام كوش كانوا على علم بما يدور في مصر من خلال تواجد كهنة آمون معهم ، والذين كانوا هائمين على وجوههم في نباتا بعد أن طردهم الليبيون من طيبة ،كذلك أن الكوشيون كانوا يعرفون مصر وطرقها من خلال التبادل التجاري والسياسي الذي كان قائما بين البلدين منذ وقت طويل، حيث كانت "نباتا" مركزا تجاريا ودينيا وسياسا مهما بالنسبة لبلاد كوش وكانت بمثابة طيبة الثانية أو (طيبة الكوشية)[1] ،وربما كانت هناك علاقات تجارية بين نباتا وطيبة عن طريق كهنة آمون .

يؤكد "آركل"[2]أن كهنة آمون في "نباتا" أوحوا لحكام كوش بفكرة احتلال مصر حتى يتخلصوا من الحكم الليبي ،لأن الليبيين كانوا قد طردوهم من طيبة لذلك فضلوا الحكم الكوشي على الليبي ، ربما لإحساسهم بالأمان والتآلف مع الكوشيين الذين كانوا يلتقون معهم في عبادة الاله آمون.

كانت دولة كوش قد حققت نجاحا في توحيد القبائل الموجودة في منطقتها واستغلت تلك القبائل في تكوين جيش قوي يؤهلها لمحاربة الليبيين وطردهم من مصر، حيث كان حكام كوش ينظرون للمنطقة الواقعة بين طيبة والشلال الأول على أنها جزء من مملكتهم، وهذا يشير إلى أن مصر العليا كانت لها مكانة خاصة عند ملوك كوش تأثرا بقرون الاتصال والعلاقات السياسة والاقتصادية والثقافية مع مصر، ولكون هذا الإقليم يشبه إلى حد ما بلاد النوبة السفلى في كثير من مظاهرها، ولاحتوائه على طيبة كأكبر مركز ديني في وادي النيل[3].

يجيء احتلال كوش لمصر كرد معاكس لقرون السيطرة المصرية ، وقد حانت الفرصة الآن لكوش لتتولى دورها الحاسم في تاريخ العلاقات بين البلدين ولكي تطل على مسرح الأحداث العالمية [4]، وقد جاءت الأسرة الخامسة والعشرين إلى عرش مصر بعد حروب طويلة.

---

[1]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 35-36.

[2] - Arkell , History of the Sudan , p115 ؛ السماني النصري ، المرجع السابق ، ص 41 .

[3] - الصادق فرحنا ، المرجع السابق ، ص 36 .

[4] - السماني النصري ، المرجع السابق ، ص 41 – 42 .

2- احتلال الملوك الكوشيين لمصر و ردة فعل الملوك الليبيين :

بدأ الزحف الكوشي على مصر(أنظر الخريطة رقم 12) منذ عهد الملك "آلارا"، واستكمل "كاشتا" احتلال النوبة السفلى، وامتد سلطانه ليصل إلى أسوان، حيث كرس لوحا للإله خنوم في الفنتين ، و قد دوّن اسمه على سطحه مقترنا بالألقاب الملكية واختار "ماعت رع" اسما للتتويج ، وربما واصل زحفه حتى منطقة طيبة[1] . وقام في طيبة بإجبار "شبنوبت الأولى" ابنة "أوسركون الثالث" على تبني ابنته "امنرديس الأولى" كزوجة للإله آمون[2].

عندما اعتلى بعنخى العرش بعد " كاشتا " كان الجزء الجنوبي للبلاد حتى هيراقليوبوليس تحت اشراف نباتا إلى حد كبير، إذ بدأ "بعنخى" يتدخل في شؤون مصر في عامه الحادي والعشرين، حيث كانت الظروف متاحة له لكي يوسع نفوذه ولكي يظهر بمظهر المنقذ لطيبة التي كانت بالنسبة له- المدينة المقدسة- للمعبود آمون رع، ولم ينشغل بعنخى كثيرا بأمر الملك الحاكم "أوسركون الثالث"، وكان يرغب في حماية طيبة ومعابدها المقدسة وكذلك كهنة "آمون رع" من الاضطرابات التي سببها لهم ملوك الدلتا، لذلك كان الأمر بالنسبة له واجبا دينيا[3].

وفي تلك الأثناء نجح "تف نخت" حاكم مدينة "سايس" في اخضاع مختلف الأقاليم قرب الدلتا، واكتفى باعتراف أقرانه الأمراء له كحاكم على المناطق التي أخضعها وأصبح سيدا على معظم أجزاء الدلتا وبدأ في غزو مصر الوسطى، وأراد الصمود في وجه قوات "بعنخى" وتوحيد قوى المصريين، ويعيد الوحدة إلى البلاد، وجمع من حوله كل الأمراء والحكام، وقد زاده قوة التحالف الذي عقده مع "نمرود" أمير "هرموبوليس"[4].

كان "بعنخى" يقيم في نباتا عندما تقدم "تف نخت" إلى مصر الوسطى، وتبدأ الأحداث بوصول رسل جاءوا من طيبة إلى نباتا، ربما كان ذلك في حوالي عام 748 ق.م من السنة العاشرة من حكم "أوسركون الثالث"، وقد أبلغ هؤلاء الرسل "بعنخى" أن "تف نخت" أعلن نفسه فرعونا على "سايس" في غرب الدلتا – مؤسسا للأسرة الرابعة والعشرين الليبية- وأنه استولى على منف وتقدم نحو الجنوب وحاصر مدينة "هيراقليوبوليس" ، وعندما علم "بعنخى" بهذا النبأ لم يجد أمامه سوى السخرية ، وبعدها جاء رسل

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 433-434.
[2] - الصادق فرحنا، المرجع السابق ، ص 37 .
[3]- رمضان عبده، تاريخ مصر، ج2، ص 373؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 435.
[4]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 248؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 435.

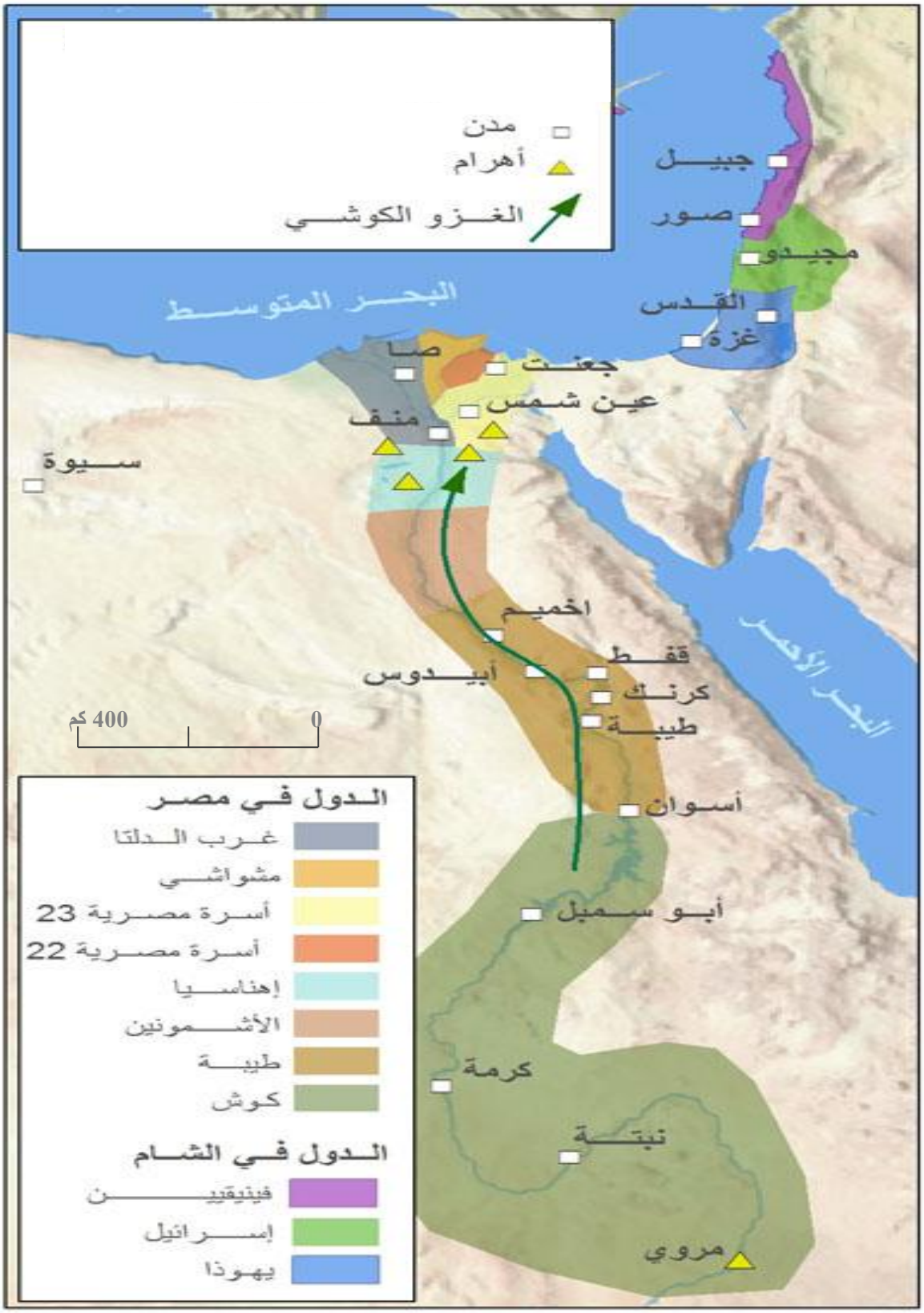

الخريطة رقم 12 : بداية الغزو الكوشي لمصر في عهد ملوك الأسر الليبية 22-23.

عن الموقع الالكتروني: http://explorethemed.com/EgyptAr.asp

ومبعوث عن الأمراء والضباط العسكريين في طيبة ليخبروه أن غزوات "تف نخت" قد امتدت ثلاثمائة كيلومتر إلى الجنوب من منف، وأنه تحالف مع نمرود حاكم "هرموبوليس"[1].

بدأ أمير "سايس" في إعادة توحيد البلاد من حوله، ويبدو أنه نجح في مهمته هذه عن طريق الاقتناع عوضا عن الغزو المفاجئ. وقد اعترفت بسلطته الأسرات المحلية، ونظير هذا الاعتراف تركهم في وظائفهم كموالين له، وعندما نجح "تف نخت" على هذا النحو في توحيد بعض أجزاء الوجه البحري، تغلغل في مصر الوسطى حيث تقابل مع جيش "بعنخى" الذي رحل من الجنوب؛ وعندما جاء مبعوث طيبة إلى "بعنخى"، أرسل بدوره مبعوثا آخر إلى قواد طيبة يطلب منهم إعلان حالة الحرب، واستدعاء الكثير من الرجال لكي يكونوا على أهبة الاستعداد حتى وصول الجيش[2].

أرسل "بعنخى" قوات اضافية لتلحق بجيشه في مصر وزوده يوم رحيله من نباتا بتعليمات مشددة بالنسبة للخطة التي يجب اتباعها حيث قال:" لا تتلكنوا بالليل أو النهار، كما لو كان الأمر نوعا من النزهة، ولكن حاربوا من أجل الهدف، وافرضوا على العدو القتال من بعيد، لأنكم لا تعرفون أن آمون هو الذي أرسلكم، وعندما تصلون إلى طيبة أمام معبد الكرنك، اغتسلوا في النهر المقدس، وضعوا الملابس النظيفة وارخوا أقواسكم واركعوا على الأرض أمامه قائلين: أرشدنا الطريق لكي نحارب في ظل سيفك"[3].

نزل جيش "بعنخى" النيل فوق أسطول ضخم، ووصل إلى طيبة وبعد أن تلقى بركة آمون تابع طريقه في النيل، ليقابل أسطول "تف نخت" الذي كان يصعد النيل تجاه طيبة، واندفعت قوات بعنخى حتى "هيراقليوبوليس" حيث يوجد "تف نخت" على رأس جيش متحالف مكون من الأمراء "نمرود" أمير هرموبوليس و "أيوبوت" من "ليونتوبوليس"، و"أوسركون" من "بوباسطة"، والأمير "شيشنق" من "بوزوريس"، والأمير "جد آمون أوف عنخ" من "مندس"، وآخرين انضموا إليهم[4].

كان القتال برا وبحرا، تلقى فيه المتحالفون من الشمال أول هزيمة لهم في منطقة بحر يوسف. اضطر "تف نخت" وحلفاؤه للانسحاب إلى الدلتا فيما عدا نمرود الذي هرب نحو مدينته "هرموبوليس"، وعندما وصل جنود بعنخى إلى هذا الحد ترددوا ورأوا أنه من الأفضل لهم العودة نحو الجنوب، وعندما وردت هذه

[1]- رمضان عبده، تاريخ مصر، ج2،ص 373؛أحمد فخري، مصر الفرعونية،ص320؛عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص 415.
[2]- رمضان السيد، المرجع السابق، ص 248-249.
[3]- Breasted,ARE, vol IV, paras 822-824, p 421-422 ؛ السماني النصري، المرجع السابق، ص 42-43.
[4]- Breasted , op-cit, para 830, p 423-424؛ رمضان عبده، المرجع السابق، ص 374.

الأنباء إلى بعنخى في "نباتا"، أظهر نوعا من الضيق لأن جيشه لم يواصل انتصاراته وطارد الحلفاء وغزا الدلتا، وعلى الرغم من أنه كان في ذلك الوقت متقدما في السن إلا أنه قرر على التو الذهاب بنفسه إلى مصر[1]؛ قائلا:" هل سمحوا بأن يظل هناك أحياء من الجيوش المعادية في مصر السفلى، ويتركوا الهارب يفلت ليلفق القصص، ولا يقتلوهم حتى آخر رجل منهم، إنني أقسمت مادام رع يحميني ومادام آمون يرعاني أن أبحر شمالا بنفسي وأدمر كل ما فعلوا، وأجعلهم يكفون عن القتال إلى الأبد[2].

جاء "بعنخى" إلى طيبة في وقت الاحتفال بعيد "أبت" أكبر أعياد البلاد على رأس قوة أخرى. و بعد أن انتهت أيام ذلك العيد أقلع بجيشه حتى وصل إلى "هيرموبوليس"(الأشمونين) التي كانت مازالت تقاوم المحاصرين، لذلك رأى "بعنخى" أنه من الصعب أن ينالها بهجوم مفاجئ فالتجأ إلى طريقة أخرى، وشيد خارج الأسوار جسرا كبيرا بنى فوقه برجا عاليا؛ رأى نمرود أن المجاعة أخذت تفتك بجنوده وأن هذا الحصار الطويل أنهك قوى الجميع، وأنه لا حول له ولا قوة أمام هذه الجيوش الجرارة فقرر الاستسلام وأرسل من يفاوض "بعنخى" لتسلم المدينة بمن فيها، وفي الوقت ذاته أرسل زوجته لمقابلة زوجات "بعنخى" لتسلم المدينة بمن فيها، وفي الوقت ذاته أرسل زوجته لمقابلة زوجات بعنخى لتدافع عن زوجها وتبرر دفاعه عن مدينته، فحصلت على وعد بالعفو عنه، وفتحت المدينة بعد ذلك أبوابها ودخل بعنخى إلى قصر "نمرود" حيث قدم إليه كل ثروته وما لديه من حلي وجواهر، واستولى على أموال الملك المهزوم وقسمها بين خزينة آمون وخزينته الخاصة[3].

استأنف "بعنخى" زحفه إلى الشمال دون أن يجد أي مقاومة حتى وصل إلى منف، وهناك جاءه أمير أهناسيا وغيره من أمراء البلاد لتقديم هداياهم و ولائهم؛ أرسل "بعنخى" انذارا إلى مدينة منف التي امتنعت عن الاستسلام والتي كان يتولى القيادة فيها "تف نخت"، قاومت الحامية بشدة، ولكن المدينة تعرضت لهجوم كبير و تبع ذلك قتال عنيف، وكانت منف محصنة بالمياه ، إلا أن بعنخى استطاع أن يدخلها وتم له تحقيق السيطرة في النهاية، واستسلم أيوبوت و أوسركون، وباقي الحلفاء عند سماعهم نبأ سقوط المدينة، واتجه "بعنخى" إلى هيليوبوليس لأداء الشعائر التقليدية التي تقام لرع و هكذا أعاد مراسم تتويجه[4].

---

[1]- رمضان السيد، المرجع السابق،ص 252؛ Breasted, ARE, vol IV,,paras 833-835, p 425-426

[2]- Ibid؛ السماني النصري، المرجع السابق، ص 43

[3]- أحمد فخري، مصر الفرعونية،ص 321؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 437.

[4]- رمضان عبده، تاريخ مصر،ج2، ص 376-377؛ أبو المحاسن عصفور، علاقات مصر، ص 145-146.

كان احتلال "بعنخى" لمنف نهاية لجهوده الحربية، وأصبح يسيطر على منف ومصر العليا، كما كان باستطاعته أن يسيطر على الدلتا في أي وقت يشاء، إلا أن أمراءها جاءوا إليه تباعا يقدمون له الولاء والطاعة ومن بينهم "أوسركون الرابع" ملك تانيس وبوباسطة آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وشذّ عن هؤلاء الأمراء "تف نخت" الذي فر من منف والتجأ إلى مستنقعات الدلتا بعد أن أدرك حقيقة تخلي حلفاؤه عنه وموالاتهم للقادم الجديد، لكنه سرعان ما أدرك أنه لا أمل في المقاومة، فأرسل إلى "بعنخى" رسالة يعلن فيها خضوعه التام، فبادله بأن أرسل ممثلين عنه إلى "سايس" ليقسم "تف نخت" أمامهم يمين الولاء للعاهل الجديد، وعندئذ أصبح "بعنخى" سيدا لوادي النيل كله، من البحر المتوسط وحتى حدود دولته نباتا جنوب الجندل الرابع، وقد أدرك فائدة التقسيم الإداري للبلاد فحافظ عليه بتثبيت الأمراء الرئيسيين في مواقعهم، فأبقى على "أيوبوت الثاني" في "ليونتوبوليس و "أوسركون الرابع" في تانيس، و "نمرود" في هرموبوليس و "بف تاوعاوي باستت"في هيراقليوبوليس[1].

سجل "بعنخى" أعماله وانتصاراته العسكرية بمصر في لوح من الجرانيت يعرف بلوح النصر(أنظر الشكل رقم12)، مكتوب باللغة الهيروغليفية وقد عثر عليه في معبد الإله آمون في جبل البرقل، يرجع

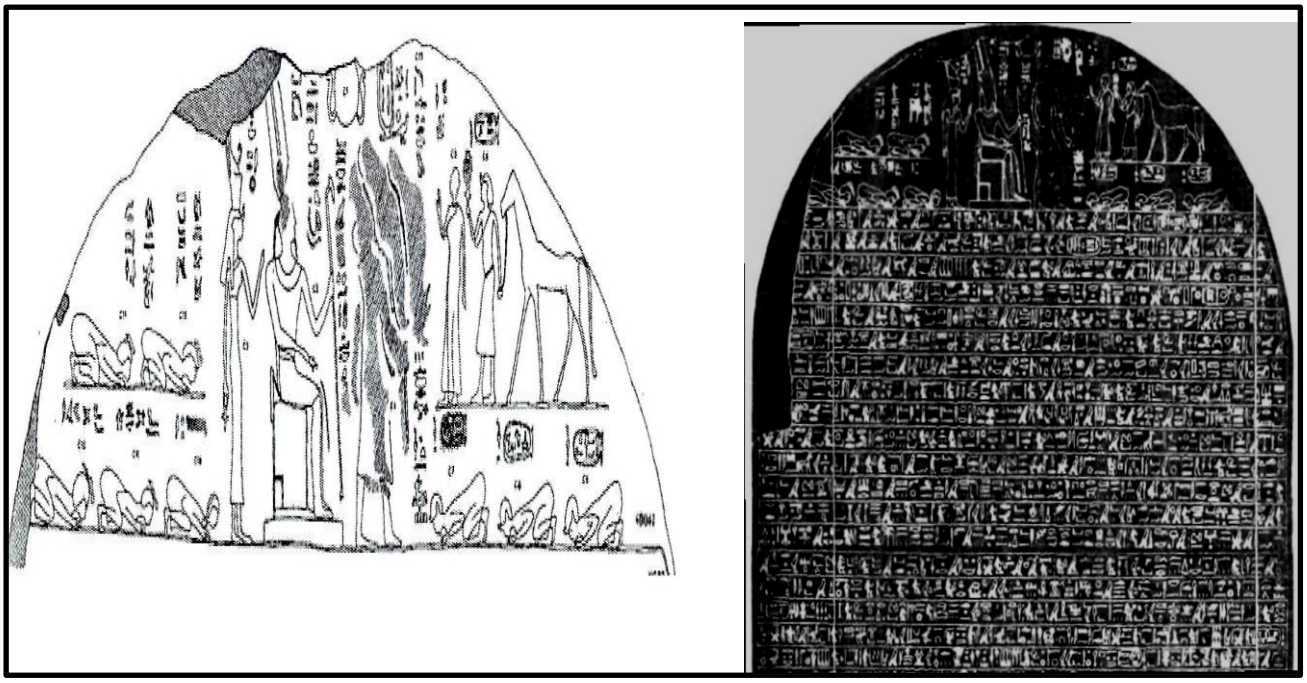

الشكل رقم 12: جزء من لوحة النصر للملك الكوشي بيي/بيعنخى

عن: جونتر قيتمان، المرجع السابق، ص 369.

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 438-440؛ عارف غالب، المرجع السابق، ص 138-139؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ص 254.

إلى السنة الحادية والعشرين من فترة حكمه، ويحكي فيه تفاصيل حروبه التي خاضها ضد الليبيين في مصر. وبهذه الطريقة تم احتلال مصر وصار حكام دولة كوش يعرفون في العالم القديم بملوك كوش ومصر؛ وعلى الرغم من أن "بعنخى" أكمل احتلال مصر وخاض الحرب بنفسه واعترف به آمون[1] إلا أن بعض الباحثين يرون أن "شباكا" هو المؤسس الحقيقي للأسرة الخامسة والعشرين الكوشية في مصر، وربما كان سبب ذلك هو أن "شباكا" نقل عاصمته إلى طيبة بينما رجع "بعنخى" إلى عاصمته القديمة في "نباتا".

قبل أن يغادر "بعنخى" مدينة طيبة جعل الأميرة "شب ان أوبت" ابنة "أوسركون الثالث" التي كانت حتى ذلك الوقت الزوجة الالهية لآمون، تتبنى أخته "آمنرديس" (أو آمون اردس)[2] ، وبهذا ضمن لنفسه ولأسرته ثروة آمون والسيطرة على كهنته.

ترك بعنخى أمراء مصر ومنهم "تف نخت" يحكمون بلادهم باسمه، وكان الواجب عليه أن يظل بجيوشه بعض الوقت في مصر حتى يطمئن على سير الأمور، ولكن حدث العكس إذ أنه بمجرد أن انتهى من قبول خضوع الأمراء قفل عائدا إلى نباتا، فكان هذا الخطأ من جانبه سببا في تجديد المشاكل بعد سفره، خصوصا وأنه لم يعين موظفين يمثلونه في البلاد أو يترك فيها حاميات، بل اطمأن إلى وعود هؤلاء الأمراء التي قطعوها على أنفسهم[3].

استغل "تف نخت" فراغ الميدان الداخلي لمصلحته، فاسترجع سلطانه في الدلتا والأقاليم القريبة منها، وكان يعتز بلقب الكهانة للمعبود" بتاح" رب منف، و"نيت" ربة سايس، واستعاد ألقاب الملكية، ولأمر ما تفاداه "بعنخى" ولم يقاومه ربما لإحساسه بأنه أدى واجبه إزاء مصر وكفى، أو لشعوره بشعبية "تف نخت" بين أتباعه و صعوبة قهره، وبذلك استمتع "تف نخت" بسلطاته في عاصمته "سايس" عدة سنوات، وظلت أسرته الرابعة والعشرون تعاصر أسرة "بعنخى" الخامسة و العشرين لبعض الوقت، دون أن تنجح احداهما في لم شمل مصر كلها تحت رايتها، وإن حاولت كل منهما أن تعمل باسم مصر من ناحيتها[4].

جاء من بعد "بعنخى" "شباكا" –الذي كان أخا له– وكان مصمما على استرجاع كل ميراثه واسترداد مصر السفلى، فغادر "نباتا" وأقام في طيبة، الذي قام منها بغزو الدلتا، وذلك لأن "تف نخت" كان ينتظر

[1]- السماني النصري، المرجع السابق، ص 44.
[2]- أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 324؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص 417.
[3]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص 322.
[4]- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 417-418.

خروج الكوشيين ليتراجع عن استسلامه خاصة أنه أصبح ذو قوة هائلة تؤهله لاسترداد لقب الفرعون، وبعد أن حكم جزءا كبيرا من مصر السفلى تفي "تف نخت" وخلفه ابنه "باك ان رنف" (بوخوريس). كما تمكن في نفس الوقت أمراء الأسرة البوباسطية من استرجاع طيبة، و ظلت في أيديهم حتى مجيء الكوشيين بقيادة "شباكا" الذي لم يعثر على أي نقش له يتحدث عن احتلاله لمصر، لكن "مانيتون" ذكر أن "شباكا" أحرق "باك ان رنف"[1] . إذ خلال هذه الفترة دعي الأمير "شباكا" إلى نباتا وعند عودته إلى مصر وجد على عرشها "باك ان رنف" فقرر في هذه اللحظة أن الفرصة مواتية لكي يعلن نفسه ملكا ويوحد مصر ومملكة نباتا في مملكة واحدة كبيرة ، ويبدو أن "باك ان رنف" حاول التصدي لغزو شباكا للدلتا ولكنه لقي حتفه، ويبدو أن ملوك تانيس و بوباسطة و ليونتوبوليس ، و دوائر " الما " قد أقروا بتبعيتهم له[2]، ويعد ذلك هو الغزو الثاني لجيش نباتا لمصر، ثم أصبحت البلاد كلها خاضعة تحت لواء حكمه.

3- نهاية حكم الفراعنة الكوشيين وعودة حكم الفراعنة ذوي الأصول الليبية لمصر :

1- نهاية حكم الفراعنة الكوشيين لمصر :

اتبع "شباكا" خلال فترة حكمه سياسة المهادنة والمودة مع الدولة الآشورية، فقد أرسل إلى الملك "سرجون الثاني" الهدايا، إذ_عثر على أختام تحمل اسمه في مدينة نينوى بل وربما توصل شباكا إلى ابرام اتفاق دبلوماسي مع آشور ولربما عقد معها معاهدة[3].

خلف "شبتاكا" ابن بعنخى عمه "شباكا"، وربما أنه كان شريكا له في الحكم قبل وفاته بسنوات قليلة، لم يكن "شبتاكا" مثل عمه "شباكا" الذي كان محايدا، فقد قرر الدخول في سياسة الحرب ضد الآشوريين(أنظر الخريطة رقم 13)، وذلك عندما لجأ إليه "حزقيا" ملك يهوذا في مساعدته ضد الآشوريين، فاستجاب شبتاكا لطلب المساعدة وأعد قواته لحربهم في فلسطين وجعل أخاه "طهرقا" –الذي كان من أفذاذ الحرب رغم صغر سنه بحيث قيل أنه لم يتجاوز حينذاك العقد الثاني من عمره – قائدا لها، إلا أن "سنحريب" –ابن سرجون كان أعنف وكان جيشه أكثر عددا وعدة – نجح في هزيمة المتحالفين ، وبعد

[1]- نعمات عبد الجبار ، المرجع السابق ، ص 40 – 41 ؛ أبو المحاسن عصفور ، علاقات مصر ، ص 150.
[2]- رمضان عبده، تاريخ مصر،ج2،ص 383؛نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 442.
[3]-نيقولا جريمال،المرجع السابق،ص 445؛أحمد فخري،مصر الفرعونية،ص 324؛الصادق فرحنا، المرجع السابق،ص 38.

الخريطة رقم 13 : خريطة تبين الغزو الاشوري لمصر في فترة حكم الكوشيين.

عن الموقع الالكتروني: http://explorethemed.com/EgyptAr.asp

الاستيلاء على أورشليم عمد سنحريب لغزو مصر بسبب مساعدتها لملوك أورشليم؛ إلا أنه اضطر للتراجع إلى نينوى ربما بسبب انتشار مرض الطاعون في جيشه[1].

لا يعرف على وجه التحديد الكيفية التي انتهى بها حكم شبتاكا، فقد اختلف الباحثون[2] حول هذه المسألة، ففي حين رأى "آركل" أن "شبتاكا" توفي وفاة عادية، نجد أن "بدج" يرى خلاف ذلك ، ففي رأيه أن "طهرقا" لم يكن راضيا عن حكم شبتكا في مصر، لذلك عندما سمع أن الآشوريون هزموه تحرك من نباتا ومعه قوة بحرية إلى مصر، وعندما وصلها قبض على شبتاكا وقتله ثم نقل جسده إلى كوش حيث دفن في الجبانة الملكية في الكرو. يبدو أن الإفتراض الأول أكثر قبولا خاصة أن طهرقا كان محبوبا لشبتاكا ، كما ذكر في إحدى لوحاته أن شبتكا أرسل إليه طالبا منه المجيء إلى مصر.

خلف "طهرقا" ابن بعنخى العرش بعد وفاة أخيه، وقد حكم طهرقا وادي النيل حتى البحر الأبيض المتوسط، إذا امتدت حدود المملكة جنوبا حتى منطقة "سنار" و "كوسيتي" حيث وجدت بعض الآثار التي تحمل أسماء بعض الملوك الكوشيين وربما أبعد من ذلك؛ انحصرت سياسة الكوشيين الخارجية في هذه الفترة في مواجهة الآشوريين وربما لهذا السبب نقلوا مقرهم إلى تانيس في الدلتا، بدأ "طهرقا" في هذه الفترة يحرض بعض المدن الفينيقية مثل صيدا و"صور" للثورة ضد الآشوريين، غير أنه قبل أن يتمكن من مساعدة أي من المدينتين تمكن "أسرحدون" من إخماد ثورتيهما، وتحرك نحو مصر، حيث هزم الكوشيين وحلفائهم وتقدم نحو "منف" وحاصرها وتمكن من الاستلاء عليها، فخضع له حكام المدن في الدلتا ، كما دفعوا له الجزية، ثم قام "أسرحدون" بعد ذلك بتعيين عشرين منهم ليحكم كل في مدينته ، ورجع بعدها إلى " نينوى"، فبدأت بوادر الثورة في مصر بمجرد مغادرة "أسرحدون" لها خاصة أن بعض ممن ولاهم على المدن في الدلتا مثل "امنمحات" عرفوا بولائهم "لطهرقا" الذي لجأ الى طيبة عندما استسلم أمراء الدلتا "لاسرحدون "،كذلك انقسمت الدلتا إلى مجموعتين تزعم الأولى "باكرير" حاكم إقليم "باسيت" في شرق الدلتا، وتزعم المجموعة الثانية "نيخاو" أمير سايس[3].

وعندما وردت أخبار ذلك إلى طهرقا لم يتوانى في تجميع جيشه من جديد ، وفي أقل من عام تمكن "طهرقا" من استعادة "منف" ونجح في طرد الآشوريين من الدلتا، ودان له حكامها بالولاء لأنهم وجدوا في

---

[1]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 448-450؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص423-424؛أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 326.

[2]- نقلا عن : نعمات عبد الجبار، المرجع السابق، ص 43-44؛ أبوالمحاسن عصفور، علاقات مصر، ص 153.

[3]- الصادق فرحنا، المرجع السابق، ص 39؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ص 259-260.

طهرقا الحاكم الكوشي ما لم يجدوه في الآشوريين، وذلك لأن الآشوريين حكموا مصر دون مراعاة للمعتقدات الدينية المصرية ، على عكس الليبيين والكوشيين الذين حكموا مصر كأنهم فراعنة[1]، لذلك لجأ الأمراء المصريون إلى "طهرقا" ليستعيد الحكم في الدلتا.

قام طهرقا بعزل جميع الحكام الذين عينهم "أسرحدون" وتقدم نحو "منف"، حيث أعلن نفسه ملكا على مصر، ولكن عندما وصلت أخبار ذلك إلى "آشوربنيبال" ابن أسرحدون"، تحرك نحو مصر ليحطم القوة التي جمعها "طهرقا" وحلفاؤه في الحدود؛ تمكن "آشوربنيبال" في هذه الحملة من ضم "منف" ثم زحف جنوبا نحو طيبة التي كانت نهايتها على يده، وفي هذا الوقت لجأ طهرقا إلى بلاد كوش تاركا مصر في يد الغزاة الآشوريين، لم يستسلم طهرقا للهزيمة وربما بدأ في تكوين جيش قوي يمكنه من مجابهة الآشوريين ، كذلك سعى من جهة أخرى للاطمئنان على ولاء بعض أمراء الدلتا له ، إلا أن" آشور بنيبال" أحبط مساعيه، فقد اكتشف الآشوريين تدبيرهم فقبضوا على رسلهم "ولم يستثنوا أحدا من تانيس والمدن الأخرى التي تعاهدت على الثورة، فشنقوهم على السرايا وسلخوا جلودهم وغطوا بها أسوار المدن" وأرسلوا زعماء الثورة إلى نينوى حيث أهلكوا جميعا ، ولم يستثن "آشوربانيبال" منهم غير أمير "سايس" "نيخاو الأول" وربما باعتباره وريث الأسرة الرابعة والعشرين الليبية وسليل أكبر بيت منافس لبيت "طهرقا"، فأبقى عليه وقربه إليه وخلع عليه عددا من أختامه وأهداه عطايا مرفومة باسمه، وعين ولده "بسماتيك" أميرا على مدينة أتريب في شرق الدلتا، كما قام بتعيين أمراء آخرين في الدلتا قبل رجوعه إلى آسيا، وقبل أن يتمكن طهرقا من درء خطر الآشوريين عن مصر توفي في نباتا حوالي عام 664 ق.م[2].

لما توفي "طهرقا" خلفه في الحكم "تانوت آماني"، الذي عمل على استعادة مصر العليا من الآشوريين لكن لفترة قصيرة ، وذلك لأن "بسماتيك الأول" ابن نيخاو الذي خلف " تف نخت " (ربما كان حفيذا له)، استغل تعيين الآشوريين له حاكما ليجعل من نفسه فرعونا مستقلا في الشمال[3]، أما في الدلتا فإن " تانوت آماني" لم يتمكن من مجابهة أمرائها لأنهم تراجعوا أمامه وتحصنوا في مدنهم، ولما يئس من ملاقاتهم رجع إلى "منف" وبدأ يفكر في محاصرتهم، إلا أن بعض هؤلاء الأمراء جاءوه معلنين رغبتهم في الخضوع إليه.

[1]- نعمات عبد الجبار، المرجع السابق، ص 44؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص 327.
[2]- عبد الحليم دراز،المرجع السابق،ص 71؛عبد العزيز صالح، المرجع السابق،ص 428-429؛أحمد فخري، المرجع السابق ،ص 327.
[3]- نعمات عبد الجبار، المرجع السابق، ص 45-46؛أبو المحاسن عصفور، علاقات مصر ،ص 156.

اتجه "آشوربنيبال" نحو مصر، وعندما سمع " تانوت آماني" بوصوله لجأ إلى طيبة، كما أن الأمراء الذين سبق أن خضعوا له استسلموا "لآشوربنيبال"، الذي تقدم بجيوشه نحو "منف" ثم بدأ بعد ذلك في مطاردة تانوت آماني[1]، مما اضطر تانوت اماني إلى الفرار إلى "نباتا".

ونتيجة لذلك تراجع الكوشيون إلى الجنوب صوب موطنهم الأصلي والهزيمة التي ألحقها الآشوريون بالكوشيين أضعفت قوتهم في مصر، وبالتالي كانت نهاية الحكم الكوشي لمصر برجوع "تانوت آماني" إلى "نباتا" حيث توفي فيها ، وعلى الرغم من أن "تانوت آماني" كان آخر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في مصر، إلا أن حكم هذه الأسرة في كوش لم ينقطع وواصلوا حكمهم حتى منتصف القرن الرابع ميلادي[2].

رغم الأحداث التي عرفتها مصر بعد الغزو الآشوري، إلا أن السلطة الفعلية فيها كانت في يد "بسماتيك" الذي، تم تعيينه أميرا لأتريب، فقد تولى إمارة "سايس" بعد والده و أعلن نفسه ملكا على مصر على إثر عودة آشور بانيبال من حملته الأولى، أي قبل غزوة آشور الثانية لطيبة، و في نفس الوقت كانت سلطة "تانوت آماني" معترفا بها في مصر العليا لمدة تزيد على ستة سنوات[3] بعد فراره من مصر، ونظرا لغياب النصوص المصرية التي أشارت إلى خروج الآشوريين من مصر لم يستطع المؤرخون أن يحددوا السبب المباشر لانسحابهم من مصر.

أصبح " بسماتيك الأول " (664–610ق.م) الحاكم الوحيد للإقليم الممتد من الدلتا شمالا حتى الشلال الأول جنوبا ، وهو الذي بدأ عصرا جديدا في حياة مصر، وقد أصبحت البلاد في عهده مستقلة تماما بعد أن كانت من قبل تحت حكم الآشوريين، وخلص مصر ليس من الآشوريين فقط بل من الكوشيين أيضا، ونهض بالبلاد وأسس أسرة جديدة هي الأسرة السادسة والعشرين الصاوية ، التي يتفق الكثير من الباحثين أنها من أصل ليبي [4]، كما أن مصر عاشت في عهده عصرا زاهيا لم تعشه منذ عدة قرون ، حيث اعتبر المؤرخون أن مجد مصر القديم وعلو شأنها وحضارتها قد عاد مرة أخرى مع بداية هذه الأسرة ذات الأصول الليبية، وبذلك عاد الفراعنة ذوي الأصول الليبية لحكم مصر.

---

[1]-أحمد فخري، مصر الفرعونية،ص328؛ رمضان عبده، تاريخ مصر،ج2،ص 395-396؛ أبو المحاسن عصفور، علاقات مصر،ص156.

[2]- السماني النصري، المرجع السابق،ص 45-46؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ص 431.

[3]- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 156-157.

[4]- للاستزادة أكثر أنظر: سليم حسن، مصر القديمة ، مصر القديمة،عصر النهضة المصرية و لمحة في تاريخ الإغريق،ج 12، مطبعة جامعة القاهرة، 1957.

2- الأصول الليبية لفراعنة مصر في العهد المتأخر:

إن دراسة أصول أسرات العصر المتأخر تعد من القضايا التاريخية الشائكة، حيث لا توجد آثار أو نصوص كافية تفصح عن أصول هذه المسألة، رغم ما درج عليه كثير من المؤرخين وعلماء الآثار بإضفاء الأصل الليبي على هذه الأسر، استنادا إلى الأصول الليبية للأسرات الثانية والعشرين والثالثة والعشرين و الرابعة و العشرين[1].

فخلافا لما كان معروفا عن فترة حكم الليبيين لمصر خلال فترة الانتقال الثالثة، يجدر التأكيد على أنّ حكم الليبيين لمصر لم ينته مع نهاية فترة الحكم الليبي المباشر للأسرات 22-23-24 المتزامنة سنة 715 ق.م. فقد تناوب الليبيون حكم مصر بعد هذا التاريخ ولعدة قرون تلت، وهي فترة تتعدى الثلاثمائة وعشرين عاما – تسع سنوات فقط، قبل مجيء الاسكندر الأكبر إلى مصر وانشائه للإسكندرية في 332ق.م[2].

فبالنسبة للأسرة السادسة والعشرين، هناك من يرى وجود علاقة وطيدة بين الأسرتين الرابعة والعشرين الليبية والأسرة السادسة والعشرين، وكان "نافيل" أول من نادى بهذا الرأي عندما قدم قراءة جديدة لخرطوش "تف نخت" التي سجل فيها اسم العرش "شبسس رع" وخرج من وراء ذلك بأن "تف نخت" هو أصل الأسرتين الصاويتين، وتبعه بعد ذلك كل من "بتري" و"جوتييه" حيث ركز الأول عند تناوله لدراسة الأسرة الرابعة والعشرين أن يؤخرها لحين الانتهاء من دراسة الأسرة الخامسة والعشرين أولا، ثم يقوم بدراسة الأسرتين الصاويتين بشكل متصل، وقد ركز "بتري" في هذه الدراسة على التسلسل الزمني المتصل بين ملوك الأسرة الرابعة والعشرين حتى وصل إلى "بسماتيك الأول" وبدأ به الأسرة السادسة والعشرين[3].

ويعتقد هؤلاء جميعا أن الأسرة الرابعة والعشرين تتكون من "تف نخت" و "باك ان رنف" و(ستيفنيتس) "تف نخت الثاني" و"نخبسوس"(نخاوبا) و نخاو الأول، ويؤيد ذلك أيضا وجود علاقة قوية بين "نخاوبا" و"باك ان رنف"(بوخوريس)، حيث أن الأول ابن للثاني، ويرجح ذلك أن "نخاوبا" أشير إليه في موضعين، الأول في آخر قائمة الرعامسة ثم بعد ذلك وضع في مكانه الصحيح، وهو نفس الشيء بالنسبة لـ "باك ان رنف"، حيث وضع حوالي نهاية الأسرة التاسعة عشرة في فقرة ل"يوسيبيوس"، ومعنى ذلك أن "باك ان رنف" سبق "نخاوبا" حتى في الوضع الخاطئ مما يبين ارتباط هذين الملكين ووجود صلة قوية بينهما، حتى أن "دريوتون وفانديه" يقولان أن أمير صا (أي صان الحجر)، "نخاوبا" ابن "باك ان رنف" بلا ريب[4]، وعلى ذلك فالأسرة السادسة والعشرون ليست إلا امتدادا طبيعيا وتاريخيا للأسرة الرابعة والعشرين الليبية بحكم صلة القرابة ونفس العاصمة التي حكمت منها الأسرتان الصاويتان وهي "سايس"، فالأسرة السادسة والعشرين ذات أصول ليبية.

---

[1]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 186.
[2]- فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص 15.
[3]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 188-189.
[4]- عبد الحليم دراز، المرجع نفسه، ص 189-190؛ سليم حسن، مصر القديمة ، ج 12، ص ص 3-12.

نسب "مانيتون" الأسرة السابعة والعشرين للغزو الفارسي، في أواخر القرن السادس قبل الميلاد حوالي 525 ق.م؛ وقد كان للّيبيين دور في تحرير مصر من هذا الغزو، إذ كان معظم قادة الثورة في مراحلها المختلفة يرجعون لأصول ليبية، وكثيرا ما كانت ليبيا ملاذا لهؤلاء الثوار؛ ومن أهم هذه الثورات تلك التي قامت في حوالي 486 ق.م، حيث تذكر المصادر أن الثوار كانوا يهاجمون مراكز الامداد ومستودعات التموين الخاصة بجند الحاميات الفارسية في أنحاء البلاد، وقد كانت هذه الأحداث هي بداية الثورة التي عمت البلاد وكانت بقيادة أمير ليبي؛ وتذكر المصادر أن "خباش" كان قائدا للثورة التي فشل الوالي الفارسي في اخمادها، وقد نجح قائد الثورة في استرداد ما استولى عليه الفرس، ولكن يبدو أن فرحة الانتصار هذه لم تدم طويلا وذلك أن الامبراطور الفارسي "أكسيركسيس" خليفة "دارا الأول نجح في اخماد الثورة وأدار البلاد بقسوة كرد فعل على أحداث هذه الثورة الليبية[1].

كما قامت ثورة أخرى ضد الاحتلال الفارسي في مصر حوالي عام 460 ق.م بقيادة أمير ليبي هو "ارتن جر ارو"، وقد أسماه "هريودوت" "إيناروس"؛ وهذا القائد كما يرى "نيقولا جريمال" كان ينحدر من الأسرة الملكية الليبية وهو ابن "بسماتيك الثالث" آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين الصاوية؛ كان "ايناروس" ملكا على ساكني الأقاليم الغربية شمال الدلتا الذين كانوا يتركزون حول حصن "ماري"(مريوط) وضواحي الاسكندرية فيما بعد، وتختلط أصولهم بالدماء الليبية، وهذا ربما يفسر تسمية هيرودوت[2] لهذا الزعيم بملك الليبيين.

ساعد "ايناروس" في حربه ضد الفرس الأمير "آمون اردي سو" (أميرتايوس)، والذي كان هو الآخر من نسل ملوك سايس الليبيين، وقد استطاعا سويا أن يبسطا نفوذهما على كافة مناطق الدلتا وحتى منف، إلا أن هذه الثورة قد فشلت واعتقل "ايناروس" ، بعدها أعدم في فارس[3].

على الرغم من أن ثورة "ايناروس" لم تحقق أهدافها، في النهاية يجب التأكيد على أن فترة النضال هذه تعد مرحلة هامة في التاريخ المصري الليبي، إذ "هيرودوت" نفسه يؤكد على أن "ايناروس" نجح في دحر الفرس وأنه أساء إليهم ودمر خططهم أكثر من أي ثائر آخر في المراحل التاريخية السابقة أو اللاحقة[4].

أما القائد الثاني للثورة "أميرتايوس" فقد فر إلى جزيرة البوّ في مناقع الدلتا، حيث حاول أن يقتحم بقواته أراضي مستنقعات الدلتا في الركن الغربي، وظل هناك يجري استعداداته حتى حوالي عام 449 ق.م، وحاول طلب المساعدة من الإغريق لكن الأمر فشل، وحاول الفرس تهدئتهم فعينوا كلا من "تاميراس" و"بوزيريس" ابني قائدي الثورة في منصبي والديهما على رأس الحكومة في الأقاليم التي كانوا يحكموها[5].

---

[1]- فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص 18.

[2]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 190؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 478. أنظر: Hérodote, livre III, para 15.et voir aussi A.T.Olmstead, history of the Persian empire,5th edit,Chicago, 1966, p 303.

[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 478؛ محمود عبد المنعم الجزار، المرجع السابق، ص 140.

[4]- فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص 19؛ سليم حسن، مصر القديمة، من العهد الفارسي إلى دخول الاسكندر الأكبر مصر، ج 13، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ص 122؛ Hérodote, livre III, para 13.

[5]- محمود عبد المنعم الجزار، المرجع السابق، ص 140؛ سليم حسن، مصر القديمة، المرجع السابق، ص 123-124.أنظر: O.T.Olmstead, op-cit, p p 303-308.

وبالنسبة للأسرة الثامنة والعشرين، مؤسسها هو "أميرتايوس الثاني"(آمون اردیسو)، الذي يعود بجذوره إلى الأسرة السادسة والعشرين الليبية حسبما تسجله المصادر الاغريقية والآرامية والديموطيقية، وهو حفيد الأمير الليبي "أميرتايوس الأول" الذي كان رفيق السلاح للأمير الليبي "ايناروس" في حربه ضد الفرس بمصر؛ ونحن نعرف أن ثورة "ايناروس" وأمير تايوس الأول" ضد الفرس قد فشلت في النهاية وبقيت مصر في يد الفرس. ليقوم بعدها "أمير تايوس الثاني" ومن قاعدته في مصر السفلى (الدلتا) بقيادة المقاومة ضد الفرس– تماما كما فعل جده– فلم يستطع القائد الفارسي الصمود طويلا أمام ثورة انتشرت في شمال ووسط وجنوب مصر، ويهزم الفرس ويصبح "أميرتايوس الثاني" ملك على كل مصر ومؤسسا للأسرة الثامنة والعشرين سنة 404 ق.م. فإنجازات "أميرتايوس الثاني" تخلد إلى البلد لأنه يعد بطل التحرير ومخلص مصر من هيمنة الفرس[1].

بعد ذلك تعاقبت على عرش مصر أسرتان هما الأسرة التاسعة والعشرون والأسرة الثلاثون؛ وإذا عدنا للوراء قليلا نجد أن مصر قد فقدت وحدتها السياسية خلال عصر الانتقال الثالث وانقسمت إلى إمارات صغيرة مستقلة يحكمها أمراء ليبيون يعرف الواحد منهم باسم زعيم ال"ما" أي زعيم المشواش، وكان من بين هذه الأقاليم "منديس" مسقط رأس مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين، و"سبنتيوس"(سمنود) التي أسس حاكمها الأسرة الثلاثين؛ ظل أمراء ال"ما" يحكمون اماراتهم إما مستقلين وإما خاضعين لأمير منهم أصبح لقوته ملكا بعد وصوله لعرش مصر، وهكذا إذا سنحت الفرصة لأي منهم لا يتردد في محاولة الوصول للحكم، وهذا ما فعله أمراء ال"ما" في مندس و سبنتيوس[2].

أعلن "نفرتيس الأول" حوالي عام 399 ق.م نفسه ملكا على مصر مؤسسا الأسرة التاسعة والعشرون؛ ويرجح "سليم حسن" أن اسم "نفرتيس الأول" بالمصرية "نايف عاو ورد" ليس مصريا قط وأنه من أصل ليبي، ولا نعرف الكثير عن ارتقاء "نفرتيس الأول" خلفا لأميرتايوس الثاني" عندما تولى السلطة، كما نجهل المناصب التي شغلها من قبل، و ربما كان من القادة العسكريين؛ كانت "منديس" مسقط رأسه ولهذا السبب يعتبر أن أجداده من الليبيين[3].

وأتى على أعقاب هذه الأسرة أسرة أخرى وهي الأسرة الثلاثون، وتلقب بالأسرة السمنودية نسبة إلى (سمنود حاليا "سبنتيوس")، وقد ظل ملوكها يحكمون البلاد حتى الغزو الفارسي الثاني، ومؤسس هذه الأسرة هو "نقطانيب الأول"[4] حوالي 378 ق.م، وقد اعتلى هذا الأخير عرش مصر بتأييد الكهنة خاصة كهنة "سايس" الذين كان لهم نفوذ قوي وعملوا على تدعيم ملكه مقابل أن يجزل لهم العطاء، فأحال ضريبة العشر المفروضة على منتجات وصادرات وواردات نقراطيس إلى معبد الآلهة "نيت" بـ"سايس"[5].

---

[1]- فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص 19-20؛ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 479.
[2]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 191.
[3]- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 479-480؛ سليم حسن، مصر القديمة، ج13، ص 150-151.
[4]- سليم حسن، المرجع نفسه، ص 144.
[5]- عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 191.

وترجع أصل هذه الأسرة إلى زعماء ال"ما"، الليبيين حكام الأقاليم في العهود الماضية، وكان من أبرز ملوك هذه الأسرة هو "نقطانيب الثاني" فقد تطورت مصر حضاريا في عهده إلا أنه لم يتمكن لوحده من الوقوف أمام تجمع عسكري إغريقي فارسي حوالي عام 343 ق.م، وفي مواجهة عسكرية يهزم جيش "نقطانيب" وتستعيد الدولة الأخمينية الفارسية مصر، بادئة من "ممفيس"، وتصبح جزءا من امبراطوريتها ويضطر "نقطانيب إلى الهروب جنوبا في اتجاه النوبة، ولم يعرف شيء عن مصيره بعد ذلك ؛ لتصبح مصر بعدها ولاية فارسية للمرة الثانية ويستمر كذلك حتى عام 332 ق.م[1] ، وتعتبر هذه الفترة من تاريخ مصر الأسرة الواحد والثلاثون، ولكن حكمهم ينتهي في نفس العام بوصول الاسكندر الأكبر إلى مصر.

ثالثا : علاقات الملوك الليبيين بليبيا الوطن الأم و قرطاجة:

1- علاقات الملوك الليبيين بليبيا الوطن الأم :

لم تسجل لنا المصادر التاريخية أحداث كثيرة تتعلق بمنطقة غرب مصر أو ليبيا الوطن الأصلي لليبيين وعلاقتها بالملوك الليبيين، وكان ذلك أمرا طبيعيا فسكان تلك المناطق كانوا يمثلون امتدادا جغرافيا واجتماعيا للأسرة الحاكمة، وكما هو معروف فقد عيّن الفراعنة الليبيون حكاما تابعين لهم لإدارة مناطق الغرب والواحات الليبية[2]، ودليل اهتمام الملوك الليبيين بوطنهم ما روته بعض المصادر أن الملك "شيشنق الأول" أرسل أحد موظفيه ليفحص حالة الواحات ويقترح ما يؤدي إلى عمرانها، بالإضافة إلى آثار من الخارجة والداخلة من هذا العهد[3].

حيث تظهر لوحة من واحة الخارجة قيام " شيشنق الأول " بحملة عسكرية على واحة الخارجة بعد قيام ثورة بها إلا أنه فيه من يرى أنها لا تتعلق بثورة ، وإنما كانت موجهة ضد بعض المنفيين والمجرمين والعناصر الثائرة الذين كانوا يطردون إلى تلك الواحات[4]، حيث تعتبر كمنفى لهم ، ويرغبون في التخلص منه.

لقد كان وصول شيشنق الأول وأسرته إلى السلطة بتأييد من العناصر القوية في الجيش، وهؤلاء كانوا في معظمهم من الليبيين(رؤساء المشواش، أمراء الحاميات العسكرية)، وقد كان ثمن ذلك أن احتفظ هؤلاء بنفوذهم في المناطق التي تحت قيادتهم ، وينطبق نفس الأمر على زعماء القبائل وحكام المناطق

[1]- فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص 20.
[2]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 298.
[3]- أحمد فخري، الواحات المصرية في التاريخ،المجلة التاريخية المصرية، مج 4، العدد 1، مصر، 1951، ص 187.
[4]- أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق،ص 214.

مما يعني أنه كان هناك ما يشبه الحكم الذاتي تحت سلطة الفرعون الإسمية، واستمر ذلك حتى بعد خلفاء شيشنق ، فاللوحة التي تعود إلى عهد الملك " شيشنق الرابع " تبين ذلك ، وهي تعرف بلوحة " واشاتيهاتا " وهي لوحة لرئيس القوافل الفرعونية الذي يدعى " واشاتيهاتا"، وأهمية اللوحة تنحصر في وظيفة صاحبها، إذ كان المراقب على طرق المواصلات بين واحات الصحراء الليبية ، وكذلك في أهمية رئيسه المباشر الذي كان يلقب " الرئيس الأعظم لقوم "ما"(أي ليبيا) المسمى " حاتيحنكر"[1] وكان الحاكم من قبل الفرعون على جزء من الدلتا الغربية و يحتمل كذلك الحاكم على جزء غير معين من بلاد ليبيا يشمل الواحات.

ولا نزاع في أن هذا النظام كان استمرارا للنظام الذي وضعه "شيشنق الأول"، كما أن الأسماء التي يحملها هؤلاء الموظفون هي أسماء ليبية، وجاء فيه ما يلي:" السنة التاسعة عشرة في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري "عاخبر رع" "شيشنق الرابع" معطى الحياة..ليتها تمنح الحياة والسعادة والصحة للرئيس العظيم لبلاد "ريبو"(ليبيا)....ليتها تمنح الحياة والسعادة والصحة لرئيس القافلة الفرعونية"[2]. ومن هذه اللوحة نفهم الصلة الدائمة التي كانت بين ملوك مصر الليبيين وبين الواحات، وكذلك يتضح لنا استمرار سيطرة أعضاء أسرة "شيشنق" على هذه الجهات و تنصيبهم في الوظائف العليا بها.

وفي عهد هذه الأسرة (الثانية والعشرين) عاش شخص يسمى "ارعوا" في الواحات البحرية، أسس عائلة حكمت هذه الواحة التي بلغت أوج ازدهارها، أحد أحفاده وهو كبير كهنة الواحات وحاكمها "زدخونسوأوف عنخ" الذي عاش في عهد الملك "أحمس الثاني" في عهد الأسرة السادسة والعشرين[3].

والواقع أن هذا الأمر لا يختلف كثيرا عن العهود السابقة، حيث لم يشهد تاريخ الدولة المصرية أي تدخل عسكري داخل ليبيا القديمة أو على حدودها، وإن لم يخل الأمر من اصطدامات بين القبائل الليبية والسلطة الفرعونية، قريبا من الدلتا أو بجوارها ، ويمكن القول إجمالا أن القبائل الليبية التي اصطدمت كثيرا بالسلطة الفرعونية لم تجد في ذلك الوقت عائقا أمام دخولها مصر، ولذلك فإن أي صدام بينهما وبين السلطة الحاكمة التي تمتّ لها بصلة القربى كان أمرا بعيد الاحتمال[4].

---

[1]- Breasted,ARE,vol IV, para 782,p 392.؛ سليم حسن، مصر القديمة،ج9، ص ص 386-387.
[2]- سليم حسن، المرجع نفسه، ص 387.
[3]- أحمد فخري،الواحات المصرية، ص 187.
[4]- حسين عامر، المرجع السابق، ص 298-299؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 34.

لذلك فالأقرب إلى الاحتمال أن الليبيين استمروا في المجيء إلى مصر لأنه لم يعد هناك عائق ما يمنعهم عن دخولها ، فأخذوا يستقرون في المناطق الشرقية والغربية من ليبيا، وأخذوا يكيفون حياتهم مع البيئة التي اختاروا الاستقرار فيها[1]، لاسيما وأن ضغط شعوب البحر كان قد ضعف إلى الحد الذي لا يمكن ملاحظته على الأقل، وأن هذه القبائل قد تمتعت باستقلالها داخل المناطق التي استقرت فيها، و لم تعتبر نفسها تابعة لمصر إلا اسميا نظرا لأن فراعنة مصر يرجعون إلى أصل ليبي، وسنرى أن تاريخ ليبيا والليبيين قد تغير بنزول الفينيقيين على أراضيها وانشاء محطاتهم التجارية على سواحلها، بالإضافة إلى مجيء الإغريق إلى برقة وإنشاء أولى مستعمراتهم "قورينة" حوالي عام 631 ق.م، إلا أن تبعية الليبيين لمصر تبقى شكلية واسمية، إذ يشير هيرودوت[2] إلى ذلك في قوله :"ان أدركان ملك ليبيا عندما استنجد بفرعون مصر ضد الإغريق سنة 570 ق.م، كان لا يعتبر نفسه تابعا من أتباعه"؛ وكذلك فإن الحملات التي قام بها الفرس في عهد "قمبيز" و "أرياندس" ضد قورينة تعرضت للنهب والسلب من قبل القبائل، وهذا يفسر لنا أن قورينة كانت مستقلة تماما عن مصر حيث أن مصر لم تتعرض للحملات الفارسية المذكورة[3].

2- علاقات الملوك الليبيين بقرطاجة :

لم تتعرض المصادر الأدبية البتّة إلى العلاقات أو المبادلات بين قرطاجة ومصر في عهد الملوك الليبيين، إلا ما قدمته نتائج التنقيبات الأثرية من معلومات حولها، فقد لاحظ "ج.فيركوتير"[4] غزارة اللقى المصرية أو المتأثرة بالفن المصري داخل الأثاث الجنائزي القرطاجي، ويتعلق الأمر غالبا بلقي ذات أحجام صغيرة نذكر من بينها الجعران والتمائم، من هنا سعى هذا الباحث للإجابة عن سؤال هام أوّل وهو كيف بلغ هذا الإنتاج أرض قرطاجة؟ مستعرضا للغرض كل الاحتمالات الممكنة وهي على التوالي : خط يمر عبر منطقة " أتروريا "، خط بري افريقي، خط بحري افريقي وأخيرا خط يمر عبر جزيرة صقلية.

استطاع "ج. فيركوتير" ابراز الصعوبات التي تقف حائلة أمام إمكانية القبول بفرضية الخطين الإفريقيين (برا و بحرا) مقصيا في الآن نفسه إمكانية العبور عبر منطقة اتروريا وهو ما ترك أمامه

---

[1]- رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 177؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 34.

[2]- Herodote, livre IV, para 150-167-201.

[3]- رجب الأثرم، المرجع السابق،ص 177-178؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 34-35.

[4]- J.Vercouter,les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois,in Syria,tome 25,fascicule 3-4, 1946, p p 307-308.

خيارا وحيدا يتمثل في هذا الخط الذي كان يمر بحرا عبر أقصى غرب جزيرة كريت، ليبلغ بعد ذلك جزيرة صقلية ومنها قرطاج وهو خط تعوّد التجار الفينيقيون اتباعه، لذلك لم يستبعد هذا الباحث إمكانية أن يكون التجار القرطاجيون قد قاموا بالسج على منوال هؤلاء متبعين في ذلك نفس العادات الحربية[1].

من جهة ثانية وفي محاولة تحديد هوية المتحكمين في هذه المبادلات دافع "ج.فيركوتير" عن أن يكون هؤلاء من الإغريق ؛ لئن اثبتت الحفريات الأخيرة صحة الرؤية التي قدّمها هذا الباحث بالنسبة إلى الخط التجاري فإن الأبحاث تميل أكثر فأكثر إلى تفنيد ما ذهب إليه بالنسبة إلى هوية أصحاب هذه التجارة ، ذلك أن ما وقع العثور عليه من وثائق أثرية في "موتيي" تثبت بطريقة جليّة ضعف التأثيرات الإغريقية على نقيض التأثيرات المصرية، ومن المفيد في هذا الإطار التذكير بالنصب المكتشفة في "توفات " هذا الموقع وما تحمله من نحوت هي أكثر ارتباطا بالفن المصري ، وهو ماحمل " س.موسكاتي" مثلا على القول أن هذه التجارة كانت بيد القرطاجيين[2].

ورد عند بعض الباحثين أن قرطاجة كانت لها أطماع في مصر أثناء مرحلة الفوضى، ويحتمل أنها استولت على طيبة في العام 37 من حكم "شيشنق الرابع"، إلا أن "أم الخير العقون"[3] ترى أنه لا توجد مادة كافية لتعطي تفاصيل أكثر حول هذا الخبر، ويمكن اعتبارها– إن حدثت– فعلا مجرد حملة ضد طيبة، ثم انسحبت قرطاجة بعد ذلك، لأننا لا نجد ذكرا لها بعد ذلك، كما يمكن الإشارة إلى أن حكام مصر في تلك الفترة في طيبة أو غيرها من المدن الكبرى التي أقامت امارات مستقلة كان يحكمها قادة من الليبيين من قبيلة الريبو أو من قبيلة المشواش، وأنهم لم يقدموا أي مساعدة لأنهم كانوا متمصرين منذ زمن طويل، لذلك فهي تستبعد أن يكون زعيم الليبو "عنخ حور"، الذي كان معاصرا لشيشنق الخامس قد قاد القرطاجيين إلى طيبة، لأننا نعلم من جهة أخرى أن ابنته كانت ضمن حريم الإله آمون، وكانت رئيستهن آنذاك هي "آمنرديس" أخت الملك الكوشي "بعنخى" الذي بسط نفوذه على طيبة وترك بها حامية عسكرية.

[1]- الشاذلي بورونية و محمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ و حضارة، مركز النشر الجامعي،تونس، 1999،ص 228.
[2]- نقلا عن :الشاذلي بورونية و محمد الطاهر، المرجع نفسه، ص 228-229.
[3]- أم الخير العقون، دولة الأمازيغ، ص 236.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال العرض السابق لفصول الدراسة، التي سلطت الضوء على العلاقات التاريخية الحضارية، بين مصر والدول المجاورة في عهد الملوك الليبيين، استخرجنا عدة نتائج يمكن ايجازها فيما يلي:

– تميزت علاقة مصر بدول الجوار منذ عهد ما قبل الأسرات إلى عصر الدولة الحديثة، بكونها تارة ودية سلمية أساسها التبادل التجاري بين الطرفين، وتارة أخرى عدائية حربية، لكنها في كلتا الحالتين، كانت تهدف لحماية حدودها والحفاظ على أمنها واستقرارها، مع ضمان الاتصال بدول الجوار والاستفادة منها بتأمين طرق التجارة وتثبيت مصالحها، وغالباً ما كان الدافع الاقتصادي هو الدافع الرئيسي المباشر لإقامة تلك العلاقات السياسية الخارجية.

– إن التاريخ الليبي القديم مرتبط في بعض مراحله بالمصدر المصري ،الذي أمدنا بالكثير من المعطيات التاريخية حول القبائل الليبية، فالآثار المصرية بما تضمنته نقوش جدران المعابد، المقابر ونصوص البرديات من أخبار عن القبائل الليبية القديمة وعن سماتهم الشخصية، وأزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم، توفر مادة يمكن أن تشكل أرضية تلغي الفكرة القائلة بوجود حلقة مفقودة في التاريخ الليبي القديم في فترة فجر التاريخ، و لعل الفكرة ستتبلور أكثر في حال حصول مسح أثري شامل للمنطقة، و دراسة شاملة و عميقة لجلاء بعض غموضها خاصة مع قلة ما كتب عنها بسبب قلة مصادرها، و هي مهمة ملقاة على عائق كل من يريد كتابة تاريخ هذه المنطقة.

– على الرغم من طول مدة استقرار القبائل الليبية في مصر، ووصول بعض قادتها إلى مراكز عسكرية ودينية وإدارية عالية، إلا أنها لم تتخل عن أهم العادات والتقاليد والأعراف التي تمثل رموز شخصيتها الليبية بل ازدادت تمسكا بها لما تحمله من إشارات تدل على خصوصيتها، لذلك فقد حافظت على أسماءها الليبية ووضع الريشة على رؤوسها.

– فشلت القبائل الليبية المعروفة من خلال المصادر المصرية كالتحنو، التمحو، الريبو أو الليبو، والمشواش، في دخول مصر عنوة إلا أن ضغطهم اتخذ شكلا آخر، و قد تمثل في التغلغل البطيء طيلة قرنين من الزمن، وانتهى بجلوس "شيشنق الأول" على عرش الفراعنة، فوصول الليبيين إلى حكم مصر، لم يأت دفعة واحدة ولم يكن نتيجة لغزو أو احتلال أو اغتصاب للسلطة، و إنما ساهمت في حدوثه ظروف وأحوال مصر الداخلية المتردية، منذ بداية الضعف في مصر أواخر الأسرة العشرين، حيث حصل انقسام السلطة بين الكهنة في الجنوب و الملوك في الشمال، وفقدت مصر هيبتها على الساحة الدولية،

في خضم هذه الظروف كانت العناصر الليبية داخل مصر تملك القوة والنفوذ والنضج السياسي، بعد انخراطهم في جيش الدولة المصرية خاصة في عصر الدولة الحديثة، حيث كان معظم الجنود والقادة من القبائل الليبية فصار لهؤلاء نفوذ ضخم في الدولة، بالإضافة إلى تمكنهم من السيطرة على أعلى المناصب الدينية، وبذلك توفر لهم نفوذ سياسي وعسكري وديني، واقتصادي بعد منحهم هبات من إقطاعات وامتيازات، فكل هذا مهد الطريق أمامهم لتولي السلطة في مصر الفرعونية، ومكنهم من الجلوس على عرش مصر، فالملوك الليبيين حكموا مصر وهي في حالة ضعف فأعادوا لها هيبتها ومكانتها ومجدها.

– تمكن "شيشنق الأول" الوصول إلى الحكم في مصر، بعد وفاة آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وهكذا تم وصول اللّيبيين إلى الحكم في مصر بعد عدة محاولات منذ العصور القديمة التي امتازت فيها العلاقات بينهما بالعداء و بالسلم في بعض الفترات، حتى وصل "شيشنق الأول" إلى الحكم بطريقة سلمية، وحتى يجعل لقبه الملكي شرعيا زوّج أحد أبنائه بابنة "بسوسنس الثاني" آخر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين، وهكذا تمكّن اللّيبيون من الدخول إلى مصر والاستقرار فيها، وتمكنوا من حكم البلاد في وقت كانت فيه مصر بحاجة إلى من يوحّد صفوفها ويعيد لها قوتها و هيبتها بين الدول.

– إنّ المستوى الحضاري وبشكل خاص المعماري والفني ظل مزدهرا، فقد شهدت هذه الفترة من حكم الليبيين تطورا في العمارة والفنون الصغرى والتشكيلية والجواهر، وهذا من خلال ما تركه لنا هؤلاء الملوك الليبيين من آثار وبفضل التنقيبات الأثرية لمقابرهم تمكنا من معرفة مدى الإبداع الفني والخصائص التي تميز بها هذا الفن حيث أضفت عليه صبغة جديدة مختلفة عن تلك التي سبقتها في العهود الأولى من حكم الفراعنة المصريين، إذ أصبح الفنان متحرراً، و اتسم فنه بتلقائية التعبير، وهذا راجع إلى تواضع الملوك الليبيين، كما تخلى فنانو هذه المرحلة عن صبغة التصنع والتعالي والجد والوقار التي تميزت به تماثيل ورسومات الفراعنة المصريين، كما حافظ الليبيون على الملامح الحضارية الخاصة بهم وذلك في المجال الثقافي والديني حتى أثروا في الحضارة المصرية، وبذلك أضاف الحكم الليبي قدرا كبيرا من المنجزات الحضارية المعمارية والفكرية، صار يمثل جزءا من الرصيد الحضاري لمصر، كما مثل الليبيون على الدوام، وعبر مراحل تاريخ الدولة المصرية احتياطا بشريا واقتصاديا وحضاريا كبيرا لها.

– إن قيام الحكم الليبي في مصر أعاد للدولة المصرية وحدتها و هيبتها أمام الدول المجاورة، وأنقذها من الضعف والركود والانقسام.

– عرف الحكم الليبي لمصر قيام ثلاث أسر ليبية الأصل وهي الأسرة الثانية والعشرين، الثالثة والعشرين، الرابعة والعشرين؛ وقد مر هذا الحكم بمرحلتين مختلفتين، المرحلة الأولى امتدت من حوالي 950 ق.م إلى غاية 850 ق.م، وقد تميزت بالقوة والمركزية، حكمها مؤسس الأسرة الليبية الثانية والعشرين الفرعون "شيشنق الأول" وخلفاؤه ، ثم مرحلة ثانية امتدت من 850 ق.م، إلى غاية انهيار الدولة الليبية حوالي 715 ق.م، ظهر فيها بيتين حاكمين ثم ثلاثة بيوت حاكمة، اتسمت هذه المرحلة بالفوضى واللامركزية.

– قام الملك "شيشنق الأول" بعد اعتلائه عرش مصر، بعدة إصلاحات داخلية ثم خارجية، فبعد عودة السلم والأمن إلى مصر وإعادة توحيدها من جديد، جمع كل السلطات الفعلية في البلاد في يده وأدخل تعديلات على أجهزة الدولة وأضاف وظائف جديدة و قام بإصلاحات في مختلف الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية والفنية، وبعد إكماله الإصلاحات الداخلية التفت إلى الجانب الخارجي، حيث قام بحملة على فلسطين والتي بفضلها تمكن من الحصول على ثروة طائلة، واسترجعت مصر بعدها هيبتها وسمعتها بين الحضارات المجاورة لها واستعادت المناطق التي كانت تحت سيطرتها، وعادت لتقديم الولاء لها.

– توفي "شيشنق الأول" بعد أن أعاد لمصر استقرارها، ونشاطها الداخلي وممتلكاتها ونفوذها الخارجي، وقام خلفاؤه بمواصلة العمل على إصلاح شؤون مصر الداخلية وتوسيع حدودها وتنشيط اقتصادها، رغم التفتت السياسي الذي شهدته مصر في عهدهم، فقد انقسمت البلاد وظهرت أسر ليبية أخرى تنافسهم في الحكم، إلى غاية نهاية حكمهم على يد الكوشيين.

– رغم نهاية الحكم الليبي، بعد تمكن الكوشيين من هزيمة آخر الملوك الليبيين من الأسرة الرابعة والعشرين وتأسيسهم للأسرة الخامسة والعشرين الكوشية بمصر، إلا أن الليبيين لم ينته وجودهم في مصر، إذ يرى بعض المؤرخين أن الأسرة السادسة والعشرين ذات أصول ليبية ، وهي امتداد تاريخي وطبيعي للأسرة الرابعة والعشرين الليبية.

– لم يكن الليبيون القدماء بمعزل عن التطورات الحضارية، الحاصلة في منطقة المتوسط كما تدعيه العديد من المراجع ذات النزعة الاستعمارية، إنما كانوا نشطاء فاعلين خاصة في المجال التجاري، فقد عرفوا الزراعة والصناعة، وربطوا علاقات مختلفة مع شعوب الجوار الجغرافي، ونشير إلى أن معظم الأدلة الأثرية وحتى النصوص الأدبية، التي اعتمد عليها الباحثين في رسم طبيعة العلاقة بين مصر ودول الجوار في عهد الملوك الليبيين تشير إلى حسن الجوار أحينا وسوئه في أحيانٍ أخرى.

– لم يكن لملوك الأسرة الثالثة والعشرين أي دور خارج مصر، وحتى الأسرة الرابعة والعشرين الليبية لم يكن لها هي الأخرى، دوراً كبيراً على الصعيد الخارجي، رغم أن ملوكها حاولوا استعادة الحكم الوطني لأسرتهم، لكنهم فشلوا وسيطر الكوشيون على عرش مصر.

– أكّدت قيمة وأهمية العلاقة الوثيقة بين مصر والشرق الأدنى القديم ،خاصة بلاد الشام، أن كل خطر يهدد إحداها يؤثر مباشرة على الأخرى ، ولذلك عمل الملوك الليبيون على تجديد العلاقة معها وإعادتها إلى صورتها الطبيعية بعدما فقدتها في أواخر الأسرة العشرين والأسرة الواحدة والعشرين، حيث تمكن شيشنق الأول من إعادة هيبة ومجد مصر في الشرق الأدنى، وبدأ بإعادة العلاقات الطيبة مع فينيقيا خاصة بمدينة جبيل في عهد أميرها "أبي بعل".

– ساهم احتكاك الفينيقيين بالمصريين عن طريق العمل التجاري أو نتيجة لعامل الجوار الجغرافي، أو للوجود العسكري المصري بفينيقيا في إثراء عمليتي التأثير والتأثر، بين البلدين في مجالات مختلفة.

– دلّت الآثار الفينيقية التي تم العثور عليها في مصر، والتي يعود تاريخها إلى فترة الحكم الليبي لمصر إلى استمرارية العلاقات بين فينيقيا ومصر، خاصة العلاقات التجارية، حيث تم العثور على الآثار المصرية بفينيقيا وبشبه جزيرة ايبيريا، و وصول الأواني الحجرية المصرية الكبيرة إلى المستعمرات الفينيقية الكثيرة المنتشرة على طول ساحل البحر المتوسط الغربي، وهذا يؤكد على النشاط التجاري الكبير والمنتظم ما بين فينيقيا ومصر، خلال فترة الحكم الليبي لمصر.

– إن الآثار الفينيقية التي عثر عليها في مصر، تدعم الوجود الفينيقي بها في هذه الفترة ، فقد أمدت مصر بالفضة والبرونز، وهي معادن لم تكن متاحة للمصريين، إلا من خلال أو عبر علاقاتها التجارية

بالفينيقيين، وهذا يوضح سبب ظهور المواد الفضية واستخدامها في صناعة التماثيل، وذلك تحديدا خلال حكم الليبيين لمصر.

– تنافس كل من الملوك الليبيين والملوك الآشوريين للسيطرة على السواحل الفينيقية، أدى ذلك إلى قيام تحالفات في بلاد الشام للوقوف في وجه التوسع الآشوري، وبالاستيلاء الآشوري على فينيقيا، جعل المدن الفينيقية وخاصة "صور" و"صيدا" تقوم بالثورة ضد الحكم الآشوري، في عهود عدد من الملوك الآشوريين، وذلك أضر بالموارد الاقتصادية لمصر، والتي تدخلت بمحاولات لقلب الدويلات في فلسطين والساحل الفينيقي، وإثارة القلاقل في وجه الحكم الآشوري، حتى نجح "سرجون الثاني" في إجبار مصر على فتح علاقات تجارية ، لعبت المدن الفينيقية دور الوسيط فيها.

– العلاقات بين آشور ومصر في بداية العصر الآشوري الحديث ، كانت علاقات طيبة، لكن نتيجة لسياسة التوسع الآشوري و النتائج السلبية، التي لحقت باقتصاد مصر من جرائه أدى إلى تغير العلاقات بينهما، إذ اتبع الملوك الليبيون سياسة عدم المواجهة المباشرة مع الآشوريين، خاصة مع حالة الضعف وعدم الاستقرار السياسي و ازدواجية الحكم ؛ كما مثلت منطقة بلاد الشام ، منطقة الصراع ما بين آشور ومصر، وهي منطقة الالتقاء التجاري بينهما.

– دخلت مصر في تحالفات ضد الآشوريين ،إلى أن وصل الأمر في عهد الملك الليبي "أوسركون الرابع" لمهاجمة قوات الملك الآشوري "سرجون الثاني" حدود مصر، ودارت معركة عند مدينة رفح، زعم الآشوريون أنهم انتصروا فيها على القوات المصرية، وحليفها "هانو" ملك غزة، وهذا يدل على استمرار التحالف بين "أوسركون الرابع" و"هانو" ملك غزة، كما يدل على سعي "أوسركون الرابع" التحالف مع سوريا وفلسطين وتحريضها على الثورة، ويثبت أيضا أن السياسة الخارجية لمصر رغم انقساماتها الداخلية مازالت طموحة، و أنها لم تتخل عن نظرتها لفلسطين و سوريا كعمق استراتيجي لمصر.

– تؤكد النصوص المسمارية وجود علاقات تجارية بين آشور ومصر، على الرغم من سوء العلاقات بينهما، حيث قام الملوك الليبيون بمهادنة الآشوريين بتقديم الهدايا لملكهم سرجون الثاني، بعدما أعاد مهاجمة فلسطين ومصر، خاصة مع حالة عدم الاستقرار السياسي في مصر وانقسام الحكم بين أسرتين الثانية والعشرين و الثالثة والعشرين ، هذه الأخيرة التي وجد لملكها "شيشنق الرابع" آثارا في فلسطين،

ويبدو أنه أقام علاقات تجارية مع فلسطين، فكل ملك من ملوك الأسرتين الحاكمتين المتعاصرتين قد سعى لتحسين وضعه الاقتصادي بإحياء الجانب التجاري مع الدول المجاورة.

– تأرجحت علاقات مصر مع بلاد النوبة منذ العصور القديمة ، بين الود والعداء، ففي فترة الدولة القديمة بدأت كعلاقات تجارية ، إلا أنها لم تخل من أطماع ملوك تلك الدولة في استغلال ثروات بلاد النوبة، حيث مثلت هذه الأخيرة مصدر نشاط اقتصادي لمصر، وقد أرسل أحيانا ملوك هذه الدولة حملات إلى المنطقة، إلى أن تطورت العلاقات في الدولة الوسطى واحتل ملوكها بلاد النوبة السفلى؛ وفي عهد الدولة الحديثة عرفت العلاقات تطورا كبيرا ، فقد تغيرت الأوضاع وعمل فراعنة الدولة الحديثة على نشر عاداتهم وتقاليدهم خاصة معتقداتهم الدينية، فقاموا ببناء المعابد وإقامة المنشآت، وبسطوا نفوذهم هناك، فتأثر النوبيون كثيرا بالعادات و التقاليد المصرية خاصة الديانة المصرية، إلى أن استقلت بلاد النوبة من السيطرة المصرية في نهاية الأسرة العشرين ؛ كما انفصلت بلاد النوبة عن مصر في نهاية الأسرة العشرين، وبقيت مستقلة عنها طيلة حكم الأسرة الواحدة والعشرين، إلى أن جلس الفرعون "شيشنق الأول" على عرش مصر واستعاد سيطرته عليها.

– استمرت سيطرة حكام الليبيين على بلاد النوبة ، حتى منتصف حكم الأسرة الثانية والعشرين، وذلك بعد ظهور التدهور والانقسام السياسي وبداية حكم الأسرة الثالثة والعشرين الليبية.

– شهدت مصر تدهورا واضمحلالا، وضعفت سلطتها المركزية بعد ظهور ثلاثة أسر حاكمة، ولم يستطع أي من الحكام توحيد كل البلاد، وفي هذا الوقت كانت كوش قد انتقلت من طور التأسيس إلى مرحلة القوة، ونتيجة لهذا عظمت طموحات حكام كوش، واشتدت رغبتهم في فرض سيطرتهم على مصر؛ وقامت في بلاد كوش مملكة عاصمتها نباتا، تزامنا مع الحكم الليبي وهي المملكة التي استطاعت أن تؤسس الأسرة الخامسة والعشرين ، وتسقط الحكم الليبي وتسيطر على مصر.

– نشير إلى أنه يوجد تشكيك في أصول الأسرة الخامسة والعشرين، حيث اقترح الباحثون ثلاثة فرضيات: فرضية الأصل المصري، فرضية الأصل الليبي وفرضية الأصل الكوشي، وهذه الأخيرة هي أكثر النظريات قبولا ، نظرا لما يدعمها من دلائل تاريخية وعرقية ، إلا أن هؤلاء الملوك الكوشيين تأثروا بالثقافة الليبية والمصرية التي انعكست آثارها على مخلفاتهم الأثرية.

– تعرضت مصر للعديد من الأزمات، منها الصراع بين الملوك الليبيين للأسرة الرابعة والعشرين والملوك الكوشيين، بعدها الصراع الكوشي الآشوري الذي انتهى باحتلال آشوري لمصر، ليتمكن "بسماتيك" من الأسرة السادسة والعشرين ، ذو الأصول الليبية، من القضاء على الفوضى الداخلية ودحر الاحتلال الآشوري واسترجاع وحدة مصر.

– لعب المناخ دوراً كبيراً في التقليل من آثار الحكام الليبيين، لكونهم تمركزوا في منطقة رطبة ، كما أن قلة النصوص المكتوبة لا تسمح لنا بتغطية كل جوانب الحياة في مصر ، خلال فترة حكم الملوك اللّيبيين وعلاقاتها مع دول الجوار، ورغم ذلك تعتبر الآثار القليلة من نقوش جدران المعابد والمقابر، ونصوص البرديات التي ذكرت أخبار اللّيبيين، مستندا يمكنه أن يشكل دليلاً على تأثير الليبيين في غيرهم، وتأثرهم بمن جاورهم وممن تعاملوا معه، كما أنه يلغي الفكرة القائلة بوجود حلقة مفقودة في تاريخ ليبيا القديمة، تتمثل في الفترة الممتدة من العصور الحجرية إلى قدوم الفينيقيين لسواحل إفريقيا الشمالية، وتبيّن المستوى الحضاري للّيبيين في مرحلة حكمهم لمصر، وعلاقاتهم الخارجية مع الحضارات المعاصرة، وبشكل خاص في عهد "شيشنق الأول"، وهو أيضا ما يدحض فكرة عجز الإنسان الليبي القديم عن إقامة حضارة في بلاد المغرب القديم ، وأن حضارته مرتبطة دائما بالشعوب الوافدة على أرضه، فقد استطاعت هذه القبائل الليبية الرعوية ، من الوصول إلى حكم حضارة كانت متربعة على عرش حضارات العالم القديم، وتحقيق عدة إنجازات بها، وإقامة علاقات مع دول الجوار .

و الله ولي التوفيق.

قائمة البيبلوغرافيا

أولا – المصادر:

أ– المصادر الأدبية:

1– **الكتاب المقدس** ، ط3 ، دار المشرق ، بيروت ، 1994.

2– بدج والس، **برت إم هرو كتاب الموتى الفرعوني(عن بردية آني بالمتحف البريطاني)**، ترجمة فيليب عطية، طَ1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988.

3– خفاجة محمد صقر ، **هيرودوت يتحدث عن مصر**، الكتاب الثاني، دار القلم، 1966.

4- Hérodote, **histoire d'hérodote** , livre IV , traduit par Larcher , charpentier libraire-éditeur , paris , 1850.

5- Pline l'ancien **, histoire naturelle** , livre V , texte établi et traduit par Jehan Desanges, les belles lettres,paris,1980.

ب– المصادر الأثرية :

1- Bates Oric , **the eastern libyans** , éd Macmillan and co limited , London , 1914.

2- Blackman.A.M, **the stela of Shoshenk great chief of the Meshwesh**, J.E.A ,vol27 ,1941.

3- Breasted James Henry, **Ancient records of Egypt** , volume I, Chicago , 1906.

4- Breasted. J.H, **ancient records of Egypt** , vol III , the university of Chicago press,Chicago,1906.

5- Breasted. J.H. , **Ancient records of Egypt** , vol IV, the university of Chicago press , Chicago , 1906.

6-Daressy. M.Georges **,Plaquettes émaillées de Médinet-Habou** , A S A E,vol 11, le Caire,1911.

7- Daressy. M.Georges**, les parents de Chéchanq I er** , A.S.A.E, tome XV, imprimerie de l'institut Français d'archéologie orientale, le caire.

8-Daressy.M.Georges,**le fils ainé de Chéchanq III**, A.S.A.E, tome XVI, imprimerie de l'institut Français d'archéologie orientale, le Caire.

9- Montet Pierre,**la nécropole royale de Tanis d'après les découvertes récentes**, comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres,89°année,n°4,Paris,1945.

10 - Reisner. G.A, **Discovery of the tombs of the Egyptian XXV th Dynasty at EL Kurru in Dongola province**,SNR,11,1919.

11- Reisner.G.A**, note on the Harvard-Boston Excavations at El-Kurraw and Barkal temples in 1918-1919** , JEA , vol VI , 1920.

12- Smith. G.E. and F.W.Jones, **the archaeological survey of Nubia : report for 1907 – 1908 I**, report on the human remains , vol II , Cairo , 1910.

.

ثانيا– المراجع:

أ– المراجع العربية:

1– أبو بكر عبد المنعم، **مصر الفرعونية** "**تاريخ افريقيا العام**" **حضارات افريقيا القديمة**، المجلد الثاني، جين أفريك، اليونسكو، 1985.

2– الأحمد سامي سعيد، **تاريخ فلسطين القديم**، مركز الدراسات الفلسطينية،بغداد، 1949.

3– الاسكندري عمر و أ.ج.سفدج ، **صفحات من تاريخ مصر تاريخ مصر إلى الفتح العثماني** ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1997 .

4– بازامة محمد مصطفى، **ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية**، ط2، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، 1975.

6– باقر طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، حضارة وادي النيل، ج 2، دار الوراق، بغداد، 2011 .

7– باقر طه ، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1–الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ط2، دار الوراق، بيروت ،2012.

8- البرغوثي عبد اللطيف محمود ، **التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي** ، ج 1 ، تامغناست .

9- بكر محمد ابراهيم ، **العصور المتأخرة 945-332 ق.م**، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور – تاريخ مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

10- بكر محمد ابراهيم ، **تاريخ الفراعنة** ، ج1 ، مركز الراية للنشر و الاعلام ، 2004 .

11- بكر محمد ابراهيم ، **المدخل إلى تاريخ السودان** ، مكتبة الاسكندرية.

12- بورونية الشاذلي و محمد الطاهر، **قرطاج البونية تاريخ و حضارة**، مركز النشر الجامعي،تونس، 1999 .

13- حارش محمد الهادي ، **دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة**، دار هومة ، الجزائر ، 2013.

14- حسن سليم ، **مصر القديمة-نهاية الأسرة الواحدة و العشرين و حكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الاثيوبي و لمحة في تاريخ العبرانيين**، ج9، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1952.

15- حسن سليم ، **مصر القديمة، عصر النهضة المصرية و لمحة في تاريخ الإغريق**، ج 12، مطبعة جامعة القاهرة، 1957.

16- حسن سليم ، **مصر القديمة ، السيادة العالمية و التوحيد** ، ج 5 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

17- حسن سليم ، **مصر القديمة عصر رعمسيس الثاني و قيام الامبراطورية الثانية**، ج 6، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992.

18- حسن سليم ، **مصر القديمة، نهاية عصر الرعامسة و قيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة الواحدة و العشرين**، ج8، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

19- سليم حسن، **مصر القديمة، تاريخ مصر و السودان من أول عهد "بيعنخى" حتى نهاية الأسرة الخامسة و العشرين و لمحة في تاريخ آشور**، ج11، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

20- حسن سليم، **مصر القديمة، الأدب المصري القديم في الشعر و فنونه و المسرح**، ج 18 ، مكتبة الأسرة ، 2000.

21- حسن سليم ، **موسوعة مصر القديمة ، عصر مرنبتاح و رعمسيس الثالث و لمحة في تاريخ لوبية** ، ج7 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000.

22- حسن سليم ، **موسوعة مصر القديمة ، في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الأهناسي**، ج1 ، مكتبة الأسرة ، 2001.

23- حسن سليم، **مصر القديمة،عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية** ، ج4 ، مكتبة الأسرة ، 2001.

24- حسن سليم ، **تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخى** ، ج 10 ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2012.

25- حسن سليم ، **مصر القديمة، من العهد الفارسي إلى دخول الاسكندر الأكبر مصر**، ج 13، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

26- خشيم علي فهمي ، **آلهة مصر العربية**، المجلد الأول، ط1، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع بليبيا و دار الآفاق الجديدة بالمغرب ، 1990.

28- دراز أحمد عبد الحليم، **مصر وليبيا فيما بين القرن السابع و القرن الرابع ق.م** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000.

29- دلو برهان الدين، **حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي-الاجتماعي الثقافي و السياسي**، ط2، دار الفارابي ومكتبة السائح للنشر، لبنان،2014.

30- رحماني بلقاسم وحرفوش مدني ، **الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية و الشرق الافريقي**، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1997

31- زايد عبد الحميد ، **الشرق الخالد مقدمة في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966.

32- سعد الله محمد علي ، **دراسات في تاريخ مصر و الشرق الأدنى القديم في تاريخ مصر القديمة** ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 2001.

33- سعد الله محمد علي ، **دراسات في تاريخ مصر و الشرق الأدنى القديم في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر –سورية القديمة** ، ج2 ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 2001 .

34- السعدي حسن محمد محي الدين ، **المعالم الرئيسية لتاريخ مصر الفرعونية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995.

35- سليم أحمد أمين ، **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر العراق إيران** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1998.

36- السيد رمضان ، **تاريخ مصر القديمة منذ بداية الأسرة الخامسة عشرة حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر عام 332 ق.م**، ج 2 ، هيئة الآثار المصرية ، 1993.

37- صالح عبدالعزيز ، **حضارة مصر القديمة و آثارها** ، القاهرة ، 1980.

38- صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق ، ج 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2012.

39- صالح عبد العزيز، **الفن المصري القديم، نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية-العصر الفرعوني**، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

40- الصويعي عبدالعزيز، **تاريخ الحضارة الليبية القديمة**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013.

41- طبوزادة زكية يوسف، **تاريخ مصر القديم من أفول الدولة الوسطى إلى نهاية الأسرات**، القاهرة ، 2008.

42- عامر حسين محمد سالم، **العلاقات الليبية المصرية منذ عهد الهكسوس حتى نهاية الحكم الليبي لمصر (1730-730 ق.م تقريبا)**، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009.

43- عبد الحليم نبيلة محمد، **معالم التاريخ الحضاري و السياسي في مصر الفرعونية**، منشأة المعارف، الاسكندرية.

44- عبد السلام رضوان سيد ، **الفراعنة ملوك الذهب**،2015.

45- عصفور محمد أبو المحاسن، **علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى الفتح اليوناني**، مطبعة المصري ، الاسكندرية ، 1962 .

46- عصفور محمد أبو المحاسن، **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر**، مطبعة المصري ، الاسكندرية، 1968.

47- عصفور محمد أبو المحاسن ، **المدن الفينيقية** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981.

48- عبدالعليم مصطفى كمال ، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم** ، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966.

49- العقون أم الخير ، **دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950 ق.م- 715 ق.م**، دار القدس العربي، وهران ، 2015.

50- علي رمضان عبده ، **تاريخ مصر القديم** ، ج 1 ، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2001.

51- علي رمضان عبده ، **تاريخ الشرق الأدنى القديم و حضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الاسكندر الأكبر الأناضول-بلاد الشام**، ج 2، دار نهضة الشرق،القاهرة،2002.

52- علي رمضان عبده، **حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية** ، ج 3 ، مطابع المجلس الأعلى للآثار ، 2005.

53- فخري أحمد ، **دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر و العراق – سوريا – اليمن – ايران مختارات من الوثائق التاريخية** ، ط 2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1980.

54- فخري أحمد ، **مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد** ، ط 2 ، مكتبة الأسرة، 2012.

55- فرح نعيم ، **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي** ، دار الفكر ، 1972.

56- فرزات محمد حرب. مرعي عيد ، **دول وحضارات في الشرق العربي القديم**، ط2، درا طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994 .

57- الماجدي خزعل ، **الدين المصري**، ط1،دار الشروق، عمان،1999.

58- مختار محمد جمال الدين، **لمحة في تاريخ مصر السياسي والحضاري "تاريخ الحضارة المصرية "العصر الفرعوني** ، المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

59- مختار محمد جمال الدين ، **مصادر التاريخ الفرعوني تاريخ الحضارة المصرية-العصر الفرعوني**، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

60- مهران محمد بيومي ، **الحضارة المصرية القديمة الآداب و العلوم** ، ج1 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1989.

61- مهران محمد بيومي ، **مصر والشرق الأدنى القديم-تاريخ العراق القديم**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990.

62- مهران محمد بيومي، **مصر والشرق الأدنى القديم-المغرب القديم** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990.

63- مهران محمد بيومي، **مصر والشرق الادنى القديم بلاد الشام** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، 1990.

64- مهران محمد بيومي ، **المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم**، دار النهضة العربية، بيروت، 1994.

65- مهران محمد بيومي، **مصر والشرق الأدنى القديم ، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية و الثلاثين** ، ج3 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1997 .

66- مهران محمد بيومي، **بنو اسرائيل- التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الروماني في عام 135 م**، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999.

67- مهران محمد بيومي، **بنو اسرائيل- منذ دخولهم فلسطين و حتى الشتات الروماني في عام 135م**، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999.

68- ميخائيل نجيب ، **مصر و سورية في العصور القديمة** ، جامعة الاسكندرية ، 1958 .

69- الناصري أحمد علي سيد، **دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وافريقيا في عصور ما قبل الاسلام (المصريون والعرب وعلاقاتهم بافريقيا في العصور القديمة)**، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1990.

ب- المراجع المترجمة:

1- إرمان أدولف ، **ديانة مصر القديمة نشأتها و تطورها و نهايتها في أربعة آلاف سنة**، ترجمة عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكري، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.

2- ألدريد سيريل ، **الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة**، ترجمة مختار السويفي ، ط 3 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1996.

3- امري والتر.ب. ،**مصر و بلاد النوبة** ،ترجمة تحفة حندوسة، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2008.

5- بتري سير و .م فلاندرز، **الحياة الاجتماعية في مصر القديمة** ، ترجمة حسن محمد جوهر و عبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1975.

6- برستد جيمس هنري، **تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي** ، ترجمة حسن كمال ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط 2 ، 1997.

7- برستد جيمس هنري ، **فجر الضمير**، ترجمة سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.

8- برستد جيمس هنري ، **انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم** ، ترجمة أحمد فخري ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2011.

9- برنهردت كارلهاينز، **لبنان القديم**، ترجمة ميشيل كيلو، ط1، قدمس للنشر و التوزيع، سورية، 1999.

10- تشرني ياروسلاف، **الديانة المصرية القديمة** ، ترجمة أحمد قدري ، ط1 ، دار الشروق، بيروت، 1996.

11- جاردنر سير آلن ، **مصر الفراعنة** ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

12- جريمال نيقولا ، **تاريخ مصر القديمة**، ترجمة ماهر جويجاتي، ط 2، دار الفكر، القاهرة، 1993.

13- جوليان شارل أندري ، **تاريخ افريقيا الشمالية تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الاسلامي 647 م**، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة، تاوالت الثقافية، 2011.

14- جيمز ت.ج.هـ.، **كنوز الفراعنة**، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.

15- حتى فيليب ، **تاريخ سورية و لبنان و فلسطين** ، ترجمة جورج حداد و عبد الكريم رافق، ج 1 ، دار الثقافة ، بيروت.

16- ديزانج جيهان ، **البربر الأصليون ، تاريخ افريقيا العام ، المجلد الثاني ، حضارات افريقيا القديمة** ، جين أفريك ، اليونسكو ، 1985.

17- شامو فرانسوا ، **في تاريخ ليبيا القديم الإغريق في برقة الأسطورة و التاريخ** ، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي ، ط1 ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1990.

18- شباوم ايفا كانجيك-كير، **تاريخ الآشوريين القديم**، ترجمة فاروق اسماعيل، ط1، دار الزمان للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا، 2008.

19- شتيندروف.ج. سيل.ك ، **عندما حكمت مصر الشرق** ، ترجمة محمد العزب موسى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1990.

20- شورتر آلن ، **الحياة اليومية في مصر القديمة**، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

21- فرانكو إيزابيل ، **أساطير و آلهة –نفنات رع إله الشمس**، ترجمة حليم طوسون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

22- فيركوتير جان ، **مصر القديمة**، ترجمة ماهر جويجاتي ، دار الفكر ، القاهرة، 1993.

23- فيفر فرانسيس، **الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة** ، ترجمة فاطمة البهلول ، دار الحصاد ، دمشق.

24- قيتمان جونتر ، **مصر والأجانب** في الألفية الأولى قبل الميلاد ، ترجمة عبد الجواد مجاهد ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009.

25- كتشن كنت.أ.، **رمسيس الثاني فرعون المجد و الانتصار**، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997 .

26- كونتنو.ج ، **الحضارة الفينيقية**، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 2001.

27- كونج ايفان ، **السحر والسحرة عند الفراعنة** ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999.

28- لالويت كلير ، **الفن والحياة في مصر الفرعونية**، ترجمة فاطمة عبد الله ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2003 .

29- لكلان.ج ، **امبراطورية كوش:نباتا و مروي، تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني حضارات افريقيا القديمة**،جون أفريك/اليونسكو،باريس، 1985.

30- ماسبيرو غاستون ، **تاريخ المشرق** ، ترجمة أحمد زكي، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2014 .

31- نوبلكور كريستيان ديروش ، **أسرار معابد النوبة** ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، المجلس الأعلى للآثار ، مصر ، 2010.

ج- المراجع الأجنبية:

1- Arkell. A.J **, a history of the Sudan from earllest times to 1821** , 2ND ED , London , 1961.

2- Baramki Dimitri , **Phoenicia and the Phoenicians** , published by Khayats , Beirut, 1961.

3- Breasted James Henry , **A history of Egypt from the earlist times to the Persian conquest** , second edition , Charles scribner's sons , New York , 1945.

4- Bright John, **a history of Israel**, Philadelphia, 1969.

5- Budge. E.A.Walis.,**a history of Egypt from the end of the neolithic period to the death of Cleopatra VII.B.C.30**,vol VI :Egypt under the priest-kings and Tanites and Nubians, London,1902.

6- Buttery Alan **, Armies and enemies of ancient Egypt and Assyria** , 1974.

7-Camps. G**, les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara**,Paris ,1974.

8- Camps .G, **les berbères « mémoires et identités**, 2ème édition , Paris, 1987.

9- Chamoux.F**, Cyrène sous la monarchie des Battiades**, Paris, E.De Boccard , 1953

10- Decret François et Fantar Mhamed , **l'Afrique du nord dans l'antiquité histoire et civilisation des origines au Ve siècle**, payot, Paris, 1981 .

11- Desanges Jehan , **Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique a l'ouest du Nil, publications de la section d'histoire**, N° 4, Dakar, 1962.

12- Desroches Christiane noble court, **Ramsès II la véritable histoire** , pygmalion , Paris , 1996.

13- Drioton. E. & Vandier. j , **L'Egypte**, Paris , 1962.

14- Fakhry Ahmed**, the Egyptian desert , Bahria Oasis** ,VI,Boulaq gouvernment press , Cairo , 1942.

15- Gardiner Sir Alan **, the Kadesh inscriptions of Ramesses II** , universsity press , Oxford.

16-Kelley.A.L.**,the pottery of ancient Egypt dynasty I to Roman times**,Toronto,1976.

17-Kenyon Kathleen.M.,**archaeology in the holy land**, London,1979 .

18- Kutper Katheleen , **ancient Egypt from prehistory to the islamic conquest** , Britannica educational publishing , 2011 .

19- Lalouette Claire , **Au royaume d'Egypte le temps des rois-dieux** , éd Flammarion , Paris , 1995.

20-Leclant.J**,les relations entre l'Egypte et la Phénicie du voyage d'ounamon à l'expédition d'Alexandre**, in the role of the role of the phoenicians in the interaction of mediterranean civilizations, papers presented to the archaeological symposium at the American university of Beirut, 1967, Beyrouth, 1968.

21- Lhote. H,**les chars sahariens des Syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes**, Paris, 1982.

22-Lods.A, **Israel from its beginnings to the middle of the eighth century**,London,1962.

23- Mariette. A, **Abydos II description des fotilles executees sur l'emplacement de cette ville, Paris,1869-1880.**

24- Maspero. G, **histoire ancienne des peuples de l'orient :les premieres mèlees des peuples** , librairie hachette , paris , 1897.

25- Mercier Ernest, **L'Afrique septentrional (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, tome premier ,Paris,1888.

26-Montet.P,**les construction et le tombeau d'Osorkon II à Tanis**,Paris, 1947.

27-Montet.P ,**Byblos et l'Egypte**,Paris,1928 .

28- Naville Edouard**, festival-hall of Osorkon II**, in the great temple of Bubastis, London, 1892.

29-Nibbi. A , **lapwings and Libyans in Ancient Egypt** , 1968.

30-Rogerson John.Philip Davies, **the old testament world**,Cambridge university press, New york, 1989.

31- Slaouti Taklit Mebarek , **les Amazighs en Egypte des temps les plus reculés aux dynasties Amazighes**, editions ANEP,2016.

32- Vandier.J**, manuel d'archéologie égyptienne, tome 1, les époques de formation– la préhistoire , les trois premières dynasties**, picard, Paris, 1952.

33- Yoyotte. J, **pharaons guerriers libyens et grands pretres, la troisieme periode intermediare**, in Tanis,l'or des pharaons, galeries nationales du grand palais,Paris,1987.

ثالثا– المقالات:

أولا– المقالات العربية:

1– أبو بكر عبد المنعم ، **ليبيا في أقدم عصورها** ،مؤتمر الآثار في البلاد العربية، العدد 7،ليبيا، 18–27سبتمبر 1971.

2– ابراهيم معاوية ، **فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد**، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، القسم الثاني – الدراسات التاريخية، ط1، أبجد غرافيكس، بيروت، 1990.

2– الأثرم رجب عبد الحميد، **العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية و العشرين الليبية** ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، السنة السادسة ، العدد الأول ، 1984.

3– الأعرجي حسين سيد نور جلال، **سياسة تجفيف منابع التمرد لدى الدولة الآشورية في الألف الأول قبل الميلاد** "**عيلام ومصر أنموذجا**"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد السابع عشر، أيلول 2014.

4– أبو شحمة محمد علي، **المعتقدات الدينية الليبية القديمة**، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، جامعة مصراتة.

5– بومدين بن موفق، **التأثير الحضاري المصري على بلاد النوبة خلال الأسرة الثامنة عشرة (1550 ق.م–1295 ق.م)** ، مجلة تاريخ المغرب العربي ، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، العدد الأول ، الجزائر ،2015 .

6- جابر ايمان شمخي، **التجارة في مصر القديمة أيام الدولة القديمة و الوسطى و الحديثة (2850- 1080 ق.م)** ، مجلة دراسات تاريخية جامعة البصرة ، العدد العشرون، 2016.

7- الجزار محمود عبد المنعم، **العلاقات المصرية الليبية في الفترة من الأسرة 26 حتى الأسرة 30**، مجلة أبحاث، العدد السابع، كلية الآداب- جامعة سرت، ليبيا، 2015.

8- خزعل طعمة وهيب ، **الحملات العسكرية الآشورية اتجاه المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء الحوليات الآشورية**، مجلة سر من رأى، المجلد 9، العدد 34، السنة التاسعة، العراق، تموز 2013.

9- خزعل طعمة وهيب ، **المملكة الآشورية من عصر القوة إلى الانهيار 722-610 ق.م**، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، العراق، 2015.

10- خليل غيث ، **العلاقات السياسية الآشورية في عهد الملك "آشور أوبلط الأول" 1365-1330 ق.م**، مجلة جامعة تكريت العلوم الانسانية، المجلد 20، العدد 11، العراق، تشرين الثاني 2013.

11- الراشدي فرج محمود ، **التواجد الليبي في المجتمع المصري القديم**، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي-كلية التربية المرج، العدد الرابع، 2015 .

12- رمضان ذيار صديق ، **دور المعبود آشور في الحملات العسكرية الآشورية 911-612 ق.م**، مجلة التربية و العلم، المجلد 18، العدد 4، العراق، 2011.

13- سليمان عامر، **بلاد عيلام وعلاقتها بالعراق القديم**، مجلة آداب الرافدين، العدد 14، الموصل، 1981.

14- سمار سعد عبود و علي جبار عزيز، **الجندي في المملكة الآشورية الحديثة 911-612 ق.م بين الضغط النفسي و الانتماء العرقي**، مجلة كلية التربية واسط، العدد العاشر، العراق، 2011.

15- السماني النصري محمد أحمد، **دولة كوش والفتح السوداني لمصر**، المجلة المركزية لجامعة الزعيم الأزهري، العدد الأول، السودان، يناير 2007.

16- السمنودي شعبان عبد القادر اسماعيل ، **الحملات الحربية المصرية لتأمين الحدود الغربية منذ نهاية عصر ما قبل الأسرات حتى نهاية عصر الدولة الوسطى** ، مجلة كلية الآداب –جامعة سوهاج ، العدد 36 ، 2014.

17- السيد علي أحمد قسم ، **آراء حول أصل الأسرة الخامسة والعشرين من حكام مصر القديمة**، مجلة الدراسات السودانية – معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم، المجلد 12، العدد 1، السودان ، 1992.

18- شاهين علاء الدين عبد المحسن، **العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ، الحولية 23 ، الرسالة 195 ، الكويت ، 2003.

19- شعلان كامل اسماعيل، **مصر والأطماع الدولية في آسيا بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد** ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل، المجلد 18، العدد 2، سنة 2011.

20- الصكر دعاء محسن علي، **العلاقات بين بلاد النهرين ومصر القديمة خلال مدة العصر الآشوري الحديث(911-612 ق.م)**، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد 13، العدد 24، العراق، 2014.

21- العباس سيد أحمد محمد علي،عبد القادر محمود عبد الله ،**أصل الاسرة الخامسة و العشرين كما تعكسه الجبانة الملكية السودانية في الكرو**، مجلة الدراسات الإنسانية ،جامعة دنقلا، العدد 3، السودان،2010.

22- عبد صالح غسان ، **الرسائل المتبادلة بين الملك الميتاني تواشراتا (1365-1335 ق.م) وملوك مصر** ، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل ، العدد 13 ، 2013.

23- العقون أم الخير ، **المصادر الدينية المشتركة بين مصر و المغرب القديمين**،ج1، مجلة عصور، العدد 2، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، 2002.

24- العقون أم الخير، **زعماء الرّيبو "اللّيبو" و حلم الوحدة**، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد الخامس، المجلس العربي للدراسات العليا و البحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، 2004.

25- العقون أم الخير، **مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة**، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد السابع ، القاهرة ، 2006.

26- العقون أم الخير، **من مصادر التشريعات المحررة للفرد عند الفرعون "بوخوريس" ذي الأصل الليبي**، مجلة عصور، العدد 12-14/13-15، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2008-2009.

27- العقون أم الخير، **صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية**، مجلة العلوم الانسانية، العدد الأول، رقم 2، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2012.

28- العقون أم الخير، **التقويم الأمازيغي والفرعون شيشنق**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة العلوم الإنسانية و العلوم السياسية وهران 1 أحمد بن بلة، العدد 3 ، رقم 6، وهران، 2015.

29- العقون أم الخير، **من مصادر تاريخ المغرب القديم "الرسوم الصخرية والآثار المصرية**، carrefours sahariens vues des rives du Sahara،مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (CRASC)، وهران،2016.

30- غزالة هديب حياوي والمهنا رشا ثامر، **مجد الدولة الآشورية في العصر الحديث 911-612 ق.م العوامل، الجهود الملكية**، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد الحادي عشر، العدد 4، العراق، 2008.

31- فارس عبد الغني غالي، **جبيل في رسائل تل العمارنة** ، مجلة دراسات تاريخية جامعة البصرة ، العدد السابع ، 2009.

32- فخري أحمد، **الواحات المصرية في التاريخ**، المجلة التاريخية المصرية، مج 4،العدد 1، مصر، 1951.

33- فرج عباس، **حملات الملك الآشوري شلمنصر الثالث 858-824 ق.م على سورية ومحاولات السيطرة عليها**، مجلة المعرفة، العدد 638، سوريا، تشرين الثاني 2016.

34- فرحنا الصادق القسيم و المنان عبده عثمان عطا، **العلاقات الكوشية قبل حكم الأسرة الخامسة والعشرين وأثرها على الفن المصري القديم**، مجلة العلوم الانسانية، المجلد 18،العدد 3، 2017.

35- محمد جيهان رشدي، **مناظر اصطحاب المرأة للطفل على جدران مقابر عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة** "**دراسة تحليلية**"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 12، القاهرة، 2011.

36- محمد السيد عبد الحميد ، الفينيقيون في مصر خلال الفترة من 948-715 ق.م، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 10، المجلس العربي للدراسات العليا و البحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية و المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2009.

37- مرعي فرست، **الصراع الآشوري المصري على نابلس**، مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس، خزانة فلسطين التاريخية، نابلس، 2012.

38- نعمات عمر عبد الجبار، **مظاهر التمصير عند ملوك الأسرة الخامسة والعشرين**، مجلة آداب، العدد 30، السودان،2013.

39- الوردي محمود فارس عثمان، **الهجرات الهندوأوربية (الآرية) إلى منطقة غرب آسيا و أثرها على بلاد الرافدين حتى سنة 637 م**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد 22 ، العدد 1، 2015.

ثانيا- المقالات الأجنبية:

1- Caminos Ricardo .A**, the chronicle of prince Osorkon**, analecta orientalia 37, pontificium intitutum biblicum, Roma, 1958.

2- Charless. L.H**, international trade in the new kingdom cyproite, egyptian and libyans at Marsa Matruh « fifth international compress of egyptology** , October 29 – November 3, Cairo , 1980.

3- Darrssy. M.G,**Chapelle de Mentouhotep III** , Adenderh, ASAE XVII , 1917.

4-Dixson.D.M , **the land of Yam** , JEA , vol 44 , 1958.

5-Dixon. D.M**, the origin of the kingdom of Kush**, JEA, 50, 1984.

6- Dussaud René,**les inscriptions phéniciennes du tombeau d'Ahiram roi de Byblos**, in Syria, tome 5 , fascicule 2, 1924.

7- Edgerton William.F.Wilson John.**A, historical records of RamsesIII the texts in madinet Habu** , studies in ancient civilization , n°12, vol I and II , the oriental university of chicago press, Chicago , 1936.

8- Eissfeldt. O**, les Hebrew kingdom**, in CAH,II, part2,CAambridge, 1975.

9-Golénischeff.W, **papyrus hiératique de la collection W.Colénischeff contenant la description du voyage de l'égyptien Ounou-Amon en Phénicie**, recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes ,vol 2 ,LRV 3/ 4 ,ed.G.Maspero , Paris , 1899.

10-Griffith .F.L, **Oxford excavations in Nubia**,LAAA,vol 10 ,London.

11-Gsell Stéphane, **histoire ancienne de l'Afrique du nord, tome I, les conditions du développement historique les temps primitifs la colonisation phénicienne et l'empire de Carthage**, librairie Hachette, Paris.

12- Hayes.W.C, **Egypt from the death of Ammenemes III to Seqenenre II**, in C.A.H,vol11,part1,Cambridge,1973.

14- Montet. P, **les constructions et le tombeau d'Osorkon II a Tanis**,bulletin de la société française d'égyptologie,Paris,1947.

15-Murnane William.J, **ancient Egyptian coregencies** ,(studies in ancient oriental civilization , N^{O} 40, oriental institute of the university of chicago , 1977.

16- Oppenheim. A.Leo,**Babylonian and Assyrian,historical texts**,ANET,1966.

17- Pritchard James.B , relating to the old testament , A N E T , third edition , university press , 1969.

18- Reisner.G.A , **harvard African studies** , vol IV , Cambridge, 1923.

19- topozada Zakeya, **les deux campagnes d'Amenhotep III en Nubie** , BIFAO 88 , 1988.

20-Vercouter.J**,les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois**,in Syria,tome 25,fascicule 3-4, 1946.

21-Wainwright.G.A,**the Meshwesh** ,J E A 48,london,1962.

22-White.D ,**1987 excavations on Bates Island Marsa Matruh, second preliminary report** ,J A R C E 26, 1989.

23-Wilson.J, **egyptian historical texts , « the Asiatic campaigning of Ramses II** , in A N E T.

24- Zimmerman.K**, Lebou /Libou,encyclopédie berbère** , volumes n° 28-29, Aix-en-provence, Edisud ,2008.

رابعا– الأطروحات:

1– بن السعدي سليمان ، **علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2009.

2– الشمري أحمد مجيد راضي، **التقلبات السياسية في الشرق الأدنى القديم للفترة 1200–911 ق.م**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة واسط–كلية التربية، 2016.

3– غالب أحمد عارف اسماعيل ، **العلاقات التاريخية بين مصر القديمة وسورية في عهد الأسرات من 22–31 حوالي (945–332 ق.م)**، رسالة دكتوراه في الآداب– قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية، جامعة الاسكندرية،2001.

4– فرحنا الصادق القسم حمدت الله الفضيل، **السمات الكوشية في النحت الفرعوني لفترة حكم الأسرة الخامسة والعشرين**، أطروحة دكتوراه في الفنون (النحت)، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا–كلية الدراسات العليا،2016.

5– لبحور سليمة، **المملكة العبرانية في عهدي داود وسليمان في الفترة مابين (1004–922 ق.م)**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة–كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2010.

6– نعمات عبد الجبار عمر، **مظاهر التمصير عند ملوك الأسرة الخامسة والعشرين** ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة الخرطوم ، 1989.

خامسا– الموسوعات و القواميس:

1– بوست جورج عفي عنه، **قاموس الكتاب المقدس**، المجلد الأول، المطبعة الأمريكانية، بيروت، 1894.

2– تيبو روبير جاك ، **موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية**، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.

3– حسين أحمد ، **موسوعة تاريخ مصر** ، ج1 ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة.

4– السلامين زياد ، **معجم المصطلحات الآثارية المصوّر (انجليزي عربي)**، دار ناشري للنشر الالكتروني، 2016.

سادسا– المواقع الالكترونية :

– مواقع المتاحف:

– متحف اللوفر بباريس: www.louvre.fr/

– مواقع علمية لمؤسسات و منتديات:

ahmed.kabushia sudanese archaeological .blogspot.com

www.wikipedia.org.fr

ar.wikipedia.org/

www.cfeetk.cnrs.fr/karnak

www.tawalt.com

www.qudamaa.com

bobmanske.com/royalty02

www.ifao.egnet.net

coptichistory.org

bshara2011.blogspot.com

www.googleimage.com

//www.ncpd.org.eg

studioaix.pagesperso-orange.fr
/looklex.com/egypt/tanis05.htm
godofmuseums.blogspot.com
/explorethemed.com/EgyptAr.asp
www.pinterest.com
/www.flickriver.com/
www.bubastis.be
www.histoire-fr.com

الفهارس

1- فهرس الأعلام .

2- فهرس الأماكن .

3- فهرس الشعوب و القبائل و الآلهة .

4- فهرس الصور .

5- فهرس الأشكال .

6- فهرس الخرائط .

7- فهرس المحتويات .

فهرس الأعلام:

أبار 229.

ابراهيم" 173.

أبشمو–ابى" 17.

"أبوفيس" 35.

"أبى شمو" 17.

أبى بعل 159.

آبيا 180.

"آحاز" 184.

"أحمس الأول" 8–26– 66.

أحمس الثاني 249.

"أحمس بن إبانا " 19

"أحمس بن نخبت" 19– 20– 76.

"أحمس نفرتاي" 36.

"أحيرام" 157– 159– 170.

" أخناتون" 15– 68– 86.

"أدد نراري الثالث" 103.

"أدد نيراري الثاني 203.

أدركان 250.

"ادوارد " 238.

ارخوليني 206– 207.

آركل 230– 233.

"آري" 34.

"أرياندس 250.

آسا" 180–181.

أسرحدون" 212–242–243.

الاسكندر 155–245–248.

اسيسي 23.

آشور بانيبال 244.

"آشور دان الثالث" 203–208.

آشور ناصربال الثاني 182.

"آشور نادن أخي" 14.

"آشور نيراري الخامس" 200.

"آلارا" 30–213–214–215–227–230–234.

اماني ريديس 215.

أمنحوتب الثاني 12.

أمنوفيس الثالث 133.

أميرتايوس 246،247.

أميرتايوس الثاني 247.

"أم الخير العقون 44،48،66،80،251.

"امعني" 202.

"أمنحوتب الأول" 19، 36،76،77

"أمنحوتب الثالث" 23،24،25،38،77.

"أمنحوتب الرابع" 24،25،38.

"امنرديس الأولى 244.

" أمنمحات الأول "34،74،73،49،41.

أمنمحات الثاني 16،34.

"أمنمحات الثالث"17، 35.

"أمنمحات الرابع"17،35.

"آنتي" 51.

"أوبوت" 130.

"أودلف لودز" 186.

"أورات" 151.

"أورداماني 230.

"أوريك بيتس" 47،71،96،98.

"أوسرخو" 124.

"أوسركون"106،115،118،120،
122،123،125،126،127،129،131،156
،170،201،246.

"أوسركون الأول 110،113،114،115،145،
150،169، 170،191،192،223.

"أوسركون الثالث 127.

"أوسركون الثاني" 115،116،117،118،122
،151،152،154،155،158،170،171،
191، 192،193،197،206.

"أوني"15،33،41، 69 ،70.

"آي" 26.

"أياماتي" 214.

"إيلي بعل" 170.

"إيناروس 257.

أيوبوت 126.

"أيوبوت الأول 174

"أيوبوت الثاني 129،197،248،200.

أ. دريوتون 255.

"بادي باست" 120،123،124،125،126،
174،200،213.

"بازامة" 49.

"باشد باست" 238.

"باك ان رنف"132،131،133،135،134،
202،201،176،139،138،214،250،
255.

"باكرير" 252.

"باكنخنسو 155.

"بامي" 121، 123،122.

"باميو" 122.

"بانحسي" 78،40،105،219.

بايعنخ" 105.

"بتري 255،214،145.

بتوباستس" 124.

"بجوينوت" 49.

"بدج 252،146،140.

بدي إزيس" 121.

"برستد" 65،55،54،53،84،118،115،86،
149،233،196،186،184.

بروتيوس 175.

"بساموس 124.

"بسماتيك الثالث" 256.

"بسماتيك" 254،253،255.

"بسوسنس الثاني" 107،30،108، 110،
113، 114،178.

"بعنخى 40،131،93،132،139،134،
176، 201، 213،202، 213، 223، 224،
226، 227، 233، 234، 237، 244،
246، 247، 248، 249، 250، 261،252.

بف تاوعاوي باستت 248.

بف نف دوباست 130،129.

"بنتشينا" 27.

"بنطعور" 29.

بوخوريس 131، 133، 134،176، 202،
214، 250، 255.

بوزيريس 132، 256.

"بورنابورياش الأول" 24.

"بوزنر" 56.

"بوبوواوا" 106، 107، 147،109.

"بيبي الأول " 33.

"بيبي الثاني" 33، 68،34.

"بيتس" 45، 47، 48، 54، 56، 71، 86، 92، 93، 94، 96، 97، 98، 142، 143 ، 234

"بيي 223، 225، 228، 234.

بينزم 112.

تابيري 225، 237، 239.

"تاركوس 229.

"تاكيلوت 114.

تالتاماني 230.

تاميراس 256.

"تانداماني 230.

"تانوت اماني 230، 253، 254.

"تجلات بلازر الثالث" 194، 195، 196، 198، 199، 200.

"تحوتمحات 130.

"تحوتمس الأول" 19، 20، 21، 36.

"تحوتمس الثالث" 21، 22، 25، 37، 38، 41، 77.

"تحوتمس الثاني" 20، 36.

"تحوتمس الرابع" 23، 94.

تجلات بلازر 194، 195.

"ترهاقة 229.

تف نخت" 40، 122، 130، 131، 132، 133، 139، 244، 246، 247، 248، 249، 250، 255.

"تف نخت الثاني 255.

"تكلوت" 106، 115، 118، 123، 129.

"تكلوت الأول" 114، 115، 116، 192، 223.

تكلوت الثاني 118، 119، 120، 127، 137، 138، 152، 153، 158، 192، 193، 194، 197، 207.

تنيفاخثوس" 131.

توشراتا 24.

توشراتا الثاني" 24.

توكلتي ننورتا الثاني 203.

"توت عنخ آمون" 25، 26.

"تي" 23، 29، 77.

"ثوري" 36.

"ج.يويوت" 55.

"جاردنر 48، 53، 55، 62، 84، 184،85.

"جان يويوت" 111.

"جد آمون أوف عنخ" 246.

"جدبتاح يواف عنخ 112.

"جر" 32، 41.

"جرفت" 239.

"جريفث 237.

"جريمال" 202.

"جنديبو العربي 192.

"جوتييه" 238،126، 255.

ج .فانديه 233.

ج.فيركوتير 260، 261.

جيرمان 144.

"حابو 35.

" حاتيحنكر 259.

"حاتي–عاو" 47.

"حبي" 38.

"حتشبسوت" 20، 21، 37، 41، 77، 94، 99، 101.

"حرخوف" 33، 41، 69، 216.

حريحور 30، 40، 105، 137، 165، 233.

حزقيا 211، 214، 250.

حنانو 195.

"حسين عامر" 182.

حورباسن 93، 109، 111، 115، 122.

حورسااِيسي" 114.

حورنخت 117، 152، 158، 159.

"حورس سياخت" 132.

"حور مساف" 149.

"حورسااِيزيس 117، 120، 155.

"حورموحب" 25.

"حورنخت 117، 158، 159.

"حوني" 32.

حوى 25.

"حيرام 184، 189.

"خاتوسيلاس" 27.

"خباش 256.

"خع سخموي" 13.

"خفرع" 33، 67.

"خنوم حتب" 17.

"خوفو" 15، 32، 33، 67، 70.

"خيان" 18.

خنوم خنسو 121.

دارا الأول 256.

"دارسي" 109، 121، 127.

"داوود" 165، 176، 178.

"دنهام" 240.

"دوفيرير 143.

" دوماس 202.

"ديكسون 238، 239.

"ديودور الصقلي 133.

"رايزنر 223، 224، 234، 237، 238، 239، 240.

"رحبعام 167، 178، 180.

"رصين 194، 195.

"رع جدف" 33.

"رع منى" 130.

"رعمسيس الأول" 26، 38.

"رعمسيس الحادي عشر" 29، 30، 40، 105، 219.

رعمسيس التاسع 30، 91، 105، 166.

رعمسيس الثالث 29، 39، 41، 42، 55، 56، 58، 90، 97، 99، 103، 104، 136، 148، 186.

رعمسيس الثاني 27، 28، 29، 39، 41، 42، 79، 80، 81، 82، 93، 151.

رعمسيس السابع 104.

رعمسيس العاشر 91.

"رود آمون 129.

زارح 190، 191.

"زت 124.

"زد تحوتي فعنخ" 155.

"زدخونسوأوف عنخ 259.

زوسر 14، 32.

" س.موسكاتي 261.

"ساحورع" 15، 32، 44، 62، 67، 68، 94، 95، 143.

"سبك خو" 17.

"سبك نفرو رع 35.

"سبني 234.

"ست نخت" 86.

"ستب ان أوبت 145.

ستيفنيتس 255.

"سحورع" 41، 46.

"سرجون الثاني 196، 198، 199، 201، 202، 211، 212، 250.

"سليم حسن" 39، 48، 53، 79، 90، 149، 257.

"سليمان" 139، 165، 167، 169، 178، 180.

"السماني 224.

"سمنخ كارع" 38.

"سمندس" 30.

"سميث 238.

" سنحريب 227.

"سنفرو" 15، 32، 41، 66، 67، 73.

"سنوحي 16، 74، 234.

"سنوسرت الأول 16، 34، 41، 74.

"سنوسرت الثالث" 17، 35، 75.

"سنوسرت الثاني" 16، 35.

"سو" 196.

"سوا" 196، 197، 210.

"سيبه" 196، 197.

"سيبئة 198، 211.

"سيتي الأول" 26، 27، 38، 42، 50، 51، 52، 53، 78، 79، 80، 82، 174.

"سيسل روث" 186.

شاشاقا 239.

شالمنصر الثالث 192، 193.

"شارل أندري جوليان" 52.

"شب ان أوبت" 128، 249.

شباكا 134، 135، 202، 224، 227، 228، 241، 249، 250.

شبتاكا 224، 228، 229، 230، 241، 250، 252.

"شبكو 196.

"شبن أوبت الأولى 129.

"شبن–سبدت" 115.

شبنوبت الأولى 244.

شروكين الثاني 210.

شلمناسر 196.

"شلكاني" 212.

"شلمنصر الخامس 195، 201، 209، 210.

شمعيا 181.

"شوبيلوليوما" 26.

شوترنا" 24.

شيشاق 181، 182.

"شيشنق"55، 106، 107، 181، 182، 219، 221، 223، 239، 246، 258، 259، 261.

"شيشنق الأول" 59، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 135، 136، 144، 147، 148، 149، 159، 165، 167، 169، 170، 172، 178، 180، 181، 188، 219، 223، 258، 259.

"شيشنق الثالث 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 127، 128، 152، 153، 194، 199.

شيشنق الخامس" 122، 123، 199، 261.

"شيشنق الرابع " 122، 174، 200، 259، 261.

طهرقا" 44، 69، 230، 239، 250، 252، 253.

"عارف غالب 169، 198.

"عبد الحليم دراز" 46،

"عحا 13، 31.

"عنخ حور 261.

"ففح" 195.

"فلامو 144.

"فلدرمار شميديت" 144.

"فيرمان" 37.

"قزال" 144.

قمبيز 260.

"قيصر" 50.

"كابار" 52.

كابس" 115.

"كاداشمان أنليل الأول" 24.

كاروماما" 118، 127،154.

"كاروماما مري موت" 127.

"كاشتا" 124، 132، 224، 238، 241، 244.

كبر بن دد" 93.

"كلوزر" 126.

"كليوبترا" 50.

"كاليماخوس" 50.

"كامبس" 56.

"كيتشن 126، 188، 197.

"لجران" 126، 127، 149.

"لوكان" 50.

لوكلان 234.

"ليجيا" 143.

"ماسبيرو" 86، 129، 241.

"ماعت حور نفرو رع" 28.

"ماعت رع 244.

"ماعت كارع" 108، 110، 114.

مانيتون 30، 111، 113، 118، 119، 124، 125، 126، 130، 131، 133، 134، 148، 224، 230، 250، 256.

"ماواساتا" 147.

"محمد الهادي حارش" 144.

"مردوخ بلادان" 211.

"مرنبتاح 28، 29، 41، 42، 82، 83، 84، 85، 86، 88، 91، 93، 94، 96.

"مرنرع" 33، 34، 69.

"مري بن دد" 84، 85، 86، 92، 93، 96، 98.

"مري مس" 38.

"مكادم" 238.

"مناحيم 194.

"منتوحتب الأول " 16.

منتوحتب الثاني 16، 34، 73.

"منكاورع" 32.

"مواتاللس" 27.

"مواتالى 27.

"مواساتا" 107.

"مورسيل الثالث 26.

موسن 107، 109.

"موصرو 196.

"مولر" 48، 49.

"مونتيه" 169.

"ناسيكو 212.

"نافيل 255.

نجيب ميخائيل 15.

نخاو الأول 255.

نخاويا 255.

"نخبسوس 255.

"نس تبت" 93.

"نسو–ورت حقاوى" 115.

"نسي بانبدد" 105.

نعرمر 14، 44، 60، 65، 66.

"نفراركارع" 32.

نفرتيس الأول 257.

"نقطانيب الأول 257.

نقطانيب الثاني" 258.

"نلسن 238.

"نمروت" 107، 108، 130.

نمرود 93، 107، 112، 117، 118، 128، 129، 132، 201، 244.

"ني–أوسر–رع" 46.

"نيخاو 252، 253.

"نيسي" 112.

"نيقولا جريمال" 126، 129، 208، 256.

"نيوبري 46، 157.

"نيوسرع" 32.

هانو 195، 196، 198، 199، 211.

"هدد" 176، 192.

"هدد عزر 192.

"هنري باسي 143.

"هنري لوت" 56، 62.

"هوارد" 58.

"هوشع" 195، 197، 201، 209، 210.

"هول" 115، 186.

"هولشر" 80.

هيرودوت 49، 50، 55، 57، 58، 75، 91،
93، 94، 136، 137، 146، 175، 256،
260.

"وادجي 31.

"وازي" 44، 63.

واشاتيهاتا" 259.

وامانسطبارقا" 239.

"وانرايت" 97.

"وسرماعت رع" 129.

"وسرماعت رع ستبن آمون" 129.

"ون آمون" 30، 166.

"يارسو" 29.

"ياهو" 193، 207.

"يربعام" 178.

"يوآب" 176.

"يوسيبيوس 125، 255.

فهرس الأماكن:

أبوصير 41، 67، 68.

أبي سنبل " 39.

أبيدوس 13، 27، 31، 63، 69، 74، 107، 145.

أتروريا 260.

أتريب 42، 83، 103، 131، 253، 254.

أثريبيس 136.

أثينا 132.

أدرار 56.

"إدفو" 31.

أدوم 30، 176 ، 185، 194.

أرام 30، 206، 209.

أرباد 194، 198.

أرجو 38.

الأردن 180، 188، 195، 199، 209.

أرمينيا 205.

أرواد 21.

اسبانيا 52، 166.

اسرائيل 28، 29، 30، 42، 165، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 185، 186، 187، 188، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 206، 207، 209، 214، 227، 228.

الاسكندرية 89، 256.

أسوان 33، 34، 35، 36، 69، 79، 225، 244.

آسيا 18، 19، 20، 22، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 37، 78، 101، 169، 178، 195، 200، 208، 227، 253.

أشدود 202، 211، 214.

الأشمونين 40، 130، 131، 132، 247.

آشور 22، 23، 164، 170، 172، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 205، 206، 208، 209 ، 210، 212، 214، 227، 228، 230، 250، 254.

أطفيح 114.

الأطلس 52.

الأطلس الصحراوي 56، 143.

أفتيس 137.

افريقيا 37، 40، 46، 48، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 58، 60، 71، 94، 99، 100، 144، 166، 216، 223، 234، 237.

الأقصر 27، 116، 127، 152، 153.

أكاكوس 49، 101.

آلالاخ 17.

الأمانوس 208.

أمكين 100.

أمورو 27، 28، 192.

أنوسيس 136.

أنوفيس 136.

الأهقار 54.

أهناسيا 72، 106، 147، 247.

أواريس 18.

أوجاريت 16، 17، 28.

أورارتو 194، 203، 205.

الأوراس 56.

أوربا 51.

أورشليم 112، 178، 180، 181، 182، 183، 184، 186، 187، 188، 190، 194، 252.

ايبيريا 166، 172، 175، 176.

ايران 206.

ايرم 38.

ايطاليا 101.

البحرية 45.

البحيرة 45.

باسيت 252.

بابريميس 136.

بابل 22، 24، 161، 164، 206، 211، 214.

باش 44، 68.

البحر الأحمر 13، 31، 189.

البحر المتوسط 21، 51، 76، 80، 82، 83، 87، 101، 166، 167، 175، 176، 189، 200، 208، 214، 223، 234، 248.

بحر يوسف 246.

البداري 14، 238.

برزا 188.

برقة 45، 46، 49، 52، 54، 57، 82، 84، 91، 101، 146، 260.

البرقل 227، 230، 232، 233، 248.

بروسوبيتيس 137.

بروكسل 151، 157.

البطنان 49، 81.

بلاد الرافدين 164.

بلاد العرب 194، 196.

بلاد النهرين 178، 192، 200، 206.

بلاد النوبة 16، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 38، 40، 48، 70، 71، 75، 100، 101، 131، 189، 201، 216، 218، 219، 221، 223، 243.

بلاد قدمى 19.

بلاد نهارين 20.

بلجيكا 151.

بلستيا 30.

البليخ 206.

بني حسن 17، 49، 98، 131.

البوّ 256.

بوسيريس 136.

بونت 32، 34، 37، 51، 100.

بوهن 34، 35، 36، 37، 38.

بي سويد 132.

بيبلوس 13، 21، 170.

بيت حورون 188.

بيت شان 188.

بيت شمس 184.

بيت عمري 209.

بيسان 16.

بوبسطة 111، 115، 117، 118، 128، 130، 132، 147، 148، 149، 150، 151، 152.

بوتو 122.

بوزيريس 132، 256.

بوغازكوى 25، 27.

بوهين 32، 38.

بيت الوالي 39، 79، 80.

بيت ياكين 211.

بيثوم 192.

بينوئيل 188.

تاراي 36.

تاستي 31.

التاسيلي 56،61، 62، 101، 143.

تبته 37.

التشاد 101

تل أرفاد 194.

تل الشيخ 13، 34.

تل العمارنة 24، 25، 78، 95، 96، 175.

تل القارعة 18.

تل بسطة 147.

تمنراست 100.

تونس 54، 55.

تونيب 21، 28.

تيارت 100.

تيبستي 49.

تيرزة 188.

تانيس 30، 79، 105، 106، 109، 111، 116، 117، 121، 122، 124، 125، 130، 131، 136، 137، 148، 152، 153، 156، 159، 167، 174، 186، 189، 197، 248، 250، 252، 253.

تريتونيس 55.

تل الشيخ موسى 34.

تل العجول 200.

تل بيت مرسيم 184.

توفات 261.

توماس 32.

تونيب 21، 28.

ثمويس 136.

جازر 16، 185.

الجالا 51.

الجبل الأخضر 52.

جبل الشيخ سليمان 31.

جبل العركي 41، 61، 62.

جبلة 13.

جبيل 13، 15، 16، 17، 26، 30، 100، 152، 166، 167، 169، 170، 171، 192، 206.

جرار 143، 190.

جرزة 13.

جرمانيا 50.

جزر 16، 21، 178، 188.

جزريل 188.

الجزيرة 136.

الجزيرة العربية 209.

الجليل 188، 209.

الجندل الأول 31، 32، 33، 35، 36، 39، 218.

الجندل الثالث 34، 36.

الجندل الثاني 31، 34، 36.

الجندل الرابع 31، 38، 223، 248.

جوزان 196.

جيبون 188.

حلاح 196.

حلب 20، 194، 206.

حلمان 206.

حماة 192، 195، 198، 206، 207، 211.

الحيبة 114، 119، 151.

الخابور 196.

الخرطوم 239.

خليج العقبة 167.

خميس 136.

خيتا 19، 22، 23، 25، 28، 78.

دارفور 48، 69، 71، 100.

دجلة 20، 21، 206.

دشاشة 33.

دفنة 49.

الدلتا 15، 16، 17، 19، 21، 27، 29، 30، 35، 40، 42، 52، 54، 62، 63، 65، 66، 68، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 84، 86، 87، 88، 89، 103، 114، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 127، 129، 130، 131، 132، 135، 136، 139، 140، 142، 145، 146، 148، 175، 176، 186، 189، 197، 199، 201، 213، 226،

234، 244، 246، 247، 248، 249، 252،
253، 254، 256، 257، 259.

دمشق 27، 165، 192، 193، 194، 195،
198، 205، 206، 207، 209، 211.

دمياط 131.

الدير 211.

الدير البحري 37، 77، 174.

دكا 38.

دنقلة 38.

دور ايلو 211.

ربيحو 196.

رفح 188، 189، 196، 198، 199، 211.

رأس الشمرا 16.

رافيا 211.

ربوتي 188.

رتنو 17، 21.

رفح 188، 189، 196، 198، 199، 211.

الرمسيوم 27، 103.

الريف المغربي 56.

رودس 166.

زاهي 19.

الزقازيق 111.

زيماريم 188.

السامرة 152، 180، 192، 194، 195،
196، 198، 199، 201، 202، 209،
210، 211، 214.

ساي 36.

سايس 65، 121، 122، 131، 132، 133،
136، 140، 142، 197، 201، 202،
213، 244، 246، 248، 249، 252،
253، 254، 255، 256، 257.

سبينيتوس 132، 136.

السرابيوم 121.

سفت الحنا 139.

سقارة 25، 174، 176.

سكم 17.

سمنة 34، 35، 37.

سنار 252.

السودان 34، 37، 69، 139، 216، 222،
224، 229، 231، 232، 239.

سوريا 13، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 28، 29، 30، 88، 139، 159،165، 171، 178، 185، 186، 192، 193، 194، 195، 198، 199، 200، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 213، 221.

السوس 143.

سوكو 188.

سيناء 13، 14، 15، 16، 20، 26، 189، 190.

سيوة 45، 86، 143.

سيللا 199.

شاروحين 18.

الشام 16، 17، 19، 20، 23، 24، 26، 29، 152، 164، 165، 180، 183، 184، 185، 189، 194، 205، 211.

شط الجريد 55.

شبه جزيرة ايبيريا 166، 172، 175، 176.

شبه الجزيرة العربية 209.

شبه جزيرة سيناء 14، 15، 20.

شكيم 184.

الشلال الأول 135، 243، 254.

الشلال الثالث 237.

الشلال الثاني 31، 221.

الشلال الرابع 111.

الشلالات 221.

شلغوم العيد 100.

صان الحجر 65، 79، 131، 142، 255.

صاي 38.

الصحراء 17، 19، 20، 32، 37، 40، 47، 48، 49،52، 53، 54، 57، 58، 59، 60، 62، 66، 71، 73، 77، 81، 82، 90، 91، 97، 100، 140، 141، 142، 143، 145، 146، 147.

الصحراء الشرقية 15، 16، 61.

الصحراء الغربية 33، 49، 74، 75، 80، 141، 143.

صقلية 260، 261.

صور 166، 167، 169، 173، 175، 180، 184، 189، 193، 207، 209، 210، 252.

الصومال 51.

صيدا 166، 193، 207، 209، 252.

صوبا 165.

الطارف 174.

طرابلس 48، 91، 142.

طيبة 20، 22، 23، 25، 30، 35، 39، 40، 72، 74، 77، 87، 91، 103، 104، 105، 106، 107، 111، 112، 114، 116، 117، 118، 119، 120، 123، 124، 125، 127، 128، 129، 131، 134، 136، 137، 139، 144، 148، 149، 150، 153، 186، 195، 221، 223، 225، 226، 227، 231، 233، 238، 243، 244، 246، 247، 249، 250، 252، 253، 254، 261.

عسقلان 28، 188، 195، 202، 209.

عصيون جابر 167، 189.

عطاروت 200.

عنيبة 35.

عارونا 188.

العاصي 21، 192، 207.

عجلون 188.

العرابة 74، 77، 109، 113، 115، 151.

العراق 14، 16، 17، 18، 19، 134، 161، 164، 205، 228.

العريش 199، 212.

عطشانة 16، 17.

العلمين 42، 80.

عمدا 38، 83.

عيدم 211.

العير 56.

غدامس 98.

غزة 16، 21، 187، 188، 195، 196، 198، 199، 200، 209، 211.

فاريبتوس 122.

فارس 256.

الفرات 19، 20، 21، 25، 30، 192، 205، 206.

فزان 56، 58، 62، 101.

فلسطين 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 112، 139، 149، 152، 159، 167، 169، 171، 176، 178، 180، 181،

182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 207، 208، 209، 210، 212، 213، 214، 250.

فلورنس 114، 128.

الفنتين 32، 38، 69، 70، 139، 174، 241، 244.

الفنين 135.

فينيقيا 15، 16، 19، 21، 27، 28، 30، 159، 166، 167، 168، 169، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 178، 180، 189، 192، 193، 194، 198، 213.

الفيوم 44، 45، 72، 142، 151، 238.

فى يا 20.

فيلة 36، 69.

قبرص 166.

قادش 20، 22،21، 27، 28، 78، 80.

القاهرة 42، 63، 65، 83، 89، 230.

قرطاجة 142، 258، 260، 261.

قرقر 171، 192، 193، 197، 198، 206، 207، 211.

قرقميش 20، 21، 206.

القرنة 174.

قسنطينة 142.

قطنة 16.

قورينة 50، 51، 146، 260.

القوصية 35، 74.

قيرطا 142.

الكاب 20، 31، 76.

كاآو 33، 69.

كاروى 37، 38.

كردستان 20.

كرمة 34، 35، 223، 224، 240، 241.

الكرنك 16، 21، 22، 26، 27، 28، 42، 58، 78، 80، 81، 83، 84، 93، 94، 97، 110، 111، 115، 117، 118، 125، 126، 129، 148، 149، 150، 151، 155، 159، 181، 182، 183، 186، 187، 189، 221، 241، 246.

كريت 18، 82، 101، 261.

الكلاسيريس 136.

كلخو 206.

كنعان 29، 81، 164، 165، 178.

كوبان 34، 35، 38.

كورجوس 36.

كورو 223.

كورسكو 34.

كوسيتي 252.

كوش 35، 36، 37، 38، 39، 40، 124، 131، 132، 134، 191، 201، 202، 213، 216، 219، 221، 223، 224، 225، 227، 228، 230، 231، 232، 233، 234، 237، 238، 241، 242، 243، 249، 252، 253، 254.

كولومناطة 100.

لابان 212.

لبنان 165، 210.

لشبونة 174.

اللوفر 51، 62، 121، 151، 154.

ليبيا 40، 41، 45، 46، 48، 51، 53، 59، 60، 61، 64، 65، 69، 71، 72، 76، 77، 79، 82، 91، 92، 98، 99، 100، 136، 140، 141، 143، 144، 145، 146، 232، 256، 258، 259، 260.

ليوتوبوليس 137.

ليونتوبوليس 124، 132، 197، 201، 246، 248، 250.

ماهاريم 188.

مايا ديب 142.

مجدو 16، 20، 21، 184، 188.

مدجاي 33.

مرسى مطروح 42، 81.

مرمدة 141، 142.

مروي 232.

مريشة 190.

مريوط 45، 46، 48، 77، 256.

مستجدة 14.

مشتى العربي 100.

مصر 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42،44، 46، 47، 49،

51، 54، 55، 57، 58، 59، 60، 61، 62،
63، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72،
73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 81، 82،
83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91،
92، 96، 98، 99، 100، 101، 103،
104، 105، 106، 107، 108، 109،
110، 111، 112، 113، 114، 115،
116، 117، 119، 122، 123، 124،
127، 128، 129، 130، 131، 132،
133، 134، 135، 136، 137، 138،
139، 140، 141، 142، 143، 144،
145، 146، 147، 148، 149، 150،
152، 153، 154، 155، 159، 165،
166، 167، 169، 170، 171، 172،
173، 174، 175، 176، 178، 180،
181، 182، 185، 186، 188، 189،
190، 191، 192، 193، 194، 195،
196، 197، 198، 199، 200، 201 ،
202 ،203، 205، 206، 207، 208،
209، 210، 211، 212، 213، 214،
216، 218، 219، 221، 223، 224،
225، 226، 227، 228، 229، 230،
231، 232، 233، 234، 237، 238،
239، 241، 242، 243، 244، 246،
247، 248، 249، 250، 252، 253،
254، 255، 256، 257، 258، 259،
260، 261.

مصطاي 121.

مطمير 174.

المعادي 13، 141.

ممفيس 88، 174، 175، 176، 230، 258.

مندس 121، 128، 246، 257.

منديس 131، 136، 257.

منف 22، 38، 80، 85، 89، 106، 114،
117، 121، 122، 123، 127، 131،
133، 134، 137، 144، 147، 150،
202، 228، 244، 246، 247، 248،
249، 252، 253، 254، 256.

موتيي 261.

المودك 20.

مويكفوريس 137.

مؤاب 31، 211.

ميتاني 19، 22، 23، 183.

ميديا 196.

ميكينا 23.

نباتا 36، 39، 111، 131، 132، 134، 176، 221، 223، 224، 227، 231، 232، 234، 238، 239، 241، 243، 244، 246، 247، 248، 249، 250، 252، 253، 254.

نجع حمادي 41، 61.

نقادة 13.

النقب 187، 188، 189.

نهر الكلب 27.

النوبة 16، 22، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 48، 52، 68، 69، 70، 71، 73، 75، 77، 79، 81، 100، 101، 111، 131، 132، 176، 189، 201، 216، 218، 219، 221، 223، 233، 234، 237، 240، 242، 243، 244، 258.

نوري 230، 232، 238، 239، 240.

النيجر 101.

النيل 14، 29، 30، 36، 42، 44، 45، 46، 47، 53، 54، 63، 64، 68، 77، 82، 92، 98، 100، 106، 115، 126، 127، 135، 140، 141، 142، 144، 145، 147، 148، 149، 152، 170، 189، 192، 202، 216، 223، 227، 229، 234، 237، 238، 239، 243، 246، 248، 252.

نينوى 206، 250، 252، 253.

هابو 39، 55، 56، 57، 58، 86، 88، 89، 90، 94، 95.

هرموبوليس 119، 128، 129، 132، 201، 244، 246، 248.

الهرموتوبيس 136.

الهقار 101، 143.

هليوبوليس 137.

هولندا 151.

هيراقليوبوليس 105، 111، 112، 117، 118، 128، 129، 131، 137، 147، 149، 171، 172، 173، 176، 201، 244، 246، 248.

هيراكنيوليس 32.

هيرموبوليس 174، 176، 247.

واحة سيوة 45، 86، 143.

واد طميلات 139.

وادي حلفا 32، 33، 38، 77.

وادي الحمامات 16، 75.

وادي رفح 188.

وادي صفاته 190.

وادي هوى 71، 237.

واوات 33، 35، 37، 38، 39، 218.

الوجه البحري 48، 65،84، 121، 126 ،
130، 131، 132 ، 155، 246، 259.

الوجه القبلي 33، 112، 119، 121، 126،
132، 155، 259.

وهران 48.

يام 69،70.

يحم 21، 188.

اليرموك 205.

يهوذا 165، 178، 179، 180، 181، 182،
183، 184، 187، 188، 190، 191،
194، 196، 206، 211، 214، 250.

اليونان 23، 134، 139.

فهرس الشعوب القبائل والآلهة:

أبيس 121، 122، 133.

أبو الهول 17.

اترماخ 49.

الأتروريين 101.

أتوم 114.

آتون 25، 78.

الاثيوبيين 57.

أدد 206.

الأديرماخيين 49.

الآراميين 165، 194، 195، 206.

أرثت 218.

أسبت 41، 44، 59، 88.

الاسرائيليين 195.

الآسيويين 16، 23، 25، 69، 73، 78، 81.

آش 143.

آشور 22.

الآشوريين 21، 108، 166، 192، 193، 194، 195، 198، 200، 201، 202، 203، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 227، 228، 229، 242، 250، 252، 253، 254.

الأعراب 171، 192.

الإغريق 49، 50، 53، 56، 57، 60، 82، 91، 93، 94، 133، 229، 256، 260، 261.

افريقيون 52.

الأموريين 25.

آمون 19، 20، 22، 30، 39، 40، 77، 79، 89، 90، 91، 105، 107، 111، 112، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 124، 125، 127، 128، 134، 137، 143، 144، 145، 147، 148، 149، 151، 152، 155، 156، 166، 182، 186، 219، 221، 223، 225، 226، 230، 233، 243، 244، 246، 247، 248، 249، 261.

أوريس 39.

أوزير 115، 145، 154، 156، 158، 170.

أوزيريس 107، 140، 145، 154، 241.

الأوسيس 93.

ايديبعلو 209.

ايزيس 114، 145، 146، 154، 155، 170.

ايموكهك 41، 44.

البابليين 22، 166، 211.

باست 114، 115، 117، 120، 123، 125.

باستت 141، 147، 151.

بتاح 19، 39، 81، 117، 121، 141، 147، 148، 249.

بجا 218.

البربر 52، 54، 55.

بست 122، 140.

بعل 152.

بعل-أمون 142.

بعلات 170.

بعلت جبيل 169، 170

بكن 41، 44، 59، 88.

البلست 29، 87.

بني اسرائيل 28، 182، 186، 196.

بني حسن 17، 49، 98، 131.

تاماجق 49.

تامایاك 49.

تانيت 142.

التحنو 41، 44، 46، 47، 48، 49، 51، 52، 54، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 70، 75، 77، 79، 80، 81، 88، 89، 94، 99، 100، 101، 143، 146.

تحوت 119، 158.

ترماح 49.

التروقلوديت 57.

تماحك 49.

تماشك 49.

التمحو 41، 44، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 67، 68، 69، 70، 71، 74، 76، 77، 79، 87، 94، 98، 101، 146، 234، 237، 239.

التوارق 49.

الثكاليين 29.

ثورناح 49.

الثيرانيين 50.

الثيكر 30.

الجرامنت 54، 57.

حا 140.

حتحور 66، 67، 157، 158.

حرشف 106، 107، 117، 118، 141، 147، 150.

حور 63، 158.

حورس 37، 39، 132، 145، 146، 154.

الحيثيين 22، 79، 164، 206.

الخابيرو 24.

خنوم 33، 244.

الدناويين 29.

دورماخ 48.

رع 39، 121، 144، 247.

الرومان 93.

الريبو 41، 42، 44، 46، 52، 54، 79، 88، 261.

الزنوج 35، 70.

ساتي 141.

ساوسر إن رع 18.

سبك 44، 158.

ست 141، 142.

سخمت 158، 159.

سكر 155.

السكيين 181.

سوتخ 141.

سودانيون 232.

السوريين 23.

الشاسو 20، 81.

الشاوية 50.

شاي 41، 44، 88.

الشردان 27، 101.

شعوب البحر 27، 28، 29، 41، 57، 78، 79، 80، 81، 82، 84،83، 85، 87، 88، 91، 97، 260.

الشكالاشيين 29.

الصوريين 175.

العابيرو 25.

العبرانيون 164، 165، 180، 189.

العيلاميين 161، 211.

الفرس 108، 166، 206، 256، 257، 260.

الفلستيون 165.

الفلسطينيون 165.

الفينيقيون 165، 194، 261.

القبت 41.

القرطاجيون 261.

الكنعانيين 180.

كهك 41، 44، 76.

الكوشيين 108، 132، 135، 181، 190، 191، 224، 228، 231، 240، 241، 242، 243، 244، 250، 251، 252، 253، 254.

كيش 41.

الكيشيين 206.

الليبو 41، 42، 44، 46، 52، 53، 54، 55، 79، 80، 82، 84، 86، 87، 88، 89، 91، 93، 94، 97، 99، 100، 104، 105، 122، 261.

الليبيين 41، 42، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 54، 56، 57، 58، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 103، 104، 105، 106، 108، 111، 117، 123، 124، 131، 135، 136، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 150، 153، 154، 155، 157، 159، 165، 166، 167، 176، 185، 191، 193، 202، 203، 216، 219، 223، 233، 234، 237، 238، 241، 242، 243، 244، 249، 253، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261.

مجاي 218.

المساجيتي 93.

المشواش 41، 42،44، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 79، 80، 81، 82، 84، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 96، 97، 99، 104، 105، 106، 107، 108،

111، 112، 116، 117، 121، 128، 135، 137، 138، 147، 257، 258، 261.

الميديين 206.

مين 142.

الناسامونيين 94.

النبتيين 223، 232، 241، 242.

النحسيو 38.

نفتالي 209.

نفتيس 158.

النوبيين 33، 34، 39، 73، 78، 81، 104، 218.

نيت 50، 53، 65، 96، 97، 132، 140، 141، 249، 257.

هش 41.

الهكسوس 18، 35، 36، 58، 75، 84، 108.

واوات 33، 34، 37، 39، 218.

الوشاش 29.

الوندال 51، 52.

اليونانيين 139.

فهرس الصور :

رقم الصورة: عنوان الصورة: الصفحة:

الصورة رقم 1: تمثل مقبض سكين جبل العركي 51

الصورة رقم 2: تمثل لوحة الأسد و العقبان 52

الصورة رقم 3 : تمثل لوحة الحصون و الغنائم(التحنو).....53

الصورة رقم 4: تمثل صلاية الملك نعرمر الوجه و الظهر و رأس مقمعته.....54

الصورة رقم 5: تمثل ليبيون يرتدون جراب العورة و ذيل الحيوان وعلى رأسهم ريش، مسلحين بعصا الرماية وبالقوس، بنفس مواصفات الليبيين على الآثار المصرية (تاسيلي أن أجار).....86

الصورة رقم 6: تمثل نقش و تمثال للملك شيشنق الأول وجد بالكرنك.....99

الصورة رقم 7: تمثل تمثال نصفي للملك أوسركون الأول.....102

الصورة رقم 8: تمثل تمثال و نقش للملك الليبي أوسركون الثاني.....105

الصورة رقم 9: من داخل جدران مقبرة الملك أوسركون الثاني في تانيس و تمثال يمثله.....105

الصورة رقم 10: تمثل تمثال الملك شيشنق الثالث 109

الصورة رقم 11: تمثل تمثال الملك بادي باست.....114

الصورة رقم 12: تمثل تماثيل للملك أوسركون الثالث 116

الصورة رقم 13: تمثل مجموعة تماثيل للآلهة ذات الأصل الليبي في مصر.....130

الصورة رقم 14: تمثل فناء المعبد الكبير والصرح الثانى في فترة حكم الليبيين (معبد آمون بالكرنك).....139

الصورة رقم 15: تمثل تخليد حملة شيشنق الأول على أحد جدران معبد الكرنك، بوابة النصر (بوابة شيشنق الأول).....140

الصورة رقم 16: تمثل تماثيل للملك أوسركون الثاني و زوجته كاروماما.....143

الصورة رقم 17: تمثل صرح شيشنق الثالث بتانيس 145

الصورة رقم 18: تمثل توابيت مصغرة على هيئة مومياء وتمثال للملك شيشنق الثاني وأوسركون.....145

الصورة رقم 19: تمثل صدرية ،خاتم و سوار من ذهب لشيشنق.....146

الصورة رقم20: تمثل عقود وخواتم وجعارين وخرز وتمثال كبش وخمسة أساور من الحجر والذهب وتمثال الآلهة للكاهن الأكبر حرنخت 146

الصورة رقم 21: تمثل صدرية وسوار وقناع وصنادل ذهبية لشيشنق الثاني وطلسم من الرخام لأوسركون.....147

الصورة رقم 22: تمثل أواني خزفية فينيقية من هيراقليوبوليس.....162

الصورة رقم23: تمثل نقوش شيشنق الأول على الجدار الخارجي الجنوبي في الكرنك لتمجيد حملته على فلسطين.....171

الصورة رقم 24: تمثل رأس تمثال للملك شباكا.....217

الصورة رقم 25: تمثل رأس تمثال الملك شبتاكا.....218

الصورة رقم 26: تمثل رأس تمثال الملك طهارقا.....219

الصورة رقم 27: تمثل رأس تمثال الملك تانوت اماني.....220

فهرس الأشكال:

رقم الشكل: **عنوان الشكل :** **الصفحة:**

الشكل رقم 1: يمثل اللّيبيون القدماء في عهد سيتي الأول 40

الشكل رقم 2: يمثل العربات الطائرة (تاسيلي أن أجار) وعربات تجرها أربعة أحصنة كما وصفها هيرودوت (فزان).....47

الشكل رقم 3: يمثل أشكال جراب العورة وتصفيفات الشعر وأدوات الزينة عند القبائل الليبية.....85

الشكل رقم 4: يمثل أنماط متنوعة من الأسلحة الليبية والليبيون ضمن الحرس الملكي للفرعون أخناتون بجبانة تل عمارنة.....86

الشكل رقم 5: تمثال أوسركون الأول عليه نقش فينيقي لملك جبيل إيليبعل.....159

الشكل رقم 6: يمثل انية من الألباستر اكتشفت في آشور عليها خراطيش تكلوت الثالث ونقش مسماري.....201

الشكل رقم 7: نقوش توضح السيطرة المصرية على بلاد النوبة من العصر العتيق إلى عهد الدولة الحديثة.....207

الشكل رقم 8 : يمثل جزء من لوحة الملك كاشتا.....215

الشكل رقم9 : يمثل لوحة جدارية للملك بعنخى في معبده بجبل البركل.....216

الشكل رقم 10: يمثل نماذج لمقابر حضارة المجموعة الثالثة.....224

الشكل رقم 11 : يمثل نماذج لفخار حضارة المجموعة الثالثة 225

الشكل رقم 12: يمثل جزء من لوحة النصر للملك الكوشي بيي/بيعنخى.....237

فهرس الخرائط:

رقم الخريطة: عنوان الخريطة: الصفحة:

الخريطة رقم1: تمثل توزيع القبائل الليبية القديمة في ليبيا.....34

الخريطة رقم 2: خريطة الشرق الأدنى القديم في القرن 15 ق.م.....151

الخريطة رقم3 : تمثل الحضارات التى ظهرت فى الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثاني والأول قبل الميلاد.....152

الخريطة رقم4: تمثل أهم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى القديم.....152

الخريطة رقم 5: تمثل المملكة العبرانية و فينيقيا في عهد الملك سليمان.....157

الخريطة رقم 6: تمثل المملكة العبرانية في عهد الملك داوود.....166

الخريطة رقم 7 : المملكة العبرانية بعد انقسامها الى مملكتين "اسرائيل" و "يهوذا".....168

الخريطة رقم 8: تمثل الامبراطورية الآشورية في أقصى درجات التوسع.....193

الخريطة رقم 9 : تمثل النوبة في عهد الدولة القديمة.....206

الخريطة رقم 10 : تمثل بلاد النوبة.....209

الخريطة رقم 11: تمثل خريطة توضح المواقع الأثرية الكوشية في السودان و مصر.....211

الخريطة رقم 12: تمثل بداية الغزو الكوشي لمصر في عهد ملوك الأسر الليبية 22-23.....234

الخريطة رقم 13: تبين الغزو الاشوري لمصر في فترة حكم الكوشيين.....240

الموضوع الصفحة

شكر و عرفان.....3
قائمة المختصرات.....4
مقدمة.....5
المدخل: طبيعة العلاقات الخارجية المصرية قبل وصول الليبيين للحكم.....12
أولا– الجهة الشرقية.....13
1– في عهد الدولة الحديثة.....13
1–1– الأسرة الثامنة عشرة.....13
1–2– الأسرة التاسعة عشرة.....21
1–3– الأسرة العشرين.....24
2– الفترة الانتقالية الثالثة: 1090– 664 ق.م.....25
2–1– الأسرة الحادية والعشرون حوالي (1090 – 950 ق.م).....25
ثانيا– الجهة الجنوبية.....25
1– في عهد الدولة الحديثة.....25
2– في الفترة الانتقالية الثالثة: (عهد الأسرة الواحدة والعشرين).....29
ثالثا– الجهة الغربية.....30
1– في عهد الدولة الحديثة.....30
الفصل الأول: التفاعل الحضاري بين ليبيا ومصر من خلال المصادر المصرية القديمة.....32
أولا– القبائل الليبية القديمة المحاذية لمصر.....33
أ– التحنو Tehenu 33
1– أرض التحنو و موقعها.....33
2– سمات قبيلة التحنو.....35
ب– التمحو(temehu).....37
1– موقع بلاد التمحو.....37
2– مميزات التمحو.....38

ج–الليبو أو الريبو.....41
1– موطن الليبو.....41
2–خصائص الليبو.....42
د– المشواش.....42
1–موطن المشواش.....42
2– صفات قبيلة المشواش.....44
ثانيا:العلاقات المصرية بالقبائل الليبية من خلال المصادر المصرية القديمة.....48
I– المصادر المصرية القديمة.....50
أ– مصادر ماقبل و بداية الأسرات.....50
1– مقبض سكين جبل العركي.....50
2– لوحة الصيد.....51
3– لوحة الأسد و العقبان.....52
4– لوحة الحصون و الغنائم.....52
5– الأسطوانة العاجية للملك نعرمر و صلايته.....54
ب– مصادر الدولة القديمة.....55
1– نص الملك سنفرو على" حجر بالرمو" ؛ "مقبرة مرسي عنخ الثالثة.....55
2– نص الملك "ساحورع".....56
3– نص الملك "بيبي الثاني".....57
4–نص الملك "بيبي الأول" و السيرة الذاتية "لأوني.....,.....58
5– نص "حرخوف.....58
ج – مصادر الدولة الوسطى.....61
د) – مصادر الدولة الحديثة.....64
1– مصادر الأسرة الثامنة عشرة.....65
2– الليبيون في مصادر الأسرة التاسعة عشرة.....67
ثالثا: المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي من خلال الآثار المصرية القديمة.....81
1– الجانب الإجتماعي 81

أ- المجتمع 81
ب- الأسرة الليبية.....82
ج- الملابس و الحلي عند اللّيبيين القدماء.....83
د- المظاهر المادية في المجتمع الليبي.....85
2- الحياة الاقتصادية.....88
أ- الرعي.....88
ب- الزراعة.....89
ج- التجارة.....,.....89
الفصل الثاني: الحـكـم اللـيـبـي لمصـــر.....91
أولا- الأوضاع في مصر قبيل قيام الحكم الليبي.....92
ثانيا- فترة حكم فراعنة بأصول ليبية الأسرات 22-23-24.....97
1- فترة حكم الأسرة الثانية و العشرين: 950-715 ق.م.....98
أ- أصل ملوك الأسرة.....98
ب- نظام الحكم في عهد "شيشنق الأول.....99
ج- نظام الحكم في عهد خلفاء "شيشنق الأول".....102
1- أوسركون الأول.....102
2- تكلوت الأول.....103
3- أوسركون الثاني.....104
4- تكلوت الثاني.....107
5- شيشنق الثالث.....,.....108
6- بامي.....,.....110
7- شيشنق الخامس.....111
8- أوسركون الرابع.....111
2- فترة حكم الأسرة الثالثة و العشرين.....112
أ- ملوك الأسرة الثالثة و العشرين.....113
1- بادي باست.....113

2- أيوبوت.....115
3- أوسركون الثالث.....115
4- تكلوت الثالث.....117
5- رود آمون.....,.....118
ب- الملوك الأواخر للأسرة.....119
3- فترة حكم الأسرة الرابعة و العشرين.....,.....119
1- تف نخت.....120
2- باك ان رنف "بوخوريس".....122
ثالثا- المظاهر الحضارية للحكم اللّيبي بمصر.....124
1- الجانب الإجتماعي و الإقتصادي.....124
أ- طبقات المجتمع و وضعهم الاقتصادي.....124
1- الطبقة العسكرية.....125
2- طبقة الكهنة.....126
3- طبقة الحرفيين.....127
2- الجانب الديني.....129
أ- التأثير الديني الليبي في مصر.....129
1- الإله ست.....130
2- الإله مين.....131
3- الآلهة نيت.....131
4- الإله آش.....132
5- الإله آمون.....132
6- الإله أوزير.....134
7- الآلهة ايزيس.....134
8- الإله حورس.....135
ب- أهم الآلهة في عهد الحكم الليبي.....135
1- الإله حرشف.....136

2- الآلهة باستت.....136
3- الإله بتاح.....136
3- الجانب المعماري و الفني.....137
أ- المعماري.....137
ب- الفني.....142
الفصل الثالث: علاقات ملوك الأسر الليبية بالشرق الأدنى القديم.....149
أولا: مراكز القوى في الشرق الأدنى القديم للفترة من الألف الثانية إلى الألف الأولى ق.م.....150
1- العراق القديم.....150
2- بلاد الشام.....153
- العبرانيون.....153
3- مصر.....154
ثانيا: علاقات الملوك الليبيين بالساحل الفينيقي.....155
1- في عهد الأسرة الثانية و العشرين.....155
2- في عهد الأسرة الثالثة و العشرين.....163
3- في عهد الأسرة الرابعة و العشرين.....164
ثانيا: علاقات الملوك الليبيين بفلسطين.....165
1- في عهد الأسرة الثانية و العشرين.....165
ا-حملة شيشنق الأول على فلسطين.....169
1- مصادر الحملة 170
أ- الكتاب المقدس.....170
ب - نقوش شيشنق الأول على البوابة البوبسطية.....171
2- أسباب الحملة.....174
3- تاريخ الحملة.....176
4- مسار الحملة و المدن التي وصلتها.....176
5- نتائج الحملة.....178
2- في عهد الأسرة الثالثة و العشرين.....188

3- في عهد الأسرة الرابعة و العشرين.....190
رابعا:علاقات الملوك الليبيين بالآشوريين.....192
1- في عهد الأسرة الثانية و العشرين.....195
2- في عهد الأسرة الثالثة و العشرين.....202
3- في عهد الأسرة الرابعة و العشرين.....202
الفصل الرابع: علاقات ملوك الأسر الليبية ببلاد كوش و ليبيا الوطن الأم.....204
أولا-علاقات الملوك الليبيين ببلاد كوش حتى تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين في مصر.....205
1- لمحة عن علاقات مصر ببلاد النوبة قبل وصول الليبيين للحكم.....205
2- علاقات الملوك الليبيين ببلاد كوش.....208
ا- قيام مملكة نباتا و أصل ملوكها.....210
أ- مملكة نباتا.....210
1- الأسرة الخامسة و العشرون.....213
2- ملوك الأسرة الخامسة و العشرين.....214
1- آلارا.....214
2- كاشتا.....214
3- بعنخى.....215
4- شباكا (شباكو).....216
5- شبتاكا(شبتكو).....217
6- طهارقا.....218
8- تانوت أماني.....219
ب- أصل ملوكها 220
1- النظرية الأولى.....222
2- النظرية الثانية 223
3- النظرية الثالثة.....229
ثانيا: علاقات الملوك الليبيين بملوك الأسرة الخامسة و العشرين الكوشية.....231
1- الأسباب التي مهدت لاحتلال الكوشيين لمصر.....231

2- احتلال الملوك الكوشيين لمصر و ردة فعل الملوك الليبيين.....233
3- نهاية حكم الفراعنة الكوشيين وعودة حكم الفراعنة ذوي الأصول الليبية لمصر.....239
1- نهاية حكم الفراعنة الكوشيين لمصر.....239
2- الأصول الليبية لفراعنة مصر في العهد المتأخر.....244
ثالثا : علاقات الملوك الليبيين بليبيا الوطن الأم و قرطاجة.....247
1- علاقات الملوك الليبيين بليبيا الوطن الأم.....247
2- علاقات الملوك الليبيين بقرطاجة.....249
الخاتمة.....251
قائمة البيبلوغرافيا.....259
الفهارس.....281
فهرس الأعلام.....282
فهرس الأماكن.....293
فهرس الشعوب القبائل والآلهة.....306
فهرس الصور.....311
فهرس الأشكال.....313
فهرس الخرائط.....314
فهرس المحتويات.....315